



أُمُّ حُجْرَةَ الصَّادِقِ عَلَيْهَا السَّلَامُ
السِّيَرَةُ الْكَامِلَةُ

عَلَى كُرُونِي الْعَامِلِي عَلَيْهَا السَّلَامُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، السيرة الكاملة

علي الكوراني العاملي قده

الطبعة الأولى ١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

هذا الكتاب هو آخر ما تشرف بتأليفه ساحة العلامة الشيخ علي الكوراني العاملي قده وقد وافته المنية في مدينة قم المقدسة في تاريخ ١٠ ذي القعدة سنة ١٤٤٥ هـ جرية قبل إنهاء مراجعة هذا الكتاب. وبناءً على منهجه في المراجعة، تم تصحيح الأخطاء المطبعية وتدقيق بعض المصادر وترتيب الفقرات في هذه النسخة.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام
السيرة الكاملة

علي الكوراني العاملي ع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام

على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

قبل ست عشرة سنة كتبت المجلد الخامس من جواهر التاريخ، وفيه سيرة مختصرة للإمام الباقر والصادق عليهما السلام. ولما أصدرت السيرة الكاملة للإمام محمد الباقر عليه السلام، أعجب به بعض الفضلاء فأثنى عليه لجدته، وقال: بقي أن تكتب السيرة الكاملة للإمام جعفر الصادق عليه السلام، فشرعت في هذا الكتاب.



وقد شهد عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام تحولات كبيرة، شق طريقها الإمام الباقر ومهد لثورة أخيه زيد عليه السلام سنة ١٢١، التي كانت بعد وفاة الباقر عليه السلام بسبع سنين. ثم وقع الصراع على الحكم بين خلفاء بني أمية سنة ١٢٦ فأخذ الحسينيون بقيادة عبد الله بن الحسن المثنى يعدون للثورة عليهم، والتحق بهم بنو العباس، فتلقف ذلك الفرس وبدؤوا ثورتهم في خراسان بشعار الحسينيين: الدعوة إلى الرضا من آل محمد، والبراءة من ظالمي آل محمد عليه السلام بني تيم وعدي وأمية. وقاد ثورة الفرس بكبير بن ماهان وهو عقلية فارسية اندفع بالثورة لأنه عايش ظلم الأمويين للفرس وعامة المسلمين، فاتصل بالعباسيين وأخذ تفويضهم وأرسل غلامه أبا مسلم إلى خراسان، وبدأ بالثورة.



الإمام الصادق عليه السلام مهندس وجود الطائفة الشيعية

شغل فكري هذا السؤال أياماً: كيف أدار الإمام الصادق عليه السلام هذه الأمجاد العظيمة والثروة الطائلة التي ورثها من أبيه وأجداده عليهم السلام؟ فقد ورث موجة الثقافة النبوية التي فجرها أبوه باقر العلم. وورث جيلاً من العلماء من تلاميذ أبيه. وورث شعبية واسعة وتقديساً في المسلمين في المشرق والمغرب. وورث موجة ظلامه أهل البيت عليهم السلام التي أشعلت الثورة على الأمويين. وورث حالة ضعف الأمويين التي حركت الثورة عليهم. في هذا الخضم قام الإمام الصادق عليه السلام بتشكيل الطائفة الإمامية، فرسم لها علاقاتها بالسلطة، وبالثورات من حولها، وأغناها علمياً فلا تحتاج إلى أحد ويحتاج الناس إليها، وأوقع الخلاف الشكلي بينها لتكون جماعات متعددة للبقيا عليها بتعبيره، أي لأن اختلافها أضمن لاستمرار وجودها، وعدم استئصالها.



شريط حياة حافل

عاش الإمام الصادق مع أبيه الباقر عليه السلام إحدى وثلاثين سنة، وعمل معه في تكوين موجة عقائدية وفكرية، وكان عضده في أعماله، ومعتمده في مهمات أموره في المدينة وفي سفره إلى الحج، وإلى الشام لما استدعاه الخليفة هشام، وفي لقاءاته مع مشاريع الثورة من حسنيين وعباسيين.

وقد عاصر الإمام الصادق مع أبيه عليه السلام حكم عبد الملك بن مروان الذي توفي سنة ٨٦، وأبناء عبد الملك: الوليد الذي قتل الإمام زين العابدين عليه السلام سنة ٩٤، وهلك سنة ٩٦، ثم سليمان وهلك سنة ٩٩، ثم عمر بن عبد العزيز وهلك سنة ١٠١، ثم يزيد بن عبد الملك وهلك سنة ١٠٥. وعاش تسع سنين من حكم الطاغية هشام بن عبد الملك الذي ارتكب جريمة قتل الإمام الباقر عليه السلام سنة ١١٤، ثم هلك هشام سنة ١٢٥، وبعد سبع سنوات من هلاكه

انهيار النظام الأموي بثورة الفرس العباسية.

وفي هذه السنوات السبع عاصر الإمام الصادق عليه السلام أربعة ملوك من بني أمية وهم: الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦) ويزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦-١٢٦). وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، حكم أربعة أشهر سنة ١٢٦. وآخرهم مروان بن محمد الملقب بالحمار (١٢٧-١٣٢). ثم عاصر أبا العباس السفاح أول ملوك بني العباس، ثم أبا جعفر المنصور الدوانيقي جبار بني العباس، وهو الذي قتل الإمام الصادق عليه السلام بالسم سنة ١٤٨.



عايش ثورة عمه زيد وثورة الفرس العباسية وثورة الحسينيين

عايش الإمام الصادق بعد أبيه الباقر ثورة عمه زيد عليه السلام التي مهدت لثورة الفرس العباسية، وتضامن مع عمه زيد عليه السلام ولم يشارك في ثورته شخصياً.

كما عايش حركة الحسينيين من أولها، ورفض أن يشترك فيها، وجاءه أبو مسلم الخراساني قبل انتصاره، ثم جاءه رسول أبي سلمة الخلال قائد ثورة الفرس بعد انتصارهم، وعرض عليه أن يحضر الى الكوفة لبياعه بالخلافة، فرفض عليه السلام رفضاً باتاً، لأنه كان يرى أن هؤلاء الثوار الفرس والعباسيين والحسينيين، لا يريدون إقامة العدل بل يريدون أن يستبدلوا ظلم بني أمية بظلمهم، ويريدونه آلهً لذلك!



امتد نشاطه العلمي أربعاً وثلاثين سنة

قال المفيد في الإرشاد (١٧٩/٢) عن شخصيته الإمام الصادق عليه السلام ونشاطه العلمي: (كان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام من بين إخوته خليفة أبيه محمد بن علي عليه السلام ووصيه القائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل، وكان أنبهم ذكراً، وأعظمهم قدراً، وأجلهم في العامة والخاصة، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر

ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقله الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل، وكان له عليه السلام من الدلائل الواضحة في إمامته ما بهرت القلوب وأخرست المخالف).

وأوصاه والده بتلاميذه، قال عليه السلام: (لما حضرت أبي عليه السلام الوفاة قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً. قلت: جعلت فداك، والله لأدعنهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً!) (الكافي: ١/٣٠٦).



هذه الإضاءات من سيرة الإمام جعفر الصادق صلوات الله عليه، نعمل لتفصيلها في هذا الكتاب، وبيان خطط الإمام ومواقفه لتحقيق أهدافه. والله ولي التوفيق.

بقم المشرفة - الثامن من رجب الأصب - ١٤٤٥ هجرية





الفصل الأول

الهوية الشخصية للإمام جعفر الصادق عليه السلام

الولادة والشهادة

(ولد أبو عبد الله عليه السلام سنة ثلاث وثمانين، ومضى في شوال من سنة ثمان وأربعين ومائة وله خمس وستون سنة، ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده والحسن بن علي عليه السلام. وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر). (الكافي: ١/٤٧٢).

وقال الشهيد في الدروس (١٢/٢): (ولد بالمدينة يوم الإثنين سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين، وقبض بها في شوال، وقيل في منتصف رجب، يوم الإثنين سنة ثمان وأربعين ومائة عن خمس وستين سنة، أمه أم فروة ابنة القاسم الفقيه بن محمد النجيب بن أبي بكر، وقال الجعفي: إسمها فاطمة وكنيتها أم فروة. وقبره وقبر أبيه وجده وعمه الحسن بالبقيع في مكان واحد، وفي بعض الروايات أن فاطمة بنت أسد جدتهم معهم في تربتهم. والروايات في زيارة الحسن عليه السلام تدل على فضيلة زيارتهم).

وفي مصباح الكفعمي (البحار: ٤٧/٣): (كانت ولادته في زمن عبد الملك بن مروان، وتوفي يوم الإثنين في النصف من رجب سنة ثمان وأربعين ومائة، مسموماً في عنب).

وقد عقدنا فصلاً خاصاً لشهادته عليه السلام، لأن فيها أحداثاً وأخباراً.

من صفات الإمام الصادق عليه السلام

وصفوه عليه السلام بأنه رُبَّ القامة، أزهر الوجه، حالك الشعر، أشم الأنف، تكسوه الهيبة، ويعلوه الوقار، حسن المجالسة، كثير النوال. ولم يخل عن ذكر الله والثناء عليه، وكان لا يخلو

من ثلاث خصال: إما قائماً، وإما صائماً، وإما ذاكراً. كان من أكابر العباد وعظماء الزهاد، الذين يخشون ربهم، كثير الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كثير العوَاد. (أشم الأنف، أنزع، رقيق البشرة، على خده خال أسود، وعلى جسده خيلان حمرة). (المناقب: ٣/٤٠٠)

وفي ربيع الأبرار للجزائري (١/٣٩): (إسمه جعفر، ويكنى أبا عبد الله، وأبا إسماعيل. وألقابه: الصادق، والفاضل، والطاهر، والقائم، والكافل، والمنجي، وإليه تنسب الشيعة الجعفرية، ومسجده في حلة). وهي محلة بالمدينة.

وقال محمد أبو زهرة في كتابه الإمام الصادق: (كان الإمام الصادق ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيض الوجه، أزهر له لمعان كأنه السراج، أسود الشعر جعده، أشم الأنف، قد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهراً، وعلى خده خال أسود).

أقول: فسر أبو زهرة معنى أنزع بأنه انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهراً.

ومعنى: وعلى جسده خيلان حمرة، أن لونه أبيض مشرب بحمرة.

وبيته عليه السلام في قبلي المسجد النبوي، وبقي عامراً حتى سيطرت هذه الحكومة، فجعلوه مكتبة باسم (مكتبة عارف حكمت) وقد دخلت إليها سنة ١٩٦٤ فرأيتها كبيرة. ثم أزالوه، مع المعالم الكثيرة التي أزالوها، خاصة المعالم التي تتعلق بأهل البيت عليهم السلام!

وفي فيض القدير (٢/٢٨٤): (كان جعفر الصادق رضي الله عنه يلبس الجبة على بدنه ويلبس الثياب الفاخرة فوقها. فقال له بعض من اطلع على حاله في ذلك؟ فقال: نلبس الجبة لله والخز لكم، فما كان لله أخفينا، وما كان لكم أبدينا).

سمونا جعفرية على اسم الإمام جعفر الصادق عليه السلام

قال محمد أبو زهرة في أوائل كتابه الإمام الصادق: (تسمى الشيعة الإمامية بالجعفرية أيضاً بينما يرى أهل السنة والجماعة أن علم الإمام جعفر ومدرسته أساس لكل طوائف المسلمين دون القول بإمامته بنص من الله، وروى عنه كثير من كتّاب الحديث السنة والشيعة على حد سواء، وقد استطاع أن يؤسس في عصره مدرسة فقهية، فتتلمذ على يده العديد من العلماء.

ويقال أنه من أوائل الرواد في علم الكيمياء حيث تتلمذ على يديه أبو الكيمياء جابر بن حيان. وقد تمت التعمية على هذه المعلومة من قبل بعض المؤرخين لأسباب سياسية وعقدية. كذلك فقد كان عالم فلك، ومتكلماً، وأديباً، وفيلسوفاً، وطبيباً، وفيزيائياً).

قال الشيخ محمد جواد مغنية في عقليات إسلامية (٢/٦٩٩): (عاش الإمام جعفر الصادق في أواخر زمن الأمويين، وأوائل العهد العباسي، حين أقبلت الدنيا على العرب بسبب الفتح، واتصلوا بالأمم المتحضرة كالفرس، وعندهم الطب، والهندسة، والجغرافية، والحساب، والتنجيم، والأدب، والتاريخ، والمصريين، وعندهم مدرسة الإسكندرية والسوريين الذين تأثروا بالعقلية الرومانية. وفي هذا العهد شرع بنقل هذه العلوم إلى اللغة العربية. فأقبل عليها المسلمون يدرسونها إلى جانب الفقه والتفسير والحديث والنحو وما إليه. ويعقدون لها الحلقات العلمية في مساجد الشام والعراق والحجاز. وفي هذا العهد، وفي الحلقات، كانت تقوم مناقشات عنيفة قسمت المسلمين فرقا ومذاهب، ما إن يزال أثرها قائماً إلى اليوم. كانت هذه المناقشات تدور حول مسألة الخلافة ومسألة استقلال الإنسان بأفعاله، ومسألة من ارتكب كبيرة ولم يتب، ومسألة إمكان رؤية الله، ومسألة أن صفاته هي عين ذاته أو غيرها، ومسألة خلق القرآن، ولم يكن الخلاف في هذه المسألة قد بلغ إلى ما انتهى إليه في عصر المأمون.

وقد كان لهذه الخلافات أثر كبير في العلم والأدب والسياسة.

أما أثرها في العلم فإن النظر في الخلافة يستتبع النظر في معنى الرئاسة ومهمتها ومصدرها وشروطها. والنظر في الإرادة والإختيار يستتبع النظر في عدل الله وحكم العقل واستحقاق الإنسان للثواب والعقاب. والنظر في مرتكب الكبيرة يستتبع النظر في حقيقة الإيمان والكفر وعلاقة الناس بعضهم ببعض. والنظر في إمكان رؤية الله يستتبع النظر في سر الوجود وصفات الموجد والقدم والحدوث.

إن النظر في هذه المسائل وما إليها ينتهي حتماً إلى الكائنات وأسبابها.

أما أثرها في الأدب فقد وقف الشعراء ينصر بعضهم هذا المبدأ ويدعو إليه، وبعضهم يحاربه ويدعو إلى غيره.

وكان أثرها في السياسة أظهر وأبلغ، لأن الكثير منها يتعلق بالحاكمين وشرعية حكمهم وعلاقة المحكومين بهم، ولذا رأينا رجال الدولة ينكرون بكل عالم لا تتفق سياستهم مع أقوله وآرائه، ويقربون إليهم كل من وجدوا في قوله مبرراً لظلمهم واستبدادهم. ومن هنا قال بعض الباحثين إن هذه الخلافات كانت في بدء أمرها سياسية، ثم تغلب الجانب الديني على الجانب السياسي. وإذا لاحظنا أن النهضة العلمية عند المسلمين، والانقسامات المذهبية، والخلافات السياسية يبدأ تاريخ أكثرها بعهد الإمام الصادق، ولاحظنا مع هذا ما اتفقت عليه أهل السير والتراجم من أن الإمام الصادق ابتعد عن السياسة كل البعد، وانصرف انصرافاً تاماً للعلم، إذا لاحظنا ذلك كله فلا ندهش لما قرأناه من أن أصحاب الحديث جمعوا أسماء الرواة الثقات عن الصادق فكانوا أربعة آلاف رجل، ولما سطره ابن حجر في صواعقه: إن الناس نقلوا عن الصادق من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان. ولما قاله فريد وجدي دائرة معارف القرن العشرين: ألف جابر بن حيان في الكيمياء كتاباً يشتمل على ألف ورقة، يتضمن رسائل جعفر الصادق، وهي خمس مئة رسالة. ولما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل: كان الصادق ذا علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة وزهد في الدنيا، وورع تام عن الشهوات أقام مدة بالمدينة يفيد الشيعة، ويفيض على المواليين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بهامدة... ولما جاء في كتاب عقيدة الشيعة للمستشرق دوايت: وقد ساهم عدد من تلامذة الصادق مساهمة عظيمة في تقدم علمي الفقه والكلام، وصار اثنان منهم، وهما أبو حنيفة ومالك بن أنس، فيما بعد من أصحاب المذاهب الفقهية، وكان واصل بن عطاء رئيس المعتزلة، وجابر بن حيان الكيمائي الشهير من تلامذته..

إلى غير ذلك مما ذكره الباحثون من غربيين وشرقيين).

تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا

كانت التسمية بالجعفري من زمن الصادق عليه السلام، قال له أبو الصباح الكناني (الكافي: ٧٧/٢):
(ما نلقى من الناس فيك! فقال أبو عبد الله عليه السلام: وما الذي تلقى من الناس فيّ؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول: جعفري خبيث! فقال: يعيركم الناس بي!
فقال له أبو الصباح: نعم. فقال: ما أقل والله من يتبع جعفرًا منكم، إنما أصحابي من اشتد ورعه، وعمل لخالفه، ورجا ثوابه، فهؤلاء أصحابي).

قصيدة تجعفرت للسيد الحميري

قال الصدوق في كمال الدين / ٣٢: (ثم غلظت الكيسانية بعد ذلك حتى ادعت الغيبة لمحمد بن الحنفية قدس الله روحه حتى أن السيد بن محمد الحميري رضي الله عنه اعتقد ذلك وقال فيه:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الامر أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم أسباطنا والأوصياء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط قد حوته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الجيش يقدمه اللواء
يغيب فلا يرى عنا زمانا برضوى عنده غسل وماء

وقال أيضاً:

ألاحي المقيم بشعب رضوي وأهد له بمنزله السلاما
وقل: يا ابن الوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما
فمر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما
فما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما

فلم يزل السيد ضالاً في أمر الغيبة يعتقدوها في محمد بن الحنفية حتى لقي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ورأى منه علامات الإمامة وشاهد فيه دلالات الوصية، فسأله عن الغيبة، فذكر

له أنها حق ولكنها تقع في الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام وأخبره بموت محمد بن الحنفية وأن أباه شاهد دفنه، فرجع السيد عن مقالته واستغفر من اعتقاده ورجع إلى الحق عند اتضاحه له، ودان بالإمامة.

عن حيان السراج قال: سمعت السيد بن محمد الحميري يقول: كنت أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد بن علي بن الحنفية قد ضللت في ذلك زماناً، فمن الله عليّ بالصادق جعفر بن محمد عليه السلام وأنقذني به من النار وهداني إلى سواء الصراط، فسألته بعد ما صح عندي بالدلائل التي شاهدتها منه أنه حجة الله علي وعلى جميع أهل زمانه وأنه الإمام الذي فرض الله طاعته وأوجب الإقتداء به، فقلت له: يا ابن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن تقع؟ فقال عليه السلام: إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض وصاحب الزمان عليه السلام، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. قال السيد: فلما سمعت ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام تبت إلى الله تعالى ذكره على يديه، وقلت قصيدي التي أولها:

فلما رأيت الناس في الدين قد غووا تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا
وناديت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر
ودنت بدين الله ما كنت ديناً به ونهاني سيد الناس جعفر

إلى آخر القصيدة وهي طويلة. وقلت بعد ذلك قصيدة أخرى:

أيا راكباً نحو المدينة جسرة عذافرة يطوى بها كل سبب
إذا ما هداك الله عاينت جعفرأ فقل لولي الله وابن المهذب
ألا يا أمين الله وابن أمينه أتوب إلى الرحمن ثم تأوي
إليك من الأمر الذي كنت مبطنأ أحارب فيه جاهداً كل معرب

وما كان قولي في ابن خولة مطنباً معاندة مني لنسل المطيب
ولكن روينا عن وصي محمد وما كان فيما قال بالمتكذب
بأن ولي الأمر يفقد لا يرى ستيراً كفعل الخائف المترقب
فتقسم أموال الفقيد كأنها تغييه بين الصفيح المنصب
فيمكث حيناً ثم ينبع نبعاً كنبعة جدّي من الأفق كوكب
يسير بنصر الله من بيت ربه على سؤدد منه وأمر مسبب
يسير إلى أعدائه بلوائه فيقتلهم قتلاً كحران مغضب
فلما روي أن ابن خولة غائب صرفنا إليه قولنا لم نكذب
وقلنا هو المهدي والقائم الذي يعيش به من عدله كل مجذب
فإن قلت لا فالحق قولك والذي أمرت فحتمّ غير ما متعصب
واشهد ربي أن قولك حجة على الناس طراً من مطيع ومذنب
بأن ولي الأمر والقائم الذي تطلع نفسي نحوه بتطرب
له غيبة لا بد من أن يغييها فصلى عليه الله من متغيب
فيمكث حيناً ثم يظهر حينه فيملك من في شرقها والمغرب
بذاك أدين الله سراً وجهرة ولست وإن عوتبت فيه بمعتب).

مناقب آل أبي طالب (٣/ ٣٧٠): (عن داود الرقي: بلغ السيد الحميري أنه ذكر عند الصادق فقال: السيد كافر، فأناه وسأله: يا سيدي أنا كافر مع شدة حبي لكم ومعاداتي الناس فيكم! قال: وما ينفعك ذلك وأنت كافر بحجة الدهر والزمان، ثم أخذ بيده وأدخله بيتاً فإذا في البيت قبر فصلى ركعتين ثم ضرب بيده على القبر فصار القبر قطعاً فخرج شخص من قبره ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فقال له الصادق عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا محمد بن علي المسمى بابن الحنفية. فقال: فمن أنا؟ فقال: جعفر بن محمد حجة الدهر والزمان! فخرج السيد يقول: تجعفرت باسم الله فيمن تجعفر).

وفي رواية شجرة طوبى (١/١١٦): (فتاب السيد من ساعته على يد الإمام عليه السلام: وسأله الدعاء وأنشأ الأبيات.. وكان يقول: قد ضللت زماناً ولكن من الله علي بالصادق جعفر بن محمد عليه السلام فأنقذني من النار وهداني إلى سواء الصراط فسألته عن الغيبة وصحة كونها وبمن يقع؟ فقال: ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض، وصاحب الزمان والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يخرج ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً).

وقال الصادق عليه السلام: ما مات محمد بن الحنفية حتى أقر لعلي بن الحسين عليهما السلام. وكانت وفاة محمد بن الحنفية سنة أربع وثمانين من الهجرة).

نقش خاتم الإمام الصادق عليه السلام

في الفصول المهمة (٢/٩١٢): نقش خاتمه: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أستغفر الله. وفي مكارم الأخلاق/ ٩١: عن أبي الحسن عليه السلام: كان نقشه: أنت ثقتي فاعصمني من خلقك. وفي الكافي (٦/٤٧٣): (عن الصادق عليه السلام قال: في خاتمي مكتوب: الله خالق كل شيء. وفي رواية: اللهم أنت ثقتي فقتني شر خلقك. وإنه بلغ في الميراث خمسين ديناراً زائداً على عبد الله بن جعفر فاشتراه أبي الكاظم عليه السلام).

عن البرزطي قال: كنت عند الرضا عليه السلام فأخرج إلينا خاتم أبي عبد الله عليه السلام فإذا عليه: أنت ثقتي فاعصمني من الناس). ومعناه أنه كان له عليه السلام عدة خواتم.

برنامج الإمام عليه السلام اليومي

قال مالك بن أنس إمام المذهب المالكي: (ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد، فضلاً وعلماً وورعاً، وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً وإما قائماً وإما ذاكراً. وكان من عظماء البلاد، وأكابر الزهاد الذين يخشون ربهم). (مناقب آل أبي طالب: ٣/٣٩٦).

(عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مر بي أبي وأنا بالطواف، وأنا حدث وقد اجتهدت في العبادة، فرآني وأنا أتصابُّ عرفاً، فقال لي: يا جعفر يا بني إن الله إذا أحب عبداً أدخله الجنة، ورضي عنه باليسير). (الكافي: ٢/٨٦).

لماذا سمي الصادق

قال غيرنا: سمي الصادق لأنه كان صادق القول. أما نحن فروينا عن النبي صلى الله عليه وآله: (عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على سيدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودتهم وأوجب على عباده الإقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: يا كابلي إن أولي الأمر الذين جعلهم الله عز وجل أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن عمي، ثم الحسين أبي، ثم انتهى الأمر إلينا. ثم سكت فقلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام إن الأرض لا تخلو من حجة الله تعالى على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني محمد واسمه في صحف الأولين باقر يقر العلم بقرأ، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر، واسمه عند أهل السماء الصادق، قلت: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون؟ قال: حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق، فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجترأ على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذاب المفترى على الله تعالى، والمدعي لما ليس له بأهل، المخالف لأبيه والحاسد لأخيه، وذلك الذي يروم كشف ستر الله عز وجل عند غيبة ولي الله، ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام بكاءً شديداً ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه برتبته، وحرصاً منه على قتله إن ظفر به، وطمعاً في ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حق.

فقال أبو خالد فقلت: يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن؟ فقال: إي وربّي إن ذلك مكتوب

عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله ﷺ! فقال أبو خالد فقلت: يا ابن رسول الله ﷺ ثم يكون ماذا؟ قال: ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله ﷺ والأئمة بعده. يا أبا خالد: إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمتظرين لظهوره، أفضل من أهل كل زمان، فإن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة، ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف! أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عز وجل سرّاً وجهرّاً).

(كمال الدين: ١/٣١٩، والخرائج: ١/٢٦٨، والمناقب: ٣/٣٩٣، ومعجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣/١٩٤، وقصص الأنبياء عليهم السلام: ٣٦٥، والاحتجاج: ٢/٣١٧).





الفصل الثاني

قالوا في الإمام جعفر الصادق عليه السلام

شهادات بسعة علمه وعمق روحانيته

١ - قال الشيخ محمد أبو زهرة: (لاستطيع في هذه العجالة أن نخوض في فقه الإمام جعفر، فإن أستاذ مالك وأبي حنيفة وسفيان بن عيينة لا يمكن أن يدرس فقهه في هذه الإمامة). وقال أبو زهرة: (ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم في أمر، كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه، فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا أخذ عنه مالك وأخذ عنه طبقة مالك، وأخذ عنه أبو حنيفة مع تقاربهما في السن واعتبره أعلم الناس. ولم يكن علمه مقصوراً على الحديث وفقه الإسلام بل درس علم الكون. إن الإخلاص من مثل الصادق هو من معدنه لأنه من شجرة النبوة، فأصل الإخلاص في ذلك البيت الطاهر ثابت.. فقد توارثوه خلفاً عن سلف، وفرعاً عن أصل، فكانوا يحبون الشيء لا يحبونه إلا لله، ويعتبرون ذلك من أصل الإيمان وظواهر اليقين). (موسوعة أصحاب الفقهاء: ٢/ ٣٠).

٢ - قال الإمام مالك بن أنس: (ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد، فضلاً وعلماً وورعاً وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً، وإما قائماً، وإما ذاكراً. وكان من عظماء البلاد، وأكابر الزهاد الذين يخشون ربهم، وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله، اخضّر مرةً واصفّر أخرى حتى لينكره من لا يعرفه).

(المناقب: ٣/ ٣٩٦).

وقال مالك أيضاً: (اختلفتُ إلى جعفر بن محمد زماناً، وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصل، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث عن رسول الله إلا على طهارة. وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله، ولقد حججت معه سنة، فلما أتى الشجرة أحرم فكلما أراد أن يُهَلَّ كاد يغشى عليه فقلت له: لا بد لك من ذلك، وكان يكرمني وينسب إلي، فقال: يا ابن أبي عامر إني أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك! قال مالك: ولقد أحرم جده علي ابن حسين، فلما أراد أن يقول اللهم لبيك أو قالها، غُشي عليه وسقط عن ناقته). (التمهيد لابن عبد البر: ٢/٦٧، وبعضه تهذيب التهذيب: ٢/٨٨).

ولو سألت مالكاً: ما دامت هذه عقيدتك في أستاذك، فلماذا أسست مذهباً ضده، ولماذا لم ترو عنه في كتابك الموطأ إلا خمسة أحاديث؟! في كتابك الموطأ إلا خمسة أحاديث؟!

فلا جواب عنده إلا أن المنصور العباسي أمره بذلك والمأمور معذور!

٣- وسئل أبو حنيفة: (من أفاقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهىء له مسائلك الشداد فهيات له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه فأومأ إليّ فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة فقال: نعم أعرفه. ثم التفت إليّ فقال: ألق على أبي عبد الله من مسائلك، فجعلت ألقى عليه ويجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أحل منها بشئ! ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا: أعلم الناس، أعلمهم باختلاف الناس). (مناقب آل أبي طالب: ٣/٣٧٨، وتهذيب الكمال: ٥/٧٩، وسير الذهبي: ٦/٢٥٨).

ولو سألت أبا حنيفة: ما دامت هذه عقيدتك في أستاذك، فلماذا أسست مذهباً ضده، وخالفت فقه

إمام تشهد بأنه أفقه الناس وأعلم الناس!؟

فلا جواب عنده، إلا أن يقول إن قلبه أشرب حب ذلك، ثم شجعه المنصور!

(جاء أبو حنيفة ليسمع منه، وخرج أبو عبد الله يتوكأ على عصا فقال له أبو حنيفة: يا ابن رسول الله ما بلغت من السن ما تحتاج معه إلى العصا! قال: هو كذلك، ولكنها عصا رسول الله صلى الله عليه وآله أردت التبرك بها، فوثب أبو حنيفة وقال له: أقبّلها يا ابن رسول الله؟ فحسر أبو عبد الله عن ذراعه وقال له: والله لقد علمت أن هذا بشرٌ رسول الله وأن هذا من شعره، فما قبلته وتقبل عصاه!) (المناقب: ٣/٣٧٢). ثم أراد تقبيل يده فمنعه عليه السلام.

الحافظ أبو نعيم الأصفهاني

قال في حلية الأولياء (٣/١٩٢) ملخصاً: (ومنهم الإمام الناطق، ذو الزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع، وأثر العزلة والخشوع، ونهى عن الرئاسة والجموع. وقيل إن التصوف انتفاع بالسبب وارتفاع في النسب. عن عمرو بن المقدم قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين.

قال سفيان الثوري: دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبة خز دكناء وكساء خز أيرجاني فجعلت أنظر إليه معجباً. فقال لي: يا ثوري مالك تنظر إلينا لعلك تعجب مما رأيت. قال قلت: يا ابن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك! فقال لي: يا ثوري كان ذلك زماناً مقفراً مقترراً، وكانوا يعملون على قدر إقفاره وإقتاره، وهذا زمان قد أقبل كل شيء فيه وفتح عزاليه، ثم حسر عن ردن جبته وإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن. فقال لي: يا ثوري لبسنا هذا الله وهذا لكم، فما كان الله أخفيناه، وما كان لكم أبديناها. قال سفيان الثوري: لا أقوم حتى تحدثني. قال له: أنا أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان، إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله عز وجل قال في كتابه: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ

وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا.

يا سفيان: إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة، فعقد سفيان بيده وقال: ثلاث وأي ثلاث.

قال جعفر: عقلها والله أبو عبد الله ولينفعه الله بها.

قال هشام بن عباد: سمعت جعفر بن محمد يقول: الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم.

عن الهياج بن بسطام قال: كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء!

عمرو بن جميع قال: دخلت على جعفر بن محمد أنا وابن أبي ليلى وأبو حنيفة، فقال لابن أبي ليلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين. قال: لعله يقيس أمر الدين برأيه. قال: نعم! قال فقال جعفر لأبي حنيفة: ما اسمك؟ قال: نعمان. قال يا نعمان هل قست رأسك بعد؟ قال: كيف أقيس رأسي! قال: ما أراك تحسن شيئاً، هل علمت ما الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والحرارة في المنخرين والعذوبة في الشفتين؟ قال: لا! قال: ما أراك تحسن شيئاً، قال: فهل علمت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان؟ فقال ابن أبي ليلى: يا ابن رسول الله أخبرنا بهذه الأشياء التي سألته عنها. فقال: أخبرني أبي عن جدي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان ولولا ذلك لذابتا، وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجاباً من الدواب فإن دخلت الرأس دابة والتمست إلى الدماغ، فإذا ذاقت المرارة التمتست الخروج، وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما الريح، ولولا ذلك لأنتن الدماغ، وإن الله تعالى بمنه وكرمه ورحمته لابن آدم جعل العذوبة في الشفتين يجذب بهما استطعام كل شيء، ويسمع الناس بها حلاوة منطقه. قال: فأخبرني عن الكلمة التي أولها كفر وآخرها إيمان. فقال: إذا قال العبد لا إله فقد كفر فإذا قال إلا الله فهو إيمان.

ثم أقبل على أبي حنيفة فقال: يا نعمان حدثني أبي عن جدي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس، قال الله تعالى له: اسجد لآدم فقال: قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه اتبعه بالقياس. ثم قال: أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس. قال: فإن الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة.

ثم قال: أيهما أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة. قال: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة. فكيف ويحك يقوم لك قياسك! إتق الله ولا تقس الدين برأيك. قال أبو مسعود: قال جعفر بن محمد: إذا بلغك عن أخيك شيء يسوؤك فلا تغتم، فإنه إن كان كما يقول كانت عقوبة عجلت وإن كان على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها. قال وقال موسى: يا رب أسألك أن لا يذكرني أحد إلا بخير. قال: ما فعلت ذلك لنفسي! قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: لا يتم المعروف إلا بثلاثة بتعجيله وتصغيره وستره. وحدث عنه من الأئمة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريج، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم ابن إسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد.. في آخرين. وأخرج عنه مسلم بن الحجاج في صحيحه محتجاً بحديثه.

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد اعرض عليّ الاسلام فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. قال: تسألني عليه أجراً؟ قال: لا! إلا المودة في القربى. قال: قرباي أو قرباك؟ قال: قرباي قال: هات أبايعك فعلى من لا يحبك ولا يحب قرباك لعنة الله.

جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي بن أبي طالب رضی الله تعالى عنه: سلام عليك أبا الريحانتين أو صيكن بريحانتني من الدنيا خيراً، فعن قليل ينهدُّ ركنك والله خليفتي عليك. قال: فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله قال علي: هذا أحد الركنين الذي قال

النبي صلى الله عليه وآله فلما ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها قال علي رضي الله عنه: هذا الركن الآخر الذي قال النبي صلى الله عليه وآله!

جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ليس من البر الصيام في السفر. جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن الحسين قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً على أصحابه فقال: أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر عما قليل يناراجعون! نأكل تراثهم كأننا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة وأمناً كل جائحة.

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن طاب مكسبه وصلحت سريرته وحسنت علانيته، واستقامت طريقته، طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة، وأنفق مما جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، وطوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم يعدل عنها إلى بدعة، ثم نزل).

أقول: أبو نعيم الأصفهاني إسمه أحمد بن عبد الله بن مهران، وقال في كتابه تاريخ أصفهان إن جده مهران أسلم على يد معاوية بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لما حكم أصفهان فكان موله. ويترجم بعضهم في الشيعة، لكنه ليس شيعياً، بل محب للأئمة عليهم السلام وله كتاب: ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، وكتاب: صفات المهدي عليه السلام. وقد ترجم الإمام الصادق عليه السلام فأورد مكذوبات في مدحه لأبي بكر وعمر، أعرضنا عنها.



الذهبي في سير أعلام النبلاء

الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) (الأعلام ٥/٥٢٦) حافظ مؤرخ، علامة محقق. تركماني الأصل، من أهل ميفارقين، مولده ووفاته في دمشق. رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١ هـ.

تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها: تاريخ الاسلام الكبير ٣٦ مجلداً، وسير النبلاء وميزان الاعتدال في نقد الرجال، ثلاثة مجلدات).

أقول: الذهبي متعصب ضد أهل البيت عليهم السلام وهو مراوغ من الدرجة الأولى، فتراه يمدح الإمام الباقر والصادق عليهما السلام ثم يفضل عليهما أبا الزناد الذي روى أحاديث التجسيم وطعن فيه مالك بن أنس وغيره، بأنه كان كل عمره بعيداً عن الحديث والعلماء خادماً لبني أمية! ويفضل عليه معاصره ابن كثير وهو متعصب لبني أمية مثله!

وقد ذكرنا في سيرة الإمام الباقر عليه السلام قوله: (وهو أحد الأئمة الإثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية وتقول بعصمتهم وبمعرفة جميع الدين، فلا عصمة إلا للملائكة والنبين، وكل أحد يصيب ويخطئ، ويؤخذ من قوله ويترك، سوى النبي (ص) فإنه معصوم مؤيد بالوحي. وشهر أبو جعفر بالباقر، من بقر العلم، أي شقه فعرف أصله وخفيته. ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً، تالياً لكتاب الله، كبير الشأن، ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعه، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب، فلا نحايه ولا نحيف عليه، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال). هذا رأيه في الإمام الباقر عليه السلام، وهو يقدم لك نفسه على أنه موضوعي برئ، وأنه أنصف إماماً من أهل البيت عليهم السلام مع أنه ارتكب تكذيب النبي صلى الله عليه وآله والتعظيم، والبتر، والتزوير، جميعاً...!

وقد بينا تلبيساته هناك، وهنا نورد كلامه في الإمام الصادق عليه السلام ملخصاً ونضع تحت ما فيه تعصب وكذب وبهتان خطأ، ولم نَر ضرورة لشرح ذلك لأنه معلوم!

قال في سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٥): (جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد أبي عبد الله، ريجانة النبي (ص) وسبطه ومحبوه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عبد مناف بن شيبه، وهو عبد المطلب بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي. الإمام الصادق، شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلوي، النبوي، المدني، أحد الاعلام. وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، وأمها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين. وكان يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطناً. هذا لا ريب فيه، ولكن الرافضة قوم جهلة قد هوى بهم الهوى في الهاوية فبعداً لهم. (وفي كلامه كذب على الصادق وسوء أدب)!

ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة أحسبه رأى أنس بن مالك وسهل بن سعد. حدث عن أبيه أبي جعفر الباقر وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح وروايته عنه في مسلم. وجده القاسم بن محمد، ونافع العمري، ومحمد بن المنكدر، والزهري، ومسلم بن أبي مريم وغيرهم، وليس هو بالكثير إلا عن أبيه. وكانا من جلة علماء المدينة. حدث عنه ابنه موسى الكاظم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن عبد الله بن الهاد وهما أكبر منه، وأبو حنيفة، وأبان بن تغلب، وابن جريج، ومعاوية ابن عمار الدهني، وابن إسحاق في طائفة من أقرانه، وسفيان، وشعبة، ومالك، وإسماعيل بن جعفر، ووهب بن خالد، وحاتم بن إسماعيل، وسليمان بن بلال، وسفيان بن عيينة، والحسن بن صالح، والحسن بن عياش أخو أبي بكر، وزهير بن محمد، وحفص بن غياث، وزيد بن حسن الأنطاقي، وسعيد بن سفيان الأسلمي، وعبد الله بن ميمون، وعبد العزيز بن عمران الزهري، وعبد العزيز الدراوردي، وعبد الوهاب الثقفي، وعثمان بن فرقد، ومحمد بن ثابت البناني، ومحمد بن ميمون الزعفراني، ومسلم الزنجي، ويحيى القطان، وأبو عاصم النبيل، وآخرون.

قال مصعب بن عبد الله: سمعت الدراوردي يقول: لم يرو مالك عن جعفر حتى ظهر أمر بني العباس. قال مصعب: كان مالك يضمه إلى آخر. (وهذا كذب)!

وقال علي عن يحيى بن سعيد قال: أملى علي جعفر بن محمد الحديث الطويل، يعني في الحج، ثم قال: وفي نفسي منه شيء، مجالد أحب إلي منه. قلت: هذه من زلفات يحيى القطان بل أجمع أئمة هذا الشأن على أن جعفرأ أوثق من مجالد ولم يلتفتوا إلى قول يحيى.

وقال إسحاق بن حكيم: قال يحيى القطان: جعفر ما كان كذوباً. وقال إسحاق بن راهويه:

قلت للشافعي في مناظرة جرت: كيف جعفر بن محمد عندك؟ قال: ثقة. وروى عباس عن يحيى بن معين: جعفر بن محمد ثقة مأمون. وروى أحمد بن زهير، والدارمي، وأحمد ابن أبي مريم، عن يحيى: ثقة. وزاد ابن أبي مريم عن يحيى: كنت لا أسأل يحيى ابن سعيد عن حديثه. فقال: لم لا تسألني عن حديث جعفر؟ قلت: لا أريده. فقال: إن كان يحفظ فحديث أبيه المسند، يعني حديث جابر في الحج.

ثم قال يحيى بن معين: وخرج حفص بن غياث إلى عبادان وهو موضع رباط، فاجتمع إليه البصريون فقالوا: لا تحدثنا عن ثلاثة أشعث بن عبد الملك، وعمرو بن عبيد، وجعفر بن محمد. فقال: أما أشعث فهو لكم، وأما عمرو فأنتم أعلم به، وأما جعفر فلو كتتم بالكوفة لأخذتكم النعال المطرقة.

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة، وسئل عن جعفر بن محمد، عن أبيه، وسهيل عن أبيه، والعلاء عن أبيه، أيها أصح؟ قال: لا يقرون جعفر إلى هؤلاء.

وسمعت أبا حاتم يقول: جعفر لا يسأل عن مثله. قلت: جعفر ثقة صدوق. ما هو في الثبت كشعبة، وهو أوثق من سهيل وابن إسحاق. وهو في وزن ابن أبي ذئب ونحوه. وغالب رواياته عن أبيه مراسيل. قال أبو أحمد بن عدي: له حديث كثير عن أبيه، عن جابر وعن آبائه، ونسخ لأهل البيت، وقد حدث عنه الأئمة.

وهو من ثقات الناس كما قال ابن معين. وعن عمرو بن أبي المقدم قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين. قد رأيتُه واقفا عند الجمرة يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي.

ابن عقدة الحافظ، حدثنا جعفر بن محمد بن حسين بن حازم.. سمعت أبا حنيفة، وسئل: من أفضه من رأيت؟ قال: ما رأيت أحداً أفضه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر ابن محمد، فهميئ له من مسائلك الصعاب. فهيأت له أربعين مسألة. ثم أتيت أبا جعفر، وجعفر جالس عن يمينه، فلما

بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلمت وأذن لي فجلست ثم التفت إلى جعفر، فقال: يا أبا عبد الله، تعرف هذا؟ قال: نعم. هذا أبو حنيفة. ثم أتبعها: قد أتانا. ثم قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله فابتدأت أسأله. فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة ما أحرَمَ منها مسألة.

ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟
علي بن الجعد عن زهير بن معاوية قال: قال أبي لجعفر بن محمد: إن لي جارا يزعم أنك تبرا من أبي بكر وعمر. فقال جعفر: برئ الله من جارك، والله إنني لأرجو أن ينفعني الله بقربتي من أبي بكر. ولقد اشتكيت شكاية فأوصيت إلى خالي عبد الرحمن بن القاسم.

(وشفاعة قرابته من أبي بكر ووصيته لخاله مكذوبات جهاراً من الذهبي أو غيره)!

قال ابن عيينة: حدثونا عن جعفر بن محمد ولم أسمع منه قال: كان آل أبي بكر يدعون على عهد رسول الله (ص): آل رسول الله. (من كذبه وبهاته لا وجود له عند أحد!)

محمد بن فضيل، عن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر وابنه جعفرأ عن أبي بكر وعمر، فقال: يا سالم تولهما، وأبرأ من عدوهما، فإنها كانا إمامي هدى. ثم قال جعفر: يا سالم، أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدي، لانا لنتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما، وأبرأ من عدوهما. (من مكذوباتهم!).

وقال حفص بن غياث: سمعت جعفر بن محمد يقول: ما أرجو من شفاعة عليٍّ شيئاً إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله. لقد ولدني مرتين. (مكذوب مكرر مرتين)!

كتب إلي عبد المنعم بن يحيى الزهري وطائفة قالوا: أنبأنا داود بن أحمد، أنبأنا محمد بن عمر القاضي، أنبأنا عبد الصمد بن علي، أنبأنا أبو الحسن الدارقطني، حدثنا أحمد بن محمد بن إسما عيل الأدمي، حدثنا محمد بن الحسين الحنيني، حدثنا مخلد بن أبي قريش الطحان،

حدثنا عبد الجبار بن العباس الهمداني، أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة، فأنا منه برئ، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه برئ! (وتأكيداتهم على النفي تدل على عكسه)!

حدثنا حنان بن سدير، سمعت جعفر بن محمد، وسئل عن أبي بكر وعمر، فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلتا من ثمار الجنة... سمعت جعفر بن محمد يقول: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر. قلت: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، وأشهد بالله إنه لبار في قوله غير منافق لأحد فقبح الله الرافضة! (بل قبح الله الكذابين الوضاعين!)

وروى معبد بن راشد، عن معاوية بن عمار: سألت جعفر بن محمد عن القرآن فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله. حماد بن زيد، عن أيوب سمعت جعفرًا يقول: إنا والله لا نعلم كل ما يسألوننا عنه، ولغيرنا أعلم منا.

عن مسلمة بن جعفر الأحمسي: قلت لجعفر ابن محمد: إن قوما يزعمون أن من طلق ثلاثا بجهالة رد إلى السنة، تجعلونها واحدة يروونها عنكم. قال: معاذ الله. ما هذا من قولنا! من طلق ثلاثاً فهو كما قال. (مع أنهم شهدوا أن الصادق عليه السلام أبطل الطلاق ثلاثاً).

سويد بن سعيد، عن معاوية بن عمار، عن جعفر بن محمد قال: من صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته مئة مرة قضى الله له مئة حاجة.

حدثنا مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد قال، لما قال له سفيان: لا أقوم حتى تحدثني. قال: أما إنني أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير. يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله قال في كتابه: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ.. وقد أورد الذهبي صفحات من فضائله عليه السلام وأخذها من الحلية.

قال الخليل بن أحمد: سمعت سفيان الثوري يقول: قدمت مكة فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر بن محمد قد أناخ بالأبطح، فقلت: يا ابن رسول الله، لم جعل الموقف من وراء الحرم؟ ولم

يصير في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبة بيت الله، والحرم حجابيه، والموقف بابه. فلما قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرعون، فلما أذن لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلما نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهادهم رحمهم، فلما رحمهم، أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم، وقضوا تفثهم وتطهروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة. قال: فلم كره الصوم أيام التشريق؟ قال: لأنهم في ضيافة الله ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه. قلت: جعلت فداك فما بال الناس يتعلقون بأستار الكعبة وهي خرق لا تنفع شيئاً؟ قال: ذاك مثل رجل بينه وبين رجل جرم فهو يتعلق به، ويطوف حوله رجاء أن يهب له ذلك، ذاك الجرم. ومن بليغ قول جعفر، وذكر له بخل المنصور فقال: الحمد لله الذي حرمة من دنياه ما بذل لأجله دينه. وهذا حديث فريد في فلسفة الحج!

عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: دعاني المنصور فقال: إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني قتلني الله إن لم أقتله. فأتيته فقلت: أجب أمير المؤمنين. فتطهر ولبس ثياباً أحسبه قال جديداً فأقبلت به فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله. فلما نظر إليه مقبلاً قام من مجلسه فتلقاه وقال: مرحباً بالنقي الساحة، البرئ من الدغل والخيانة أخي وابن عمي! فأقعده معه على سريريه وأقبل عليه بوجهه، وسأله عن حاله ثم قال: سلني عن حاجتك فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر لهم به. قال: أفعل. ثم قال: يا جارية اتني بالتحفة. فأتته بمدمن زجاج فيه غالية فغلفه بيده وانصرف. فاتبعته فقلت: يا ابن رسول الله أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك، فكان منه ما رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول فما هو؟ قال قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك علي، ولا تهلكني وأنت رجائي. رب كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لها عندك صبري! فيا من قل عند نعمته شكري فلم يجرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني. ويا من رأني على المعاصي

فلم يفضحني. وياذا النعم التي لا تحصى أبداً، وياذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، أعني على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما خطرت. يا من لاتضره الذنوب، ولاتنقصه المغفرة، اغفر لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك، يا وهاب أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا، وشكر العافية.

قال المدائني، وشباب العصفري وعدة: مات جعفر الصادق في سنة ثمان وأربعين ومئة وقد مر أن مولده سنة ثمانين، فيكون عمره ثمانياً وستين سنة سنة ١٠٠. لم يخرج له البخاري في الصحيح، بل في كتاب الأدب وغيره). وهكذا بلغ من تعصب البخاري أنه لم يرو عن الإمام الصادق عليه السلام وروى عن النواصب أعداء علي عليه السلام! قال أبو بكر الحضرمي:

قضية أشبه بالمرزأة	هذا البخاري إمام الفئة
بالصادق الصديق ما احتج في	صحيحه واحتج بالرجئ
ومثل عمران بن حطان أو	مروان وابن المرأة المخطئه
مشكلة ذات عوار إلى	حيرة أرباب النهى ملجئه
وحق بيت يممته الورى	مغذة في السير أو مبطئه
إن الإمام الصادق المجتبي	بفضله الآي أتت منبئه
أجل من في عصره رتبة	لم يقترف في عمره سيئه
قلامه من ظفر إبهامه	تعدل من مثل البخاري مئه

(النصائح الكافية لمن يتولى معاوية/ ١١٩ للحافظ محمد بن عقيل).

ابن الجوزي في المنتظم وسبطه في تذكرة الخواص

قال السبط في تذكرته (٤٤٢/٢) وجدّه في المنتظم (١٠٦/٨): (هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته: أبو عبد الله، وقيل أبو إسماعيل، ويلقب بالصادق، والصابر، والفاضل، والطاهر. وأشهر ألقابه الصادق، وقد ذكرنا أن أمه أم فروة بنت القاسم بن

محمد بن أبي بكر. قال علماء السير: كان قد اشتغل بالعبادة عن طلب الرئاسة. وذكر أبو نعيم في الحلية، عن محمد بن أبي القاسم السمناني، عن الخليل بن محمد الثقفي، عن عيسى بن جعفر القاضي، عن [ابن] أبي حازم المدني، قال: كنت عند جعفر بن محمد ف جاء سفیان الثوري فقال له جعفر: أنت رجل يطلبك السلطان وأنا أتقي السلطان، فقال سفیان: حدثني حتى أقوم، فقال: حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه علي، قال: قال رسول الله (ص): من أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزنه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال أبو نعيم في الحلية: أوصى جعفر بعض ولده، فقال: يا بني إقبل وصيتي، واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها عشت سعيداً، ومث شهيداً، أو حميداً.

يا بني، إنه من قنع بما قسم له استغنى، ومن مد عينه إلى مال غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه، ومن كشف حجاب عورة غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتقر لأخيه المؤمن قليلاً أوقعه الله فيه قريباً، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم. يا بني، قل الحق وإن كان مرأاً، لك أو عليك، وإياك والنميمة، فإنها تزرع الشحنة في قلوب الرجال، وإذا طلبت الجود فعليك بمعادنه.

حدثني عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومئة فقدم المدينة فقال لي: إبعث إلي جعفر بن محمد من يأتيني به متعتاً (أي بعنف) قتلني الله إن لم أقتله. قال فتغافل عنه الربيع لينسأه، فأعاد عليه القول ثانياً فتغافل عنه، فأعاد عليه ثالثاً، وأغلظ له في الكلام، فأرسل إلى جعفر ف جاء. قال الربيع فقلت له: يا أبا عبد الله، أذكر الله فقد أرسل إليك لأمر عظيم وما أظنك بناج، فقال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم دخل على أبي جعفر فسلم عليه، فلم يرد السلام وقال: أي عدو الله، اتخذك أهل العراق

إماماً، يحيئون إليك بزكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني، وتبغيه الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك. قال: يا أمير المؤمنين، إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك السنخ. فقال له أبو جعفر: إليّ وعندني أبا عبد الله البرئ الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم. ثم تناول يده فأجلسه معه على فرشه ثم قال: عليّ بالمحفة. فأتي بدهن فيه غالية فعلقه بيده حتى خلت لحيته قاطرة ثم قال: في حفظ الله وكلاءته.

ثم قال: يا ربيع، ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته، إنصرف أبا عبد الله في حفظ الله وفي كنفه. فانصرف ولحقته فقلت له: إني رأيت قبل ذلك ما لم تره، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني ببركتك التي لا ترام، وارحمني بقدرتك عليّ، فلا أهلك وأنت رجائي، اللهم إنك أكبر وأجل مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره وأستعيذك من شره).

وفي يناير المودة/١٦٢: (دعى أبو جعفر المنصور وزيره ليلة وقال: إئتني بجعفر الصادق حتى أقتله. قال: هو رجل أعرض عن الدنيا وتوجه لعبادة المولى فلا يضرك.

قال المنصور: إنك تقول بإمامته والله إنه إمامك وإمامي وإمام الخلائق أجمعين، والملك عقيم فأتتني به. قال الوزير: فذهبت ودخلت عليه فوجدته في الصلاة، وبعد فراغه قلت له: يدعوك أمير المؤمنين. فقام وانطلق بي وقبل مجيئه قال المنصور لعبيده: إذا رفعت قلنسوتي عن رأسي أقتلوه. قال الوزير: لما جئنا بالباب استقبله المنصور وأدخله وأجلسه في الصدر، وركع بين يديه فقال: سل حاجتك يا ابن رسول الله. قال: حاجتي أن لا تدعني حتى آتيك باختياري، وحلّ بيني وبين عبادة ربي. قال: لك ذلك. وانصرف. واقشعر المنصور ونام وألقينا عليه الأثواب وقال لي: لا تذهب حتى أن أستيقظ، فنام نومة طويلة حتى فاتت صلاته من الأوقات الثلاثة، ثم انتبه وتوضأ وصلى الفاتنة فسألته: ما وقع لك؟ قال: لما قدم الصادق في داري رأيت ثعباناً عظيماً أحد شفتيه فوق الصفة والآخر تحتها ويقول

بلسان فصيح: إن أذيته أبتلعك مع الصُّقَّة).

محمد عبد الرؤوف المناوي

قال في طبقات الصوفية الكبرى (١ق/٢٤٩): (جعفر ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.. وكان إماماً نبياً. أخذ الحديث عن أبيه وجده لأمه، وعروة، وعطاء، ونافع، والزهري.

وعنه: السفينان، ومالك، والقطان. خرج له الجماعة سوى البخاري. قال أبو حاتم: ثقة، لا يسأل عن مثله. وله كرامات كثيرة، ومكاشفات شهيرة:

منها: أنه سُعي به عند المنصور فلما حج أحضر الساعي وأحضره قال للساعي: أتخلف؟ قال: نعم فحلف، فقال جعفر للمنصور: أحلفه بما أراه؟ فقال: حلفه فقال: قل: برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا، فامتنع الرجل، ثم حلف، فما أتم حتى مات مكانه!

ومنها: أنه لما بلغه قول الحكم بن العباس الكلبي في عمه زيد:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

قال: اللهم، سلط عليه كلباً من كلابك، فافترسه الأسد.

ومنها: ما خرج الطبري من طريق ابن وهب قال: سمعت الليث بن سعد يقول: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس، فإذا رجل جالس يدعو فقال: يا رب يا رب حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا حي يا حي حتى انقطع نفسه، ثم قال: إلهي إني أشتهي العنب فأطعمنيه، وإن بردي قد خلق فاكسني، قال الليث رضي الله عنه: فما تم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً، وليس على الأرض يومئذ عنب، وإذا ببردين لم أر مثلهما! فأراد الأكل فقلت: أنا شريكك لأنك دعوت، وأنا أو من قال: كل ولا تحبى ولا تدخر، ثم دفع إلي أحد البردين فقلت: لي عنه غنى، فاتزر بأحدهما وارتمدى بالآخر، ثم أخذ الخلقين ونزل، فلقبه رجل فقال: أكسني يا ابن رسول الله فدفعهما إليه، فقلت: من هذا؟ فقال: جعفر الصادق.

ومنها: أن ابن عمه عبد الله بن المحض كان شيخ بني هاشم، وهو والد محمد الملقب بالنفس الزكية، ففي آخر دولة بني أمية أراد مبايعة محمد وأخيه، وأرسلوا لجعفر ليبايعهما فامتنع وقال: ليست لي ولا لهما، إنها لصاحب القباء الأصفر يلعب بها صبيانهم وكان المنصور العباسي حاضراً وعليه قباء أصفر، فكان كذلك.

ومنها: أن بعض الطغاة قتل مولاة فلم يزل ليلته يصلي ثم دعا عليه عند السحر، فسمعت الضجة بموته.

يقصد ما رواه المفيد في الإرشاد (٢/ ١٨٤): (أن داود بن علي بن عبد الله بن عباس قتل المعلى بن خنيس مولى جعفر عليه السلام وأخذ ماله، فدخل عليه جعفر وهو يجرد رداءه فقال له: قتلت مولاي وأخذت مالي! أما علمت أن الرجل ينام على الشكل ولا ينام على الحرب أما والله لأدعون الله عليك! فقال له داود: أتتهدنا بدعائك؟ كالمستهزئ بقوله. فرجع أبو عبد الله عليه السلام إلى داره فلم يزل ليله كله قائماً وقاعداً حتى إذا كان السحر سمع وهو يقول في مناجاته: يا ذا القوة القوية، ويا ذا المحال الشديد، ويا ذا العزة التي كل خلقك لها ذليل، اكفني هذا الطاغية وانتقم لي منه! فما كان إلا ساعة حتى ارتفعت الأصوات بالصياح وقيل قد مات داود ابن علي الساعة!) ثم قال المناوي: وكان مجاب الدعوة، فإذا سأل الله شيئاً لا يتم قوله إلا وهو بين يديه.

ومن كلامه: لا يتم المعروف إلا بثلاث: أن تصغره في عينك، وتستره، وتعجله.

وقال: إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبت محاسن نفسه. وقال: لا مال أعود من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة كالمشاوره، ألا وإن الله يقول: إني جواد كريم، لا يجاورني لئيم.

وقال: من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك لأنه لو كان على شيء كان محمولاً، أو في شيء كان محصوراً، أو من شيء كان محدثاً. وقيل له: ما بالناس ندعو فلا نجاب؟ قال: لأنكم تدعون من لا تعرفون. وكان يلبس جبة تحت ثيابه ويقول: نلبس الجبة لله ونلبس الخبز لكم. فما كان الله أخفيناه وما لكم أظهرناه.

وقال لأبي حنيفة: بلغني أنك تقيس في الدين، وأول من قاس إبليس! قال: إنما أقيس فيما لم

أجد فيه نصاً. وقال: لا تأكلوا من يد جاعت ثم شبعتم.

وقال: أوحى الله إلى الدنيا: من خدمني فاخدميه، ومن لم يخدمني فاستخدميه.

وقال: لا مروءة لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا خلة لبخيل، ولا إخاء لمول، ولا سؤدد لسبيء الخلق. وقال: كف عن محارم الله وامثل أوامره تكن عابداً، وارض بما قسم لك تكن مسلماً، واصحب الناس على ما تحب أن يصحبوك تكن مؤمناً، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، وشاور في أمرك الذين يخشون الله.

وقال: من أراد عزاً بلا عشيرة، وهيباً بلا سلطان، فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة. وقال: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم. وقال: حكمة تحريم الربا أن لا يتناع الناس المعروف. وقال: مودة يوم صلة، ومودة شهر قرابة، ومودة سنة رحم ثابتة من قطعها قطعه الله. وقال: من أدخل قلبه صافي خالص حب الله شغله عما سواه. وقال: الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه، فإن لم يجده ارتحلا.

مات مسموماً سنة ثمان وأربعين ومائة.

وله ولد اسمه القاسم، ولقاسم بنت إسمها أم كلثوم، وهما المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه. رضي الله عنهم).

وقال الزركلي في الأعلام (١٢٦/٢): (جعفر الصادق (٨٠-١٤٨) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي أبو عبد الله الملقب بالصادق سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق).

قال والد البهائي في وصول الأخيار/ ٦٠: (ومنهم جعفر الصادق عليه السلام ابنه الذي اشتهر عنه من العلوم ما بهر العقول، حتى غلا فيه جماعة وأخرجوه إلى حد الإلهية! ودون العامة والخاصة

من برز ومهّر بتعلمه من العلماء والفقهاء أربعة آلاف رجل، كزرارة بن أعين وأخويه بكير وحران، وجميل بن دراج، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، وهشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وأبى بصير، وعبد الله بن سنان، وأبى الصباح، وغيرهم من أعيان الفضلاء من أهل الحجاز والشام والعراق وخراسان من المعروفين والمشهورين، من أصحاب المصنفات الكثيرة والمباحث المشهورة، الذين ذكرهم العامة في كتب الرجال وأثنوا عليهم بما لا مزيد عليه، مع اعترافهم بتشييعهم وانقطاعهم إلى أهل البيت. وقد كتب من أجوبة مسائله هو فقط أربع مائة مصنف لأربع مائة مصنف تسمى الأصول في أنواع العلوم). أقول: وذكر الشيخ الطوسي في رجاله ثلاثة آلاف ومائتين وسبعة، من تلاميذ الصادق عليه السلام. وذكر ابن عقدة أصحاب الصادق عليه السلام وما روه، أربعة آلاف رجل.



يشهدون بأن الأئمة عليهم السلام أعلم ولا يروون عنهم!

ذكرنا في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام أن تلميذه الزهري كان يذوب فيه حباً وتقديساً ويشهد بأنه أفقه من رآه، لكن لما كلفه البلاط الأموي أن يكتب لهم السنة لينشروها في الناس، لم يكتب عن أستاذه الإمام عليه السلام ولا عن أهل البيت عليهم السلام إرضاءً لبني أمية! وقد عوتب على ذلك فقال كاذباً إن الإمام زين العابدين عليه السلام قليل الحديث! قال: (كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه، ولكنه كان قليل الحديث). (سير الذهبي: ٤/٣٨٩، وتاريخه: ٦/٤٣٥، وتهذيب الكمال: ٢٠/٣٨٢، والنهاية: ٩/١٢٤).

وقد وقع الزهري في التناقض لأن أفقه الناس يقوم فقهه على الكتاب والسنة فلا يكون قليل الحديث! بل سمع الزهري منه وكتب، لكنه يخاف من أسياده!

وروى ابن عبد البر عن الزهري (جامع العلم: ١/٧٦): (أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترًا دفترًا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا).

(قال أبو داود: حديثه ألفان ومئتا حديث). (سير الذهبي: ٥/٣٢٨).

ونفس هذه السياسة استعملوها مع الإمام الباقر عليه السلام مع أن علماءهم شهدوا بأنه باقر علم النبوة كما أخبر جده عليه السلام! ثم استعملوها مع كل أئمة العترة عليهم السلام!

قال ابن حجر في الصواعق / ٢٠١: (ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان... روى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد، وابن جريج ومالك، والسفيانين، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب).

قال ابن أبي الحديد: (أما أصحاب أبي حنيفة فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فهو تلميذ تلميذ أبي حنيفة، وأما ابن حنبل فهو تلميذ الشافعي. وأبو حنيفة قرأ على جعفر الصادق وعلمه ينتهي إلى علم جده علي عليه السلام).

وقال الإيجي في المواقيف (٣/٦٢٨): (وهما سيدا شباب أهل الجنة ثم أولاد أولاده ممن اتفق الأنام على فضلهم على العالمين حتى كان أبو يزيد سقاء في دار جعفر الصادق رضي الله عنه ومعروف الكرخي بواب دار علي بن موسى الرضا).

وشرحه الجرجاني في شرح المواقيف (٨/٣٧٢): (وكان معروف الكرخي بواب دار علي بن موسى الرضا، هذا مما لا شبهة في صحته، فإن معروفاً كان صبيماً نصرانياً فأسلم على يد علي بن موسى وكان يخدمه، وأما أبو يزيد فلم يدرك جعفر أبلاً هو متأخر عن معروف، ولكنه كان يستفيض من روحانية جعفر).

سماه جده رسول الله صلى الله عليه وآله جعفر الصادق

أثبتنا في سيرة الإمام الباقر عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: (يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدًا لي من الحسين يقال له محمد يبقّر العلم بقرًا، فإذا لقيتَه فاقراه مني السلام. خرّجه أئمة النسب). (الزبيدي في شرح القاموس ٦/١٠٥)

وفي رواية الكشي (١/٢٢٣): (فالتزمه وقبل رأسه وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلني إليك برسالة أن أقرئك السلام! قال: عليه وعليك السلام. ثم قال له جابر: بأبي أنت وأمي إضمن لي أنت الشفاعة يوم القيمة قال: فقد فعلت ذلك يا جابر).

وروينا أن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً سُمي ولده الصادق، فعن أبي خالد الكابلي قال: (دخلت على سيدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودتهم وأوجب على عباده الإقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا كابلي إن أولي الأمر الذين جعلهم الله عز وجل أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن عمي، ثم الحسين أبي، ثم انتهى الأمر إلينا. ثم سكنت. فقلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام إن الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني محمد واسمه في صحف الأولين باقر يقرر العلم بقرراً، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق. قلت: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون؟ قال: حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق، فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجترأ على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذاب المفترى على الله تعالى، والمدعي لما ليس له بأهل المخالف لأبيه والحاسد لأخيه، وذلك الذي يروم كشف ستر الله عز وجل عند غيبة ولي الله، ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام بكاء شديداً ثم قال: كأي جعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه برتبته، وحرصاً منه على قتله إن ظفر به، وطمعاً في ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حق. فقال أبو خالد فقلت: يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن؟ فقال: إي وربّي إن ذلك مكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال أبو خالد فقلت: يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال: ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده. يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهل كل زمان، فإن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة، ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة

المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف! أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً،
والدعاة إلى دين الله عز وجل سراً وجهرًا).

(كمال الدين: ١ / ٣١٩، بسندين، والخرائج: ١ / ٢٦٨، والمناقب: ٣ / ٣٩٣، ومعجم أحاديث الإمام المهدي: ٣ /
١٩٤، وقصص الأنبياء / ٣٦٥، والإحتجاج: ٢ / ٣١٧.. الخ.).

أقول: هذا ليس عجباً فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أخبر بما يجري على عترته وعلى أمته، وحفظه لنا أهل
البيت عليهم السلام وأخفاه غيرهم لأنه يدين أئمتهم ويكشفهم! ومع حرص السلطة القرشية أو دولة بطون قریش
على إخفاء ذلك تسرب بعضه في كتبهم، وليس هذا موضع بحثه!

المؤلفات الغربية في الإمام الصادق عليه السلام

يوجد كتاب: الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، نقله إلى العربية نور الدين آل علي.
وهو خلاصة بحوث أقيمت أو قدمت الى دورة المجمع العلمي في جامعة (ستراسبورغ)
الفرنسية التي انعقدت سنة ١٩٦٨، لدراسة الشيعة الإمامية وتاريخها العلمي والحضاري
وأخذت الإمام الصادق نموذجاً. وقد شارك في البحوث نخبة من علماء الإستشراق من
فرنسا، وإيطاليا، وبريطانيا، وسويسرا، وأمريكا، وعددهم خمسة وعشرون، من أشهر
العلماء والمستشرقين في الجامعات الغربية وأمريكا.

وقد اتفق هؤلاء الباحثون على أن الإمام الصادق عليه السلام شخصية علمية عالمية وأنه فضلاً
عن علوم الفقه والقرآن والسيرة، كان رائداً في علم الطب، والفيزياء، والفلك، والفلسفة،
والإجتماع، وأنه يعرف اللغات الأساسية كالفارسية والسريانية واليونانية.

ولا يمكننا أن ننظر الى هذا المجمع نظرة براءة ونقول إنهم مجموعة مستشرقين هدفهم العلم
والثقافة والمعرفة فقط وخدمة عباد الله تعالى، فتاريخ جامعات فرنسا وحاضرها خاصة السوربون

وستراسبورغ تدل على أن هدفها من أنشطتها ضرب الإسلام والتشيع!

وقد أعلنوا أن هدف هذا المؤتمر: دراسة الشيعة الإمامية وأن الإمام الصادق عليه السلام نموذج.

فوراء اعترافهم بعلم الإمام الصادق عليه السلام ومديحهم له، أن يحذروا قومهم الغربيين من خطر هذه

الطائفة عليهم لعراقها العلمية والحضارية!

قال تقريرهم: (وقف المجتمع دورته التي انعقدت سنة ١٩٦٨، على دراسة الشيعة الإمامية وتاريخها العلمي والحضاري، وعددهم خمسة وعشرون من أشهر العلماء والمستشرقين في الجامعات الغربية وأمريكا، والذين تحدثوا عن علوم الإمام الصادق وهم:

١. البروفسور آرمان آبل
٢. البروفسور جان أوبن
٣. البروفسور كلود كاهن
٤. الأستاذة آن لامبتون
٥. البروفسور جرار لوكت
٦. البروفسور هنري كورين
٧. البروفسور توفيق فهد
٨. البروفسور: أنريكو جروللي
٩. البروفسور ريتشارد جرام ليخ
١٠. البروفسور روبرت برانشويتس
١١. البروفسور فرانثيسكو جبرائيلي
١٢. البروفسورة ايفون لينان دوبل فوند
١٣. البروفسور هنري ماسه
١٤. البروفسور جورج ويدا
١٥. البروفسور شارل بلا
١٦. البروفسور جوزف مانوز
١٧. البروفسور ألياش
١٨. البروفسور هانس رومر

١٩. البروفسور فريتزيمير
٢٠. البروفسور جوزف مانوز
٢١. البروفسور هانس مولر
٢٢. البروفسور روبرت أرناالديز
٢٣. الأستاذة دورن هنيج كليف
٢٤. الامام السيد موسى الصدر
٢٥. البروفسور ويلفريد مدلونك



أهم الكتب السننية في الإمام الصادق عليه السلام

- ١- الإمام الصادق حياته وعصره وآراؤه وفقهه. للشيخ محمد أبو زهرة.
 - ٢- جعفر الصادق. لعبد العزيز سيد الأهل.
 - ٣- الإمام جعفر الصادق. لعبد الحلیم الجندي.
 - ٤- الإمام جعفر الصادق ومنهجه في الدعوة إلى الله. لعزت محمد السروجي.
 - ٥- الإمام جعفر الصادق وآراؤه في الإمامة. محمد محفوظ أبو عكاز.
 - ٦- الإمام جعفر الصادق ومنهجه ومدرسته وأثره. عبد القادر محمود الدسوقي.
 - ٧- مرويات الإمام جعفر الصادق في السنة النبوية. لطيفة إبراهيم الهادي.
 - ٨- مرويات الإمام جعفر الصادق في الكتب التسعة. مؤيد أسعد دناوي.
 - ٩- الموجز الفارق من معالم ترجمة الإمام جعفر الصادق. للشيخ علي الشبل.
 - ١٠- الإمام جعفر الصادق. للشيخ صالح الدرويش.
- وقد اتفقت مؤلفوا هذه الكتب العشرة وهم علماء وكتاب من السنة على أن الإمام الصادق عليه السلام أستاذ الفقهاء والمحدثين ومؤسسي المذاهب الإسلامية، كأي حنيفة ومالك، وتلميذيهما الشافعي وأحمد بن حنبل.

وزعم مؤلفوا هذه الكتب أن الإمام الصادق عليه السلام كان موالياً للخلفاء أبي بكر وعمر، وأنه مدحهما. وأنه لم يدعُ الى إمامته والى مذهب الشيعة الإمامية كما يقول الشيعة! كما شارك بعض هؤلاء المؤلفين، الباحثين الغربيين في رأيهم بأن الإمام الصادق عليه السلام أستاذ في الفيزياء وعدد من العلوم.

من أشهر الكتب الشيعية في الإمام الصادق عليه السلام

كتاب الإمام الصادق عليه السلام للشيخ محمد حسين المظفر.

وكتاب: الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة للشيخ أسد حيدر.

وكتاب: طب الإمام الصادق عليه السلام للشيخ محمد الخليبي.

أما سيرته عليه السلام فحفلت بها كتب الحديث وسيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كالإرشاد للمفيد، وكشف الغمة

للإربلي، وإعلام الوري للطبرسي، والمجلد ٤٧ من بحار الأنوار للمجلسي.





الفصل الثالث

المنصور الدوانيقي قاتل الإمام الصادق عليه السلام

صار الدوانيقي أميراً طوراً فكان همه قتل الإمام الصادق عليه السلام

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء/ ٢٦٢: (وفي سنة ثمان وأربعين توطدت الممالك كلها للمنصور، وعظمت هيئته في النفوس، ودانت له الأمصار، ولم يبق خارجاً عنه سوى جزيرة الأندلس فقط، فإنها غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني، لكنه لم يتلقب بأمير المؤمنين بل بالأمير فقط، وكذلك بنوه).

لكن بقي للمنصور هدف أن يكمل إبادة العلويين ويقتل كبيرهم الإمام الصادق عليه السلام، فقد اتخذ قراره النهائي فيه لكنه تحير في توقيته! فمشكلته مع الإمام الصادق عليه السلام أنه مدين له ولأبيه الباقر عليه السلام من يوم فتح عينيه فسمع بهما، ورأى تقديس المسلمين لهما، ثم رأهما فأخبراه بأنه سيملك شرق البلاد وغربها! فشجعه ذلك في كل مراحل حياته، من يوم كان صعلوكاً سارقاً تسميه أمه (المقلاص) وأيام سجنه في الأهواز بسبب سرقة مال الخراج، ثم في هروبه وتشرده، ثم في خططه وسياسته ومعاركه وحروبه، حتى تحقق له ما أخبراه به حرفاً بحرف! وتحقق ما أخبره به الصادق عليه السلام يوم كان فقيراً يخدم مهدي الحسينيين ويمسك بركابه ويقول: هذا مهدينا أهل البيت، فأخبره الإمام عليه السلام بأنه ليس المهدي، بل هو مشروع جبار مثله وأنها سيختلفان وسيقتله المنصور ويقتل أخاه إبراهيم ويحكم! فتحقق ذلك حرفاً بحرف! ولكن الباقر والصادق عليه السلام أخبراه في نفس الوقت بأنه جبار طاغية، يسفك دم عتره النبي صلى الله عليه وآله، هو وأولاده، فينتقم الله منهم ويزيل ملكهم!

أما الباقر عليه السلام فقد توفي عندما كان المنصور في العشرين، ولذلك كان يذكره بتقديس ويروي

كيف بشره بأنه سيملك الأمة، ويقول لمن تعجب من اعتقاده بالنداء السماوي باسم المهدي من ولد فاطمة عليها السلام: (يا سيف لولا أني سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقوله، ثم حدثني به أهل الأرض ما قبلته منهم، ولكنه محمد بن علي!) (الكافي: ٢٠٩/٨).

وأما ابنه جعفر عليه السلام فله فضل عليه في إخباره عن مستقبل صراعه مع الحسينين، لكن ذنبه أنه ينظر إليه على أنه طاغية سفاك دماء كيزيد ومعاوية وفرعون! ويتعاطف مع أولاد عمه الحسينيين و(يتعصب) لبني فاطمة عليها السلام ضد بني العباس!

وكان يمتلىء غيظاً وهو يرى الإمام الصادق عليه السلام يملك قلوب الناس بعلمه وتقواه، وقد افتتن به أهل العراق على حد تعبيره، فمن يضمن أن لا يشور عليه!

كان المنصور يتذكر بألم وغيظ أن أبا سلمة الخلال حبسهم شهرين ليقنع جعفر الصادق بأن يحضر ليبياعه بالخلافة! ويفكر في نفسه أن جعفر الصادق عليه السلام لم يقبل عرض أبي سلمة يومها، فماذا كان سيحدث لو قبلها!؟

كانت صورة الشهرين في سجن أبي سلمة قوية في ذهنه! (فأنزلهم جميعاً دار الوليد بن سعد التي في بني أود، وألزمهم مساوراً القصاب ويقطينا الأبراري... فكان إذا أمسوا أقبل مساور بشقة لحم وأقبل أبو سلمة بخل وأقبل يقطين بالأبزار فيطبخون ويأكلون. وفي ذلك يقول أبو جعفر: لحم مساور وخلُّ أبي سلمة وأبزار يقطين فطابت المرقه).

(الأخبار الطوال/٣٥٨).

فما زال المنصور يتذكر المرقه التي أكلها هو وبنو العباس شهرين في حبس قائد الثورة الخلال، بانتظار استجابة جعفر الصادق عليه السلام! ولو استجاب لأعلن له البيعة، وألقى بني عباس في أزقة الكوفة، ثم لاخلافة ولا من يفرحون، ولا مرقه مساور ولا خل!

كان المنصور يرى أن الإمام عليه السلام يداريه ولا يتحرك ضده، ولكن عمله وبرنامجه يكسب قلوب المسلمين ويقوي موقعه فيهم يوماً بعد يوم!

كان المنصور يحترمه في الظاهر لأن له ولأبيه فضلاً عليه، ولأنه أكبر من المنصور بخمس

عشرة سنة، ولكن قلب المنصور يغلي كقدر الحداد حسداً وحقداً!
إنه يريد ممسكاً عليه ليقته! وقد نوى على قتله مراراً، لكن كان يحدث له كل مرة مانع
بكرامة للإمام عليه السلام! فكان يقول لوزيره: (ويلك ياربيع! هذا الشجى المعترض في حلقي من
أعلم الناس!) (مهج الدعوات/ ٢٥١).

لهذه الأسباب مرّت اثنتا عشرة سنة حتى تمكن من دس السم للإمام الصادق عليه السلام!

عقدة المنصور من الإمام الصادق عليه السلام!

كان المنصور يتذكر أحياناً الأحاديث النبوية التي حفظها في فضل علي وفاطمة والعترة عليهم السلام
وكان يترزق بها من الشيعة، لما كان هارباً متخفياً من والي الأهواز! واعترف مراتٍ بمقام
الإمام الصادق عليه السلام الرباني، وفي نفس الوقت صرح بعقدته.

ففي أمالي الصدوق/ ٧٠٩: (بسنده عن الربيع صاحب المنصور قال: بعث المنصور إلى الصادق
جعفر بن محمد عليه السلام يستقدمه لشيء بلغه عنه، فلما وافى بابه خرج إليه الحاجب فقال: أعينك
بالله من سطوة هذا الجبار فإني رأيت حركته عليك شديداً، فقال الصادق عليه السلام: عليّ من الله
جنة واقية تعينني عليه إن شاء الله إستمأذن لي عليه، فاستأذن فأذن له، فلما دخل سلم فرد
السلام ثم قال له: يا جعفر، قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأبيك علي بن أبي طالب:
لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح، لقلت فيك قولاً لا تمر
بمألاً إلا أخذوا من تراب قدميك، يستشفون به. وقال علي: يهلك في اثنان ولا ذنب لي:
محب غال، ومفرط قال، قال ذلك اعتذاراً منه أنه لا يرضى بما يقول فيه الغالي والمفرط،
ولعمري إن عيسى بن مريم عليه السلام لو سكت عما قالت فيه النصارى لعذبه الله، ولقد تعلم ما
يقال فيك من الزور والبهتان، وإمساكك عن ذلك ورضاك به سخط الديان، زعم أوغاد
الحجاز ورعاع الناس أنك حبر الدهر وناموسه، وحجة المعبود وترجمانه، وعيبة علمه
وميزان قسطه، مصباحه الذي يقطع به الطالب عرض الظلمة إلى ضياء النور، وأن الله لا
يقبل من عامل جهل حدك في الدنيا عملاً، ولا يرفع له يوم القيامة وزناً، فنسبوك إلى غير

حدك، وقالوا فيك ما ليس فيك!

فقل، فإن أول من قال الحق جدك، وأول من صدقه عليه أبوك، وأنت حري أن تقتص آثارهما وتسلك سبيلهما! فقال الصادق عليه السلام: أنا فرع من فروع الزيتون، وقنديل من قناديل بيت النبوة، وأديب السَّفَرَة، وربيب الكرام البررة، ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور، وصفو الكلمة الباقية في عقب المصطفين إلى يوم الحشر.

فالتفت المنصور إلى جلسائه، فقال: هذا قد أحالني على بحر موج لا يدرك طرفه، ولا يبلغ عمقه، يحار فيه العلماء، ويضيق بالسابح فيه عرض الفضاء.

هذا الشجى المعترض في حلوق الخلفاء، الذي لا يجوز نفيه، ولا يحل قتله. ولولا ما يجمعني وإياه من شجرة طاب أصلها وبسق فرعها، وعذب ثمرها، وبوركت في الذر، وقدمت في الزبر، لكان مني إليه ما لا يحمد في العواقب لما يبلغني من شدة عيبه لنا وسوء القول فينا. فقال الصادق عليه السلام: لا تقبل في ذي رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار، فإن النمام شاهد زور وشريك إبليس في الإغراء بين الناس، وقد قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. ونحن لك أنصار وأعوان، ولملك دعائم وأركان، ما أمرت بالعرف والإحسان، وأمضيت في الرعية أحكام القرآن، وأرغمت بطاعتك لله أنف الشيطان، وإن كان يجب عليك في سعة فهمك وكثرة علمك ومعرفتك بأداب الله أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فإن المكافي ليس بالواصل، إنما الواصل من إذا قطعته رحمه وصلها، فصل رحمك يزد الله في عمرك، ويخفف عنك الحساب يوم حشرك. فقال المنصور: قد صفحت عنك، لقدرك، وتجاوزت عنك لصدقك، فحدثني عن نفسك بحديث أتعظ به، ويكون لي زاجر صدق عن الموبقات.

فقال الصادق عليه السلام: عليك بالحلم فإنه ركن العلم، واملك نفسك عند أسباب القدرة، فإنك إن تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظاً، أو داوى حقداً، أعلم أنك إن عاقبت مستحقاً لم تكن غاية ما توصف به إلا العدل، ولا أعرف حالاً أفضل من حال العدل،

والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر.

فقال المنصور: وعظت فأحسننت، وقلت فأوجزت، فحدثني عن فضل جدك علي بن أبي طالب حديثاً لم تؤثره العامة، فقال الصادق عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء عهد إلي ربي جل جلاله في علي ثلاث كلمات فقال: يا محمد. فقلت: لبيك ربي وسعديك. فقال عز وجل: إن علياً إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، ويعسوب المؤمنين، فبشره بذلك. فبشره النبي صلى الله عليه وآله بذلك، فخرَّ علي عليه السلام ساجداً شكراً لله عز وجل. ثم رفع رأسه فقال: يا رسول الله، بلغ من قدرتي حتى أني أذكر هناك؟ قال: نعم، وإن الله يعرفك، وإنك لتذكر في الرفيق الأعلى.

فقال المنصور: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

قال سيف بن عميرة: (كنت عند أبي الدوانيق فسمعتة يقول ابتداء من نفسه: (يا سيف بن عميرة لا بد من مناد ينادي باسم رجل من ولد أبي طالب، قلت: يرويه أحد من الناس؟ قال: والذي نفسي بيده لسمعت أذني منه يقول: لا بد من مناد ينادي باسم رجل، قلت: يا أمير المؤمنين، إن هذا الحديث ما سمعت بمثله قط، فقال لي: يا سيف إذا كان ذلك فنحن أول من يجيبه، أما إنه أحد بني عمنا، قلت: أي بني عمكم؟ قال: رجل من ولد فاطمة عليها السلام ثم قال: يا سيف لولا أني سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقوله ثم حدثني به أهل الأرض ما قبلته منهم، ولكنه محمد بن علي!). (الكافي: ٨/ ٢٠٩).



كان المنصور يعرف مكانة الباقر والصادق والعترة عليهم السلام

كان المنصور وكل (الخلفاء) يعرفون أن أئمة العترة عليهم السلام أئمة ربانيون! فقد بشر بهم النبي صلى الله عليه وآله وأنهم إثنا عشر إماماً من عترته، وأكد ذلك مراراً خاصة في حجة الوداع ورفع يده أولهم علي عليه السلام في غدِير خم وأعلنه بأمر الله تعالى إماماً وولي كل مؤمن من بعده، وأمر المسلمين أن يهنؤوه ويبايعوه، فهناؤه وقال له عمر بن الخطاب كلمته المشهورة: بخِ بخِ

لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم). (تاريخ دمشق: ٢٣٣/٤٢، ونحوه مسند أحمد: ٤/٢٨١، راجع الانتصار: ٣/٣٤٨، و: ٦/٢٩٢).

فكانوا جميعاً يعرفون إمامة علي وأبنائه عليه السلام! وكان الحسينيون والعباسيون يعرفون ذلك أيضاً، وقد صرح معاوية والدوانقي وهارون والمأمون بذلك.

ومن نماذج ذلك ما رواه الكافي (١/٤٧٥): (عن صفوان بن يحيى، عن جعفر بن محمد بن الأشعث (وزير هارون) قال: قال لي: أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به، وما كان عندنا منه ذكر ولا معرفة شيء مما عند الناس؟ قال: قلت له: ما ذاك؟ قال: إن أبا جعفر يعني أبا الدوانيق، قال لأبي محمد بن الأشعث: يا محمد إيغ لي رجلاً له عقل يؤدي عني فقال له أبي: قد أصبته لك هذا فلان ابن مهاجر خالي، قال: فأنتي به، قال فأتيته بخالي فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر خذ هذا المال وأت المدينة وأت عبد الله بن الحسن بن الحسن وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد، فقل لهم: إني رجل غريب من أهل خراسان وبها شيعة من شيعتكم وجهوا إليكم بهذا المال، وادفع إلى كل واحد منهم على شرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال فقل: إني رسول وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم! فأخذ المال وأتى المدينة فرجع إلى أبي الدوانيق ومحمد بن الأشعث عنده، فقال له أبو الدوانيق: ما وراءك؟ قال: أتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم المال خلا جعفر بن محمد، فلإني أتيت وهو يصلي في مسجد الرسول فجلست خلفه وقلت حتى ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه، فعجل وانصرف ثم التفت إلي فقال: يا هذا إتق الله ولا تغرأ أهل بيت محمد فإنهم قريبوا العهد بدولة بني مروان وكلهم محتاج! فقلت: وما ذاك أصلحك الله؟ قال: فأذني رأسه مني وأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك، حتى كأنه كان ثالثنا! قال فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر، أعلم أنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيه محدث، وإن جعفر بن محمد محدثنا اليوم! وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة).

أقول: غرض المنصور من المهمة التي كلف بها خاله أن يحصل على إيصال بمبالغ من رؤساء

العلويين فيتهمهم بتلقي أموال من شيعتهم في خراسان والتحضير للثورة عليه ويقتلهم!
وقد فوجئ المنصور بأن الإمام الصادق عليه السلام كشف كيدته فسارع بدهاثه وقلَّب الموضوع وجعله
مكرمة لبني هاشم يفتخر هو بها! فقال إن منا في كل عصر إماماً تحدّثه الملائكة!
لكن ابن الأشعث وخاله ابن مهاجر رأيا في ذلك آية ربانية على إمامة الصادق عليه السلام وعلى غضب
المنصور وأسلافه مقامهم الذي خصهم الله به.

وأكثر منه صراحةً: قصة المنصور مع إمام الرواة سليمان الأعمش رضي الله عنه الموثق عند الشيعة
والسنة والأحاديث التي رواها واعترف بها المنصور في أن النبي صلى الله عليه وآله نص على مقام علي
وفاطمة والأئمة من أبنائهما عليهم السلام، وأن مبغضهم وقتلهم في النار!
وأقوى من الجميع اعتراف المنصور بأن الإمام الصادق عليه السلام (إمام الخلق أجمعين) كما يأتي.

كم مرة أحضر المنصور الإمام الصادق عليه السلام ليقتله؟

قال السيد ابن طاووس في مهج الدعوات/ ٢١١: (إن من العجب أن يبلغ طلب الدنيا بالعبد المخلوق
من التراب والنطفة الماء المهين إلى المعاندة لرب العالمين في الإقدام على قتل مولانا الصادق
جعفر بن محمد صلوات الله عليه بعد تكرار الآيات الباهرات حتى يكرر إحضاره للقتل
سبع دفعات! ومن العجب المستطرف المستغرب أن المنصور يرى هذه الآيات والمعجزات
والكرامات للصادق صلوات الله عليه، فلما بلغته وفاته بكى عليه، وأمر بقتل من أوصى إليه).
وتبنى الشيخ المظفر في كتابه قول ابن طاووس وحاول أن يطبق عليها الرواية، لكن ابن طاووس زاد عددها
عن السبع فقال بعد ذلك في مهج الدعوات/ ٢١٤: (لما بعث المنصور إليه إلى المدينة ليقتله وهي المرة
التاسعة، رويها من كتاب الخصائص للحافظ أبي الفتح محمد بن أحمد بن علي النطنزي،
وقد أثنى عليه محمد بن النجار في تذييله على تاريخ الخطيب). والفصول المهمة: ٩١٧/٢،
والخراج / ٣٥٧ ودلائل الإمامة / ١١٩.

والظاهر أنها أكثر من عشر مرات، أكثرها لغرض قتله، وفيها لأغراض مختلفة، فقد أحضره
مع عبد الله بن الحسن ليبياعا السفاح. وأحضره مرة ليعاتبه لماذا لاينهى الناس عن الغلو

فيه. ومرة ليسأله عن محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، وأحضره مرة لحفلة نصب ابنه المهدي ولي عهده، ليجمع بني هاشم على طاعته!



أحضر المنصور الإمام الصادق عليه السلام لقتله في المرة الأولى

بدأ المنصور خلافته بإحضار الإمام الصادق عليه السلام لقتله! وقد روته مصادر الجميع بروايات متعددة وأن الإمام عليه السلام حرك شفثيه فتغيرت حالة المنصور، وأن الربيع وزير المنصور وغيره طلبوا من الإمام عليه السلام الدعاء الذي دعا به فأعطاه لبعضهم!

فقد روى في تاريخ دمشق (١٨/٨٦) وغيره: (عن الربيع حاجب المنصور قال: لما استوت الخلافة لأبي جعفر المنصور قال لي: يا ربيع! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: إبعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به قال: ففتحت من بين يديه (ذهبت) وقلت أيُّ بلية يريد أن يفعل! وأوهمته أن أفعل ثم أتيت بعد ساعة فقال لي: ألم أقل لك أن تبعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به، والله لأقتلنه! فلم أجد بداً من ذلك، فدخلت إليه فقلت يا أبا عبد الله أجب أمير المؤمنين، فقام معي مسرعاً فلما دنونا إلى الباب قام يحرك شفثيه، ثم دخل فسلم فلم يرد عليه ووقف فلم يجلسه! ثم رفع رأسه إليه فقال: يا جعفر أنت ألبت علينا وكثرت وعدّرت، وحدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ينصب لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة!

فقال جعفر بن محمد: حدثني أبي عن أبيه عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ينادي يوم القيامة من بطنان العرش: ألا فليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه، فما زال يقول حتى سكن ما به ولأن له فقال: اجلس يا أبا عبد الله، إرتفع أبا عبد الله، ثم دعا بدهن فيه غالية فغلفه بيده والغالية تقطر من بين أنامل المنصور، ثم قال: إنصرف أبا عبد الله في حفظ الله. وقال لي: يا ربيع أتبع أبا عبد الله جائزته. قال الربيع: فخرجت إليه فقلت: يا أبا عبد الله أنت تعلم محبتي لك، قال: نعم يا ربيع أنت منا، حدثني أبي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مولى القوم منهم وأنت منا. قلت: يا أبا عبد الله شهدت ما لم تشهد وسمعت ما لم تسمع،

وقد دخلت فرأيتك تحرك شفيتك عند الدخول عليه بدعاء، فهو شئ تقوله أو تأثره عن آبائك الطيبين؟ قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا حَزَبَهُ أمرٌ دعا بهذا الدعاء، وكان يقال إنه دعاء الفرج: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك علي، لا أهلك وأنت رجائي.. الخ. قال الربيع: كتبت من جعفر بن محمد برقعة وها هو ذا في جيبي.. وذكر رواته وكل منهم يقول: وها هو ذا في رقعة في جيبي. ثم قال الربيع: فقلت له يا أمير المؤمنين حلفت لتقتلنه ثم فعلت به ما فعلت! قال: ويحك يا ربيع إنه لما دخل إلي فرأيت وجهه أجدر شيئاً له رقعة، لم أقدر على غير ما رأيت وقد رأيتَه يحرك شفتيه فأسأله عما يقول! فأتيت جعفرأ فسألته فقال: على أن لا تُعلمَه! فقلت: ذلك لك، فقال يا ربيع إذا أصبحت وإذا أمسيت قل: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام.. الخ).

ملاحظات

- ١- يبدو أن إحضار الإمام عليه السلام هذه المرة كان الى الأنبار لأنها كانت العاصمة في أول خلافة المنصور، ثم نقل العاصمة الى الحيرة وأحضره اليها مراراً، ثم بنى الهاشمية قرب الكوفة وأحضره اليها أكثر من مرة، ثم انتقل الى بغداد وأحضره اليها مراراً أيضاً. وقد أحضره في الحج سنة ١٤٢ الى مقره في الربذة، وسنة ١٤٧ عندما زار المدينة، وكان في كل مرة ينوي قتله فيحدث له مانع بمعجزة وكرامة للإمام عليه السلام حتى تمكن من سمه!
- ٢- روت المصادر السننية نوعين من دعاء الإمام عليه السلام لدفع شر المنصور. كالذهبي في سيره (٢٦٦/٦) والمزي في تهذيب الكمال (٩٥/٥)، وابن عبد ربه في العقد الفريد: (٥/ ١٥٩).

(اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك علي ولا تهلكني وأنت رجائي. ربِّ كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لها عندك صبري، فيا من قل عند نعمته شكري فلم يجرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رأني على المعاصي فلم يفضحني، وياذا النعم التي لا تحصى أبداً، وياذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، أعني على ديني بدنيا، وعلى

آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكنني إلى نفسي فيما خطرت. يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة، إغفر لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك، يا وهاب أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا، وشكر العافية).

أما مصادرنا فروت ما تقدم، وروت أدعية أخرى دعا بها الإمام عليه السلام في هذه المرة أو تلك، وروت بعض مصادرنا كالإرشاد: ١٨٢/٢ وروضة الواعظين/ ٢٠٩، دعاء: (يا عدتي عند شدتي، ويا غوثي عند كربتي، فاحرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام.. الخ). فتغيرت حالة المنصور، وهو من أدعية صحيفة الإمام زين العابدين عليه السلام.

وروى الصدوق (العيون: ١/ ٢٧٣) دعاءً آخر هو: (حسبي الرب من المربوبين، وحسبي الخالق من المخلوقين، وحسبي الرازق من المرزوقين، وحسبي الله رب العالمين، حسبي من هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم). وذكر أنه دعاء النبي صلى الله عليه وآله لدفع مكر الأحزاب واليهود! وهذا يدل على تعدد أدعية الإمام عليه السلام لدفع شر المنصور في إحضاراته المتعددة.

وقد فهم الرواة أنها السبب في تغير حالة المنصور، لكنني أعتقد أن العامل في التأثير هو شخصية الداعي عليه السلام فكم من كلام لو قاله غير الإمام عليه السلام لم يؤثر، ولو قاله هو لأثر.

أحضر الإمام الصادق عليه السلام إلى الحيرة!

وفي تاريخ دمشق (١٨/ ١٣٦): (عن رزام مولى خالد بن عبد الله القسري قال: بعث بي المنصور إلى جعفر بن محمد... فلما أقبلت به إليه والمنصور بالحيرة وعلونا النجف، نزل جعفر بن محمد عن راحلته فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فصلى ركعتين ثم رفع يديه. قال رزام: فدنوت منه فإذا هو يقول: اللهم بك أستفتح وبك أستنجح، وبمحمد عبدك ورسولك أتوسل. اللهم سهّل حزوتته وذلّل لي صعوبته وأعطني من الخير أكثر مما أرجو، واصرف عني من الشر أكثر مما أخاف. ثم ركب راحلته فلما وقف بباب المنصور وأعلم بمكانه فُتحت الأبواب ورُفعت الستور، فلما قرب من المنصور قام إليه فتلّقه، وأخذ بيده وماشاه

حتى انتهى به إلى مجلسه فأجلسه فيه، ثم أقبل عليه يسأله عن حاله وجعل جعفر يدعو له).

إحضار الإمام الصادق عليه السلام في المدينة بعدما أحضره في الربذة!

ومنها ما رواه ابن طاووس في مهج الدعوات/ ١٨٤، قال: (ومن ذلك دعاء الصادق عليه السلام لما استدعاه المنصور مرة ثانية بعد عودته من مكة إلى المدينة: حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد النوفلي قال: حدثني الربيع صاحب أبي جعفر المنصور قال: حججت مع أبي جعفر المنصور فلما صرت في بعض الطريق قال لي المنصور: يا ربيع إذا نزلت المدينة فاذكر لي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، فوالله العظيم لا يقتله أحد غيري إحدراً أن تدع أن تذكرني به! قال: فلما صرنا إلى المدينة أنساني الله عز وجل ذكره، قال: فلما صرنا إلى مكة قال لي يا ربيع ألم أمرك أن تذكرني بجعفر بن محمد إذا دخلنا المدينة! قال فقلت: نسيت ذلك يا مولاي يا أمير المؤمنين. قال فقال لي: إذا رجعت إلى المدينة فذكرني به فلا بد من قتله فإن لم تفعل لأضربن عنقك! فقلت: نعم يا أمير المؤمنين.

ثم قلت لغلماي وأصحابي: أذكروني بجعفر بن محمد إذا دخلنا المدينة إن شاء الله تعالى. قال: فلم تزل غلماي وأصحابي يذكرونني به في كل وقت ومنزل ندخله وننزل فيه، حتى قدمنا المدينة، فلما نزلنا بها دخلت إلى المنصور فوقف بين يديه فقلت له: يا أمير المؤمنين جعفر بن محمد! قال فضحك وقال لي: نعم إذهب يا ربيع فأتني به ولا تأتني به إلا مسحوباً! قال فقلت له: يا مولاي يا أمير المؤمنين حباً وكرامة وأنا أفعل ذلك طاعة لأمرك! قال: ثم نهضت وأنا في حال عظيم من ارتكاب ذلك! قال: فأتيت جعفر بن محمد وهو جالس في وسط داره فقلت له: جعلت فداك إن أمير المؤمنين يدعوك إليه! فقال: لي السمع والطاعة، ثم نهض وهو معي يمشي قال فقلت له: يا ابن رسول الله إنه أمرني أن لا آتية بك إلا مسحوباً! قال فقال الصادق: إمتثل يا ربيع ما أمرك به! قال: فأخذت بطرف كفه أسوقه إليه فلما أدخلته إليه رأته وهو جالس على سريره وفي يده عمود حديد يريد أن يقتله به! ونظرت إلى جعفر وهو يحرك شفثيه به فوقفت أنظر إليهما! قال الربيع: فلما قرب منه جعفر

بن محمد قال له المنصور: أدن مني يا ابن عمي، وتهلل وجهه وقربه منه حتى أجلسه معه على السرير! ثم قال: يا غلام إئتني بالحقة فأتاه بالحقة فإذا فيها قدح الغالية، فغلفه منها بيده، ثم حمله على بغلة وأمر له ببدره وخلعة، ثم أمره بالإصراف!
أقول: يعلم الله ماذا رأى المنصور فعدل من قتل الإمام عليه السلام إلى احترامه وإكرامه!

كرامة الإمام عليه السلام عند المنصور فيمن افتري عليه!

ففي الكافي (٦/٤٤٥): (عن صفوان الجمال قال: حملت أبا عبد الله عليه السلام الحملة الثانية إلى الكوفة وأبو جعفر المنصور بها، فلما أشرف على الهاشمية مدينة أبي جعفر أخرج رجله من غرز الرحل ثم نزل ودعى ببغلة شهباء، ولبس ثياباً بيضاً وكمة بيضاء، فلما دخل عليه قال له أبو جعفر: لقد تشبهت بالأنبياء! فقال أبو عبد الله عليه السلام: وأنى تبعدي من أبناء الأنبياء! فقال: لقد هممت أن أبعث إلى المدينة من يعقر نخلها ويسبي ذريتها فقال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: رفع إلي أن مولاك المعلى بن خنيس يدعو إليك ويجمع لك الأموال! فقال: والله ما كان! فقال: لست أرضى منك إلا بالطلاق والعتاق والهدي والمشي! فقال: أبالأنداد من دون الله تأمرني أن أحلف؟ إنه من لم يرض بالله فليس من الله في شيء! فقال: أتتفقه عليّ؟ فقال: وأنى تبعدي من الفقه وأنا ابن رسول الله؟ فقال: فإني أجمع بينك وبين من سعى بك! قال: فافعل، فجاء الرجل الذي سعى به فقال له أبو عبد الله: يا هذا! فقال: نعم والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لقد فعلت! فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ويلك تمجد الله فيستحيي من تعذيبك، ولكن قل: برئت من حول الله وقوته ولجأت إلى حولي وقوتي! فحلف بها الرجل، فلم يستتمها حتى وقع ميتاً! فقال له أبو جعفر: لا أصدق بعدها عليك أبداً، وأحسن جائزته ورده). والمناقب: ٣/٣٦٧، والإرشاد: ٢/١٨٢.

وفي رواية الفصول المهمة (٢/٩١٨): (فامتنع الرجل فنظر إليه المنصور منكرًا فحلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وقضى ميتاً مكانه في المجلس! فقال المنصور: جُرِّوا برجله وأخرجوه لعنه الله!، ثم قال: لا عليك يا أبا عبد الله أنت البرئ الساحة السليم

الناحية المأمون الغائلة، عليّ بالطيب والغالية).

ورواه في الخرائج (٧٦٣/٢) عن الإمام الرضا عليه السلام، وفيه: (ودخل وقد امتلأ المنصور غيظاً وغضباً فقال له: أنت الذي تأخذ البيعة لنفسك على المسلمين تريد أن تفرق جماعتهم، وتسعى في هلكتهم وتفسد ذات بينهم! فقال الصادق عليه السلام: ما فعلت شيئاً من هذا! قال المنصور: فهذا فلان يذكر أنك فعلت كذا وأنه أحد من دعوته إليك. فقال: إنه لكاذب. دعني أحلفه باليمين التي حدثني بها أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لا يخلف بها حالف إلا بآء يآئمه. فقالها الرجل فما استتم كلامه حتى سقط ميتاً! واحتمل ومضي به وسري عن المنصور، وسأله عن حوائجه. فقال: ليس لي حاجة إلا إلى الله، والإسراع إلى أهلي فإن قلوبهم بي متعلقة. فقال المنصور: ذلك إليك فافعل منه ما بدا لك، فخرج من عنده مكرماً، قد تحير فيه المنصور ومن يليه!

فقال قوم: ماذا؟ رجل فاجأه الموت ما أكثر ما يكون هذا! وجعل الناس يصيرون إلى ذلك الميت ينظرون إليه. إذ قعد على سريره وكشف عن وجهه وقال: يا أيها الناس إني لقيت ربي بعدكم فلقاني السخط واللعنة واشتد غضب زبانيته عليّ للذي كان مني إلى جعفر بن محمد الصادق، فاتقوا الله ولا تهلكوا فيه كما هلكت. ثم أعاد كفنه على وجهه وعاد في موته فأرؤه لا حراك به!) وفي الصواعق لابن حجر (٥٨٧/٢): (فما تم حتى مات مكانه! فقال أمير المؤمنين لجعفر: لا بأس عليك أنت المبرأ الساحة المأمون الغائلة).

وفي أمالي الطوسي/ ٤٦١: (أخبرنا جماعة، عن أبي الفضل، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى العراد، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن شمون البصري، قال: حدثني الحسن ابن الفضل بن الربيع حاجب المنصور لقيته بمكة، قال: حدثني أبي، عن جدي الربيع، قال: دعاني المنصور يوماً فقال: يا ربيع، أحضر لي جعفر بن محمد الساعة والله لأقتلنه. فوجهت إليه، فلما وافى قلت: يا بن رسول الله، إن كان لك وصية أو عهد تعهده إلى أحد فافعل. قال: فاستأذن لي عليه، فدخلت إلى المنصور فأعلمته موضعه، فقال: أدخله، فلما وقعت عين

جعفر عليه السلام على المنصور رأيته يحرك شفتيه بشيء لم أفهمه، فلما سلم على المنصور نهض إليه فاعتنقه وأجلسه إلى جانبه، فقال له: ارفع حوائجك. فأخرج رقاعاً لأقوام، وسأل في آخرين فقضيت حوائجه.

فقال المنصور: ارفع حوائجك في نفسك. فقال له جعفر عليه السلام: لا تدعني حتى آتيك. فقال له المنصور: ما إلى ذلك سبيل، وأنت تزعم للناس - يا أبا عبد الله - أنك تعلم الغيب. فقال جعفر عليه السلام: من أخبرك بهذا، فأوماً المنصور إلى شيخ قاعد بين يديه، فقال جعفر عليه السلام للشيخ: أنت سمعتني أقول هذا القول؟ قال الشيخ: نعم. قال جعفر عليه السلام للمنصور: أيلف يا أمير المؤمنين؟ فقال له المنصور: احلف، فلما بدأ الشيخ في اليمين قال جعفر عليه السلام للمنصور: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام أن العبد إذا حلف باليمين التي ينزه الله عز وجل فيها وهو كاذب امتنع الله من عقوبته عليها في عاجلته لما نزه الله عز وجل، ولكنني أنا استحلته. فقال المنصور: ذلك لك. فقال جعفر عليه السلام للشيخ: قل أبرأ إلى الله من حوله وقوته، وأجأ إلى حولي وقوتي، إن لم أكن سمعتك تقول هذا القول فتلكأ الشيخ، فرفع المنصور عموداً كان في يده وقال: والله لئن لم تحلف لأعلنك بهذا العمود؟ فحلف الشيخ، فما أتم اليمين حتى دلح لسانه كما يدلح الكلب، ومات لوقته، ونهض جعفر عليه السلام.

قال الربيع: فقال لي المنصور: ويحك اكنمها الناس لا يفتنون. قال الربيع: فشيعت جعفر عليه السلام وقلت له: يا بن رسول الله، إن المنصور كان قد هم بأمر عظيم، فلما وقعت عينك عليه وعينه عليك زال ذلك. فقال: يا ربيع، إن رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم فقال لي: يا جعفر خفته. فقلت: نعم رسول الله. فقال لي: إذا وقعت عينك عليه فقل: (بسم الله أستفتح، وبسم الله أستنجح، وبمحمد صلى الله عليه وآله أتوجه، اللهم ذلل لي صعوبة أمري وكل صعوبة، وسهل لي حزنه أمري وكل حزنه، واكفني مؤنة أمري وكل مؤنة).

وفي رواية: (أن المنصور قام إليه واعتنقه فقال لي: المنصور خليفة، ولا ينبغي للخليفة أن يقوم

إلى أحد ولا إلى عمومته، وما قام المنصور إلا إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام).

أقول: أفتى فقهاؤنا بجواز تحليف المفترى بيمين البراءة، فقال في الجواهر (٣٥/ ٣٤٥): (لكن قد يستفاد من قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: أحلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنه برئ من حول الله وقوته، فإنه إذا حلف بها كاذباً عوجل، وإذا حلف بالله الذي لا إله إلا هو لم يعاجل لأنه قد وحد الله سبحانه، جواز تحليف الظالم بالكيفية المزبورة، بل قد يستفاد أيضاً من فعل الصادق عليه السلام وتحليفه من وشابه ذلك أيضاً. إلا أنني لم أجد من أفتى بذلك من الأصحاب نعم في الوسائل باب جواز استحلاف الظالم بالبراءة من حول الله وقوته، وظاهره الفتوى به، ولا ريب أن الإحتياط يقتضي تركه إلا في مهدور الدم من الناصب ونحوه).
 كما أفتوا أيضاً بجواز مباهلة المعاند، فقد عقد في الكافي (٢/ ٥١٣) باباً بعنوان: باب المباهلة، روى فيه خمسة أحاديث، منها عن أبي مسروق عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (قلت: إنا نكلم الناس فنحتج عليهم بقول الله عز وجل: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فيقولون: نزلت في أمراء السرايا، فنحتج عليهم بقوله عز وجل: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فيقولون: نزلت في المؤمنين، ونحتج عليهم بقول الله عز وجل: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى فيقولون: نزلت في قريبي المسلمين، قال: فلم أدع شيئاً مما حضرني ذكره من هذه وشبهه إلا ذكرته، فقال لي: إذا كان ذلك فادعهم إلى المباهلة، قلت: وكيف أصنع؟ قال: أصلح نفسك ثلاثاً وأظنه قال: وصم واغتسل وأبرز أنت وهو إلى الجبان فشبك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، ثم أنصفه وابدأ بنفسك وقل: اللهم رب السموات السبع ورب الأرضين السبع، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إن كان أبو مسروق جحد حقاً وادعى باطلاً فأنزل عليه حسبناً من السماء أو عذاباً أليماً ثم رد الدعوة عليه فقل: وإن كان فلان جحد حقاً وادعى باطلاً فأنزل عليه حسبناً من السماء أو عذاباً أليماً، ثم قال لي: فإنك لا تلبث أن ترى ذلك فيه! فوالله ما وجدت خلقاً يجيبني إليه).

وفي جواهر الكلام (٥/ ٣٩): (وبناء على الوجه الأول يستفاد منه حينئذ استحباب الغسل لفعل المباهلة كما عن جماعة النص عليه، ويدل عليه خبر أبي مسروق عن الصادق... وقول

الراوي: وأظنه قال.. يختص بالصوم ولا يعم الإغتسال كما هو الظاهر).

إحاضرات الإمام الصادق عليه السلام برواية السيد ابن طاووس

كتب السيد ابن طاووس قده نحو أربعين صفحة في: مهج الدعوات/ ١٧٥، في استدعاءات المنصور الدوانيقي للصادق عليه السلام وعدها تسع مرات ولم يرتبها تاريخياً، لصعوبة ذلك، ولأن غرضه منها الدعاء الذي كان يدعو به الإمام الصادق عليه السلام فتقلب حالة المنصور من الغضب وقرار القتل الى المحبة والتكريم!

ونحن نوردها لأنها من سيرة الإمام الصادق عليه السلام ونختصر الدعاء، لأن له كتباً مختصة.

في مهج الدعوات/ ١٧٥: (سمعت الربيع يقول: لما حج المنصور وصار بالمدينة سهر ليلة فدعاني فقال: يا ربيع انطلق في وقتك هذا على أخفض جناح وألين مسير فإن استطعت أن تكون وحدك فافعل حتى تأتي أبا عبد الله جعفر بن محمد فقل له: هذا ابن عمك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الدار وإن بان، والحال وإن اختلفت، فإننا نرجع إلى رحم أمس من يمين بشمال ونعل بقبال، وهو يسألك المصير إليه في وقتك هذا، فإن سمح بالمصير معك فأوطه خدك وإن امتنع بعذر أو غيره فاردد الأمر إليه في ذلك، فإن أمرك بالمصير في تأنّ فيسر ولا تعسر، واقبل العفو، ولا تعنف في قول ولا فعل!

قال الربيع: فصرت إلى بابه فوجدته في دار خلوته فدخلت عليه من غير استئذان فوجدته معفراً خديه مبتهلاً بظهر يديه قد أثر التراب في وجهه وخديه، فأكبرت أن أقول شيئاً حتى فرغ من صلاته ودعائه، ثم انصرف بوجهه فقلت: السلام عليك يا أبا عبد الله. فقال: وعليك السلام يا أخي ما جاء بك؟ فقلت: ابن عمك يقرأ عليك السلام ويقول حتى بلغت آخر الكلام.. فقال: ويحك يا ربيع أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَيَحْكُ يَا ربيع أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.

فاقرأ وبلغ على أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم أقبل على صلاته وانصرف إلي بوجهه فقلت: هل بعد السلام من مستعتب عليه أو إجابة؟ فقال: نعم قل له: أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى! وإنا والله يا أمير المؤمنين قد خفناك وخافت لخوفنا النسوة اللاتي أنت أعلم بهن، فإن كفت وإلا أجرينا إسمك على الله عز وجل في كل يوم خمس مرات! وأنت حدثتنا عن أبيك عن جدك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أربيع دعوات لا يجيبن عن الله تعالى: دعاء الوالد لولده، والأخ بظهر الغيب لأخيه، والمظلوم، والمخلص. قال الربيع: فما استتم الكلام حتى أتت رسل المنصور تقفوا أثري وتعلم خبري، فرجعت فأخبرته ما كان فبكى ثم قال: إرجع إليه وقل له: الأمر في لقاءك إليك أو الجلوس عنا. وأما النسوة اللاتي ذكرتهن فعليهن السلام، فقد آمن الله روعهن وجلى همهن.

قال: فرجعت إليه فأخبرته بما قال المنصور فقال: قل له: وصلت رحماً وجزيت خيراً، ثم اغرورقت عيناه حتى قطر من الدمع في حجره قطرات ثم قال: يا ربيع إن هذه الدنيا وإن أمتعت ببهجتها وغرّت بزبرجها، فإن آخرها لا بد وأن يكون كآخر الربيع الذي يروق بخضرته ثم يهيج عند انتهاء مدته، وعلى من نصح لنفسه وعرف حق ما عليه وله أن لا ينظر إليها نظر من غفل عن ربه جل وعلا، وحذر سوء منقلبه، فإن هذه الدنيا قد خدعت قوماً فارقوها أسراً ما كانوا إليها وأكثرت ما كانوا اغتباطاً بها، طرقتهم آجالهم بيئاتاً وهم نائمون، أو ضحى وهم يلعبون، فكيف أخرجوا عنها، وإلى ما صاروا بعدها، أعقتهم الألم وأورثتهم الندم، وجرعتهم مر المذاق، وغصصتهم بكأس الفراق، فياويح من رضي عنها أو أقر عيناً بها، أما رأى مصرع آباءه ومن سلف من أعدائه وأوليائه! يا ربيع أطول بها حسرة، وأقبح بها كثرة، وأخس بها صفقة، وأكبر بها ترحة، إذا عاين المغرور بها أجله، وقطع بالأمانى أمله، وليعمل على أنه أعطي أطول الأعمار وأمدها وبلغ فيها جميع الآمال، هل قصاره إلا الهرم أو غايته إلا الرجم. نسأل الله لنا ولك عملاً صالحاً بطاعته، ومآباً إلى رحمته ونزوعاً عن معصيته). أقول: تتعجب من رسالة المنصور هذه، وكيف كان ليناً طبيعياً مع الإمام الصادق عليه السلام،

ولذلك كان جواب الإمام عليه السلام صادقاً بليغاً ناصحاً للمنصور أن لا يغتر بالدنيا التي تنقضي بسرعة ولا يبقى له منها إلا عمله الصالح أو الطالح!

وفي مرة أخرى (مهج الدعوات/ ١٨٤): (إذهب يا ربيع فأتني به ولا تأتني به إلا مسحوباً! قال: فقلت له: يا مولاي يا أمير المؤمنين حباً وكرامة، وأنا أفعل ذلك طاعة لأمرك. قال: ثم نهضت وأنا في حال عظيم من ارتكابي ذلك! قال: فأتيت الإمام الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه وهو جالس في وسط داره فقلت له: جعلت فداك إن أمير المؤمنين يدعوك إليه، فقال لي: السمع والطاعة، ثم نهض وهو معي يمشي قال: فقلت له: يا ابن رسول الله إنه أمرني أن لا آتية بك إلا مسحوباً! قال: فقال الصادق: إمثل يا ربيع ما أمرك به. قال: فأخذت بطرف كفه أسوقه إليه فلما أدخلته إليه رأيته وهو جالس على سريرته، وفي يده عمود حديد يريد أن يقتله به! ونظرت إلى جعفر وهو يحرك شفتيه به فوقفت أنظر إليهما! قال الربيع: فلما قرب منه جعفر بن محمد قال له المنصور: أذن مني يا ابن عمي، وتهلل وجهه وقربه منه حتى أجلسه معه على السرير!

ثم قال: يا غلام ائتني بالحقة، فأتاه بالحقة فإذا فيها قدح الغالية، فغلفه منها بيده، ثم حمله على بغلة، وأمر له ببدره وخلعة، ثم أمره بالإنصراف.

قال: فلما نهض من عنده خرجت بين يديه حتى وصل إلى منزله فقلت له: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، إني لم أشك فيه أنه ساعة تدخل عليه يقتلك! ورأيتك تحرك شفتيك في وقت دخولك عليه، فما قلت؟ قال لي: نعم يا ربيع أعلم أني قلت: حسبي الرب من المربوبين، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، حسبي الذي لم يزل حسبي حسبي، حسبي الله ونعم الوكيل. اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بعزك، واكنفني شره بقدرتك ومُنَّ علي بنصرك وإلا هلكت.

قال الربيع: فكتبته في رق وجعلته في حمائل سيفي، فوالله ما هبت المنصور بعدها).

وفي مهج الدعوات/ ١٨٦: (بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قرأت إنا أنزلناه في ليلة القدر حين دخلت على المنصور وهو يريد قتلي فحال الله بينه وبين ذلك، فلما قرأها حين نظر إليه لم يخرج إليه حتى أطفئه. وقيل له: بما احترست؟ قال: بالله، وبقراءة إنا أنزلناه في ليلة القدر، فقلت: يا الله يا الله سبعاً، إني أتشفع إليك بمحمد عليه السلام، أن تغلبه لي.

فمن ابتلي بمثل ذلك فليصنع مثل صنعي ولولا أننا نقرأها ونأمر بقراءتها شيعتنا لتخطفهم الناس، ولكن هي والله لهم كهف).

وفي مهج الدعوات/ ١٨٧: (لما استدعاه المنصور مرة الثالثة بالربذة روينا بإسنادنا إلى محمد بن الحسن الصفار بإسناده في كتاب فضل الدعاء عن إبراهيم بن جبلة عن مخزمة الكندي قال: لما نزل أبو جعفر المنصور الربذة وجعفر بن محمد يومئذ بها قال: من يعذرني من جعفر هذا؟ قدم رجلاً وأخر أخرى يقول أنتحي عن محمد، أقول: يعني محمد بن عبد الله بن الحسن، فإن يظفر فإنما الأمر لي وإن تكن الأخرى فكنت قد أحرزت نفسي. أما والله لأقتلنه ثم التفت إلى إبراهيم بن جبلة فقال: يا ابن جبلة قم إليه فضع في عنقه ثيابه ثم ائتني به سحباً! قال إبراهيم: فخرجت حتى أتيت منزله فلم أصبه فطلبت في مسجد أبي ذر فوجدته في باب المسجد قال: فاستحييت أن أفعل ما أمرت فأخذت بكمه فقلت له: أجب أمير المؤمنين فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون دعني حتى أصلي ركعتين ثم بكى بكاء شديداً وأنا خلفه، ثم قال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقةٌ وعدة، فكم من كرب يضعف عنه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه القريب، ويشمت به العدو، وتعييني فيه الأمور، أنزلته بك وشكوته إليك، راغباً فيه إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته وكفيتني، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل حاجة، فلك الحمد كثيراً، ولك المن فاضلاً).

وفي مهج الدعوات/ ١٨٩: (قال أبي الربيع الحاجب: بعث المنصور إبراهيم بن جبلة إلى المدينة ليشخص جعفر بن محمد، فحدثني إبراهيم بعد قدومه بجعفر أنه لما دخل إليه فأخبره

برسالة المنصور سمعته يقول: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، واتكالي في كل أمر نزل بي عليك ثقةً وبك عُدّة.

قال الربيع: فلما وافي إلى حضرة المنصور دخلت فأخبرته بقدم جعفر بن محمد وإبراهيم فدعا المسيب بن زهير الضبي فدفع إليه سيفاً وقال له: إذا دخل جعفر بن محمد فخاطبته وأومأت إليك فاضرب عنقه، ولا تستأمر.

فخرجت إليه وكان صديقاً لي ألقاه وأعاشره إذا حججت، فقلت: يا ابن رسول الله إن هذا الجبار قد أمر فيك بأمر أكرهه أن ألقاك به، وإن كان في نفسك شيء تقوله أو توصيني به. فقال: لا يروعك ذلك، فلو قد رأني لزال ذلك كله، ثم أخذ بمجامع الستر فقال: يا إله جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليه السلام، تولني في هذه الغداة ولا تسلط عليّ أحداً من خلقك بشيء لا طاقة لي به، ثم دخل فحرك شفتيه بشيء لم أفهمه، فنظرت إلى المنصور فما شبهته إلا بنار صب عليها ماء فخدمت، ثم جعل يسكن غضبه حتى دنا منه جعفر بن محمد عليه السلام وصار مع سريره فوثب المنصور وأخذ بيده ورفع على سريره ثم قال له: يا أبا عبد الله يعز عليّ تعبك وإنما أحضرتك لأشكو إليك أهلكت قطعوا رحمي، وطعنوا في ديني وألبوا الناس عليّ، ولو ولي هذا الأمر غيري ممن هو أبعد رحماً مني لسمعوا له وأطاعوا!...

قال: نعم حدثني أبي عن جدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: احتضر رجل بارٌّ في جواره رجل عاقٌّ، قال الله عز وجل للملك الموت: يا ملك الموت كم بقي من أجل العاق؟ قال: ثلاثون سنة، قال: حولها إلى هذا البار! فقال المنصور: يا غلام اتنني بالغالية فأتاه بها فجعل يغلفه بيديه، ثم دفع إليه أربعة آلاف دينار ودعا بدابته فأتي بها، فجعل يقول: قدّم قدّم، إلى أن أتي بها إلى عند سريره، فركب جعفر بن محمد عليه السلام وعدوت بين يديه فسمعته يقول: الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني، وإن كنت بطيئاً حين يدعوني!

فقلت له: يا ابن رسول الله إن هذا الجبار يعرضني على السيف كل قليل! ولقد دعا المسيب بن

زهير فدفع إليه سيفاً وأمره أن يضرب عنقك، وإني رأيتك تحرك شفتيك حين دخلت بشيء لم أفهمه عنك؟ فقال: ليس هذا موضعه، فرحت إليه عشياً قال: نعم حدثني أبي عن جدي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ألبت عليه اليهود وفزارة وغطفان وهو قوله تعالى: إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا وكان ذلك اليوم من أغلظ يوم على رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يدخل ويخرج وينظر إلى السماء ويقول: ضيقي تتسعي، ثم خرج في بعض الليل فرأى شخصاً فقال لحذيفة: أنظر من هذا؟ فقال: يا رسول الله هذا علي بن أبي طالب، فقال له رسول الله: يا أبا الحسن أما خشيت أن تقع عليك عين؟ قال: إني وهبت نفسي لله ولرسوله، وخرجت حارساً للمسلمين في هذه الليلة، فما انقضى كلامها حتى نزل جبرئيل وقال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: قد رأيت موقف علي بن أبي طالب منذ الليلة وأهديت له من مكنون علمي كلمات لا يتعوذ بها عند شيطان مارد ولا سلطان جائر ولا حرق ولا غرق ولا هدم ولا ردم ولا سبع ضار ولا لص قاطع، إلا آمنه الله من ذلك! في مهج الدعوات/ ١٩٣: (ومن ذلك دعاء مولانا الصادق عليه السلام لما استدعاه المنصور مرة خامسة إلى بغداد، قبل قتل محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن. قال:

حدثني محمد بن الربيع الحاجب قال: قعد المنصور أمير المؤمنين يوماً في قصره في القبة الخضراء، وكانت قبل قتل محمد وإبراهيم تدعى الحمراء وكان له يوم يقعد فيه يسمى ذلك اليوم يوم الذبح، وقد كان أشخص جعفر بن محمد من المدينة فلم يزل في الحمراء نهاره كله حتى جاء الليل ومضى أكثره قال: ثم دعا أبي الربيع فقال: يا ربيع إنك تعرف موضعك مني وأنه يكون لي الخبر ولا تظهر عليه أمهات الأولاد وتكون أنت المعالج له فقال قلت له: يا أمير المؤمنين ذلك من فضل الله علي وفضل أمير المؤمنين، وما فوقني في النصح غاية. قال: كذلك أنت سر الساعة إلى جعفر بن محمد بن فاطمة فأتني به على الحال الذي تجده عليه لا تغير شيئاً مما عليه فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا والله هو العطب إن أتيت به على ما أراه من غضبه قتله وذهبت الآخرة، وإن لم آت به وأذهبت في أمره قتلني وقتل

نسلي وأخذ أموالى فميزت بين الدنيا والآخرة فمالت نفسي إلى الدنيا. قال محمد بن الربيع: فدعاني أبي وكنت أفض ولده وأغلظهم قلباً! فقال لي: إمض إلى جعفر بن محمد فتسلق على حائطه ولا تستفتح عليه باباً فيغير بعض ما هو عليه، ولكن إنزل عليه نزولاً فأت به على الحال التي هو فيها! قال: فأتيته وقد ذهب الليل إلا أقله فأمرت بنصب السلالم وتسلفت عليه الحائط، فنزلت عليه داره فوجدته قائماً يصلي وعليه قميص ومنيديل قد ائتزر به، فلما سلم من صلاته قلت له: أجب أمير المؤمنين، فقال: دعني أدعو وألبس ثيابي فقلت له: ليس إلى تركك وذلك سبيل! قال: فأدخل المغتسل فأطهر، قال: قلت: وليس إلى ذلك سبيل! فلا تشغل نفسك فيني لا أدعك تغير شيئاً، قال: فأخرجته حافياً حاسراً في قميصه ومنيديه، وكان قد جاوز السبعين! فلما مضى بعض الطريق ضعف الشيخ فرحمته فقلت له: إركب فركب بغلاً شاكراً كان معنا، ثم صرنا إلى الربيع فسمعتة وهو يقول له: ويلك يا ربيع قد أبطأ الرجل وجعل يستحثة استحاثاً شديداً، فلما أن وقعت عين الربيع على جعفر بن محمد وهو بتلك الحال بكى، وكان الربيع يتشيع! فقال له جعفر: يا ربيع أنا أعلم ميلك إلينا فدعني أصلي ركعتين وأدعو، قال: شأنك وما تشاء فصلى ركعتين خففيهما، ثم دعا بعدهما بدعاء لم أفهمه، إلا أنه دعاء طويل والمنصور في ذلك كله يستحث الربيع.

فلما فرغ من دعائه على طوله أخذ الربيع بذراعيه فأدخله على المنصور، فلما صار في صحن الإيوان وقف ثم حرك شفثيه بشيء ما أدري ما هو، ثم أدخلته فوقف بين يديه فلما نظر إليه قال: وأنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك وفسادك، على أهل هذا البيت من بني العباس، وما يزيدك الله بذلك إلا شدة حسد ونكد ما يبلغ به ما تقدره!

فقال له: والله يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئاً من هذا، ولقد كنت في ولاية بني أمية وأنت تعلم أنهم أعداء الخلق لنا ولكم، وأنهم لا حق لهم في هذا الأمر، فوالله ما بغيت عليهم ولا بلغهم عني سوء مع جفائهم الذي كان لي، فكيف يا أمير المؤمنين أصنع الآن هذا، وأنت ابن عمي وأمس الخلق بي رحماً، وأكثرهم عطاء وبراً، فكيف أفعل هذا؟! فأطرق المنصور

ساعة وكان على لبد وعن يساره مرفقة جرمقانية، وتحت لبده سيف ذو فقار كان لا يفارقه إذا قعد في القبة. قال أبطلت وأثمت، ثم رفع ثني الوسادة فأخرج منها أضيارة كتب فرمى بها إليه وقال: هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي وأن يباعدوك دوني! فقال: والله يا أمير المؤمنين ما فعلت، ولا أستحل ذلك ولا هو من مذهبي، وإني لمؤمن يعتقد طاعتك على كل حال، وقد بلغت من السن ما قد أضعفني من ذلك لو أردته، فصيرني في بعض جيوشك حتى يأتيني الموت فهو مني قريب، فقال: لا ولا كرامة! ثم أطرق وضرب يده إلى السيف فسل منه مقدار شبر وأخذ بمقبضه، فقلت: إنا لله ذهب والله الرجل، ثم رد السيف ثم قال: يا جعفر أما تستحي مع هذه الشيبة ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل وتشق عصا المسلمين، تريد أن تريق الدماء وتطرح الفتنة بين الرعية والأولياء، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما فعلت ولا هذه كتبتي ولا خطي ولا خاتمي، فانتضى من السيف ذراعاً فقلت: إنا لله مضى الرجل، وجعلت في نفسي إن أمرني فيه بأمر أن أعصيه لأنني ظننت أنه يأمرني أن آخذ السيف فأضرب به جعفرأ! فقلت إن أمرني ضربت المنصور وإن أتى ذلك علي وعلى ولدي وتبت إلى الله عز وجل مما كنت نويت فيه أولاً. فأقبل يعاتبه وجعفر يعتذر ثم انتضى السيف كله إلا شيئاً يسيراً منه فقلت: إنا لله مضى والله الرجل، ثم أغمد السيف وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: أظنك صادقاً، ياربيع هات العيبة من موضع كانت فيه في القبة فأثيته بها، فقال: أدخل يدك فيها فكانت مملوءة غالية وضعها في لحيته وكانت بيضاء فاسودت، وقال: إجمله على فاره من دواي التي أركبها، وأعطه عشرة آلاف درهم، وشيعه إلى منزله مكرماً وخيره إذا أتيت به إلى المنزل بين المقام عندنا فنكرمه، والانصراف إلى مدينة جده رسول الله، فخر جنا من عنده وأنا مسرور فرح لسلامة جعفر عليه السلام ومتعجب مما أراد المنصور وما صار إليه من أمره...!

قلت: يا أمير المؤمنين رأيت منك عجباً، قال: ما هو؟ قلت: يا أمير المؤمنين رأيت غضبك على جعفر غضباً لم أرك غضبته على أحد قط، ولا على عبد الله بن الحسن ولا على غيره من

كل الناس حتى بلغ بك الأمر أن تقتله بالسيف، وحتى أنك أخرجت من سيفك شبراً ثم أغمدته، ثم عاتبته ثم أخرجت منه ذراعاً ثم عاتبته، ثم أخرجته كله إلا شيئاً يسيراً، فلم أشك في قتلك له، ثم انحل ذلك كله فعاد رضى حتى أمرتني فسودت لحيته بالغالية التي لا يتغلف منها إلا أنت ولا يغلف منها ولدك المهدي ولا من وليته عهدك ولا عمومك، وأجزته وحملته، وأمرتني بتشيعه مكرماً!

فقال: ويحك يا ربيع ليس هو مما ينبغي أن يحدث به وستره أولى ولا أحب أن يبلغ ولد فاطمة فيفخرون ويتيهون بذلك علينا! حسبنا ما نحن فيه، ولكن لا أكتمك شيئاً، أنظر من في الدار فنحهم، قال: فنحيت كل من في الدار ثم قال لي: إرجع ولا تبق أحداً ففعلت ثم قال لي: ليس إلا أنا وأنت والله لئن سمعت ما ألقىته إليك من أحد لأقتلنك وولدك وأهلك أجمعين، ولا أخذن مالك. قال: قلت: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله.

قال: يا ربيع قد كنت مصرّاً على قتل جعفر ولا أسمع له قولاً، ولا أقبل له عذراً، وكان أمره وإن كان ممن لا يخرج بسيف أغلظ عندي وأهم علي من أمر عبد الله بن حسن، وقد كنت أعلم هذا منه ومن آبائه على عهد بني أمية فلما هممت به في المرة الأولى تمثل لي رسول الله فإذا هو حائل بيني وبينه باسط كفيه حاسر عن ذراعيه قد عبس وقطب في وجهي فصرفت وجهي عنه، ثم هممت به في المرة الثانية وانتضيت من السيف أكثر مما انتضيت منه في المرة الأولى، فإذا أنا برسول الله قد قرب مني ودنا شديداً وهمّ بي أن لو فعلت لفعل، فأمسكت ثم تجاسرت وقلت: هذا بعض أفعال الرئي، ثم انتضيت السيف في الثالثة فتمثل لي رسول الله باسط ذراعيه قد تشمر واحمر وعبس وقطب حتى كاد أن يضع يده علي فخفت والله لو فعلت لفعل فكان مني ما رأيت وهؤلاء من بني فاطمة ولا يجهل حقهم إلا جاهل لا حظ له في الشريعة، فيايك أن يسمع هذا منك أحد! قال محمد بن الربيع: فما حدثني به أبي حتى مات المنصور، وما حدثت أنا به حتى مات المهدي وموسى وهارون وقتل محمد! وفي مهج الدعوات/١٩٨: (رفع رجل من قريش المدينة من بني مخزوم إلى أبي جعفر المنصور

وذلك بعد قتله لمحمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن أن جعفر بن محمد بعث مولاة المعلی بن خنیس لجباية الأموال من شيعته، وأنه كان يمد بها محمد بن عبد الله، فكاد المنصور أن يأكل كفه على جعفر غيظاً، وكتب إلى عمه داود بن علي وداود إذ ذاك أمير المدينة أن يسير إليه جعفر بن محمد ولا يرخص له في التلوم والمقام، فبعث إليه داود بكتاب المنصور وقال له: إعمد على المسير إلى أمير المؤمنين في غد ولا تتأخر.

قال صفوان الجمال: وكنت بالمدينة يومئذ فأنفذ إلي جعفر عليه السلام فصرت إليه فقال لي: تعهد راحلتنا فإننا غادون في غد إن شاء الله إلى العراق، ونهض من وقته وأنا معه إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وكان ذلك بين الأولى والعصر فركع فيه ركعات ثم رفع يديه فحفظت يومئذ ومن دعائه: يا من ليس له ابتداء ولا انقضاء، يا من ليس له أمد ولا نهاية، ولا ميقات ولا غاية، يا ذا العرش المجيد والبطش الشديد، يا من هو فعال لما يريد، يا من لا يخفى عليه اللغات ولا تشتبه عليه الأصوات، يا من قامت بجبروته الأرض والسموات، يا حسن الصحبة، يا واسع المغفرة، يا كريم العفو، صل على محمد وآل محمد واحرسني في سفري ومقامي وفي حركتي وانتقالي بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يضام. اللهم إني أتوجه في سفري هذا بلا ثقة مني بغيرك ولا رجاء يأوي بي إلا إليك، ولا قوة لي أتكل عليها ولا حيلة ألجأ إليها إلا ابتغاء فضلك، والتماس عافيتك، وطلب فضلك، وإجراؤك لي على أفضل عوائدك عندي.

اللهم وأنت أعلم بما سبق لي في سفري هذا مما أحب وأكره، فمهما أوقعت عليه قدرك فمحمود فيه بلاؤك منتصح فيه قضاؤك، وأنت تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب اللهم فاصرف عني فيه مقادير كل بلاء، ومقضي كل لأواء، وابسط علي كنفاً من رحمتك ولطفاً من عفوك، وتاماً من نعمتك، حتى تحفظني فيه بأحسن ما حفظت به غائباً من المؤمنين وخلفته، في ستر كل عورة، وكفاية كل مضرة، وصر ف كل محذور وهب لي فيه أمناً وإيماناً وعافية ويسراً وصبوراً وشكراً، وأرجعني فيه سالماً إلى سالمين، يا أرحم الراحمين. قال

صفوان: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام بأن يعيد الدعاء عليّ فأعادته وكتبته، فلما أصبح أبو عبد الله عليه السلام رحّلت له الناقة وسار متوجّهاً إلى العراق حتى قدم مدينة أبي جعفر وأقبل حتى استأذن فأذن له.

قال صفوان: فأخبرني بعض من شاهده عند أبي جعفر قال: فلما رآه أبو جعفر قربه وأدناه ثم استدعى قصة الرافع على أبي عبد الله عليه السلام يقول في قصته: إن معلى بن خنيس مولى جعفر بن محمد يجبي له الأموال من جميع الآفاق، وإنه مد بها محمد بن عبد الله! فدفع إليه القصة فقرأها أبو عبد الله عليه السلام فأقبل عليه المنصور فقال: يا جعفر بن محمد ما هذه الأموال التي يجيها لك معلى بن خنيس؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: معاذ الله من ذلك يا أمير المؤمنين. قال له: تحلف على براءتك من ذلك؟ قال: نعم أحلف بالله. أنه ما كان من ذلك شيء. قال أبو جعفر: لا بل تحلف بالطلاق والعتاق. فقال أبو عبد الله: أما ترضى يميني بالله الذي لا إله إلا هو! قال أبو جعفر: فلا تتفقه عليّ! فقال أبو عبد الله: فأين تذهب بالفقه مني يا أمير المؤمنين؟ قال له: دع عنك هذا فإني أجمع الساعة بينك وبين الرجل الذي رفع عنك حتى يواجهك فأتوا بالرجل وسألوه بحضرة جعفر، فقال: نعم هذا صحيح، هذا جعفر بن محمد والذي قلت فيه كما قلت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: تحلف أيها الرجل إن هذا الذي رفعته صحيح؟ قال: نعم، ثم ابتداءً الرجل باليمين فقال: والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب الحي القيوم.. فقال له جعفر عليه السلام: لا تعجل في يمينك، فإني أنا أستحلف. قال المنصور: وما أنكرت من هذه اليمين؟ قال: إن الله تعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا أثنى عليه أن يعاجله بالعقوبة مدحه له ولكن قل يا أيها الرجل: أبرأ إلى الله من حوله وقوته، وأجأ إلى حولي وقوتي أني لصادق برٌّ فيما أقول. فقال المنصور للقرشي: إحلف بما استحلفك به أبو عبد الله، فحلف الرجل بهذه اليمين فلم يستتم الكلام حتى أجذم وخر ميتاً! فراع أبا جعفر ذلك وارتعدت فرائصه، فقال: يا أبا عبد الله سر من غد إلى حرم جدك إن اخترت ذلك، وإن اخترت المقام عندنا لم نأل في إكرامك وبرك، فوالله لا قبلت عليك قول

أحد بعدها أبداً)!

وفي مرة أخرى أمر المنصور بإحضار الإمام عليه السلام، قال محمد بن عبد الله الإسكندري (مهج الدعوات/٢٠١): (فقلت له: يا أمير المؤمنين إنه رجل أنحلته العبادة واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة، فقال: يا محمد وقد علمت أنك تقول بإمامته ولكن الملك عقيم، وقد آليت على نفسي أن لا أمسي عشيتي هذه أو أفرغ منه، قال محمد: والله لقد ضاقت عليّ الأرض برحبها، ثم دعا سيافاً فقال له: إذا أنا أحضرت أبا عبد الله الصادق وشغلته بالحديث ووضعت قننسوتي عن رأسي، فهو العلامة بيني وبينك فاضرب عنقه!

ثم أحضر أبا عبد الله عليه السلام في تلك الساعة ولحقته في الدار وهو يجر كسفتيه، فلم أدر ما هو الذي قرأه فرأيت القصر يموج كأنه سفينة في لجج البحار، فرأيت أبا جعفر المنصور وهو يمشي بين يديه حافي القدمين مكشوف الرأس قد اصطكت أسنانه وارتعدت فرائضه يحمّر ساعة ويصفّر أخرى وأخذ بعضد أبي عبد الله الصادق عليه السلام وأجلسه على سرير ملكه، وجثى بين يديه كما يجثو العبد بين يدي مولاه، ثم قال له: يا ابن رسول الله ما الذي جاء بك في هذه الساعة؟ قال: جئتك يا أمير المؤمنين طاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله ولأمر المؤمنين أدام الله عزه! قال: ما دعوتك والغلط من الرسول!

ثم قال: سل حاجتك. فقال: أسألك أن لا تدعوني لغير شغل. قال: لك ذلك، وغير ذلك، ثم انصرف أبو عبد الله وحمدت الله عز وجل كثيراً ودعا أبو جعفر المنصور بالروائح ونام ولم يتبّه إلا في نصف الليل، فلما انتبه كنت عند رأسه جالساً فسرّه ذلك وقال لي: لا تخرج حتى أقضي ما فاتني من صلاتي، فأحدثك بحديث، فلما قضى صلاته أقبل عليّ وقال لي: لما أحضرت أبا عبد الله الصادق وهممت به ما هممت من سوء رأيت تينياً قد حوى بذنبه جميع داري وقصري، وقد وضع شفتيه العليا في أعلاها والسفلى في أسفلها، وهو يكلمني بلسان طلق ذلق عربي مبين: يا منصور إن الله تعالى جده قد بعثني إليك وأمرني إن أنت أحدثت في أبي عبد الله الصادق حدثاً، فأنا أبتلعك ومن في دارك جميعاً، فطاش عقلي

وارتعدت فرائصي واصطكت أسناني!

قال محمد بن عبد الله الإسكندري: قلت له: ليس هذا بعجيب يا أمير المؤمنين، فإن أبا عبد الله وارث علم النبي صلى الله عليه وآله وجاهه أمير المؤمنين علي، وعنده من الأسماء وسائر الدعوات التي لو قرأها على الليل لأنار، ولو قرأها على النهار لأظلم، ولو قرأها على الأمواج في البحور لسكنت! قال محمد: فقلت له بعد أيام: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أخرج إلى زيارة أبي عبد الله الصادق فأجاب فلم يأب، فدخلت على أبي عبد الله وسلمت وقلت له: أسألك يا مولاي بحق جدك محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أن تعلمني الدعاء الذي كنت تقرأه عند دخولك على أبي جعفر في ذلك اليوم قال: لك ذلك فأملأه عليّ: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام.. إلى آخر الدعاء).

وروى القطب الراوندي في الخرائج (٢/٦٤٧): (عن ابن مخرمة الكندي قال: إن أبا الدوانيق نزل بالربذة وجعفر الصادق عليه السلام بها، قال: من يعذرني من جعفر والله لأقتلنه! فدعاه فلما دخل عليه جعفر عليه السلام قال: يا أمير المؤمنين إرفق بي، فوالله لقلما أصححك! فقال أبو الدوانيق: إنصرف. ثم قال لعيسى بن علي: إلقه فسله أي أم به؟ فخرج يشد حتى لحقه فقال: يا أبا عبد الله إن أمير المؤمنين يقول: أبك أم به؟ قال: لا بل بي!) أقول: جعل ابن طاووس ذلك في إحضاره ثالث مرة في الربذة. والراوي إبراهيم بن مخرمة الكندي، من رؤساء الكنديين، وكان مقرباً عند السفاح والمنصور.

وأحضره المنصور وجميع الحسينيين والحسينيين!

وذلك لما انتصر على إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وقد روى ذلك الإمام الصادق نفسه عليه السلام قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين/٢٣٣: (حدثنا جعفر بن محمد عليه السلام من فيه إلى أذني قال: لما قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بياخمرى، حُسرنا عن المدينة، ولم يُترك فيها منا محتلم، حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً، نتوقع القتل! ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال: أين هؤلاء العلوية؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى. قال: فدخلنا إليه أنا والحسن بن

زيد، فلما صرت بين يديه قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟ قلت: لا يعلم الغيب إلا الله.
قال: أنت الذي يجيى إليك هذا الخراج؟ قلت: إليك يجيى يا أمير المؤمنين الخراج. قال:
أتدرون لم دعوتكم؟ قلت: لا. قال: أردت أن أهدم رباعكم وأروع قلوبكم وأعقر نخلكم،
وأترككم بالسراة لا يقربكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق فإنهم لكم مفسدة! فقلت
له: يا أمير المؤمنين، إن سليمان أعطي فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف ظلم
فغفر، وأنت من ذلك النسل! قال: فتبسم وقال: أعد عليّ فأعدت، فقال: مثلك فليكن
زعيم القوم وقد عفوت عنكم ووهبت لكم جرم أهل البصرة، حدثني الحديث الذي
حدثني عن أبيك عن آباءه عن رسول الله. قلت: حدثني أبي عن آباءه عن علي عن رسول
الله صلى الله عليه وآله: صلة الرحم تعمّر الديار وتطيل الأعمار وإن كانوا كفاراً. فقال: ليس هذا. فقلت:
حدثني أبي عن آباءه عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الأرحام معلقة بالعرش تنادي: اللهم
صل من وصلني واقطع من قطعني. قال: ليس هذا. فقلت: حدثني أبي عن آباءه عن علي
عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل يقول: أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً
من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته. قال: ليس هذا الحديث. قلت: حدثني
أبي عن آباءه عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن ملكاً من الملوك في الأرض كان بقي من عمره
ثلاث سنين، فوصل رحمه فجعلها الله ثلاثين سنة. فقال: هذا الحديث أردت! أي البلاد
أحب إليك؟ فوالله لأصلن رحمي إليكم. قلنا المدينة فسر حنا إلى المدينة وكفى الله مؤنته).
أقول: معناه أن المنصور أسر جميع أبناء علي وفاطمة عليهما السلام حتى الصبيان وجاء بهم إلى الكوفة.
ويدل سؤاله للإمام الصادق عليه السلام: أنت تعلم الغيب وأنت يجيى إليك الخراج؟ على تجبره وتنمره
ونسبانه جميل الإمام وأبيه الباقر عليهما السلام بإخباره بأنه سيملك وأنه سيقتل المهدي الحسني الذي كان
يأخذ بركابه ويقول هذا مهدينا أهل البيت، وأخاه إبراهيم! ويدل طلبه لحديث النبي صلى الله عليه وآله عن
صلة الرحم، أنه يريد النفع المادي له بطول عمره، والإمام عليه السلام يعرف ذلك، لكنه أراد أن
يتم عليه الحجة فتلا عليه أحاديث أخرى قبل ما أراده، في صلة الرحم لعله يخفف طغيانه!

وأحضره المنصور الى بغداد الى حفلة نصب ولي عهده!

قال محمد بن إبراهيم الإمام العباسي: (أرسل المنصور بكرةً واستعجلني الرسول وظننت أن ذلك لأمر حادث فركبت إذ سمعت وقع الحافر فقلت للغلام: أنظر من هذا فقال: هذا أخوك عبد الوهاب فرفقت في السير فلحقني فسلمت عليه وسلم علي فقال: أتاك رسول هذا؟ قلت: نعم، فهل أتاك؟ قال: نعم، قلت: فيمَ ذاك ترى؟ قال: تجده اشتهى خلاً وزيتاً يريد الغداء فأحب أن نأكل معه! قلت: ما أرى ذلك وما أظن هذا إلا لأمر! قال: فانتهينا إليه فدخلنا فإذا الربيع واقف عند الستر وإذا المهدي ولي العهد في الدهليز جالس وإذا عبد الصمد بن علي، ودواد بن علي، وإسماعيل بن علي، وسليمان بن علي وجعفر بن محمد بن علي بن حسين، وعبد الله بن حسن بن حسن، والعباس بن محمد.

قال الربيع: إجلسوا مع بني عمكم، قال: فجلسنا فدخل الربيع وخرج فقال للمهدي: أدخل أصلحك الله ثم دخل فقال: أدخلوا جميعاً فدخلنا وسلمنا وأخذنا مجالسنا، فقال للربيع: هات دويماً وما يكتبون فيه فوضع بين يدي كل واحد منا دواة وورقاً، ثم التفت إلى عبد الصمد بن علي فقال: يا عم حدث ولدك وإخوتك وبني أخيك حديث البر والصلة، فقال عبد الصمد: حدثني أبي عن جدي عبد الله بن العباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إن البر والصلة ليطيّلان الأعمار ويعمران الديار ويكثران الأموال ولو كان القوم فجاراً. ثم التفت المنصور إلى جعفر بن محمد فقال: يا أبا عبد الله حدث إخوتك وبني عمك بحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: ما من ملك يصل رحمه وذوي قرابته ويعدل على رعيتيه، إلا شدد الله له ملكه وأجزل له ثوابه وأكرم ما به وخفف حسابه) (تاريخ دمشق: ٢٤٢/٣٦، والمنتظم: ١٠٦/٩).

فكان إحضار المنصور لشخصيات بني العباس وبني علي عليه السلام ليروي لهم أحاديث صلة الرحم، ويجمعهم حول ولي عهده الذي سماه المهدي!

وكان المنصور مفرطاً في حب ابنه محمد، فجعله ولي عهده، وبني له مدينة الرصافة، وزعم

أنه هو المهدي الموعود!

قال الطبري (٢٩٢/٦): (وبنى له الرصافة (سنة ١٥١) وعمل لها سوراً وخذقاً وميداناً وبستاناً، وأجرى له الماء فكان يجري من نهر المهدي إلى الرصافة).

وقد ألقى المنصور بثقله لإنجاح مشروع المهديوية في ابنه، فعقد المجالس لمدحه، وأقام في قصر الرصافة احتفالاً تاريخياً ومجلساً شرعياً، وأحضر الفقهاء والقضاة، فبايعوه بولاية العهد، وشهدوا بأنه هو المهدي المنتظر الموعود من النبي صلى الله عليه وآله!

قال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٣١٣/١٣): (إن المنصور كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضار الناس فحضروا وقامت الخطباء فتكلموا، وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله وفيهم مطيع بن إياس، فلما فرغ من كلام الخطباء وإنشاد الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أن النبي صلى الله عليه وآله قال: المهدي منا: محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً. وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك! ثم أقبل على العباس فقال له: أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم! مخافةً من المنصور!

فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي! قال: ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لم يأنس به قال: رأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله حتى استشهدني على كذبه فشهدت له خوفاً، وشهد كل من حضر عليّ بأني كاذب!

وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر، وكان مطيع منقطعاً إليه يخدمه، فخافه وطرده عن خدمته! قال: وكان جعفر ماجناً فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه، وشقت عليه البيعة لمحمد، فأخرج (آلته بدون كناية) ثم قال: إن كان أخي محمد هو المهدي، فهذا القائم من آل محمد! راجع: الطبري: ٢٦٩/٦، واليعقوبي: ٣٩٥/٢، ومعارف ابن قتيبة/ ٣٧٩، والنهاية: ١٠/ ١١١، وشذرات

الذهب: ٢١٩/١، وعبر الذهبي: ٢٠٧/١، وتاريخ دمشق: ٩/٤٨.

واعترف هارون بكذبة جده المنصور! فروى عنه سليمان بن إسحاق العباسي قال: (كنت

يوماً عند الرشيد فذكر المهدي وما ذكر من عدله فأطنب في ذلك، فقال الرشيد: أحسبكم تحسبون أبي المهدي! حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب، أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: يا عم، يملك من ولدي إثنا عشر خليفة، ثم تكون أمور كريمة شديدة عظيمة، ثم يخرج المهدي من ولدي، يصلح الله أمره في ليلة، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويمكن في الأرض ما شاء الله، ثم يخرج الدجال). (إعلام الوري: ٢/١٦٥، وقصص الأنبياء/ ٣٦٩، والمناقب: ١/ ٢٩٢، والعدد القوية/ ٨٩).

أما المهدي العباسي فلم يكثر بادعاء أبيه له! وكان مستغرقاً في عالم الصيد واللهو والخمر!



أحضر المنصور الإمام الصادق عليه السلام في آخر مرة!

كان المنصور يعلن أنه متعطش لدم عترة النبي صلى الله عليه وآله وأنه قتل من أولاد فاطمة عليها السلام أكثر من ألف لكن ما فائدة ذلك وكبيرهم وسيدهم حي لم يقتل، يقصد الإمام الصادق عليه السلام! كان يعترف بمقامه ويعتذر بأن الملك عقيم! وهذا عذر الطغاة عبر التاريخ بأن الغاية تبرر الوسيلة، ولا وزن له عند عقل ولا شرع!

روى ابن حمزة الفقيه في الثاقب في المناقب / ٢٠٨ وفي عيون المعجزات / ٨٠: (قال محمد بن الأسقنطري الإسكندري): كنت من خواص المنصور أبي جعفر الدوانيقي وكنت أقول بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فدخلت يوماً على أبي جعفر الدوانيقي وإذا هو يفرك يديه ويتنفس تنفساً بارداً، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه الفكرة؟ فقال: يا محمد إنني قتلت من ذرية فاطمة بنت رسول الله ألفاً أو يزيدون وقد تركت سيدهم المشار إليه! فقلت له: ومن ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذلك جعفر بن محمد. فقلت له: إن جعفر بن محمد رجل قد أنحلته العبادة واشتغل بالله عما سواه وعما في أيدي الملوك.

فقال: يا محمد قد علمت بأنك تقول بإمامته، والله إنه لإمام هذا الخلق كلهم، ولكن الملك عقيم، وآليت على نفسي أن لا أمسي أو أفرغ منه.

قال محمد: فوالله لقد أظلم عليّ البيت (الغرفة) من شدة الغم، ثم دعا المنصور بالموائد فأكل وشرب ثلاثة أرطال، ثم أمر الحاجب أن يخرج كل من في المجلس ولم يبق إلا أنا وهو، ثم دعا بسيف له وقال له: ويحك يا سيف! فقال له: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: إذا أنا أحضرت جعفر بن محمد وجاريتته الحديث وقلعت القلنسوة عن رأسي فاضرب عنقه. فقال: نعم يا أمير المؤمنين. قال محمد: فضاقت عليّ الأرض برحبها، فلحقت السيف فقلت له سرّاً: ويلك تقتل جعفر بن محمد ويكون خصمك رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال السيف: والله لأفعلن ذلك، فقلت: وما الذي تفعل؟ قال: إذا حضر أبو عبد الله وشغله أبو جعفر الدوانيقي بالكلام وأخذ قلنسوته عن رأسه، ضربت عنق أبي جعفر الدوانيقي! ولم أبال بما قد صرت إليه ولا ما يكون من أمري! فقلت: قد أصبت الرأي فاحضر أبو عبد الله جعفر عليه السلام على حمار مصري فلحقته في الستر الأول وهو يقول: يا كافي موسى من فرعون يا كافي محمد الأحزاب، ثم لحقته في الستر الذي بينه وبين المنصور وهو يقول: يا دائم ثم تكلم بكلام وأطبق شفثيه ولم أدر ما الذي قال، فرأيت القصر يموج بي كأنه سفينة في موج البحار ورأيت المنصور وهو يسعى بين يدي أبي عبد الله الصادق عليه السلام حافي القدم مكشوف الرأس، قد اصطكت أسنانه وارتعدت فرائصه، يَسْوَدُ ساعة وَيَصْفُرُ ساعة أخرى حتى أخذ بعضد أبي عبد الله وأجلسه على سرير ملكه وجثى بين يديه كما يجثو العبد بين يدي سيده، ثم قال له: يا ابن رسول الله ما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ فقال عليه السلام: دعوتني فأجبتك. فقال له المنصور: سل ما شئت، فقال أبو عبد الله: حاجتي لا تدعوني حتى أجيتك، ولا تسأل عني حتى أسأل عنك. فقال المنصور: لك ذلك، وخرج أبو عبد الله عليه السلام من عنده، فدعا المنصور بالدووايج والفنك والسمور والحواصل وهو يرتعد، فنام تحته فلم ينتبه إلا في نصف الليل! فلما انتبه وإني عند رأسه جالساً فقال لي: أجالس أنت يا محمد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين فقال: إرفق حتى أقضي ما فاتتني من الصلاة وأحدثك.

فلما انفتل من الصلاة أقبل عليّ وقال: يا محمد لما أحضرت أبا عبد الله جعفر بن محمد وقد

هممت من السوء بما قد هممت به، رأيت تَنِيناً قد حوى بذنبه جميع البلد وقد وضع شفته السفلى في أسفل قبتي هذه، وشفته العليا في أعلى مقامي، وهو ينادي بلسان طلق ذلك عربي مبين ويقول: إن الله عز وجل بعثني وأمرني إن أحدثت بجعفر بن محمد حدثاً بأن أبتلعك مع أهل قصرك هذا! فطاش عقلي وارتعدت فرائصي!

قال محمد: قلت: أسحر هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال لي: أسكت ويلك أما تعلم أن جعفر بن محمد وارث النبيين والوصيين وعنده الإسم الأعظم والإسم المخزون الذي لو قرأه على الليل لأنار، وعلى النهار لأظلم، وعلى البحار لسكنت! فقلت يا أمير المؤمنين فدعه على شأنه ولا تسال عنه بعد يومك هذا. فقال المنصور: والله لا سألت عنه أبداً قال محمد: فوالله ما سألت عنه المنصور قط).

أقول: كانت هذه آخر مرة أحضره المنصور. وبعدها لم يسأل عنه من خوفه لا من تقواه لكن قرر أن يكشف محاولاته لقتله أو سمه، حتى تمكن من ذلك! هذا، وقد ورد إسم الراوي في الثاقب/ ٢٠٨، بدل محمد بن الإسكندري (محمد بن الاسقنطوري وكان وزيراً للدوانيقي) ولم أجد ترجمته في وزراء المنصور أو ندائه الذين ذكروا منهم: ابن هرمة الشاعر وهو إبراهيم بن علي بن سلمة (وإني الصفدي: ٢/ ٢٤٠) ومحمد بن جعفر بن عبيدالله بن عباس (تاريخ الذهبي: ٩/ ٥٩٥) والهيثم بن عدي الثعالي الطائي (البرصان والعرجان للجاحظ/ ٣، والأعلام: ٨/ ١٠٤).

وفي مهج الدعوات/ ١٨، عن الشيخ علي بن عبد الصمد بإسناده عن محمد بن عبيدالله الإسكندري: (قال: كنت من ندماء أبي جعفر المنصور وخواصه وكنت صاحب سره).

وفي مهج الدعوات/ ٢٠٢: (قال محمد بن عبد الله الإسكندري: قلت له ليس هذا بعجيب يا أمير المؤمنين فإن أبا عبد الله وارث علم النبي صلى الله عليه وآله وجده أمير المؤمنين علي عليه السلام وعنده من الأسماء وسائر الدعوات التي لو قرأها على الليل لأنار، ولو قرأها على النهار لأظلم، ولو قرأها على الأمواج في البحور لسكنت!

قال محمد: فقلت له بعد أيام: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أخرج إلى زيارة أبي عبد الله الصادق، فأجاب ولم يأب فدخلت على أبي عبد الله وسلمت وقلت له: أسألك يا مولاي بحق جدك محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أن تعلمني الدعاء الذي كنت تقرؤه عند دخولك على أبي جعفر المنصور. قال: لك ذلك، ثم قال لي: يا محمد هذا الدعاء حرز جليل ودعاء عظيم حفظته عن آبائي الكرام عليهم السلام وهو حرز مستخرج من كتاب الله عز وجل العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال لي: أكتب وأمل على ذلك وهو حرز جليل ودعاء عظيم مبارك مستجاب. وفي مهج الدعوات/ ١٩: من قرأه صباحاً كان في أمان الله إلى العشاء ومن قرأه عشاء كان في حفظ الله تعالى إلى الصباح، وقد علمنيه أبي... وهو: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي هداني للإسلام، وأكرمني بالإيمان الياخـره: وأعوذ بالله العظيم من شر إبليس وجنوده وأعوانه وأتباعه).

تاب المنصور عن إحضار الإمام الصادق عليه السلام فاستعمل طرقاً أخرى!

في الكافي (١/٤٧٣): (عن المفضل بن عمر قال: وجه أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن زيد وهو واليه على الحرمين أن أحرق على جعفر بن محمد داره فألقى النار في دار أبي عبد الله فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن إبراهيم خليل الله عليه السلام).

وفي رواية أن عياله خرجوا مذعورين فقالت امرأة: طفلي في الدار، فدخل الإمام عليه السلام من وسط النار وأخذ الطفل وعاد من وسطها وهو يقول: (أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن إبراهيم خليل الله). يقصد أنا ابن إبراهيم الذي جعل الله النار عليه برداً وسلاماً، والذي هو أعراق الثرى التي لا تأكلها النار، وقدروي أن نمرود وصف إبراهيم بأنه أعراق الثرى لا تأكله النار! (نوادير المعجزات/ ١٥٣) وقد بلغت هذه المعجزة المنصور، لكنه عانده بجبروته وحقده، وواصل إصراره على ستم الإمام عليه السلام حتى أذن الله تعالى وقتله بالسم!

وفي نزهة الناظر للحلواني/ ٧٥: (قال الشعبي: كان معاوية كالجمل الطَّب، قال يوماً

والحسن عليه السلام عنده: أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن بحرهما جوداً، وأكرمها جدوداً، وأنصرها عوداً. فقال الحسن: أفعليّ تفتخر! أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن سيد أهل الدنيا، أنا ابن من رضاه رضا الرحمن وسخطه سخط الرحمن، هل لك يا معاوية من قديم تباهى به، أو أب تفاخري به؟ قل لا أو نعم أي ذلك شئت، فإن قلت: نعم أبيت وإن قلت: لا عرفت. قال معاوية فيني أقول: لا، تصديقاً لك، فقال الحسن عليه السلام متمثلاً:

الحق أبلج ما يضل سبيله والحق يعرفه ذووا الأبواب).

أقول: معنى قول الشعبي: معاوية كالجمل الطّب: أنه يتكلم وينظر رد الفعل، فيستمر في موضوعه أو يتراجع عنه حسب الجو!

قال ابن قتيبة في غريب الحديث (١٣٨/٢)، والفائق: (٢/٣٥٥): (في حديث معاوية أن الشعبي وصفه فقال: كان كالجمل الطّب، يأمر بالأمر فإن سكت عنه أقدم، وإن رُدَّ عنه تأخر).

ملاحظات

١- اهتم أتباع السلطة برواية إحضار المنصور للإمام الصادق عليه السلام ليقنته فدفَع الله عنه القتل بالدعاء، طمعاً في الدعاء الذي كان يقرؤه الإمام عليه السلام.

وروت مصادرهم نوعين من دعاء الإمام عليه السلام لدفع شر المنصور، كالذهبي في سيره (٢٦٦/٦) والمزي في تهذيب الكمال (٥/٩٥): (اللهم احرسني بعينك التي لا تنام.. الخ).

٢- كان هدف المنصور من إحضار الإمام عليه السلام في أكثر المرات أن يقتله! وكان له في بعضها أغراض أخرى. ففي أول خلافة أخيه السفاح أحضره مع عبدالله بن الحسن ليبياعاه، ثم أحضره ليسأله عن مهدي الحسينين وأخيه، ثم أحضره الى الحيرة ليمتحنه! قال أبو حنيفة: (لما أقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهى له من المسائل الشداد، فهيات له أربعين مسألة). (مناقب آل أبي طالب: ٣/٣٧٨، وتهذيب الكمال: ٥/٧٩، وسير الذهبي: ٦/٢٥٨).

٣- استفاضت رواية إحضار المنصور للإمام عليه السلام لقتله ثم تراجع عن ذلك! وهذا يدل

على أن الحجة كانت تامة على المنصور وأنه يعرف إمامة الصادق عليه السلام لكنه أصرَّ على قتل الإمام عليه السلام رغم الآيات التي رآها! والإصرار واللجاجة صفة بارزة في شخصية المنصور، وقد صار تعامله مع ولي عهده وابن عمه عيسى بن موسى مضرب المثل، فقد استعمل معه أنواع الحيل والضغوط والترغيب والترهيب حتى عزله ونصب مكانه ابنه الذي سماه بالمهدي، مع أنه ضال مضل كآبيه!

٤- تضمنت بعض الروايات سوء أدب المنصور مع الإمام الصادق عليه السلام مع أنه يعرف إمامته من الله تعالى، مضافاً إلى أن الإمام عليه السلام أكبر سناً من المنصور ببضع عشرة سنة، ثم هو ابن علي والحسين عليهما السلام اللذين تقدسهما الأمة، ومنها بنو هاشم وبنو العباس! ومع ذلك كان المنصور يتجرأ على الإمام عليه السلام ويقول له: (يا جعفر تحاول الفتنة وتريد سفك دماء المسلمين، وتلحد في سلطاني وتبتغي الغوائل. فقال له جعفر بن محمد: يا أمير المؤمنين ما فعلت ذلك ولا أردته، فقد علمت قديماً ما أنا عليه (من عدم قبولي السلطة التي ترأسها) فلا تقبل عليّ من كاذب إن كذب وساع إن سعى بي عندك). (شرح الأخبار: ٣/٣٠٣).

وقال له مرة: (أي عدو الله! إتخذك أهل العراق إماماً يبعثون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل! قتلني الله إن لم أقتلك.. ما تدع حسدك وبغيك وإفسادك على أهل هذا البيت من بني العباس. أما تستحيي مع هذه الشيبة). (مستدرک سفينة البحار: ٦/٢٣٢).

بل أراد المنصور في المدينة أن يذل الإمام عليه السلام فأخرجه معه وهو يتوكأ على يده كما يفعل الكبير مع الصغير! فرآه مولى خالد بن عبد الله القسري فقال: (لوددت أن خدَّ أبي جعفر نعل لجعفر، وتقدم رزام حتى وقف بين يدي المنصور فقال له: أسألُ يا أمير المؤمنين؟ فقال له المنصور: سل هذا، فقال: إني أريدك بالسؤال! فقال له المنصور: سل هذا، فالتفت رزام إلى الإمام عليه السلام فقال له: أخبرني عن الصلاة وحدودها، فقال له: للصلاة أربعة آلاف حد..). (مستدرک سفينة البحار: ٦/٢٣٢).

ونلاحظ في المقابل لين الإمام الصادق عليه السلام ومداراته للجبار! وهذا خط الأنبياء

وأوصيائهم عليهم السلام أمرهم الله أن يسلكوه مع الجبابة ويتحملوا منهم، إلا في استثناءات. والإمام الصادق عليه السلام مؤيد من ربه، تحدثه الملائكة بشهادة المنصور، وهو حجة الله على خلقه، معصوم في قوله وفعله، وما يفعله فتوجيه ربه عز وجل، إما بحكم شرعي أو بما يليق الله في قلبه من علم ويقين.

وقد اقتضت حكمته تعالى أن يمتحن الناس بجبروت المنصور ويمد في عمر الإمام عليه السلام اثنتي عشرة سنة في خلافة هذا الجبار حتى أذن بشهادته بالسلم سنة ١٤٨.

وفي هذه المدة قام الإمام عليه السلام بأعمال عظيمة في بلورة خط أهل البيت عليهم السلام، وكشف الخطوط المنحرفة، وترسيخ ما شيده هو وأباؤه عليهم السلام.

ولعل هذه السنوات الإثنتي عشرة مع الأربع سنوات في زمن السفاح أخصب سنوات عمر الإمام عليه السلام في بث العلوم وتخريج العلماء، وتعميق الإيمان في عقول الخاصة والعامة، مما سمعت به الأمة وعاشته آنذاك، ووصلت إلينا بعض بركاته.



تغسيل الإمام الصادق عليه السلام وتكفينه

استفاضت الأحاديث عندنا أن الإمام المعصوم لا يغسله إلا إمام مثله، وفي رواية: وصيه والإمام بعده، فتغسيل جثمان الإمام دليل على الإمام بعده عليه السلام.

روى في المناقب (٣/٣٥١): (عن أبي بصير قال موسى بن جعفر عليه السلام: فيما أوصاني به أبي أن قال: يا بني إذا أنا مت فلا يغسلني أحد غيرك، فإن الإمام لا يغسله إلا إمام. واعلم أن عبد الله أخاك سيدعو الناس إلى نفسه فدعه فإن عمره قصير. فلما مضى غسلته كما أمرني وادعى عبد الله الإمامة مكانه، فكان كما قال أبي وما لبث عبد الله إلا يسيراً حتى مات).

وقال الكاظم عليه السلام (الكافي/١/٤٧٥): (أنا كفنت أبي في ثوبين شطويين كان يحرم فيها، وفي قميص من قمصه، وفي عمامة كانت لعلي بن الحسين عليه السلام، وفي برد اشتريته بأربعين ديناراً). وشطاً اسم قرية بناحية مصر تنسب إليها الثياب الشطوية.

وفي دلائل الإمامة/ ٣٣٩: (عن أبي بصير قال: سمعت العبد الصالح (الإمام الكاظم عليه السلام) يقول: لما حضر أبي الموت قال: يا بني لا يلي غسلني غيرك، فإني غسلت أبي، وغسل أبي أباه، والحجة يغسل الحجة. قال: فكنت أنا الذي غمضت أبي وكفنته ودفنته بيدي. وقال: يا بني، إن عبد الله أخاك يدعي الإمامة بعدي، فدعه).



الظرف السياسي عند شهادة الإمام الصادق عليه السلام

اختلفت ظروف وفاة الإمام الصادق عن ظروف وفاة أبيه عليه السلام لأن المنصور جبار بني العباس قرر أن يقتل الإمام الصادق عليه السلام ويقتل من أوصى له بالإمامة، وأن يبيد جميع أبناء علي عليه السلام من الحسينيين والحسينيين، ليرتاح هو وأبناؤه من ثوراتهم!

وكان الصادق عليه السلام يعرف نوايا المنصور جيداً، فأهم نص وصيته لئلا يقتل المنصور من أوصى له، بل جعل الإمام عليه السلام المنصور أول أوصيائه!

ففي الكافي (١/ ٣١٠): (عن أبي أيوب الخوزي قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل، فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، فلما سلمت عليه رمى الكتاب إلي وهو يبكي وقال: هذا كتاب محمد بن سليمان، يخبرنا أن جعفر بن محمد قدم مات، فإننا لله وإنا إليه راجعون ثلاثاً، وأين مثل جعفر!

ثم قال لي: أكتب فكتبت صدر الكتاب ثم قال: أكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه. قال: فرجع الجواب: إنه قد أوصى إلى خمسة أحدهم أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان، وعبد الله وموسى ابني جعفر، وحميدة. فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل). وكان الوالي سأل المنصور: هل يقتل الأربعة؟

وقد فهم أبو حمزة الثمالي وصية الإمام الصادق عليه السلام، روى في المناقب (٣/ ٤٣٤): (عن داود بن كثير الرقي قال: أتى أعرابي إلى أبي حمزة الثمالي فسأله خبراً فقال: توفي جعفر الصادق فشهو شهقة وأغمي عليه! فلما أفاق قال: هل أوصى إلى أحد؟ قال: نعم أوصى إلى ابنه عبد الله وموسى وأبي

جعفر المنصور، فضحك أبو حمزة وقال: الحمد لله الذي هدانا إلى الهدى، وبين لنا عن الكبير ودلنا على الصغير، وأخفى عن أمر عظيم، فسئل عن قوله فقال: بين عيوب الكبير ودل على الصغير لإضافته إياه، وكنتم الوصية للمنصور لأنه لو سأل المنصور عن الوصي لقليل: أنت!

أوصى الإمام الباقر عليه السلام بصراحة ولم يستطع ذلك الصادق عليه السلام

قال المفيد في الإرشاد (١٧٦/٢): (وُلِدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام سبعة نفر: أبو عبد الله جعفر بن محمد، وكان به يكنى، وعبد الله بن محمد، أمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. وإبراهيم وعبيد الله، درجا، أمهما أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفية. وعلي وزينب لأم ولد. وأم سلمة، لأم ولد. ولم يُعْتَقَد في أحد من ولد أبي جعفر عليه السلام الإمامة إلا في أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام خاصة)

وفي إثبات الهداة (١٣٢/٤): (وروى علي بن الحسين المسعودي في كتاب إثبات الوصية أن أبا جعفر عليه السلام لما قربت وفاته دعا بأبي عبد الله جعفر ابنه عليه السلام فقال: إن هذه الليلة التي وعدت فيها ثم سلم إليه الاسم الأعظم وموارث الأنبياء والسلاح وقال له: يا أبا عبد الله! الله في الشيعة. قال المسعودي: ولم يزل أبو جعفر عليه السلام يشير إليه في حياته مدة أيامه ثم نص عليه. وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن القائم فضرب بيده على أبي عبد الله عليه السلام وقال: هذا قائم آل محمد بعدي). لكن الأمر اختلف كلياً في حياة الإمام الصادق عليه السلام وبعد وفاته!

اختلف الناس في وصي الإمام جعفر الصادق عليه السلام

وسبب اختلافهم أن الإمام الصادق عليه السلام جعل وصيته مجملة ولم يوضح فيها من هو وصيه، لئلا يقتله والي المدينة كما أمره المنصور!

ولم يقتنع المنصور بوصية الإمام مع أنه جعله أحد الأوصياء! وظل يتلهف ليعرف وصيه، فأمر والي المدينة أن يراقب من يبحث عن الإمام فيعاقبه، وينظر من اجتمع عليه كبار شيعة جعفر الصادق عليه السلام فيقتله! فكان كبار الشيعة الذين لا يعرفون الإمام بعد الصادق عليه السلام يبحثون

سراً عن الإمام كما ترى في خبر هشام ومؤمن الطاق!

قال هشام بن سالم (الكافي ١ / ٣٥١): كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومحمد بن النعمان مؤمن الطاق، والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر أنه صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه والناس عنده فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ فقال: في مائتي درهم خمسة دراهم فقلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف. قلنا: والله ما تقول المرجئة هذا! (لأن إجماع المسلمين على أنه ليس على ما دون المائتين زكاة) فقال: والله ما أدري ما تقول المرجئة!

قال: فخر جناً ضاللاً أنا وأبو جعفر الأحوال. فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين لا ندرى إلى أين نتوجه وإلى من نقصد نقول إلى المرجئة إلى القدرية إلى المعتزلة إلى الزيدية! فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئذ إلي بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون المنصور، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر إليه الناس فيؤخذ فيضرب عنقه! فخفت أن يكون ذلك منهم فقلت للأحول: تنحّ فيني خائف على نفسي وعليك وإنما يريدني وليس يريدك، فتنح عني لا تهلك فتعين على نفسك.

فتنحى عني بعيداً وتبعت الشيخ وذلك أي ظننت أي لا أقدر على التخلص منه، فما زلت أتبعه وقد عزمت على الموت حتى ورد بي على باب أبي الحسن موسى عليه السلام ثم خلاني ومضى فإذا خادم في الباب فقال لي: أدخل رحمك الله، فدخلت فإذا أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فقال لي ابتداء منه: لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى الزيدية ولا إلى المعتزلة ولا إلى الخوارج إليّ إليّ. فقلت: جعلت فداك مضي أبوك؟ قال: نعم، قلت: مضي موتاً؟ قال: نعم، قلت: فمن لنا من بعده؟ فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قلت: جعلت فداك إن عبد الله يزعم أنه من بعد أبيه، قال: يريد عبد الله أن لا يعبد الله، قال: قلت: جعلت فداك فمن لنا من بعده؟ قال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قال قلت: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: لا ما أقول ذلك، قال: فقلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة. ثم قلت له: جعلت فداك عليك إمام؟ قال: لا فداخلمي شئ لا يعلم إلا الله عز وجل إعظماً له وهيبة أكثر مما كان يحل بي من أبيه

إذا دخلت عليه، ثم قلت له: جعلت فداك أسألك عما كنت أسأل أباك؟ فقال: سل تخبر ولا تدع، فإن أذعت فهو الذبح! فسألته فإذا هو بحر لا ينزف، قلت: جعلت فداك شيعتك وشيعة أبيك ضلال فألقى إليهم وأدعوهم إليك وقد أخذت علي الكتان؟! قال: من أنست منه رشداً فألق إليه وخذ عليه الكتان فإن أذاعوا فهو الذبح، وأشار بيده إلى حلقه! قال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر الأحول فقال لي: ما وراءك؟ قلت: الهدى فحدثته بالقصة قال: ثم لقينا الفضيل وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وساء لاه وقطعا عليه بالإمامة، ثم لقينا الناس أفواجا فكل من دخل عليه قطع إلا طائفة عمار الساباطي وأصحابه. وبقي عبد الله لا يدخل إليه إلا قليل من الناس، فلما رأى ذلك قال: ما حال الناس؟ فأخبر أن هشاماً صد عنك الناس! قال هشام: فأقعدني بالمدينة غير واحد ليضربوني! ونلاحظ هنا: أن السلطة لم تتخذ أي إجراء ضد عبد الله الأقطع ومن قال بإمامته، بل ورد ما يدل على أن المنصور اهتم بنجاح دعوته، وأمر واليه على المدينة بمساندته والإنفاق عليه!

زرارة يخترع طريقة للنجاة من القتل!

كان زرارة أبرز فقهاء الشيعة في الكوفة، وكانت له مكانة خاصة عند الإمام الصادق عليه السلام. وكان المنصور يبحث حثيثاً عما أوصى له الإمام الصادق عليه السلام بالإمامة ليقتله، وقد أمر بمراقبة من يجتمع عليه شيعة جعفر، ولا بد أن يكون زرارة في أولهم. وقد كتبنا في سيرة الإمام الباقر عليه السلام أن الحجاج الثقفي قبل المنصور بسنين قال: لا يستقيم لنا ملك ومن آل أعين رجل تحت حجر، فاختلفوا وتواروا، فلما اشتد الطلب عليهم ظفروا بعبد الرحمان بن أعين وقالوا له: هذا المفتي من بين إخوته فأدخل على الحجاج فلما بصر به قال: لم تأتوني بآل أعين وجئتوني بزبارها! وخلي سبيله) أي بأغصانها اليابسة. أقول: كان الإمام الصادق عليه السلام يذم زرارة ليعده عنه بطش السلطة! ولما توفي الإمام الصادق عليه السلام واختلف الناس في الإمام بعده، تعلق أنظار الناس في الكوفة بزرارة، فقال: سنبعث ولم يتخذ موقفاً، مع علمه ووضوح الأمر عنده لأنه سمع مكرراً من الإمام

الصادق عليه السلام نصه على ابنه موسى الكاظم عليه السلام. لكنه لو قال لأهل الكوفة الإمام بعده فلان، لأسرع المنصور بقتله وقتل زرارة. لذلك قال زرارة للناس إصبروا حتى أرسل إبنني الى المدينة، وتريث الشيعة كما قال لهم، وأرسل ابنه عبيداً الى المدينة. فكان الأمر عند المنصور أن شيعة الكوفة لم يتخذوا موقفاً فلم يمكنه البطش بهم!

وحضرت زرارة الوفاة فسألهم هل رجع عبيد فقالوا: لا. قال جميل بن دراج: ما رأيت رجلاً مثل زرارة بن أعين، إنا كنا نختلف إليه فما كنا حوله الا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم، فلما مضى أبو عبد الله عليه السلام وجلس عبد الله مجلسه، بعث زرارة عبيداً ابنه ليتعرف الخبر، ويأتيه بصحته، ومرض زرارة مرضاً شديداً قبل أن يوافيه ابنه عبيد، فلما حضرته الوفاة دعا بالمصحف، فوضعه على صدره ثم قبله. قال جميل: فحكى جماعة ممن حضره أنه قال: اللهم ألقاك يوم القيامة وإمامي من بينت في هذا المصحف إمامته، اللهم إني أحل حلاله وأحرم حرامه وأؤمن بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وخاصه وعامه، على ذلك أحياء وعليه أموت إن شاء الله).

قال الصدوق في كمال الدين/ ٧٥: (فأما زرارة بن أعين فإنه مات قبل انصراف من كان وفدّه ليعرف الخبر، ولم يكن سمع بالنص على موسى بن جعفر عليه السلام من حيث قطع الخبر عذره فوضع المصحف الذي هو القرآن على صدره وقال: اللهم إني أتم بمن يثبت هذا المصحف إمامته، وهل يفعل الفقيه المتدين عند اختلاف الأمر عليه إلا ما فعله زرارة، على أنه قد قيل إن زرارة قد كان علم بأمر موسى بن جعفر عليه السلام وإمامته، وإنما بعث ابنه عبيداً ليتعرف من موسى بن جعفر عليه السلام هل يجوز له إظهار ما يعلم من إمامته أو يستعمل التقية في كتابه، وهذا أشبه بفضل زرارة بن أعين وأليق بمعرفته).

أقول: بل هذا المتعين بدليل الظروف وخطر الذبح على حد تعبير الإمام الكاظم عليه السلام.

وبدليل ما رواه الصدوق نفسه في كمال الدين/ ٧٥: (عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن زرارة هل كان يعرف حق أبيك عليه السلام؟ فقال:

نعم، فقلت له: فلم بعث ابنه عبيداً ليتعرف الخبر إلى من أوصى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام؟ فقال: إن زرارة كان يعرف أمر أبي عليه السلام ونص أبيه عليه وإنما بعث ابنه ليتعرف من أبي عليه السلام هل يجوز له أن يرفع التقيّة في إظهار أمره ونص أبيه عليه، وإنه لما أبطأ عنه ابنه طولب بإظهار قوله في أبي عليه السلام فلم يجب أن يقدم على ذلك دون أمره فرفع المصحف وقال: اللهم إن إمامي من أثبت هذا المصحف إمامته من ولد جعفر عليه السلام).

وروى الكشي/١٠٢: (فلما حضرته الوفاة سئل عن عبيد فقيل له: إنه لم يقدم، فدعى بالمصحف فقال: اللهم إني مصدق بما جاء نبيك محمد فيما أنزلته عليه وبيته لنا على لسانه، وإني مصدق بما أنزلته عليه في هذا الجامع، وإن عقيدتي وديني الذي يأتي به عبيد ابني، وبما بيته في كتابك، فإن أمتني قبل هذا فهذه شهادتي على نفسي وإقرارني بما يأتي به عبيد ابني، وأنت الشهيد علي بذلك. فمات زرارة وقدم عبيد وقصدناه لنسلم عليه، فسألوه عن الأمر الذي قصده فأخبرهم أن أبا الحسن عليه السلام صاحبهم).

(عن محمد بن عبد الله بن زرارة عن أبيه قال: بعث زرارة عبيداً ابنه يسئل عن خبر أبي الحسن عليه السلام، فجاءه الموت قبل رجوع عبيد إليه، فأخذ المصحف فأعلاه فوق رأسه وقال: إن الإمام بعد جعفر بن محمد عليه السلام من إسمه بين الدفتين في جملة القرآن منصوب عليه، من الذين أوجب الله طاعتهم على خلقه، أنا مؤمن به. قال: فأخبر بذلك أبو الحسن الأول عليه السلام فقال: والله كان زرارة مهاجراً إلى الله تعالى).

وفي رواية فقال عليه السلام: إني لأرجو أن يكون زرارة ممن قال الله تعالى: وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ). (الفصول المهمة (١/٥٩١)).

نتيجتان لظروف الخوف عند وفاة الإمام الصادق عليه السلام

النتيجة الأولى: أن بعض شيعة الإمام الصادق عليه السلام ضاعوا واعتقدوا بإمامة الأبطح، ثم مالبتوا أن رجعوا إلى الإمام الكاظم عليه السلام إلا أفراد منهم.

والنتيجة الثانية: حدثت عاصفة على زرارة، لما سأله في الكوفة فأمرهم بالصبر وأرسل ابنه إلى المدينة

ليعرف الخبر.. فبعض الشيعة تخيلوا أن زرارة لا يعرف الإمام بعد الإمام الصادق عليه السلام، وبعضهم تخيل أنه شك، وكثر التفسير والتحليل لموقفه! وفرح المخالفون وزعموا أنه ترك التشيع! قال ابن حجر في لسان الميزان (٤٧٣/٢): (قرأت في كتاب الجماهرة لأبي محمد بن حزم: كان زرارة بن أعين المحدث يدعي إمامة الأفتح عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي هو وجماعة معه، فقدم زرارة المدينة فلقي عبد الله فسأله عن مسائل من الكوفة فألفاه لا يدري، فرجع إلى الكوفة فسأله أصحابه عنه وكان المصحف بين يديه فأشار لهم إليه وقال لهم: هذا إمامي لا إمام لي غيره. قلت فهذا يدل على أنه رجع عن التشيع).

لكن ما في جمهرة ابن حزم (٥٩/١) يختلف عما نقله ابن حجر! قال: (عبد الله هذا هو الملقب بالأفتح كان أفتح الرأس وكانت له شيعة تدعي إمامته، منهم زرارة بن أعين الكوفي، محدث ضعيف، فقدم زرارة المدينة فلقي عبد الله فسأله عن مسائل من الفقه فألفاه في غاية الجهل فرجع عن إمامته، فلما انصرف إلى الكوفة أتاه أصحابه فسألوه عن إمامه وإمامهم وكان المصحف بين يديه فأشار لهم إليه وقال لهم: هذا إمامي لا إمام لي غيره! فانقطعت الشيعة المعروفة بالأفطحية).

وأنت ترى أن كلام ابن حزم وابن حجر رجم بالغيب وتعصب! والعجيب أن كتب الشيعة في أيديهم وهم ينقلون منها أحياناً، لكنهم يعرضون عنها وينقلون عقائد الشيعة وآراءهم من خصومهم!





الفصل الرابع

أولاد الإمام الصادق عليه السلام

للإمام الصادق عليه السلام عشرة أولاد بنين وبنات

قال الحر العاملي في الفوائد الطوسية / ٢٩٩: (قال المفيد في إرشاده: إن أولاد أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرون ولداً، وإن أولاد الحسن عليه السلام خمسة عشر ولداً، وإن أولاد الحسين عليه السلام ستة، وإن أولاد علي بن الحسين عليه السلام خمسة عشر. وإن أولاد الباقر عليه السلام سبعة. وإن أولاد الصادق عليه السلام عشرة. وإن أولاد الكاظم عليه السلام سبعة وثلاثون. وإن ولد الرضاء عليه السلام واحد وهو الجواد عليه السلام. وإن ولد الجواد عليه السلام أربعة ذكر واحد وثلاث بنات. وإن ولد الهادي عليه السلام خمسة. وإن ولد العسكري عليه السلام واحد وهو صاحب الأمر عليه السلام ولا غير).

وفي الإرشاد ٢/ ٢٠٩: (وكان لأبي عبد الله عليه السلام عشرة أولاد: إسماعيل وعبد الله وأم فروة، أمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. وموسى وإسحاق ومحمد، لأم ولد. والعباس وعلي وأسماء وفاطمة، لأمهات أولاد شتى).
وعبد الله المذكور هو الأفتح الذي ادعى الإمامة بعد أبيه. وقيل سمي الأفتح لأن قدميه مفتححة أو رأسه. قال الخليل (٣/ ١٧٢): (الفتح: عرض في وسط الرأس).

وقال الشيخ المفيد (الإرشاد: ٢/ ٢٠٩) إن للإمام الصادق عليه السلام عشرة أولاد، أشهرهم الإمام الكاظم عليه السلام وإسماعيل).

وكان لأبي عبد الله عليه السلام عشرة أولاد: إسماعيل وعبد الله وأم فروة، أمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. وموسى وإسحاق ومحمد، لأم ولد. والعباس وعلي وأسماء وفاطمة، لأمهات أولاد شتى.

وكان إسماعيل أكبر إخوته، وكان أبوه عليه السلام شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه، وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده، إذ كان أكبر إخوته سناً، ولميل أبيه إليه وإكرامه له، فمات في حياة أبيه بالعريض، وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع.

وروي أن أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدم سريره بلا حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الطانين خلافته له من بعده، وإزالة الشبهة عنهم في حياته).

وأضاف المفيد (٢/٢١٠): (ولما مات إسماعيل رضي الله عنه انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك فيعتقد من أصحاب أبيه عليه السلام، وأقام على حياته شذمة لم تكن من خاصة أبيه ولا من الرواة عنه، وكانوا من الأبعد والأطراف. فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام بعد أبيه، وافترق الباكون فريقين: فريق منهم رجعوا عن حياة إسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل لظنهم أن الإمامة كانت في أبيه وأن الابن أحق بمقام الإمامة من الأخ، وفريق ثبتوا على حياة إسماعيل، وهم اليوم شذاذ لا يعرف منهم أحد يومى إليه.

وهذان الفريقان يسميان بالإسماعيلية، والمعروف منهم الآن من يزعم أن الإمامة بعد إسماعيل في ولده وولد ولده إلى آخر الزمان.

وكان عبد الله بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل، ولم تكن منزلته عند أبيه منزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متهماً بالخلاف على أبيه في الإعتقاد، ويقال إنه كان يخالط الحشوية، ويميل إلى مذاهب المرجئة، وادعى بعد أبيه الإمامة، واحتج بأنه أكبر إخوته الباقيين، فاتبعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام ثم رجح أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى عليه السلام لما تبينوا ضعف دعواه، وقوة أمر أبي الحسن عليه السلام ودلالة حقه

وبراهين إمامته، وأقام نفر يسير منهم على أمرهم ودانوا بإمامة عبد الله، وهم الطائفة الملقبة بالفطحية، وإنما لزمهم هذا اللقب لقولهم بإمامة عبد الله وكان أفطح الرجلين، ويقال إنهم لقبوا بذلك لأن داعيتهم إلى إمامة عبد الله كان يقال له عبد الله بن أفطح.

وكان محمد بن جعفر شجاعاً سخياً، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف. وروي عن زوجته خديجة بنت عبد الله بن الحسين أنها قالت: ما خرج من عندنا محمد يوماً قط في ثوب فرجع حتى يكسوه!

وكان يذبح في كل يوم كبشاً لأضيافه. وخرج على المأمون في سنة تسع وتسعين ومائة بمكة، واتبعته الزيدية الجارودية، فخرج لقتاله عيسى الجلودي ففرق جمعه وأخذه وأنفذه إلى المأمون، فلما وصل إليه أكرمه المأمون وأدنى مجلسه منه ووصله وأحسن جائزته، فكان مقيماً معه بخراسان يركب إليه في موكب من بني عمه، وكان المأمون يحتمل منه ما لا يحتمله السلطان من رعيته.

وروي أن المأمون أنكر ركوبه إليه في جماعة من الطالبين الذين خرجوا على المأمون في سنة المائتين فأمّنهم، فخرج التوقيع إليهم: لا تركبوا مع محمد بن جعفر واركبوا مع عبيد الله بن الحسين، فأبوا أن يركبوا ولزموا منازلهم، فخرج التوقيع: اركبوا مع من أحببتم، فكانوا يركبون مع محمد بن جعفر إذا ركب إلى المأمون وينصرفون بانصرافه!

وذكر عن موسى بن سلمة أنه قال: أتى إلى محمد بن جعفر فقبل له: إن غلمان ذي الرئاستين قد ضربوا غلمانك على حطب اشتروه، فخرج مؤتزرأً بردين معه هراوة وهو يرتجز ويقول: الموت خير لك من عيش بذل. وتبعه الناس حتى ضرب غلمان ذي الرئاستين وأخذ الحطب منهم. فرفع الخبر إلى المأمون، فبعث إلى ذي الرئاستين فقال له: إئت محمد بن جعفر فاعتذر إليه، وحكمه في غلمانك. قال: فخرج ذو الرئاستين إلى محمد بن جعفر. قال موسى بن سلمة: فكنت عند محمد بن جعفر جالساً حتى أتى فقيل له: هذا ذو الرئاستين، فقال: لا يجلس إلا على الأرض، وتناول بساطاً كان في البيت فرمى به هو ومن معه ناحية، ولم يبق في

البيت إلا وسادة جلس عليها محمد بن جعفر، فلما دخل عليه ذو الرئاستين وسع له محمد على الوسادة فأبى أن يجلس عليها وجلس على الأرض، فاعتذر إليه وحكمه في غلبانه! وتوفي محمد بن جعفر بخراسان مع المأمون، فركب المأمون ليشهده فلقبهم وقد خرجوا به، فلما نظر إلى السرير نزل فترجل ومشى حتى دخل بين العمودين، فلم يزل بينهما حتى وضع فتقدم وصلى ثم حمله حتى بلغ به القبر، ثم دخل قبره فلم يزل فيه حتى بنى عليه، ثم خرج فقام على القبر حتى دفن، فقال له عبيد الله بن الحسين ودعاه: يا أمير المؤمنين، إنك قد تعبت فلوركبت؟ فقال المأمون: إن هذه رحم قطعت من مائتي سنة.

وروي عن إسماعيل بن محمد بن جعفر أنه قال: قلت لأخي وهو إلى جنبي والمأمون قائم على القبر: لو كلمناه في دين الشيخ، فلا نجده أقرب منه في وقته هذا، فابتدأنا المأمون فقال: كم ترك أبو جعفر من الدين؟ فقلت: خمسة وعشرين ألف دينار، فقال: قد قضى الله عنه دينه، إلى من أوصى؟ قلنا: إلى ابن له يقال له يحيى بالمدينة، فقال: ليس هو بالمدينة وهو بمصر، وقد علمنا بكونه فيها، ولكن كرهنا أن نعلمه بخروجه من المدينة لئلا يسوؤه ذلك لعلمه بكرهتنا لخروجه عنها.

وكان علي بن جعفر رضي الله عنه راوية للحديث، سديد الطريق، شديد الورع، كثير الفضل، ولزم أخاه موسى عليه السلام وروى عنه شيئاً كثيراً.

وكان العباس بن جعفر رضي الله عنه فاضلاً نبياً.

وكان موسى بن جعفر أجلاً ولد أبي عبد الله عليه السلام قدراً وأعظمهم محلاً، وأبعدهم في الناس صيتاً، ولم ير في زمانه أسخى منه ولا أكرم نفساً وعشرة، وكان أعبد أهل زمانه وأورعهم وأجلهم وأفقههم، واجتمع جمهور شيعة أبيه على القول بإمامته والتعظيم لحقه والتسليم لأمره. ورووا عن أبيه عليه السلام نصوصاً عليه بالإمامة وأخذوا عنه معالم دينهم ورووا عنه من الآيات والمعجزات ما يقطع به على حجته وصواب القول بإمامته).



رواية النفحة العنبرية في أولاد الصادق عليه السلام

خالف المشهور السيد محمد كاظم اليماني وهو من علماء القرن التاسع، في كتابه النفحة العنبرية في أنساب خير البرية/ ٥١، فقال: (أولاد الصادق عليه السلام الذكور ثلاثة عشر رجلاً: عبد الله، والعباس، ويحيى، والمحسن، وجعفر، ومحمد الأصغر، والحسن، وعبيد الله، ومحمد الأكبر، وإسحاق، وإسماعيل، وعلي، وموسى الكاظم عليه السلام. والإناث سبع: رقية، وبريمية بضم الباء الموحدة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الهاء، وأم كلثوم قبرها بمصر، وقُرْبِيَّة بضم القاف وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الباء الموحدة، وفاطمة، وأسماء، وأم فروة بفتح الفاء وسكون الراء وواو من بعد).

أقول: لا يمكن اعتماد هذه الرواية لأنها مرسلة، والمؤلف متأخر.

عبد الله الأفطح أو الأعرج ابن الإمام الصادق عليه السلام

ادعى عبد الله الأفطح الإمامة بعد أبيه الصادق عليه السلام وفتح بيته وأخذ يستقبل الناس! واحتج بأن والده ذكره في وصيته قبل أخيه موسى الكاظم عليه السلام، وبأنه أكبر الأبناء بعد أخيه إسماعيل عليه السلام. لكن الإمام الصادق عليه السلام أوصى لابنه موسى ونص عليه أمام كثيرين من بلدان مختلفة. وقد عقد الكليني في الكافي (٣٠٧/١) باباً باسم: باب الإشارة والنص على أبي الحسن موسى عليه السلام أورد فيه ستة عشر حديثاً.

منها: بسنده عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: خذ بيدي من النار! من لنا بعدك؟ فدخل عليه أبو إبراهيم عليه السلام وهو يومئذ غلام فقال: هذا صاحبكم فتمسك به. عن معاذ بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أسأل الله الذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها، فقال: قد فعل الله ذلك. قال: قلت: من هو جعلت فداك؟ فأشار إلى العبد الصالح وهو راقد فقال: هذا الراقد وهو غلام.

عن الفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل أبو إبراهيم عليه السلام وهو غلام،

فقال: استوص به، وضع أمره عند من تثق به من أصحابك.
 قال له منصور بن حازم: بأبي أنت وأمي إن الأنفس يغدا عليها ويراح، فإذا كان ذلك
 فمن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان ذلك فهو صاحبكم وضرب بيده على منكب أبي
 الحسن عليه السلام الأيمن فيما أعلم وهو يومئذ خماسي وعبد الله بن جعفر جالس معنا.
 عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
 قلت له: إن كان كون ولا أراني الله ذلك فبمن أئتم؟ قال: فأوماً إلى ابنه موسى عليه السلام قلت: فإن
 حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال: بولده، قلت: فإن حدث بولده حدث وترك أخاً
 كبيراً وابتناً صغيراً فبمن أئتم؟ قال: بولده، ثم قال: هكذا أبداً.
 قلت: فإن لم أعرفه ولا أعرف موضعه؟ قال: تقول: اللهم إني أتولى من بقي من حججك
 من ولد الإمام الماضي، فإن ذلك يجزيك إن شاء الله.
 عن فضيل، عن طاهر عن أبي عبد الله قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يلوم عبد الله ويعاتبه ويعظه
 ويقول: ما منعك أن تكون مثل أخيك، فوالله إني لأعرف النور في وجهه؟ فقال عبد الله: لم،
 ليس أبي وأبوه واحداً وأمي وأمه واحدة؟ فقال له أبو عبد الله: إنه من نفسي وأنت ابني.
 عن سليمان بن خالد قال: دعا أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن عليه السلام يوماً ونحن عنده فقال لنا:
 عليكم بهذا، فهو والله صاحبكم بعدي.
 عن فيض بن المختار قال: إني لعند أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل أبو الحسن موسى عليه السلام وهو
 غلام فالتزمته وقبلته فقال أبو عبد الله عليه السلام: أنتم السفينة وهذا ملاحها. قال: فحججت من
 قابل ومعني ألفا دينار فبعثت بألف إلى أبي عبد الله عليه السلام وألف إليه، فلما دخلت على أبي عبد
 الله عليه السلام قال: يا فيض عدلته بي؟ قلت: إنما فعلت ذلك لقولك، فقال: أما والله ما أنا فعلت
 ذلك، بل الله عز وجل فعله به).

وقال الطبري الشيعي (دلائل الإمامة/ ٣٢٩): (عن أبي بصير قال: سمعت العبد الصالح موسى
 بن جعفر عليه السلام يقول: لما حضر أبي الموت قال: يا بني لايلي غسلي غيرك فإني غسلت أبي،

وغسل أبي أباه، والحجة يغسل الحجة. قال: فكنت أنا الذي غمضت أبي وكفنته ودفنته بيدي. وقال: يا بني، إن عبد الله أخاك يدعي الإمامة بعدي فدعه، وهو أول من يلحق بي من أهلي. فلما مضى أبو عبد الله عليه السلام أرخى أبو الحسن ستره، ودعا عبد الله إلى نفسه). وقال الشيخ محمد حسين المظفر في كتابه القيم الإمام الصادق عليه السلام (٢/١٢٠): (عبد الله الأفتح كان أكبر ولد الصادق عليه السلام بعد إسماعيل، ومن ثم اشتبه الأمر على فئة فقالوا بإمامته لأن الإمامة في الأكبر وجهلوا أنها في الأكبر ما لم يكن ذا عاهة، وعبد الله كان أفتح الرجلين ولذا سُمي الأفتح والقائلون بإمامته الفطحية).

وكان متهماً في الخلاف على أبيه في الاعتقاد، ويقال إنه يخالط الحشوية ويميل إلى مذهب المرجئة، ولذلك لم تكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام. ولربما عاتبه أبوه ولامه ووعظه، ولكن ما كان ليحدي معه ذلك الوعظ والعتب، وقد قال له يوماً: ما منعك أن تكون مثل أخيك فوالله إني لأعرف النور في وجهه، فقال عبد الله: لم أليس أبي وأبوه واحداً؟ وأمِّي وأمه واحدة؟ فقال له الصادق عليه السلام: إنه من نفسي وأنت ابني. أحسب أنه أراد الصادق عليه السلام من قوله أخيك إسماعيل خاصة ولذا أجابه عبد الله بقوله: أليس أبي وأبوه واحداً وأمِّي وأمه واحدة؟ لأن أخاه من الأبوين هو إسماعيل لا موسى. وكفى بهذا الحديث دلالة على فضل إسماعيل وعلو مقامه عند الله وعند أبيه، وعلى جهل عبد الله وانحطاط منزلته عند الله وعند أبيه.

وادعى عبد الله الإمامة بعد أبيه محتجاً بأنه أكبر إخوته، ولقد أنبأ الصادق ولده الكاظم عليه السلام بأن عبد الله سوف يدعي الإمامة بعده ويجلس مجلسه، وأمره ألا ينازعه ولا يكلمه لأنه أول أهله لحوقاً به، فكان الأمر كما أنبأ عليه السلام.

ولما ادعى الإمامة تبعه جماعة من أصحاب الصادق عليه السلام رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة موسى الكاظم عليه السلام، لما تبينوا ضعف دعواه، وقوة الحجّة من أبي الحسن عليه السلام ودلالة إمامته. فلما علم عبد الله أن هشام بن سالم هو السبب في صد الناس عنه أقعد له بالمدينة غير واحد ليضربوه!

وبقي عبد الله مصرّاً على دعوى الإمامة إلى أن مات وما كانت أيامه بعد أبيه إلا سبعين يوماً، فلما مات رجع الباقون إلى القول بإمامة أبي الحسن عليه السلام إلا شاذاً منهم وهم الذين لمهم لقب الفطحية، وإنما لمهم هذا اللقب لقولهم بإمامة عبد الله وهو أفطح الرجلين أو أفطح الرأس، وانقطع أثر هذه الطائفة بعد ذلك العهد بقليل، وكان آخرهم بني فضال).

موقف الإمام الكاظم عليه السلام من أخيه عبد الله الأفطح

تقدم قول الإمام الصادق في وصيته لابنه الكاظم عليه السلام: (يا بني إن أخاك سيجلس مجلسي ويدعي الإمامة بعدي فلا تنازعه بكلمة، فإنه أول أهلي لحوقاً بي).

والظاهر أن النهي للإمام الكاظم معناه أن أقم عليه الحجة وامنعه، فإن أبى فاتركه ولا تنازعه، أي لا تفتح معه معركة خصومة.

وقد تقدم أن الكاظم عليه السلام لما قال له هشام: (جعلت فداك إن عبد الله يزعم أنه من بعد أبيه، قال: يريد عبد الله أن لا يعبد الله!) ولا بد أن ذلك بلغ عبد الله الأفطح.

كما ورد أن الكاظم عليه السلام أرى الأفطح المعجزة وأفحمه! ففي الخرائج (١/ ٣١٠): (أن المفضل بن عمر قال: لما مضى الصادق عليه السلام كانت وصيته في الإمامة إلى موسى الكاظم عليه السلام فادعى أخوه عبد الله الإمامة، وكان أكبر ولد جعفر عليه السلام في وقته ذلك، وهو المعروف بالأفطح. فأمر موسى عليه السلام بجمع حطب كثير في وسط داره، فأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه فلما صار عنده، ومع موسى عليه السلام جماعة من وجوه الإمامية، فلما جلس إليه أخوه عبد الله، أمر موسى عليه السلام أن تضرم النار في ذلك الحطب، فأضرمت ولا يعلم الناس السبب فيه حتى صار الحطب كله جمرًا، ثم قام موسى عليه السلام وجلس بشيابه في وسط النار وأقبل يحدث القوم ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لأخيه عبد الله: إن كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس.

قالوا: فرأينا عبد الله قد تغير لونه، فقام يجرد رداءه حتى خرج من دار موسى عليه السلام).

فقد رأى الأفطح المعجزة من أخيه الإمام الكاظم عليه السلام فتهرب منها، فتركه الكاظم عليه السلام وأرخصي الستر على

بابه. وفتح الأفطح بابه وكان يدعو إلى نفسه ويؤذي من خالفه، فلما بلغه نشاط هشام بن سالم في الدعوة إلى إمامة الكاظم عليه السلام قال: (فأقعد لي بالمدينة غير واحد ليضربوني)!

ومات الأفطح وترك بنتاً فقط!

قال أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية / ٤٩: (وأبناء الذين لم يعقبوا عبد الله بن الإمام جعفر عليه السلام الأفطح، كانت له ابنة تزوجها العباس بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. ففارقها ولم تلد له، وخلف عليها علي بن إسماعيل بن جعفر عليه السلام فولدت له حكيمة ورقية. وأما العباس بن جعفر بن محمد عليه السلام فما ولد له ولد لا ذكر ولا أنثى، عليه جميع النسابة).



إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام

قال المفيد رحمته الله في الإرشاد (٢/٢٠٩): (وكان إسماعيل أكبر إخوته، وكان أبوه عليه السلام شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه، وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده، إذ كان أكبر إخوته سنناً، ولميل أبيه إليه وإكرامه له، فمات في حياة أبيه بالعريض، وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع. وروى: أن أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدم سريره بلا حذاء ولا رداء وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه يريد عليه السلام بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده، وإزالة الشبهة عنهم في حياته).

وأعظم شهادة في حق إسماعيل رضي الله عنه من أبيه الصادق عليه السلام: (كان يلوم عبد الله ويعاتبه ويعظه ويقول: ما يمنعك أن تكون مثل أخيك؟ فوالله إني لأعرف النور في وجهه! فقال عبد الله: أليس أبي وأبوه واحداً، وأمي وأمه واحدة؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنه من نفسي وأنت

ابني). والمقصود بأخيكَ: إسماعيل لأنه مع عبد الله من أم واحدة. والنور في وجه إسماعيل شهادة مدح عظيم له، وإشارة ذم للأفطوح. وهو نور الإيَّان، أما نور الإمام الكاظم عليه السلام فهو نور الإيَّان ونور الإمامة. ورواه في الإمامة والتبصرة/ ٧٣: (عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين عن جعفر بن بشير، عن فضيل، عن طاهر: عن أبي عبد الله عليه السلام). ورواه في الكافي (١/ ٣١٠) بسنده أيضاً.

وفي الكافي (١/ ٣٠٩): (عن المفضل بن عمر قال: ذكر أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن عليه السلام وهو يومئذ غلام فقال: هذا المولود الذي لم يولد فينا مولود أعظم بركة على شيعتنا منه. ثم قال لي: لا تجفوا إسماعيل). أي إحتفظ حقّه وحرّمته ولو كان الإمام غيره.

وفي الكافي (٥/ ٣٠٠) بسند صحيح عن حريز: (كانت لإسماعيل بن أبي عبد الله عليه السلام دنانير وأراد رجل من قريش أن يخرج إلى اليمن فقال إسماعيل: يا أبت إن فلاناً يريد الخروج إلى اليمن وعندي كذا وكذا دينار، أفترى أن أدفعها إليه يبتاع لي بها بضاعة من اليمن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا بني أما بلغك أنه يشرب الخمر؟ فقال إسماعيل: هكذا يقول الناس، فقال: يا بني لا تفعل، فعصى إسماعيل أباه ودفع إليه دنانيره فاستهلكها ولم يأت به بشيء منها، فخرج إسماعيل وقضى أن أبا عبد الله عليه السلام حج وحج إسماعيل تلك السنة فجعل يطوف بالبيت ويقول: اللهم أجرني واخلف عليّ، فلحقه أبو عبد الله عليه السلام فهمزه بيده من خلفه فقال له: مه يا بني فلا والله مالك على الله حجة ولا لك أن يأجرك ولا يخلف عليك، وقد بلغك أنه يشرب الخمر فائتممته! فقال إسماعيل: يا أبت، إني لم أره يشرب الخمر إنما سمعت الناس يقولون، فقال: يا بني إن الله عز وجل يقول في كتابه: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ. يقول: يصدق الله ويصدق المؤمن، فإذا شهد عندك المؤمنون فصدقهم ولا تأتمن شارب الخمر فإن الله عز وجل يقول في كتابه: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ، فأبي سفيه أسفه من شارب الخمر! إن شارب الخمر لا يُزَوِّج إذا خطب ولا يُشَفِّع إذا شفّع، ولا يؤتمن على أمانة، فمن اتّمنه على أمانة فاستهلكها لم يكن للذي اتّمنه على الله أن يأجره ولا يخلف عليه).

ولاتدل هذه الرواية على أنه ارتكب معصية وإن خالف النصيحة. فمدائح الإمام الصادق عليه السلام له تدل على

قال المظفر في كتابه الإمام الصادق عليه السلام (١١٧/٢): (وأظهر الصادق عليه السلام بموت إسماعيل عجباً، فإنه بعد أن مات وغطّي أمر بأن يكشف عن وجهه وهو مسجّى، ثمّ قبّل جبهته وذقنه ونحره، ثمّ أمر به فكشف وفعل به مثل الأوّل، ولما غُسل وأُدرج في أكفانه أمر به فكشف عن وجهه ثمّ قبله في تلك المواضع ثلاثاً، ثمّ عوّذه بالقرآن، ثمّ أمر بإدراجه. وفي رواية أخرى أنه أمر المفصل بن عمر فجمع له جماعة من أصحابه حتّى صاروا ثلاثين، وفيهم أبو بصير وحران بن أعين وداود الرقي، فقال لداود: اكشف عن وجهه، فكشف داود عن وجه إسماعيل، فقال: تأمله يا داود فانظره أحيّ هو أم ميّت؟ فقال: بل هو ميّت، فجعل يعرض على رجل رجل حتّى أتى على آخرهم، فقال: اللّهم اشهد، ثمّ أمر بغسله وتجهيزه، ثمّ قال: يا مفضل احسر عن وجهه، فحسر عن وجهه، فقال: حيّ هو أم ميّت؟ انظروه جميعكم، فقالوا: بل هو يا سيّدنا ميّت، فقال: شهدتم بذلك وتحققتموه؟ قالوا: نعم، وقد تعجّبوا من فعله، فقال: اللّهم اشهد عليهم، ثمّ حُمل إلى قبره فلما وُضع في لحدّه قال: يا مفضل اكشف عن وجهه، فكشف فقال للجماعة: انظروا أحيّ هو أم ميّت؟ فقالوا: بل ميت يا ولي الله، فقال: اللّهم اشهد، ثمّ أعاد عليهم القول في ذلك بعد دفنه، فقال لهم: الميت المكفن المحنط المدفون في هذا اللحد من هو؟ فقالوا: إسماعيل ولدك، فقال: اللّهم اشهد. ولا عجب من إصرار الإمام على أن يعرف الناس موت إسماعيل حتّى لا تبقى شبهة بموته، إنه يعلم أن قوماً سيقولون بإمامته لأنه الأكبر زعماً منهم أنه لم يمت، فما فعل ذلك إلا ليقيم الحجّة عليهم، وقد كشف بنفسه عليه السلام عن هذا السرّ، فإنه قال بعد أن وُضع إسماعيل في لحدّه وأشهد القوم على موته: فإنه سيرتاب المبطلون، يريدون إطفاء نور الله، ثمّ أومى إلى موسى عليه السلام، ولما أن دُفن إسماعيل وأشهدهم أخذ بيد موسى فقال: هو حق والحق معه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها).

إن حزن الإمام الصادق عليه السلام عليه واهتمامه بمراسم جنازته وإرساله من يحج عنه، يدل على مقامه العظيم من جهة، وعلى أن الإمام عليه السلام تعمد إعلان وفاته ليعرف الناس أنه ليس وصيه، وأن وصيه والإمام بعده موسى الكاظم عليه السلام.

وقد تقدمت رواية أنه: (جزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدم سريره بلا حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه يريد عليه السلام بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده، وإزالة الشبهة عنهم في حياته).

معنى البداء في اسماعيل بن جعفر عليه السلام

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل إني). وورد في تفسيره أن إسماعيل كان أكبر أبناء الصادق عليه السلام وكان يمدحه ويعتمد عليه، فظن الناس أنه الإمام بعده، فأماته الله في حياة أبيه فتبين للناس خطأهم، وأن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. وقد حدث مثل ذلك للإمام علي الهادي عليه السلام فكان محمد بن علي أكبر أولاده، وكان ممدوحاً بارزاً فظن الناس أنه الإمام بعده، فتوفي في حياة أبيه وتبين أن الإمام بعده الحسن بن علي عليه السلام. كما في إسماعيل أن القتل كتب عليه مرتين، فرفعه الله عنه بدعاء أبيه الصادق عليه السلام. فيكون البداء فيه بمعنيين.

قال الصدوق في التوحيد/ ٣٣٥: (ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة! تعالى الله عن ذلك.. وهو رد على اليهود لأنهم قالوا: إن الله قد فرغ من الأمر) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَغْلُوبَةً غَلَّتْ أَيْدِيَهُمْ) فقلنا: إن الله كل يوم في شأن، يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: من زعم أن الله يبدو له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فابروا منه. يقول العرب: بدا لي شخص في طريقي أي ظهر، قال الله عز وجل: وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَهُمْ بِكَوْنُوا يَحْتَسِبُونَ، أي ظهر لهم ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره، ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره.. ومن ذلك قول الصادق عليه السلام: ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني، يقول: ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي).

وقال المفيد في تصحيح اعتقادات الإمامية/ ٦٦: (وقول أبي عبد الله عليه السلام: ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل، فإنما أراد به ما ظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه وقد كان مخوفاً عليه من ذلك

مظنوناً به فلطف له في دفعه عنه. وقد جاء الخبر بذلك عن الصادق عليه السلام فروي عنه أنه قال: (كان القتل قد كتب على إسماعيل مرتين فسألت الله في دفعه عنه فدفعه) وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغير الحال فيه، قال الله تعالى: **ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ**).

وقال الطوسي في الغيبة/ ٨٢: (وأما ما تضمنه الخبر من قوله: بدا لله فيه معناه بدا من الله فيه، وهكذا القول في جميع ما يروى من أنه بدا لله في إسماعيل، معناه أنه بدا من الله، فإن الناس كانوا يظنون في إسماعيل بن جعفر أنه الإمام بعد أبيه، فلما مات علموا بطلان ذلك وتحققوا إمامة موسى عليه السلام، وهكذا كانوا يظنون إمامة محمد بن علي بعد أبيه فلما مات في حياة أبيه علموا بطلان ما ظنوه).

وفي تفسير الصراط المستقيم للبروجردي (٤/ ١٣٤): (وأما وقوع البداء (عن الإمامة) في إسماعيل فهو ممنوع بجملة من معانيه التي هي البداء في العلم أو في الإرادة أو في الأمر أو في العقل، لذا أنكره المحقق الطوسي وغيره، بل من الواضح المتواتر من طرق الإمامية وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله ضبط أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام وصفاتهم، وأنها مكتوبة على الألواح السماوية وعلى العرش، معروضة على الأنبياء عليهم السلام لا يتطرق إليهم النقص والتبديل، قد اختارهم الله تعالى على علمي عالمين. ولذا قال شيخنا الصدوق رحمته الله في التوحيد: إن معنى قول الصادق عليه السلام: ما بدا لله بداء كما بداله في إسماعيل ابني: أنه ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي).

كما ورد أن القتل كان مقدرًا عليه مرتين فرفعه الله بدعاء أبيه الصادق عليه السلام فكان ذلك بداءً أيضاً، فالبداء في إسماعيل بمعنيين.

المذهب الإسماعيلي

قال السمعاني في الأنساب (١/ ١٥٦): (والفرقة الإسماعيلية جماعة من الباطنية ينتسبون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق لانتساب زعيمهم المغربي إلى محمد بن إسماعيل وفي كتاب الشجرة أنه لم يعقب).

قال الزركلي في الأعلام (١/ ٣١١): (إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، الهاشمي القرشي:

جد الخلفاء الفاطميين، وإليه نسبة الإسماعيلية وهي من فرق الشيعة في الأصل وتميزت عن الإثنى عشرية بأن قالت بإمامته بعد أبيه والإثنا عشرية تقول بإمامة أخيه موسى الكاظم. وليس فيما بين أيدينا من كتب التاريخ ما يدل على أنه كان في حياته شيئاً مذكوراً، توفي في حياة والده. وفي الإسماعيلية من يرى أن أباه أظهر موته تقية حتى لا يقصده العباسيون بالقتل).

قرية سلمية منطلق الإسماعيلية

السَّلمية: بلدة سورية على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الشرق من مدينة حماة، وهي مفتوحة على الصحراء، وسكانها اليوم نحو مئة ألف. ولها أهمية تاريخية لأنها كانت مقر الدعوة الإسماعيلية، ومنها خرج عبيد الله المهدي إلى الحج وذهب مع الحجاج المغاربة إلى تونس، وبدأ بمساعدتهم بتكوين الدولة الفاطمية.

وفي النفحة العنبرية/ ٥٣: (أولاد إسماعيل بن جعفر عليه السلام وهم: محمد، وعلي، وفاطمة. والعقب منهما في محمد. من ولده إسماعيل بن محمد، ومن ولده السيد علي الفلاح، وهو أول من ملك البصرة من جدود المشعشع، وهو علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن إسماعيل بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

وجعفر بن محمد أولد من الولد: إسماعيل الأكبر، والحسن، ومحمد الحبيب. فمن ولد محمد الحبيب على ما ذهب إليه محققوا النسابة: عبيد الله المهدي القائم بإفريقية بالمغرب، وطرده بني الأغلب عنها، ثم خلفه من بيته أربعة عشر رجلاً. أولهم المقدم الذكر، ثم القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبيد الله، ثم المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل بن محمد بن عبيد الله، ثم المعز لدين الله أبو تميم معد، وهو أول من ملك منهم في سنة اثنين وستين وثلاث مائة، وهو ابن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله.

ثم العزيز بالله أبو منصور بن نزار بن معد، ثم الحاكم بالله أبو علي المنصور بن معد، ثم الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن منصور بن معد، ثم المستنصر بالله أبو تميم معد بن علي بن المنصور، ثم المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن معد، ثم الحافظ لدين الله أبو

الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله معد بن علي بن المنصور.
ثم الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل بن أبي الميمون عبد المجيد بن محمد، ثم الفائز بنصر
الله أبو القاسم علي بن إسماعيل بن أبي الميمون، ثم العاضد بالله أبو محمد عبد الله بن أمير أبي
الحجاج يوسف بن الحافظ لدين الله أبي الميمون بن عبد المجيد، وهو آخر من حكم منهم بمصر.
ومنهم: المصطفى لدين الله نزار، وابنه ركن الدين خوشاه، قتله المغول.
ومنهم: الشريف أبو الفضل القاسم بن هارون بن القاسم بن محمد بن المهدي عبيد الله بن
محمد الحبيب، وعقبه بمصر موجود الآن).

فهرس التراث للسيد الجلالى (١/ ٢٤١): قال الكاتب الإسماعيلي عارف تامر في مقدمة «جامعة الجامعة»: قال المؤرخ اليميني الكبير إدريس عماد الدين المتوفى عام ٨٧٢ هـ في المجلد الرابع من كتابه عيون الأخبار/٢٢٩: (قام الإمام التقي أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أبيه بأمر الإمامة وبث دعائه في الآفاق من سَلَمِيَّة، واتصل به الدعاة ودعوا إليه وهم مخفون لمقامه كاتمون لاسمه، وكان المأمون حين احتال على علي بن موسى الرضا بن جعفر، ظن أن أمر الله قد انقطع وحجته قد ارتفعت، فحين ظن المأمون العباسي ذلك الظن ووهم ذلك الوهم سعى في تبديل شريعة محمد وتغييرها، وأن يرد الناس إلى الفلسفة وعلم اليونانيين، فخشي الإمام أن يميل الناس إلى ما زخرف المأمون عن شريعة جده، فألف رسائل إخوان الصفا).

ورسائل (إخوان الصفا وخِلاَن الوفا) اثنتان وخمسون رسالة، طبعت بتحقيق وتقديم عارف تامر في دار النشر للجامعيين - بيروت سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.

وقال فؤاد سزگين في تاريخ التراث العربي (١/ ٣٥٥): (الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة تنسب لإسماعيل أكبر أبناء جعفر الصادق (المتوفى ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م) وجعفر هو الإمام السادس وكان قد أوصى بالإمامة لابنه موسى الكاظم ولم يوص بها لإسماعيل الذي توفي نحو سنة ١٤٣ هـ ٧٦٠ م. وقد رفض قسم من الشيعة الاعتراف بإمامة موسى الكاظم ونقلوا الإمامة إلى

إسماعيل. ولم يبدأ دور الإسماعيلية في التاريخ إلا في القرن الثالث الهجري، وفي أواخر القرن الثالث كان تنظيم الإسماعيلية قد اكتمل فأصبح لها أتباع في إيران والشام والمغرب. وبغض النظر عن تتابع الأئمة في رأى الإسماعيلية فإنه ليس لدينا شئى مؤكد حول تاريخهم في المائة والخمسين عاماً الأولى بعد قيام مذهبهم، فأقدم الكتب الإسماعيلية التي وصلت إلينا إنما ألقت في أوائل القرن الرابع الهجري. أما عمدة كتب الإسماعيلية في الفقه فهو كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان المتوفى سنة ٣٦٣ هـ ٩٧٤ م. وقد انقسم الإسماعيلية إلى عدة فرق.. وتعيش الآن في وسط الهند وفي كوجيرات Gujerat وشمال الهند وتركستان وأفغانستان وإيران وسوريا واليمن.

دراسات عن الإسماعيلية:

كتب إيفانوف عدة دراسات عن الإسماعيلية منها:

مادة الإسماعيلية - في دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة الأوربية الأولى.

دراسات عن الإسماعيلية المبكرة في إيران:

Studies in early Persian Ismailism, 1948, Ivanow, Wladimir.

ابن القداح المؤسس المزعوم للإسماعيلية:

Ibn al-Qaddah: the Alleged Founder of Ismailism, 1957, Ivanow, Wladimir.

التراث الإسماعيلي، دليل ببليوجرافي:

Ismaili Literature: A Bibliographical Survey, 1963, Ivanow, Wladimir.

وقال السيد حسن الأمين في: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي/ ٨٥: (هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام بعد أبيه جعفر وبذلك اختلفوا عن الشيعة الإمامية الاثني عشرية الجعفرية الذين قالوا بإمامة موسى الكاظم بعد جعفر الصادق.

وقد كانت الدولة الفاطمية على المذهب الإسماعيلي. وبعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر (٤٢٧-٤٨٧ هـ) حصل انشقاق خطير في صفوف الإسماعيليين ذلك أنه تولى الخلافة بعد المستنصر ولده أبو القاسم أحمد. ولكن أحمد هذا لم يكن الولد الأكبر للخليفة ولا كان هو المؤمل لولاية العهد بنظر بعض الإسماعيليين بل كان المؤهل لها بنظرهم أخوه الولد

الآخر نزار ويرون أن الخليفة المستنصر عهد إلى نزار بولاية العهد فعلا وأخذ البيعة له خلال مرضه إلا أن وزير الخليفة الأفضل بن بدر الجمالي أخذ يباطل بذلك ليحول دون نزار وولاية العهد لأمر كانت بينه وبين نزار ولقرب أبي القاسم أحمد من الوزير الأفضل. كما يرون أن المستنصر توفي ووزيره الأفضل مسيطر على الحكم فتمت بذلك ولاية العهد وانتقال الخلافة لأحمد الذي لقب بالمستعلي بالله.

وهكذا فقد انقسم الإسماعيليون عام ٤٨٧ هـ إلى فرقتين: واحدة تقول بإمامة أحمد المستعلي بالله وسميت المستعلية، والثانية تقول بإمامة نزار وسميت النزارية.

وقد أنصف الإسماعيليين المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب في كتابه: مساحة للحوار/ ٦٤، قال: (الإسماعيلية: هم أصحاب إسماعيل بن جعفر الصادق الذين أنكروا موته في حياة أبيه، وزعموا أنه لا يموت حتى يملك الأرض، فيقوم بأمر الناس وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة. ومن المؤكد أن الإسماعيلية يقولون بإمامة علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق، ويبدو أنهم فقدوا الإتصال بحلقة الأئمة فظنوا أن الإمام من بعد جعفر الصادق هو ابنه الكبير إسماعيل، وعندما قيل لهم: إن إسماعيل قدم مات حال حياة والده أنكروا ذلك. وقد صوروا إسماعيل في صورة المهدي المنتظر! فالإسماعيلية كانت منقطعة عن المصدر اليقيني للمعلومات وهو الإمام، وربما كان الدعاة بعيدين عنه ولم يجالسوه، لأن مجالسة الإمام وبحث هكذا أمور في غاية العسر والشدة، فعيون دولة البطون تجوب دوماً حول الإمام وتحصي عليه حركاته وسكناته، وحركات الذين يتصلون وسكناتهم لتتأكد من طبيعة هذه الإتصالات.

كل ذلك يدفعنا إلى الإعتقاد أن إمامة إسماعيل اجتهادية كان القصد منها إقامة علم لأنباع أهل البيت والمتعاطفين معهم في منطقة معينة، وإضفاء الشرعية على سادة هذه الحركة وقادتها. ومن المؤكد أيضاً أن (التكتيك) قد اختلط عندهم بالأصول وأن كثيراً من معارفهم وتوجهاتهم لامتت لأهل البيت بصلته، بمعنى أنهم لم يعلموها لأعضاء الفرقة الإسماعيلية،

إنما هي من قبيل الافتراض، أو من اجتهاد قادة هذه الحركة. وليس من المستبعد أن تكون عواطفهم صادقة نحو أهل بيت النبوة، ولكنها كانت بحاجة إلى التوجيه المباشر من الأئمة، وهذا ما افتقرت إليه الحركة الإسماعيلية، بمعنى أن أمرها لم يكن بيد الأئمة، وأنها فقدت الإتصال بهم وعوض القائمون عليها عن ذلك بالافتراض أو الإجتهداد).



محمد بن إسماعيل بن جعفر

في الكافي (١/ ٤٨٤): (عن علي بن جعفر قال: جاءني محمد بن إسماعيل وقد اعتمرنا عمرة رجب ونحن يومئذ بمكة فقال: يا عم إني أريد بغداد وقد أحببت أن أودع عمي أبا الحسن يعني موسى بن جعفر عليه السلام وأحببت أن تذهب معي إليه، فخرجت معه نحو أخي وهو في داره التي بالحوية وذلك بعد المغرب بقليل، فضربت الباب فأجابني أخي فقال: من هذا؟ فقلت: علي، فقال: هوذا أخرج، وكان بطيء الوضوء فقلت: العجل قال: وأعجل، فخرج وعليه إزار ممشق قد عقده في عنقه حتى قعدت تحت عتبة الباب، فقال علي بن جعفر: فانكبت عليه فقبلت رأسه وقلت: قد جئتك في أمر إن تره صواباً فالله وفق له، وإن يكن غير ذلك فما أكثر ما نخطئ. قال: وما هو؟ قلت: هذا ابن أخيك يريد أن يودعك ويخرج إلى بغداد فقال لي: أدعه فدعوتيه وكان متنجساً، فدنا منه فقبل رأسه وقال: جعلت فداك أوصني فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي! فقال مجيباً له: من أرادك بسوء فعل الله به وجعل يدعو علي من يريده بسوء، ثم عاد فقبل رأسه فقال: يا عم أوصني فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي! فقال: من أرادك بسوء فعل الله به وفعل، ثم عاد فقبل رأسه، ثم قال: يا عم أوصني فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي! فدعا علي من أراده بسوء، ثم تنحى عنه ومضيت معه فقال لي أخي: يا علي مكانك فقمتم مكاني فدخل منزله، ثم دعاني فدخلت إليه فتناول صرة فيها مائة دينار فأعطانيها وقال: قل لابن أخيك يستعين بها على أمره قال علي: فأخذتها فأدرجتها في حاشية ردائي ثم ناولني مائة أخرى وقال: أعطه أيضاً، ثم

ناولني صرة أخرى وقال: أعطه أيضاً! فقلت: جعلت فداك إذا كنت تخاف منه مثل الذي ذكرت، فلم تعينه على نفسك؟ فقال: إذا وصلته وقطعني قطع الله أجله! ثم تناول مخدة آدم فيها ثلاثة آلاف درهم وضح وقال: أعطه هذه أيضاً! قال: فخرجت إليه فأعطيته المائة الأولى ففرح بها فرحاً شديداً ودعا لعمه، ثم أعطيته الثانية والثالثة ففرح بها حتى ظننت أنه سيرجع ولا يخرج، ثم أعطيته الثلاثة آلاف درهم فمضى على وجهه حتى دخل على هارون فسلم عليه بالخلافة وقال: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة، فأرسل هارون إليه بمائة ألف درهم فرماه الله بالذبحه (دم في الحلق يخنق فيقتل) فما نظر منها إلى درهم ولا مسه).

ثلاثة شركاء في دم الإمام الكاظم عليه السلام!

في مقاتل الطالبين/ ٣٣٣: (كان السبب في أخذ موسى بن جعفر أن الرشيد جعل ابنه محمداً في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث، فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك وقال: إن أفضت الخلافة إليه زالت دولتي ودولة ولدي. فاحتال على جعفر بن محمد وكان يقول بالإمامة حتى داخله وأنس به وأسر إليه، وكان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره ويرفعه إلى الرشيد ويزيد عليه في ذلك بما يقدر في قلبه، ثم قال يوماً لبعض ثقاته: أتعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس بوسع الحال يعرفني ما أحتاج إليه من أخبار موسى بن جعفر؟ فدُلَّ على علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، فحمل إليه يحيى بن خالد البرمكي، وكان موسى بن جعفر عليه السلام يأنس إليه ويصله وربما أفضى إليه بأسراره، فلما طُلب ليشخص به أحس موسى بذلك فدعا: إلى أين يا ابن أخي؟ قال: إلى بغداد عليّ دين وأنا مملق، قال: فأنا أقضي دينك وأصنع، فلم يلتفت إلى ذلك، فعمل على الخروج فاستدعاه أبو الحسن موسى فقال له: أنت خارج؟ فقال له: نعم لا بد لي من ذلك فقال له: أنظر يا ابن أخي واتق الله لا تؤتم أولادي! وأمر له بثلاث مائة دينار، وأربعة آلاف درهم. قالوا: فخرج علي بن إسماعيل حتى أتى يحيى بن خالد البرمكي، فتعرف منه خبر موسى بن جعفر، فعرفه

إلى الرشيد وزاد فيه، ثم أوصله إلى الرشيد فسأله عن عمه فسعى به إليه، فعرف يحيى جميع خبره وزاد عليه وقال له: إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب، وإن له بيوت أموال وإنه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فساها اليسيرة، وقال له صاحبها وقد أحضره المال: لا أخذ هذا النقد ولا أخذ إلا نقداً كذا وكذا، فأمر بذلك المال فرد، وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الذي سأل بعينه، فسمع ذلك منه الرشيد وأمر له بهائتي ألف درهم نسبت له على بعض النواحي، فاختر كور المشرق ومضت رسله لقبض المال، ودخل هو في بعض الأيام إلى الخلاء فزحر زحرة فخرجت حشوته كلها فسقطت (أمعأوه) وجهدوا في ردها فلم يقدرها، فوقع لما به، وجاءه المال وهو ينزع فقال: وما أصنع به وأنا أموت! وحج الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني أعتذر إليك من شئ أريد أن أفعله أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشتت بين أمتك وسفك دمائها. ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيده وأخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطتان هو في إحديهما، ووجه مع كل واحد منهما خيلاً، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة، ليعمى على الناس أمره، وكان موسى في التي مضت إلى البصرة، فأمر الرسول أن يسلمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، وكان على البصرة حينئذ فمضى به، فحبسه عنده سنة، ثم كتب إلى الرشيد أن خذه مني وسلمه إلى من شئت، وإلا خليت سبيله فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلك، حتى إني لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو عليّ أو عليك فما أسمعته يدعو إلا لنفسه، يسأل الله الرحمة والمغفرة! فوجّه من تسلمه منه وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد فبقي عنده مدة طويلة، وأراد الرشيد على شئ من أمره فأبى، فكتب إليه ليسلمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه، وأراد ذلك منه فلم يفعله (أراد منه أن يعترف ويعلن اعتذاره!) وبلغه أنه عنده في رفاهية وسعة ودعة وهو حينئذ بالرقعة، فأنفذ مسروراً الخادم إلى بغداد على البريد وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى فيعرف خبره. فإن كان الأمر على ما بلغه أو وصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد

وأمره بامثاله، وأوصل كتاباً منه إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد. فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك، فأوصل الكتابين إليهما. فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض ركضاً إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهاً دهشاً حتى دخل على العباس فدعا العباس بالسياط وعقابين فوجه بذلك إليه السندي، فأمر بالفضل فجرد ثم ضربه مائة سوط. وخرج متغير اللون بخلاف ما دخل، ذهبت قوته فجعل يسلم على الناس يميناً وشمالاً!!).

وروى في رجال الكشي ٥٤٢/٢، قصة محمد بن إسماعيل لما جاء يودع عمه الكاظم عليه السلام وقال: وروى موسى بن القاسم البجلي: عن علي بن جعفر قال: سمعت أخي موسى عليه السلام قال قال أبي لعبد الله أخي: إليك ابني أخيك فقد ملأني بالسفه، فإنها شرك شيطان يعني: محمد بن إسماعيل بن جعفر وعلي بن إسماعيل، وكان عبد الله أخاه لأبيه وأمه!

أقول: يظهر أن يحيى البرمكي شغل محمداً وعلياً ابني إسماعيل في التجسس على عمهما الكاظم عليه السلام وأنها شريكان في دمه عليه السلام وكان عبد الله من نوعهما!

وفي البحار (٢٩٥/٤٨) فيما أحق به عن تحفة العالم: (كان له عليه السلام ستة إخوة وثلاثة أخوات وهم: إسماعيل، وعبد الله الأفطح، وأم فروة إسمها عالية أمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين عليه السلام ونقل عن ابن إدريس أنه قال: أم إسماعيل فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام. وإسحاق لأم ولد، والعباس وعلي ومحمد وأسماء وفاطمة، لأمهات أولاد شتى. وكان إسماعيل أكبر أولاد الصادق عليه السلام وهو جد الخلفاء الفاطميين في المغرب ومصر، ومصر الجديد من بنائهم.

وفي بغداد قبران مذمومان أحدهما علي بن إسماعيل بن الصادق عليه السلام ويعرف عند البغداديين بالسيد سلطان علي، والآخر أخوه محمد بن إسماعيل جد الفاطميين ويعرف عندهم بالفضل، والمحلة التي فيها محلة الفضل).

محمد بن جعفر الصادق عليه السلام

قال المظفر في كتابه الإمام الصادق عليه السلام (٢/١٢٥): (كان محمد سخياً شجاعاً، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وقالت زوجته خديجة بنت عبد الله بن الحسين: ما خرج من عندنا محمد يوماً قط في ثوب فرجع حتى يكسوه، وكان يذبح كل يوم كبشاً لأضيافه، وكان يسمى الديباجة لحسن وجهه وجماله. وكان يرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف، وخرج على المأمون في سنة ١٩٩ بمكة واتبعته الزيدية الجارودية. ولما بويع له بالخلافة ودعا لنفسه ودُعي بأمر المؤمنين دخل عليه الرضا عليه السلام فقال له: يا عم لا تكذب أباك وأخاك، فإن هذا الأمر لا يتم، ثم لم يلبث قليلاً حتى خرج لقتاله عيسى الجلودي فلقيه فهزمه ثم استأمن إليه فلبس السواد وصعد المنبر فخلع نفسه وقال: إن هذا الأمر للمأمون وليس لي فيه حق!

ولما أراد الموافقة مع جيش الجلودي أرسل الرضا إليه مولاه مسافراً وقال له: قل له: لا تخرج غداً فإنك إن خرجت غداً هُزمت وقُتل أصحابك، وإن قال لك من أين علمت غداً فقل: رأيت في النوم، فلما أتاه ونهاه عن الخروج وسأله عن سبب علمه بذلك وقال له: رأيت في النوم، قال محمد: نام العبد فلم يغسل استه، فكان الأمر كما أعلمه به مسافر عن الإمام. ولما خلع نفسه وتخلّى عن الأمر أنفذه الجلودي إلى المأمون ولما وصل إليه أكرمه المأمون وأدنى مجلسه منه، ووصله وأحسن جائزته، فكان مقيماً معه بخراسان يركب إليه في موكب من بني عمه، وكان المأمون يحتمل منه ما لا يحتمله السلطان من رعيته. وأنكر المأمون يوماً ركوبه إليه في جماعة من الطالبين الذين خرجوا على المأمون في سنة ٢٠٠ فأمّنهم، فخرج التوقيع إليهم: لا تركبوا مع محمد بن جعفر واركبوا مع عبد الله بن الحسين، فأبوا أن يركبوا ولزموا منازلهم، فخرج التوقيع: إركبوا مع من أحببتم فكانوا يركبون مع محمد بن جعفر عليه السلام إذا ركب إلى المأمون وينصرفون بانصرافه! ولما خرج على المأمون جفاه الرضا عليه السلام وقال: إني جعلت على نفسي ألا يظلني وإياه سقف بيت ويقول عمر بن يزيد وكان حاضراً عند أبي الحسن عليه السلام: فقلت في نفسي: هذا يأمر بالبر والصلة ويقول هذا

لعمره! فنظر إليّ فقال: هذا من البرِّ والصِّلة، إنه متى يأتيني ويدخل عليّ فيقول فيّ فيصدقه الناس، وإذا لم يدخل عليّ ولم أدخل عليه لم يُقبل قوله إذا قال.
ومن معاجز أبي الحسن الرضا عليه السلام في شأن محمد أن محمداً مرض فأخبروا الرضا عليه السلام أنه قد ربط ذقنه، فمضى إليه ومعه بعض أصحابه وإذا لحياه قد ربطا وإذا إسحاق أخو محمد وولده وجماعة آل أبي طالب يبكون، فجلس أبو الحسن عند رأسه ونظر في وجهه فتبسم، فنقم من كان في المجلس على أبي الحسن فقال بعضهم: إنها تبسم شامتاً بعمه، ولما خرج ليصلي في المسجد قال له أصحابه: جعلنا فداك قد سمعنا فيك من هؤلاء ما نكرهه حين تبسمت، قال أبو الحسن عليه السلام: إنها تعجبت من بكاء إسحاق وهو والله يموت قبله ويكيه محمد، فبرئ محمد ومات إسحاق!



إسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام

قال المفيد (الإرشاد: ٢/٢١١): (وكان إسحاق بن جعفر من أهل الفضل والصلاح والورع والاجتهاد، وروى عنه الناس الحديث والآثار، وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول: حدثني الثقة الرضي إسحاق بن جعفر. وكان إسحاق يقول بإمامة أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، وروى عن أبيه النص بالإمامة على أخيه موسى عليه السلام).

قال المظفر في كتابه الإمام الصادق عليه السلام (٢/١٢٣): (إسحاق كان من أهل الفضل والصلاح، والورع والإجتهاد، وروى عنه الناس الحديث والآثار، وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول: حدثني الثقة الرضي إسحاق بن جعفر، وكان يقول بإمامة أخيه موسى عليه السلام وروى عن أبيه النص على أخيه موسى عليه السلام، كما روى النص بها عليه من إخوته علي بن جعفر أيضاً، وكانا من الفضل والورع على ما لا يختلف فيه اثنان. وكان إسحاق من شهود الوصية التي أوصى بها الكاظم عليه السلام إلى ابنه الرضا عليه السلام).

ومن روى عنه غير ابن كاسب وابن عيينة جماعة: منهم بكر بن محمد الأزدي، ويعقوب بن

جعفر الجعفري، وعبد الله بن إبراهيم الجعفري، والوشاء محمد.

ومما يشهد لفضل إسحاق وورعه دفاعه عن الرضا عليه السلام، فإنه لما مضى الكاظم عليه السلام قدّم أبناء الكاظم أخاهم الرضا إلى القاضي فقال العباس بن موسى عليه السلام: أصلحك الله وأمتع بك إن في أسفل الكتاب كنزاً وجوهراً، ويريد أن يحتجبه ويأخذه هو دوننا، ولم يدع أبونا رحمه الله شيئاً إلا أجهأ إليه وتركنا عالية، ولولا أني أكف نفسي لأخبرت بك بشيء على رؤوس الملأ، فوثب إليه إبراهيم بن محمد فقال: إذن والله تخبر بما لا تقبله منك ولا نصدقك عليه، ثم تكون عندنا ملوماً مدحوراً، نعرفك بالكذب صغيراً وكبيراً، وكان أبوك أعرف بك لو كان فيك خير، وإن كان أبوك لعارفاً بك في الظاهر والباطن، وما كان ليأمنك على تمرتين، ثم وثب إليه عمه إسحاق بن جعفر هذا فأخذ بتلبيبه فقال له: إنك لسفيه ضعيف أحمق، أجمع هذا مع ما كان بالأمس منك، وأعانه القوم أجمعون).

(يلقب بالمؤتمن مرض وزمن يقال: إن زوجته الست نفيسة. وإليه نسب بني زهرة في حلب. وأعقب: الحسين، والقاسم، والحسن، وجعفر، ومحمد). (الزرباطي/٩٨).

وفي موجز دائرة المعارف الإسلامية (٣٢/٩٩٥٨): (والسيدة نفيسة هي ابنة الحسن بن زيد بن الحسن، وقد جاءت إلى مصر مع زوجها اسحق المؤتمن، وهو أحد أبناء جعفر الصادق، وقد اشتهرت بالتعليم والورع والتقوى. وكثيراً ما كان يزورها الشافعي لجمع الحديث. وعندما مات جرى بجثمانه إلى بيتها لتصلى عليه صلاة الميت وكان لها أطفال ولكنهم توفوا. وقد ماتت في رمضان ٢٠٨ هـ وتروى عنها الحكايات كرامات كثيرة. ومثال هذا ما يحكيه عديد من المصريين وليس المسلمون فقط من أن صلاتها أدت إلى ارتفاع كبير في مياه النيل في ليلة واحدة).

علي بن جعفر فخر أبناء الصادق عليه السلام بعد الكاظم عليه السلام

ولما توفي الإمام الصادق عليه السلام كان لم يبلغ الحلم، وكان أصغر أبنائه، وعرف بالعريضي لأنه سكن في العريض وهو قرية على بعد أميال من المدينة، وعرف أولاده بالعريضيين، وهم كثرة واشتهروا في جنوب اليمن، وسافروا إلى أندونيسيا وأسلم أهلها على يدهم.

وهو أفضل أبناء الإمام الصادق عليه السلام بعد الإمام الكاظم عليه السلام وكان لصيقاً به، وألف كتاباً في مسائله الفقهية التي سأله عنها وعرف الكتاب بمسائل علي بن جعفر.

وكان مؤمناً قوياً بالإيمان صادقاً وقد عاصر ابن أخيه الرضا عليه السلام وقال بإمامته، وعاصر محمد الجواد عليه السلام وقال بإمامته، وعاش حتى عاصر الإمام الهادي عليه السلام وقال بإمامته.

وقد روى عن أبيه الصادق عليه السلام وكان صغيراً لم يبلغ الحلم، فتكون ولادته نحو ١٣٥، ووفاته في أوائل إمامة علي الهادي عليه السلام سنة ٢٢٠ وعمره في الثمانينات.

وفي رجال الكشي (٧٢٨/٢): (عن علي بن أسباط وغيره، عن علي بن جعفر بن محمد قال: قال لي رجل أحسبه من الواقفة: ما فعل أخوك أبو الحسن؟ قلت: قد مات، قال: وما يدريك بذلك؟ قلت: اقتسمت أمواله وأنكحت نساؤه ونطق الناطق من بعده. قال: ومن الناطق من بعده؟ قلت: إبنة علي، قال: فما فعل؟ قلت له: مات، قال: وما يدريك أنه مات؟ قلت: قسمت أمواله ونكحت نسائه ونطق الناطق من بعده. قال: ومن الناطق من بعده؟ قلت: أبو جعفر ابنه. قال: فقال له: أنت في سنك وقدرك وابن جعفر بن محمد تقول هذا القول في هذا الغلام! قال: قلت: ما أراك إلا شيطاناً، ثم أخذ بلحيته فرفعها إلى السماء ثم قال: فما حيلتي إن كان الله رآه أهلاً لهذا ولم ير هذه الشيبة لهذا أهلاً!

وروى عنه قال: كنت عند أبي عليه السلام بالمدينة وعنده علي بن جعفر وأعرابي من أهل المدينة جالس، فقال لي الأعرابي: من هذا الفتى وأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام. قلت: هذا وصي رسول الله ﷺ فقال: يا سبحان الله رسول الله قد مات منذ مائتي سنة وكذا وكذا سنة وهذا حدث كيف يكون هذا؟ قلت: هذا وصي علي بن موسى، وعلي وصي موسى بن جعفر، وموسى وصي جعفر بن محمد، وجعفر وصي محمد بن علي، ومحمد وصي علي بن الحسين، وعلي وصي الحسين، والحسين وصي الحسن، والحسن وصي علي بن أبي طالب، وعلي وصي رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

قال: ودنا الطبيب ليقطع له العرق، فقام علي بن جعفر فقال: يا سيدي بيدوني ليكون

حدة الحديد بي قبلك! قال: قلت: يهنؤك، هذا عم أبيه قال: فقطع له العرق! ثم أراد أبو جعفر عليه السلام النهوض فقام علي بن جعفر فسوى له نعليه حتى لبسهما).
 قال المفيد في الإرشاد/٢٦٦: (وكان علي بن جعفر رضي الله عنه راويةً للحديث شديد الطريقة، شديد الورع، كثير الفضل، ولزم أخاه موسى عليه السلام وروى عنه شيئاً كثيراً).
 وقال الفخر الرازي في الشجرة المباركة في أنساب الطالبية/٧٦: (وعلي أبو الحسن العريضي، وعريض قرية بالمدينة على أربعة أميال منها وكان علي يسكنها، وكان طويل العمر أدرك الحسن العسكري عليه السلام).

من مقدمة كتاب: مسائل علي بن جعفر

بقلم السيد محمد رضا الحسيني الجلاي

قال علي بن جعفر رضي الله عنه: (خرجنا مع أخي موسى بن جعفر عليه السلام في أربع عمر، يمشي فيها إلى مكة بعياله وأهله، واحدة منهن مشى فيها ستة وعشرين يوماً، وأخرى خمسة وعشرين يوماً، وأخرى أربعة وعشرين يوماً، وأخرى أحد وعشرين يوماً).
 وروى محمد بن الوليد قال: سمعت علي بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام ويقول لجماعة من خاصة أصحابه: إستوصوا بموسى إبنني خيراً فإنه أفضل ولدي ومن أخلف من بعدي، وهو القائم مقامي، والحجة لله عز وجل على كافة خلقه من بعدي.



وقال: كنت عند أخي موسى بن جعفر عليه السلام فكان والله حجة في الأرض بعد أبي، إذ طلع ابنه علي عليه السلام فقال لي: يا علي، هذا صاحبك وهو مني بمنزلتني من أبي فثبتك الله على دينه، فبكيت وقلت في نفسي: نعى والله إليّ نفسه. فقال: يا علي، لا بد من أن تمضي مقادير الله فيّ. ولي برسول الله أسوة وبأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وكان هذا قبل أن يحمله هارون الرشيد، في المرة الثانية بثلاثة أيام.

عن زكريا بن يحيى البصري قال: سمعت علي بن جعفر بن محمد عليه السلام قال في حديثه: لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام لما بغى عليه إخوته وعمومته.

وأشرف المواقف الدالة على اعتقاده الحق موقفه مع ابن أخيه الإمام محمد الجواد عليه السلام. فهو يكشف عن صموده على الحق وتخطي كل الإعتبارات والعقبات النفسية. حيث كان عمر الإمام الجواد عليه السلام دون العاشرة وكان هو في السبعينات!

عن محمد بن الحسن بن عمار قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه يعني أبا الحسن عليه السلام إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يده وعظمه. فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم اجلس رحمك الله. فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم! فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل!

فقال: اسكتوا، إذا كان الله عز وجل وقبض على لحيته لم يؤهل هذه الشيبة، وأهل هذا الفتى ووضعته حيث وضعه، أنكر فضله! نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد!



قال المجلسي الأول: سمعت أن أهل الكوفة التمسوا منه مجيئه من المدينة إليهم، وكان في الكوفة مدة، وأخذ أهل الكوفة الأخبار منه، وأخذ منهم أيضاً.

ثم استدعى القميون نزوله إليهم فتنزلها وكان بها حتى مات بها رضي الله عنه وأرضاه. ولكن ابنه المجلسي الثاني أنكر عليه وقال: إن صاحب تاريخ قم ذكر الأشراف الذين نزلوا بلدة قم ولم يذكره، بل ذكر نزول أولاده فيها.

وأيضاً: لو كان مثله ورد هذه البلدة، التي هي مغرس الشيعة لاشتهر اشتهاً الشمس في رائعة النهار، وروى عنه الفضلاء الأخبار.

وقال السيد الأمين: الحق أن قبره بالعريض في ناحية المدينة، كما هو معروف عند أهل المدينة، وعليه قبة عالية، وقبره مزور. والظاهر أن القبر الذي في قم والذي في سمنان لشخصين آخرين مشاركين له في الاسم واسم الأب، فتبادر الذهن إلى الفرد الأكمل كما

يقع كثيراً، ويحصل به الاشتباه.

يقال لولده: العريضيون، وهم كثير، فأعقب من أربعة رجال: محمد، وأحمد الشعراني، والحسن، وجعفر الأحمر. وقال ابن طباطبا: عقبه من أربعة رجال: محمد الأكبر، والحسن، أمهما أم ولد. وجعفر، وكلثوم، وأحمد لقبه الشعراني.

ومليكة، وخديجة، وحمدونة، وزينب، لأمهات شتى. وفاطمة، وعلي، ومحمد الأصغر، وقيل عبد الله. وقال أيضاً: من ورد قم من أولاد علي العريضي: من أولاد الحسن بن عيسى الأكبر بن محمد بن علي العريضي: عقبه علي.

بقم: علي بن علي بن الحسن بن علي بن عيسى النقيب بن محمد الأكبر بن علي العريضي. عن أبي علي.. بن السائب بن مالك الأشعري صاحب كتاب قم.

بقم: أبو الحسين، أحمد بن القاسم بن أحمد، الشعراني ابن علي العريضي، ومات هناك بمقبرة مالون وقبره يزار، ويستشفى به.

بقم: أبو عبد الله، الحسين بن أحمد بن الحسين بن أحمد الشعراني بن علي العريضي.

بقم: أحمد بن حمزة بن محمد بن أحمد بن الحسين بن أحمد الشعراني.

وقال المجلسي الأول: وانتشر أولاده في العالم: ففي أصفهان قبر بعض أولاده، منهم: السيد كمال الدين في قرب سين برخوار وقبره مزار، والسيد أبو المعالي، وأولادهما في أصفهان من الأعاظم في الدين والدنيا.

وذكر القمي منهم: مجد الدين الحلبي، العريضي، السيد الأجل، علي بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن عيسى بن محمد بن عيسى بن علي العريضي صاحب المسائل. وقال: فاضل، جليل، من مشايخ المحقق الحلي.

كتاب مسائل علي بن جعفر

الكتاب كله عبارة عن مجموعة من المسائل التي سأل أخاه الكاظم عليه السلام عنها، وليس في أحاديث الكتاب رواية له عن أبيه الصادق عليه السلام.

لكن الشهيد ذكر في تعليقه على خلاصة العلامة ما نصه: له كتاب يشتمل على ما رواه عن أخيه وأبيه، وهذا سهو منه قدس الله روحه إذ لم يوجد في ما بأيدينا من النسخ: رواية علي عن أبيه بل جميع ما فيها ورد مروياً عن الكاظم عليه السلام.

وكتاب مسائل علي بن جعفر موجود والله الحمد بنسخته المبوبة، وغير المبوبة.

غير المبوبة تحتوي على ٤٢٩ حديثاً ومجموع ما في المبوبة ٥٣٣ حديثاً.

أقول: يظهر أن بعضهم رتب غير المبوبة بحسب أبواب الفقه، وأضاف إليها ما روي من أسئلة علي بن جعفر لأخيه الكاظم عليه السلام. فهذه النسخة المبوبة.



برز الإمام الكاظم خليفة أبيه الصادق عليه السلام على رغم المنصور

قال المفيد في الإرشاد (٢/٢١٣): (وكان موسى بن جعفر عليه السلام أجلاً ولد أبي عبد الله عليه السلام قدراً وأعظمهم محلاً، وأبعدهم في الناس صيتاً، ولم ير في زمانه أسخى منه ولا أكرم نفساً وعشرة، وكان أعبد أهل زمانه وأورعهم وأجلهم وأفقههم، واجتمع جمهور شيعة أبيه على القول بإمامته والتعظيم لحقه والتسليم لأمره. ورووا عن أبيه عليه السلام نصوصاً عليه بالإمامة وإشارات إليه بالخلافة، وأخذوا عنه معالم دينهم، ورووا عنه من الآيات والمعجزات ما يقطع به على حجته، وصواب القول بإمامته).

من معجزاته التي ظهرت لرسول أهل نيسابور

روى ابن حمزة في الثاقب في المناقب / ٤٣٩: (عن عثمان بن سعيد، عن أبي علي بن راشد، قال: اجتمعت العصابة بنيسابور في أيام أبي عبد الله عليه السلام فتذاكروا ما هم فيه من الإنتظار للفرج وقالوا: نحن نحمل في كل سنة إلى مولانا ما يجب علينا، وقد كثرت الكاذبة، ومن يدعي هذا الأمر، فينبغي لنا أن نختار رجلاً ثقة نبعثه إلى الإمام ليتعرف لنا الأمر. فاختاروا رجلاً يعرف بأبي جعفر محمد بن إبراهيم النيسابوري ودفعوا إليه ما وجب عليهم في السنة من

مال وثياب، وكانت الدنانير ثلاثين ألف دينار، والدرهم خمسين ألف درهم، والثياب ألقي شقة، وأثواب مقاربات ومرتفعات.

وجاءت عجوز من عجائر الشيعة الفاضلات اسمها (شطيطة) ومعها درهم صحيح، فيه درهم ودانقان، وشقة من غزلها، خام تساوي أربعة دراهم، وقالت: ما يستحق علي في مالي غير هذا، فادفعه إلى مولاي، فقال: يا امرأة أستحي من أبي عبد الله عليه السلام أن أحمل إليه درهما وشقة بطانة. فقالت: ألا تفعل! إن الله لا يستحي من الحق، هذا الذي يستحق، فاحمل يا فلان فلئن ألقى الله عز وجل وماله قبلي حق قل أم كثر، أحب إلي من أن ألقاه وفي رقبتني لجعفر بن محمد حق. قال: فعوجت الدرهم، وطرحته في كيس، فيه أربع مائة درهم لرجل يعرف بخلف بن موسى اللؤلؤي، وطرح الشقة في رزمة فيها ثلاثون ثوباً لأخوين بلخين يعرفان بابني نوح بن إسماعيل، وجاءت الشيعة بالجزء الذي فيه المسائل، وكان سبعين ورقة، وكل مسألة تحتها بياض، وقد أخذوا كل ورقتين فحزموها بحزائم ثلاثة، وختموا على كل حزام بخاتم، وقالوا: تحمل هذا الجزء معك، وتمضي إلى الإمام فتدفع الجزء إليه، وتبيت عنده ليلة وعد عليه وخذه منه فإن وجدت الخاتم بحاله لم يكسر ولم يتشعب فاكسر منها ختمه وانظر الجواب، فإن أجاب ولم يكسر الخواتيم فهو الإمام فادفعه إليه وإلا فرد أموالنا علينا. قال أبو جعفر: فسرت حتى وصلت إلى الكوفة وبدأت بزيارة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ووجدت على باب المسجد شيخاً مسناً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وقد تشنج وجهه، متزراً ببرد متشحاً بآخر، وحوله جماعة يسألونه عن الحلال والحرام وهو يفتيهم على مذهب أمير المؤمنين عليه السلام، فسألت من حضر عنده فقالوا: أبو حمزة الثمالي. فسلمت عليه وجلست إليه فسألني عن أمري فعرفته الحال ففرح بي وجذبني إليه وقبل بين عيني وقال: لو تجذب الدنيا ما وصل إلى هؤلاء حقوقهم، وإنك ستصل بحرمتهم إلى جوارهم. فسرت بكلامه وكان ذلك أول فائدة لقيتها بالعراق وجلست معهم أتحدث إذ فتح عينيه ونظر إلى البرية وقال: هل ترون ما أرى؟ فقلنا: وأي شئ رأيت؟ قال: أرى

شخصاً على ناقة. فنظرنا إلى الموضع فرأينا رجلاً على جمل فأقبل فأناخ البعير، وسلم علينا وجلس فسأله الشيخ وقال: من أين أقبلت؟ قال: من يثرب. قال: ما وراءك؟ قال: مات جعفر بن محمد عليه السلام. فانقطع ظهري نصفين وقلت لنفسي: إلى أين أمضي؟ فقال له أبو حمزة: إلى من أوصى؟ قال: إلى ثلاثة، أولهم أبو جعفر المنصور، وإلى ابنه عبد الله، وإلى ابنه موسى. فضحك أبو حمزة والتفت إليّ وقال: لا تغتم فقد عرفت الإمام. فقلت: وكيف أيها الشيخ؟ فقال: أما وصيته إلى أبي جعفر المنصور فستر على الإمام، وأما وصيته إلى ابنه الأكبر والأصغر فقد بين عن عوار الأكبر، ونص على الأصغر. فقلت: وما فقه ذلك؟ فقال: قول النبي صلى الله عليه وآله: الإمامة في أكبر ولدك يا علي ما لم يكن ذا عاهة. فلما رأينا قد أوصى إلى الأكبر والأصغر، علمنا أنه قد بين عن عوار كبيره ونص على صغيره، فسر إلى موسى فإنه صاحب الأمر. قال أبو جعفر: فودعت أمير المؤمنين وودعت أبا حمزة وسرت إلى المدينة وجعلت رحلي في بعض الخانات، وقصدت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وزرته وصليت ثم خرجت وسألت أهل المدينة: إلى من أوصى جعفر بن محمد؟ فقالوا: إلى ابنه الأفطح عبد الله فقلت: هل يفتي؟ قالوا: نعم. فقصدته وجئت إلى باب داره فوجدت عليها من الغلمان ما لم يوجد على باب دار أمير البلد فأنكرت ثم قلت: الإمام لا يقال له لم وكيف، فاستأذنت فدخل الغلام وخرج وقال: من أين أنت؟ فأنكرت وقلت: والله ما هذا بصاحبي. ثم قلت: لعله من التقية فقلت: قل: فلان الخراساني، فدخل وأذن لي فدخلت فإذا به جالس في الدست على منصة عظيمة، وبين يديه غلمان قيام فقلت في نفسي: ذا أعظم الإمام يقعد في الدست! ثم قلت: هذا أيضاً من الفضول الذي لا يحتاج إليه يفعل الإمام ما يشاء، فسلمت عليه فأدنانني وصافحني وأجلسني بالقرب منه، وسألني فأحفي ثم قال: في أي شيء جئت؟ قلت: في مسائل أسأل عنها وأريد الحج. فقال لي: إسأل عما تريد أفقلت: كم في المائتين من الزكاة؟ قال: خمسة دراهم. قلت: كم في المائة؟ قال: درهمان ونصف (وأجمع المسلمون على أنه ليس على مادون المائتين زكاة). فقلت: حسن يا مولاي أعينك بالله، ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد

نجوم السماء؟ قال: يكفيه من رأس الجوزاء ثلاثة. فقلت: الرجل لا يحسن شيئاً!
 فقلت وقلت: أنا أعود إلى سيدنا غداً. فقال: إن كان لك حاجة فإننا لا نقصر. فانصرفت
 من عنده وجمت إلى ضريح النبي صلى الله عليه وآله فانكبت على قبره وشكوت خيبة سفري وقلت:
 يا رسول الله بأبي أنت وأمي، إلى من أمضي في هذه المسائل التي معي؟ إلى اليهود، أم إلى
 النصارى، أم إلى المجوس، أم إلى فقهاء النواصب؟ إلى أين يا رسول الله؟ فما زلت أبكي
 وأستغيث به فإذا أنا بإنسان يركني فرفعت رأسي من فوق القبر، فرأيت عبداً أسود
 عليه قميص خلق، وعلى رأسه عمامة حلقة فقال لي: يا أبا جعفر النيسابوري، يقول لك
 مولاك موسى بن جعفر عليه السلام: لا إلى اليهود، ولا إلى النصارى، ولا إلى المجوس، ولا إلى
 أعدائنا من النواصب، إني فأنا حجة الله قد أجبتك عما في الجزو وبجميع ما تحتاج إليه
 منذ أمس، فجمتني به وبدرهم شطيطة الذي فيه درهم ودانقان، الذي في كيس أربع مائة
 درهم اللؤلؤي، وشقتها التي في رزمة الأخوين البلخيين. قال: فطار عقلي وجمت إلى رحلي
 ففتحت وأخذت الجزو والكيس والرزمة، فجمت إليه فوجدته في دار خراب، وبابه مهجور
 ما عليه أحد، وإذا بذلك الغلام قائم على الباب، فلما رأيته دخل بين يدي ودخلت معه فإذا
 بسيدنا عليه السلام جالس على الحصير، وتحت شاذكونة يمانية (ثياب غليظة) فلما رأيته ضحك وقال:
 لا تقنط، ولم تفزع لا إلى اليهود، ولا إلى النصارى والمجوس، أنا حجة الله ووليه، ألم يعرفك
 أبو حمزة على باب مسجد الكوفة جري أمري؟ قال: فأزاد ذلك في بصيرتي وتحققت أمره.
 ثم قال لي: هات الكيس فدفعته إليه فحله وأدخل يده فيه، وأخرج منه درهم شطيطة، وقال
 لي: هذا درهمها؟ فقلت: نعم. فأخذ الرزمة وحلها وأخرج منها شقة قطن مقصورة، طولها
 خمسة وعشرون ذراعاً وقال لي: اقرأ عليها السلام كثيراً، وقل لها: قد جعلت شقتك في
 أكفاني وبعثت إليك بهذه من أكفاننا، من قطن قرينتنا صرباً قرية فاطمة عليها السلام وبذر قطن كانت
 تزرعه بيدها الشريفة لأكفان ولدها، وغزل أختي حكيمة بنت أبي عبد الله عليه السلام وقصارة يده
 لكفنه فاجعلها في كفك.

ثم قال: يا معتب جئني بكيس نفقة مؤوناتنا فجاء به فطرح درهماً فيه، وأخرج منه أربعين درهماً وقال: إقرأها مني السلام، وقل لها: ستعشين تسع عشرة ليلة من دخول أبي جعفر ووصول هذا الكفن وهذه الدراهم فانفقي منها ستة عشر درهماً، واجعلي أربعة وعشرين صدقة عنك، وما يلزم عليك، وأنا أتولى الصلاة عليك، فإذا رأيتني فاكتم فإن ذلك أبقى لنفسك وافكك هذه الخواتيم وانظر هل أجنبك أم لا؟ قبل أن تجيء بدراهمهم كما أوصوك، فإنك رسول. فتأملت الخواتيم فوجدتها صحاحاً، ففككت من وسطها واحداً فوجدت تحتها: ما يقول العالم عليه السلام في رجل قال: نذرت لله عز وجل لأعتقن كل مملوك كان في ملكي قديماً وكان له جماعة من المالكين؟ تحتها الجواب من موسى بن جعفر عليه السلام: من كان في ملكه قبل ستة أشهر، والدليل على صحة ذلك قوله تعالى: وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. وكان بين العرجون القديم والعرجون الجديد في النخلة ستة أشهر.

وفككت الآخر فوجدت فيه: ما يقول العالم عليه السلام في رجل قال: أتصدق بهال كثير، بما يتصدق. تحتها الجواب بخطه عليه السلام: إن كان الذي حلف بهذا اليمين من أرباب الدنانير تصدق بأربعة وثمانين ديناراً، وإن كان من أرباب الدراهم تصدق بأربعة وثمانين درهماً وإن كان من أرباب الغنم فيتصدق بأربعة وثمانين غنماً، وإن كان من أرباب البعير فبأربعة وثمانين بعيراً، والدليل على ذلك قوله تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ، فعددت مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل نزول الآية فكانت أربعة وثمانين موطناً.

وكسرت الأخرى فوجدت تحتها: ما يقول العالم عليه السلام في رجل نبش قبراً وقطع رأس الميت وأخذ كفته؟ الجواب تحتها بخطه عليه السلام: تقطع يده لأخذ الكفن من وراء الحرز، ويؤخذ منه مائة دينار لقطع رأس الميت، لأننا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن أمه من قبل نفخ الروح فيه، فجعلنا في النطفة عشرين ديناراً، وفي العلقة عشرين ديناراً، وفي المضغة عشرين ديناراً وفي اللحم عشرين ديناراً، وفي تمام الخلق عشرين ديناراً، فلو نفخ فيه الروح لألزمناه ألف دينار، على أن لا يأخذ ورثة الميت منها شيئاً، بل يتصدق بها عنه، أو يحج أو يغزى بها، لأنها

أصابته في جسمه بعد الموت.

قال أبو جعفر: فمضيت من فوري إلى الخان وحملت المال والمتاع إليه، وأقمت معه وحج في تلك السنة فخرجت في جملته معادلاً له في عماريته في ذهابي يوماً وفي عمارية أبيه يوماً ورجعت إلى خراسان فاستقبلني الناس، وشطيطة من جملتهم، فسلموا عليّ فأقبلت عليها من بينهم وأخبرتها بحضرتهم بما جرى، ودفعت إليها الشقة والدرهم، وكادت تشق مرارتها من الفرح، ولم يدخل إلى المدينة من الشيعة إلا حاسد أو متأسف على منزلتها، ودفعت الجزء إليهم، ففتحوا الخواتيم، فوجدوا الجوابات تحت مسائلهم.

وأقامت شطيطة تسعة عشر يوماً وماتت رحمها الله، فتزاحمت الشيعة على الصلاة عليها فرأيت أبا الحسن عليه السلام على نجيب فنزل عنه وأخذ بخطامه، ووقف يصلي عليها مع القوم، وحضر نزولها إلى قبرها ونثر في قبرها من تراب قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلما فرغ من أمرها ركب البعير وألوى برأسه نحو البرية وقال: عرف أصحابك وأقرأهم عني السلام وقل لهم: إنني ومن جرى مجراي من أهل البيت لا بد لنا من حضور جنائزكم في أي بلد كنتم، فاتقوا الله في أنفسكم وأحسنوا الأعمال لتعينونا على خلاصكم، وفك رقابكم من النار. قال أبو جعفر (محمد بن إبراهيم النيسابوري): فلما ولي عليه السلام عرفته الجماعة، فأوه وقد بعد والنجيب يجري به، فكادت أنفسهم تسيل حزناً إذ لم يتمكنوا من النظر إليه. وفي ذلك عدة آيات وكفى بها حجة للمتأمل الذاكر).



من معجزاته التي ظهرت لشقيق بن ابراهيم البلخي

كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام محترماً محبوباً عند الشيعة والسنة، وقد روى كراماته الخاصة والعامه. قال محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل/٤٤٦: (هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد، الجاد في الإجهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدقاً وصائماً، ولفرط حلمه

وتجاوزه عن المعتدين عليه دعى كاظماً، كان يجازي المسئء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق باب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به، كرامته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول.

وأما ولادته فبالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة، وقيل تسع وعشرين ومائة وأما نسبه أباً وأماً: فأبوه جعفر الصادق بن محمد الباقر، وقد تقدم القول فيه. وأما أمه فأم ولد تسمى حميدة البربرية، وقيل غير ذلك.

وأما مناقبه فكثيرة، ولو لم يكن منها إلا العناية الربانية لكفاه ذلك منقبة، وقد نقل عن الفضل بن الربيع أنه أخبر عن أبيه أن المهدي لما حبس موسى بن جعفر، ففي بعض الليالي رأى المهدي في منامه علي بن أبي طالب وهو يقول له: يا محمد، *فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ؟* قال الربيع: فأرسل إلي ليلاً فراعني، وخفت من ذلك فجئت إليه فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتاً فقال: علي الآن بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه، وقال: يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ علي كذا، فتؤمني أن تخرج علي أو علي أحد من ولدي. فقال عليه السلام: والله لا فعلت ذلك، ولا هو من شأني. قال: صدقت. يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردة إلى أهله إلى المدينة. قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو على الطريق.

ثم روى عن شقيق البلخي الزاهد المشهور قصته مع الإمام الكاظم عليه السلام، قال: قال هشام بن حاتم الأصم: قال لي أبو حاتم: قال لي شقيق البلخي: خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية، فبينما أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف، فوق ثيابه ثوب من صوف، مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً فقلت في نفسي:

هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه!

فدنوت منه فلما رأني مقبلاً قال: يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثمٌ، ثم تركني ومضى! فقلت في نفسي: إن هذا لأمرٌ عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي، وما هذا إلا عبدٌ صالح لألقنه ولأسأله أن يحالني، فأسرعت في أثره فلم ألقه وغاب عن عيني! فلما نزلنا واقصة إذ به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه وأستحله فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه فلما رأني مقبلاً قال لي: يا شقيق أتل: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى. ثم تركني ومضى!

فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال! لقد تكلم على سري مرتين! فلما نزلنا زباله إذا بالفتى قائمٌ على البئر ويده ركوةٌ يريد أن يستقي ماء، فسقطت الركوة من يده في البئر، وأنا أنظر إليه فرأيتَه قد رمق السماء وسمعته يقول:

أنت ربي إذا ظمئتُ إلى الـ ماء وقُوتِي إذا أردتُ الطعاما

اللهم سيدي مالي سواها فلا تحرمنيها، قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها، فمد يده فأخذ الركوة وملاها ماء، فتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كتيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب! فأقبلت إليه وسلمت عليه فرد عليّ السلام فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك. فقال: يا شقيق لم تزل نعمه علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك. ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر! فوالله ما شربت قط ألد منه ولا أطيب ريحاً، فشبع ورويت وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شرباً! ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيتَه ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل قائماً يصلي بخضوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح، ثم قام فصلى الغداة، وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج، فتبعته وإذاله غاشية وموالٍ، وهو على خلاف ما رأيتَه في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه! فقلت لبعض من يقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا مثل هذا السيد!

وقد نظم بعض المتقدمين واقعة شقيق معه في أبيات، اقتصر على ذكر بعضها، فقال:

سَلُّ شَقِيقَ الْبَلْخِيِّ عَنْهُ وَمَا شَأْنُ	هُدًى مِنْهُ وَمَا الَّذِي كَانَ أَبْصُرُ
قَالَ لَمَّا حَجَجْتَ عَيْنُكَ شَخْصاً	شَاخِبَ اللَّوْنِ نَاحِلَ الْجِسْمِ أَسْمُرُ
سَائِراً وَحْدَهُ وَلَيْسَ لَهُ زَادٌ	فَمَا زَلْتِ دَائِماً أَتَفَكَّرُ
وَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ يَسْأَلُ النَّاسَ	وَلَمْ أَدْرُ أَنَّهُ الْحَجُّ الْأَكْبَرُ
ثُمَّ عَايَنْتُهُ وَنَحْنُ نَزْوِلُ	دُونَ فَيْدٍ عَلَى الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ
يَضَعُ الرَّمْلَ فِي الْإِنَاءِ وَيَشْرَبُهُ	فَنَادَيْتُهُ وَعَقَلِي مُحِيرُ
إِسْقِنِي شَرْبَةً فَنَاولَنِي مِنْهُ	فَعَايَنْتُهُ سَوِيْقاً وَسُكْرُ
فَسَأَلْتُ الْحَجِيجَ مَنْ يَكُ هَذَا	قِيلَ هَذَا الْإِمَامُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ

فهذه الكرامات العالية الأقدار الخارقة العوائد هي على التحقق جلية المناقب وزينة المزايا وغرر الصفات، ولا يؤتاها إلا من فاضت عليه العناية الربانية أنوار التأيد، ومرت له أخلاف التوفيق، وأزلفته من مقام التقديس والتطهير: وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ). هذا، والأخبار والمؤلفات في سيرة الإمام الكاظم عليه السلام وكراماته ومعجزاته كثيرة، ومنها كتابنا: الإمام الكاظم عليه السلام سيد بغداد. وقد اکتفينا هنا بهذه الإشارة.





الفصل الخامس

الثورات في عصر الإمام الصادق عليه السلام

أمجاد ثورة الحسين وأبناء الحسين في ثقافة المسلمين

أول من تصدى للثورة من الهاشميين بعد الحسين زيد بن علي عليه السلام، وهو حسيني، وقد وجد أنصاراً في العراق لكنهم انكسروا في المعركة، وشاء الله أن يصيبه سهم في جبهته فُقتل وينفرط أنصاره، وواصل ثورته ابنه يحيى عليه السلام فقصده إيران ووجد أنصاراً، لكن شاء الله أن يصيبه سهم في جبهته كأبيه ويقتل!

ثم تصدى للثورة في الكوفة بعد يحيى، عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، حفيد جعفر الطيار عليه السلام وفشل، لكنه وجد أنصاراً من الإيرانيين فحكم مناطق منها، وقصده بعض بني هاشم ومنهم المنصور وأخوه السفاح، فعينه جابياً لخراج بلدة إيذه بلدة أمه في الأهواز، حتى جاءه جيش الشام بقيادة ابن ضبارة، فانهمز ابن جعفر وانتهى!

وتصدى الحسينيون وكانوا زعامة الحركة في المدينة، وأخذوا البيعة من العباسيين وغيرهم، لكنهم ركزوا نشاطهم على البصرة، ولم ينشطوا في إيران كما نشط العباسيون أخيراً. وكان الحسينيون يهتمون بالتنوع دون الكمية، والتف حولهم الزيديون.

قال الذهبي في سيره (٣٤٦/٨): (يعقوب الوزير الكبير الزاهد الخاشع.. بن داود بن طهمان الفارسي الكاتب. كان والده كاتباً للأمير نصر بن سيار متولي خراسان، فلما خرج هناك يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بعد مصرع أبيه زيد، كان داود يناصح يحيى سراً، ثم قتل يحيى وظهر أبو مسلم صاحب الدعوة وطلب بدم يحيى وتتبع قتلتها، فجاءه داود مطمئناً إليه، فطالبه بمال ثم أمنه. وتخرج أولاده في الآداب وهلك أبوهم ثم أظهروا مقالة الزيدية

وانضموا إلى آل حسن.. وجمال يعقوب بن داود في البلاد، ثم صار أخوه علي بن داود كاتباً لإبراهيم بن عبد الله الثائر بالبصرة، فلما قتل إبراهيم اختفوا مدة، ثم ظفر المنصور بهذين فسجنهما، ثم استخلف المهدي فمنَّ عليهما).

وقال ابن خلدون (٣/ ٢١١): (فكان ذلك سبباً لوصلته بالمهدي حتى استوزره، فجمع الزيدية وولاهم شرقاً وغرباً، وكثرت السعاية فيه من البطانة. وتمكن أعداؤه من السعاية حتى سخطه، وأمر به فحبس وحبس عماله وأصحابه، ويقال بل دفع إليه علوباً ليقتله فأطلقه)!

كان للأئمة الإثني عشر عليهم السلام سياستهم الخاصة

لم يتصدَّ الأئمة المعصومون بعد الحسين عليه السلام للثورة، مع أن الكوفة كانت قاعدة لهم، وكان لهم شيعة من الإيرانيين فيهم شخصيات، فقد أسس سلمان الفارسي رضي الله عنه للتشيع بين الإيرانيين في المدينة ثم في المدائن، والتفَّ عدد منهم حول أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، ومن النصوص الصحيحة عند الجميع أن الأشعث بن قيس دخل يوماً إلى مسجد الكوفة وكان علي عليه السلام يخطب، فتخطى الأشعث رقاب الناس نحو المنبر وقال: (يا أمير المؤمنين غلبتنا عليك هذه الحمراء! (أي الإيرانيين) فقال عليه السلام:

من يعذرني من هؤلاء الضباطرة (الضيطر الضخم الفارغ) يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه، وهؤلاء يهجررون إلى ذكر الله إن طردتهم إني إذا لمن الظالمين.

أما والله لقد سمعته عليه السلام يقول: ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً). (مسند أبي يعلى: ١/ ٣٢٢، وكتاب الأم للشافعي: ٧/ ١٧٦، وأمالى المحاملي/ ٢٠٠، والغارات للثقفى: ٢/ ٤٩٨، ونهج السعادة: ٢/ ٧٠٣، ولسان العرب: ٤/ ٥٤٩).

وفي الغارات: ٢/ ٨٢٩، وشرح النهج: ٢٠/ ٢٨٤: (ثم قال: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على قربك فركض المنبر برجله، حتى قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث! ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضباطرة! يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوماً للذكر، أفتأمر ونني أن أطردهم، ما كنت

لأطردهم فأكون من الجاهلين! أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً).

وكان للأئمة من أبناء علي عليه السلام أصحاب في أكثر مدن إيران، تلاميذ ورواة وعلماء، ووكلاء معتمدون. ومع ذلك لم يغيّر الإمامان الباقر والصادق وأبنائهما المعصومون عليهم السلام أسلوب آبائهم في العمل العلمي العقائدي، ولم يعملوا في طرح الشعارات وجمع الأنصار وأخذ البيعة والإعداد للثورة، وقد أخبر الإمام الباقر عليه السلام أخاه الأصغر زيدا بأنك إن ثرت تقتل وتصلب، ولم ينهه عن الثورة، وكذا أخبره ابن أخيه جعفر الصادق عليه السلام وفي نفس الوقت بكى عليه ومدحه وتضامن مع من أصيب معه.

الشعبية الواسعة لأهل البيت عليهم السلام وثورة زيد وابنه يحيى

احتاج الأمر الى قرن من الزمان حتى يفيق جمهور المسلمين ويفهم أن بني أمية الذين يحكمونهم ويظلمونهم هم أسرة أبي سفيان قائد المشركين في حروبهم مع النبي صلى الله عليه وآله! وأنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله قتلوا عترته وتسلطوا على المسلمين!

لذلك ظهرت في عامة الناس موجة تعاطف واسعة مع آل الرسول صلى الله عليه وآله وعادت الى التداول بين الناس آيات القرآن، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في مكانة أهل البيت عليهم السلام، وانبعث مخزون حكم علي واستشهاد الحسين ثم حفيده زيد عليه السلام في وجدان الأمة.

كما ساعد عليها تفاقم ظلم الأمويين وسوء سيرتهم، حتى لم يبق لهم من الناس عاذر! كانت القوى التي تصنع القرار في العالم الإسلامي يومها تتمثل بالثقل العلمي لأئمة أهل البيت عليهم السلام في المدينة، ويليهم فقهاء تبنتهم السلطة. ثم امتد الثقل العلمي إلى بعض حواضر العالم الإسلامي، كالكوفة والبصرة.

وأما الثقل السياسي فكان للشام مركز الحكم، ثم العراق وإيران، ففيها تصنع أحداث العالم الإسلامي وتتخذ قراراته، وتتبعها بقية المناطق.

وأما الثقل العسكري فكان لليمانيين الذين قامت على أكتافهم أكثر الفتوحات وانتشروا

في البلاد، حامياتٍ وحكاماً، ثم للقوة الشامية المقاتلة، ثم القوة العراقية، ثم دخلت القوة العسكرية الخراسانية المعارضة. فهذه القوى هي التي صنعت تاريخ الأمة.

وقد وصف محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، والد السفاح والمنصور، حال الأمة فقال: (أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي وولده. وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل).

وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى.

وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، وعداوة لنا راسخة وجهلاً متراكباً. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر.

ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سالمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء، ولم تنوزعها النحل، ولم تشغلها ديانة، ولم يقدح فيها فساد، وليست لهم اليوم همم العرب، ولا فيهم كتحالف القبائل وعصبية العشائر وما يزالون يُدالون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون، ويتمنون الفرج ويأملون، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات، ولحى وشوارب وأصوات هائلة).

(أخبار الدولة العباسية/ ٢٠٦، وشرح النهج: ١٥/ ٢٩٣).

ثورة زيد بن علي عليه السلام فتحت باب الثورة من جديد

١- أجمع علماءنا على مدح زيد بن علي عليه السلام:

قال المفيد رحمته الله في الإرشاد: ١٧١/٢: (وكان زيد بن علي بن الحسين عيّن إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام).

وكان زيد أصغر من أخيه الباقر عليه السلام بأربع وعشرين سنة، وكان يحترم ابن أخيه الإمام الصادق عليه السلام ويستشير به مع أنه في سنه، قال الصادق عليه السلام: (رحم الله عمي زيدا إنه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بها دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا

عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك! فلما ولى قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه). (عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٢٥).

واستشهد زيد سنة ١٢٢ وعمره ٤٢ سنة (تاريخ دمشق: ١٩/ ٤٧٦ ومقاتل الطالبين/ ٨٨).

٢- كان زيد إلى جنب أخيه الإمام الباقر عليه السلام معروفاً بصفاته المميزة، وكان الإمام عليه السلام يصفه بأنه لسانه المعبر عن أفكاره، كما روى السيد المرتضى رحمته الله: (وأما زيد فلساني الذي أنطق به). (الناصريات/ ٦٤). وقد أجاب زيد الخليفة هشاماً الأحمول لما قال له: (ما يفعل أخوك البقرة يعني الباقر عليه السلام؟ فقال له زيد: لَشَدَّ ما خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله، سباه رسول الله الباقر وتسميه البقرة! لتخالفته في يوم القيامة فيدخل الجنة وتدخل النار!) فغضب هشام منه وزاد حقه عليه.

وقد واكب زيد جهاد أخيه الباقر عليه السلام وهو يفجر جداول علم النبوة، ويتحدى الخليفة والنظام الأموي، ويجرئ المسلمين عليه!

كان زيد يشاهد ظلم الأمويين والشعبية الواسعة لأهل البيت عليهم السلام في الحجاز والعراق وخراسان فأخذ يفكر في الثورة لإسقاط الحكم الأموي الفاسد وإقامة حكم صالح، ثم كان يعلن ذلك، حتى أن الخليفة هشاماً سأله عن تفكيره بالثورة فلم ينكره!

(فقال له هشام: يا زيد إن الله لا يجمع النبوة والملك لأحد! فقال زيد: يا أمير المؤمنين ما هذا؟! قال الله تبارك وتعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا). (تاريخ دمشق: ١٩/ ٤٦٨).

وقد رووا كثيراً عن السبب المباشر لثورته عليه السلام، وأقوى الروايات أن هشاماً عندما نكّب واليه على العراق خالد القسري وحبسّه وطالبه بملايين، أراد أن يضرب زيداً وشخصيات من بني هاشم: (بعث إلى مكة فأخذوا زيداً، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، لأنهم اتهموهم أن لخالد القسري عندهم مالاً مودوعاً). (عمدة الطالب/ ٢٥٦) فأحضر وهم إلى الشام، ووبخ الخليفة زيداً فأجابه زيد بقوة، ثم أرسله إلى

الكوفة ليواجه به خالد القسري!

قال اليعقوبي (٣٢٥/٢): (وأقدم هشام زيد بن علي بن الحسين فقال له: إن يوسف بن عمر الثقفي كتب يذكر أن خالد بن عبد الله القسري ذكر له أن عندك ست مائة ألف درهم وديعة، فقال: ما لخالد عندي شيء! قال: فلا بد من أن تشخص إلى يوسف بن عمر حتى يجمع بينك وبين خالد. قال: لا تُوجه بي إلى عبد ثقيف يتلاعب بي! فقال: لا بد من إشخاصك إليه، فكلمه زيد بكلام كثير.. قال له هشام: لقد بلغني أنك تؤهل نفسك للخلافة وأنت ابن أمة! قال: ويلك مكان أُمِّي يضعني؟ والله لقد كان إسحاق ابن حُرّة وإسماعيل ابن أمة، فاختص الله عز وجل ولد إسماعيل فجعل منهم العرب، فما زال ذلك يُنمي حتى كان منهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم قال: إتق الله يا هشام! فقال: أو مثلك يأمرني بتقوى الله؟ فقال: نعم! إنه ليس أحد دون أن يأمر بها، ولا أحد فوق أن يسمعها!

فأخرجه مع رسل من قبله.. وكتب هشام إلى يوسف بن عمر: إذا قدم عليك زيد بن علي فاجمع بينه وبين خالد ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة، فإني رأيت رجلاً حلوا اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام، وأهل العراق أسرع شيء إلى مثله!

فلما قدم زيد الكوفة دخل إلى يوسف فقال: لم أشخصتني من عند أمير المؤمنين؟ قال: ذكر خالد بن عبد الله أن له عندك ست مائة ألف درهم. قال: فأحضر خالداً! فأحضره وعليه حديد ثقيل فقال له يوسف: هذا زيد بن علي فاذكر مالك عنده! فقال: والله الذي لا إله إلا هو، مالي عنده قليل ولا كثير، ولا أردتم بإحضاره إلا ظلمه!

فأقبل يوسف على زيد وقال له: إن أمير المؤمنين أمرني أن أخرجك من الكوفة ساعة قدومك. قال: فأستريح ثلاثاً ثم أخرج. قال: ما إلى ذلك سبيل. قال: فيومي هذا! قال:

ولا ساعة واحدة! فأخرجه مع رسل من قبله، فتمثل عند خروجه:

منخرق الخفين يشكو الوجى تنكبهُ أطرافُ مروٍ حداذ

شرده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حرَّ الجلاذ
قد كان في الموت له راحةً والموتُ حتمٌ في رقاب العباد

فلما صار رسل يوسف بالعُذيب انصرفوا، وانكفأ زيد راجعاً إلى الكوفة).

قال في عمدة الطالب/ ٢٥٦: (فخرجت الشيعة خلف زيد بن علي إلى القادسية فردوه وبايعوه.. حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة، سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان والجزيرة. وأقام بالعراق بضعة عشر شهراً، كان منها شهرين بالبصرة والباقي بالكوفة، وخرج سنة إحدى وعشرين ومائة).

٣- أفتى أبو حنيفة بوجوب الثورة مع زيد، وكان متحمساً يجمع المساعدات لحركته وكذلك عامة فقهاء الكوفة، قال في تفسير الكشاف(٣٠٩/١) والنصائح الكافية/١٥٣: (وكان الإمام أبو حنيفة يفتي سرّاً بوجوب نصره زيد بن علي بن الحسين وحمل المال إليه، والخروج معه على اللص المتغلب المسمى بالخليفة! يعني هشام بن عبد الملك.. وقالت له امرأة: أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل، فقال: ليتني مكان ابنك. وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد أجْرَه، لما فعلت).
بينما تحفظ الأعمش إمام الرواة عن نصره زيد، لعدم ثقته بمن بايع زيداً!

(حدثني شريك قال: إني لجالس عند الأعمش أنا وعمرو بن سعيد أخو سفيان بن سعيد الثوري، إذ جاءنا عثمان بن عمير أبو اليقظان الفقيه، فجلس إلى الأعمش فقال: أخلنا فإن لنا إليك حاجة. فقال: وما خطبكم؟ هذا شريك وهذا عمرو بن سعيد، أذكر حاجتك. فقال: أرسلني إليك زيد بن علي أدعوك إلى نصرته والجهاد معه، وهو من عرفت. قال: أجل، ما أعرفني بفضله. أقرياه مني السلام وقولا له: يقول لك الأعمش: لست أثق لك جعلت فداك بالناس، ولو أنا وجدنا لك ثلاث مائة رجل أثق بهم لغيرنا لك جوانبها). (مقاتل الطالبين/ ٩٩).

٤- لا يتسع المجال لتفصيل حركة زيد عليه السلام وأسباب فشلها عسكرياً، لكن المؤكد أنها نجحت

في هز النظام الأموي وإضعاف تماسكه.

قال الإمام الصادق عليه السلام (الكافي ٨/ ٢٦٤): (إن أتاكم آت منا فانظروا على أي شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد، فإن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه، فالخارج منا اليوم إلى أي شيء يدعوكم، إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام؟ فنحن نشهدكم أنا لسنا نرضى به! وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد، وهو إذا كانت الرايات والألوية أجدر أن لا يسمع منا). قال في السيرة الحلبية (٢/ ٢٠٧): (فحاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك، فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله وانصرف عنه أكثرهم... وعند مقاتلته أصابته جراحات وأصابه سهم في جبهته، وحال الليل بين الفريقين فطلبوا حجّاماً من بعض القرى لينزع له النصل، فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته وأخفوا قبره، وأجروا عليه الماء، واستكتموا الحجام ذلك، فلما أصبح الحجام مشى إلى يوسف بن عمر منتصحاً وأخبره ودله على موضع قبره، فاستخرجه وبعث برأسه إلى هشام، فكتب إليه هشام أن اصلبه عرياناً، فصلبه كذلك..

وأقام مصلوباً أربع سنين وقيل خمس سنين فلم تُرَ عورته وقيل إن بطنه الشريف ارتنخى على عورته فغطاها... وكان عند صلبه وجهه إلى غير القبلة، فدارت خشبته التي صلب عليه إلى أن صار وجهه إلى القبلة).

أقول: ذكر المؤرخون والمحدثون ما ظهر من كرامات لزيد عليه السلام عندما صلب.

قال ابن عساكر (١٩/ ٤٧٩): (كان زيد بن علي حيث صلب، يوجه وجهه ناحية الفرات فيصبح وقد دارت خشبته ناحية القبلة مراراً! وعمدت العنكبوت حتى نسجت على عورته). ورغم هذه الكرامة أبقى هشام جثمانه عليه السلام مصلوباً أربع سنين وقيل خمسة! وقال الصفدي في الوافي (١٥/ ٢٢): (وقال المؤكل بخشبته: رأيت النبي (ص) في النوم وقد وقف على الخشبة وقال: هكذا تصنعون بولدي من بعدي! يا بُنَيَّ يا زيد قتلوك قتلهم الله،

صلبوك صلبهم الله! فخرج هذا في الناس، فكتب يوسف بن عمر إلى هشام أن عجل أهل العراق قد فتنتهم، فكتب إليه: أحرقه بالنار).

وقد نص على أن مدة صلبه أربع سنوات أو خمسة: الذهبي في العبر: ١/١٥٤، والدميري/ ٨٦٠، والعصامي: ١/٣٤٩، ومسند زيد/ ١١.

لكن ابن كثير الأموي جعل ذلك قولاً قيل! قال في النهاية (٩/٣٦٢): (ويقال: إن زيداً مكث مصلوباً أربع سنين)!

٥- روت المصادر حزن المسلمين على زيد عليه السلام وورثاءهم له بقصائد كثيرة، وروت شماتة شاعر الخليفة الأموي حكيم بن عباس الكلبي، واستجابة دعاء الإمام الصادق عليه السلام عليه لشماتته بزيد عليه السلام:

ففي دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري الشيعي/ ٢٥٣: (جاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله إن حكيم بن عباس الكلبي ينشد الناس بالكوفة هجاءكم! فقال: هل عقلت منه بشيء؟ قال: بلى فأنشده:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصبُّ
وقستم بعثمانٍ علياً سفاهةً وعثمان خير من علي وأطيب

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه إلى السماء وهما يتنفضان رعداً فقال: اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً من كلابك! قال: فخرج حكيم من الكوفة فأدلج، فلقيه الأسد فأكله! فجاءوا بالبشير لأبي عبد الله عليه السلام وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبروه بذلك، فخرَّ لله ساجداً، وقال: الحمد لله الذي صدقنا وعده).

(المناقب: ٣/٣٦٠ وتاريخ دمشق: ١٥/١٣٤، والبصائر لأبي حيان ٨/١٦، ومعجم الأدباء ١٠/٢٤٩، ونثر الدر ١/٢٤٣، والصواعق: ٢/٥٨٨، والفصول المهمة: ٢/٩٢٠، وينايع المودة: ٣/١١٤، وفي كشف الغمة: ٢/٤٢١ ونوادر المعجزات/ ١٤٢، وغيرها).

٦- يظهر من الخبر التالي أن الذين استشهدوا مع زيد عليه السلام كانوا ٢٥٠ رجلاً، فقد روى ابن عتبة في

عمدة الطالب/ ٢٥٨، عن عبد الرحمن بن سيابة قال: (أعطاني جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ألف دينار، وأمرني أن أفرقها في عيال من أصيب مع زيد، فأصاب كل رجل أربعة دنانير).
 ٧- ويظهر من الخبرين التاليين أن زيدا ويحيى ومن استشهد معهما وبكى لهما، من أهل الجنة، ففي ثواب الأعمال/ ٢٢٠، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن آل أبي سفيان قتلوا الحسين بن علي عليه السلام فنزع الله ملكهم، وقتل هشام زيد بن علي فنزع الله ملكه وقتل الوليد يحيى بن زيد فنزع الله ملكه، على قتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله).
 وسأل الإمام الصادق عليه السلام أبا ولاد الكاهلي: (أرأيت عمي زيدا؟ قال: نعم رأيتَه مصلوباً ورأيت الناس بين شامت حنق، وبين محزون محترق! فقال عليه السلام: أما الباكي فمعه في الجنة، وأما الشامت فشريك في دمه!) (كشف الغمة: ٢/٤٢٢).

٨- أحدثت شهادة زيد عليه السلام موجة غضب واسعة في الأمة، فقد وصف ابن واضح اليعقوبي في تاريخه (٣٢٦/٢) وهو مؤرخ دقيق، حالة الأمة في العراق وإيران بعد شهادته فقال: (ولما قتل زيد وكان من أمره ما كان، تحركت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم، وكثر من يأتيهم ويميل معهم، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية وما نالوا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر، وظهرت الدعاة ورثت المناجات وتُدورست كتب الملاحم، وهرب يحيى بن زيد إلى خراسان، فصار إلى بلخ فأقام بها متوارياً، وكتب يوسف إلى هشام بحاله فكتب إلى نصر بن سيار بسببه، فوجه نصر جيشاً إلى بلخ عليهم هدبة بن عامر السعدي فطلبوا يحيى حتى ظفروا به فأتوا به نصراً، فحبسه في قهندز مرو).

ثورة يحيى بن زيد هزت إيران

١- في الأصول الستة عشر/ ٢٦٥، أن هشاماً الأحول أحضر الإمام الصادق عليه السلام إلى الشام ليسأله عن يحيى بن زيد قال عليه السلام: (كنت في منزلي فما شعرت إلا بالخليل والشرطة قد أحاطوا بالدار! قال: فتسوروا عليّ فتطايروا أهلي ومن عندي قال: فأخذوا يتسخرون الناس (يجرونهم على العمل مجاناً) قلت: لاتسخروهم واستأجروا عليّ في مالي، قال: فحملوني في حمل وأحاطوا بي،

فأتاني آت من أهلي فقال: إنه ليس عليك بأس، إنما يسألك عن يحيى بن زيد، قال: فلما أدخلوني عليه قال: لو شعرنا أنك بهذه المنزلة ما بعثنا إليك! إنما أردنا أن نسألك عن يحيى بن زيد فقلت: مالي به عهد قد خرج من هاهنا. قال: ردوه فردوني).

٢- قصد يحيى إلى خراسان، وأخذ يجمع أصحابه للثورة، فاستطاع نصر بن سيار والي خراسان أن يلقي عليه القبض ويحبسه، لكنه تخلص من الحبس.

قال اليعقوبي (٢/ ٣٣١): (وكتب (نصر بن سيار) إلى هشام بخبره فوافق ورود كتابه موت هشام فكتب إليه الوليد أن خل سبيله، وقيل: بل احتال يحيى بن زيد حتى هرب من الحبس، وصار إلى يهق من أرض أبرشهر، فاجتمع إليه قوم من الشيعة فقالوا: حتى متى ترضون بالذلة؟ واجتمع معه نحو مائة وعشرين رجلاً، فرجع حتى صار إلى نيسابور، فخرج إليه عمرو بن زرارة القسري وهو عامل نيسابور فقاتل يحيى فظهر يحيى عليه فهزمه وأصحابه وأخذوا أسلحتهم، ثم اتبعوهم حتى لحقوا عمرو بن زرارة فقتلوه. وسار يحيى يريد بلخ، فوجه إليه نصر بن سيار سَلَمَ بن أحوز الهلالي، فسار سلم حتى صار إلى سرخس وسار يحيى حتى صار إلى باذغيس، وسبق إلى مرو الروذ، فلما بلغ نصر ذلك سار إليه في جموعه فلقبه بالجوزجان فحاربه محاربة شديدة، فأنت نشابة فوقعت في يحيى وبادر القوم فاحتزوا رأسه، وقاتل أصحابه بعده حتى قتلوا عن آخرهم)!

٣- في مقاتل الطالبين/ ١٠٦: (لما أطلق يحيى بن زيد وفك حديدته صار جماعة من مياسير الشيعة إلى الحداد الذي فك قيده من رجله فسألوه أن يبيعهم إياه، وتنافسوا فيه وتزايدوا حتى بلغ عشرين ألف درهم، فخاف أن يشيع خبره فيؤخذ منه المال فقال لهم: إجمعوا ثمنه بينكم، فرضوا بذلك وأعطوه المال فقطعه قطعة قطعة وقسمه بينهم، فاتخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبركون بها!

وعبأ يحيى أصحابه على ما كان عبأهم عند قتال عمرو بن زرارة، فاقتتلوا ثلاثة أيام ولياليها أشد قتال حتى قتل أصحاب يحيى كلهم، وأنت يحيى نشابة في جبهته، رماه رجل من

موالي عنزة يقال له عيسى، فوجده سورة بن محمد قتيلاً فاحتز رأسه... وُصِّبَ يحيى بن زيد على باب مدينة الجوزجان).

وفي تاريخ دمشق (٦٤/٢٢٤ و٢٢٨ وتاريخ الذهبي: ٨/٢٩٩، ومقاتل الطالبين/١٠٨) أن يحيى كان مع أبيه زيد حين أقدمه هشام بن عبد الملك إلى الشام، وأن مقتله في الجوزجان كان في سنة ١٢٥، وقيل سنة ١٢٦: (بعد حرب شديدة وزحوف ومواقف، ثم أصاب يحيى سهم في صدغه فسقط إلى الأرض، وانكبوا عليه فاحتزوا رأسه.. وصلبت جثته بجوزجان فلم يزل مصلوباً حتى ظهر أبو مسلم فأمر بجسده فأنزل. وكتب أبو مسلم بإقامة النياحة ببلخ سبعة أيام لبلياليها، وبكى عليه الرجال والنساء والصبيان، وأمر أهل مرو ففعلوا مثل ذلك، وكثيرٌ من كور خراسان. وما ولد في تلك السنة مولود بخراسان من العرب ومن له حال ونبا، إلا سمي يحيى ودعا أبو مسلم بديوان بني أمية فجعل يتصفح أسماء قتلة يحيى ومن سار في ذلك البعث لقتاله، فمن كان حياً قتله، ومن كان ميتاً خلفه في أهله وفي عشيرته بها يسوءه).

٤- في أخبار الدولة العباسية/٢٨٨، أن نصر بن سيار عندما شعر بالهزيمة أمام موجة أبي مسلم الخراساني كان يرغب أن يستسلم له، لكنه يعلم أنهم سيقتلونه بيحيى! قال: (والله ما زلنا نسمع بالرايات السود حتى رأيناها وابتلينا بها، وبالله لو أني أعلم أي آمن فيهم لأسرت إليهم وكنت رجلاً منهم، ولكن كيف لي بذلك وأنا عندهم قاتل يحيى بن زيد، وهم سيكون عليه ويندبونه صباحاً ومساءً)!

٥- صح عندنا أن يحيى بن زيد كان يعترف بمقام ابن عمه الصادق عليه السلام وأنه أوصى بالقيادة السياسية الى محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن.

ففي سند الصحيفة السجادية عن: (متوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بن علي عليه السلام وهو متوجه إلى خراسان بعد قتل أبيه فسلمت عليه فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من الحج، فسألني عن أهله وبني عمه بالمدينة وأحفى السؤال عن جعفر بن محمد عليه السلام فأخبرته بخبره وخبرهم وحنزهم على أبيه زيد بن علي، فقال لي: قد كان عمي محمد بن علي أشار على أبي بترك الخروج

وعرفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره، فهل لقيت ابن عمي جعفر بن محمد؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعته يذكر شيئاً من أمري؟ قلت: نعم، قال: بم ذكرني خبرني! قلت: جعلت فداك ما أحب أن أستقبلك بما سمعته منه! فقال: أبا الموت تخوفني هات ما سمعته! فقلت: سمعته يقول: إنك تقتل وتصلب كما قتل أبوك وصلب، فتغير وجهه وقال: يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ، يا متوكل إن الله عز وجل أيد هذا الأمر بنا وجعل لنا العلم والسيف فجمعنا لنا، وخُصَّ بنو عمنا بالعلم وحده! فقلت: جعلت فداك إني رأيت الناس إلى ابن عمك جعفر عليه السلام أميل منهم إليك وإلى أبيك، فقال: إن عمي محمد بن علي وابنه جعفرًا دعوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت! فقلت: يا ابن رسول الله، أهم أعلم أم أنتم؟ فأطرق إلى الأرض ملياً ثم رفع رأسه وقال: كلنا له علم غير أنهم يعلمون كلما نعلم، ولا نعلم كلما يعلمون! ثم قال لي: أكتب من ابن عمي شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أرنيه فأخرجت إليه وجوهاً من العلم وأخرجت له دعاء أملاه عليّ أبو عبد الله عليه السلام وحدثني أن أباه محمد بن علي عليه السلام أملاه عليه وأخبره أنه من دعاء أبيه علي بن الحسين عليه السلام من دعاء الصحيفة الكاملة، فنظر فيه يحيى حتى أتى على آخره، وقال لي: أتأذن في نسخه؟ فقلت: يا ابن رسول الله أتستأذن فيما هو عنكم؟! فقال: أما لأخرجن إليك صحيفة من الدعاء الكامل مما حفظه أبي عن أبيه وإن أبي أو صاني بصونها ومنعها غير أهلها. قال عمير: قال أبي: فقمتم إليه فقبلت رأسه وقلت له: والله يا ابن رسول الله إني لأدين الله بحبكم وطاعتكم، وإني لأرجو أن يسعدني في حياتي ومماتي بولايتكم، فرمى صحيفتي التي دفعتها إليه إلى غلام كان معه وقال: أكتب هذا الدعاء بخط بيِّن حسن واعرضه عليّ لعلني أحفظه، فإني كنت أطلبه من جعفر حفظه الله فيمنعنيه. قال متوكل: فندمت على ما فعلت ولم أدر ما أصنع، ولم يكن أبو عبد الله تقدم إليّ إلا أدفعه إلى أحد! ثم دعا بعبية فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة فنظر إلى الخاتم وقبله وبكى، ثم فضه وفتح القفل ثم نشر الصحيفة ووضعها على عينه وأمرها على وجهه وقال: والله يا متوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمي أنني أقتل وأصلب لما دفعتها إليك، ولكنك بها ضنيناً، ولكنني أعلم أن قوله حق أخذه عن آبائه وأنه سيصح، فخفت أن يقع مثل هذا العلم

إلى بني أمية فيكتموه ويدخروه في خزائهم لأنفسهم، فاقبضها واكفنيها وتربص بها، فإذا قضى الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاض فهي أمانة لي عندك حتى توصلها إلى ابني عمي محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام فإنهما القائمان في هذا الأمر بعدي. قال المتوكل: فقبضت الصحيفة فلما قتل يحيى بن زيد صرت إلى المدينة فلقيت أبا عبد الله عليه السلام فحدثته الحديث عن يحيى فبكى واشتد وجده به وقال: رحم الله ابن عمي وألحقه بآبائه وأجداده، والله يا متوكل ما منعني من دفع الدعاء إليه إلا الذي خافه على صحيفة أبيه، وأين الصحيفة؟ فقلت: ها هي ففتحها وقال: هذا والله خط عمي زيد ودعاء جدي علي بن الحسين عليه السلام ثم قال لابنه: قم يا إسماعيل فأتني بالدعاء الذي أمرتك بحفظه وصونه فقام إسماعيل فأخرج صحيفة كأنها الصحيفة التي دفعها إلي يحيى بن زيد، فقبلها أبو عبد الله ووضعها على عينه وقال: هذا خط أبي وإملاء جدي عليه السلام بمشهد مني، فقلت يا ابن رسول الله إن رأيت أن أعرضها مع صحيفة زيد ويحيى؟ فأذن لي في ذلك وقال: قد رأيتك لذلك أهلاً، فنظرت وإذا هما أمر واحد ولم أجد حرفاً منها يخالف ما في الصحيفة الأخرى، ثم استأذنت أبا عبد الله عليه السلام في دفع الصحيفة إلى ابني عبد الله ابن الحسن، فقال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، نعم فادفعها إليهما فلما نهضت للقائهما قال لي: مكانك، ثم وجه إلى محمد وإبراهيم فجاء فقال: هذا ميراث ابن عمك يحيى من أبيه قد خصكما به دون إخوته، ونحن مشترطون عليكم فيه شرطاً، فقالا: رحمك الله قل فقولك المقبول، فقال: لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة، قالوا: ولم ذلك؟ قال: إن ابن عمك خاف عليها أمراً أخافه أنا عليكم. قالوا: إنها خاف عليها حين علم أنه يقتل فقال أبو عبد الله عليه السلام: وأنتما فلا تأمنا فوالله إني لأعلم أنكما ستخرجان كما خرج وستقتلان كما قتل!

فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

فلما خرجا قال لي أبو عبد الله: يا متوكل كيف قال لك يحيى: إن عمي محمد بن علي وابنه جعفر أ دعوا الناس إلى الحياة ودعوناهم إلى الموت؟

قلت: نعم أصلحك الله قد قال لي ابن عمك يحيى ذلك. فقال: يرحم الله يحيى، إن أبي حدثني عن

أبيه عن جده عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره فرأى في منامه رجلاً يَنْزُونَ على منبره نَزْو القردة، يردون الناس على أعقابهم القهقري، فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية: **وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**، يعني بني أمية! قال: يا جبريل علي عهدي يكونون وفي زمني؟ قال: لا ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرًا، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمسًا، ثم لا بد من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثم ملك الفراعة. قال: وأنزل الله تعالى في ذلك: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**، يملكها بنو أمية ليس فيها ليلة القدر. قال: فأطلع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وآله على أن بني أمية تملك سلطان هذه الأمة وملكها طول هذه المدة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر الله نبيه بما يلقي أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم منهم في أيامهم وملكهم، قال: وأنزل الله تعالى فيهم: **الَّذِينَ تَرَى إِلَى الدِّينِ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البُورِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ**. ونعمة الله محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، حبه إيمان يدخل الجنة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار، فأسر رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك إلى علي وأهل بيته قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلا اصطلمته البلية، وكان قيامه زيادة في مكر وهنا وشيعتنا! قال المتوكل بن هارون: ثم أملى عليّ أبو عبد الله عليه السلام الأدعية وهي خمسة وسبعون باباً...). ونحوه كفاية الأثر/ ٣٠٧.

٦- وروينا بسند صحيح أن يحيى وأباه كانا يعترفان بإمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ويريان حديثهم عن النبي صلى الله عليه وآله. ففي كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام / ٣٠٤: (عن يحيى بن زيد قال: سألت أبي عن الأئمة فقال: الأئمة اثنا عشر، أربعة من الماضين وثمانية من الباقين. قلت: فسمهم يا أبا. فقال: أما الماضين فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين، ومن الباقين أخى الباقر وجعفر الصادق ابنه وبعده موسى ابنه وبعده علي ابنه

وبعده محمد ابنه وبعده علي ابنه وبعده الحسن ابنه وبعده المهدي.
 فقلت: يا أبا عبد الله أأنت منهم؟ قال: لا ولكنني من العترة. قلت: فمن أين عرفت أساميهم؟
 قال: عهد معهود عهدنا رسول الله ﷺ).
 ويؤيد ذلك ترحم الأئمة عليهم على زيد ويحيى ومدحهم لهما عليهما فلا بد أن نفسر ما روي لهما
 من مناقشات أو انتقاد لبعض مواقف الأئمة عليهم بأنها جزئية مغفورة أو ناتجة عن شبهة، أو
 شكلية لإبعاد أذى السلطة عنهم عليهم.

ثورة عبدالله بن معاوية بن عبدالله جعفر

كان عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار شاباً طموحاً، شاعراً، وله:
 لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل
 نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا
 (تاريخ دمشق: ٣٣/٢١٩).

فلست براءٍ عيب ذي الضغن كله ولا سائلاً عنه إذا كنت راضياً
 فعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا
 (شرح النهج: ١٨/٢٠٦).

وفي تاريخ دمشق (٣٣/٢١٢)، ومقاتل الطالبين (١١٠) أنه كان صديق الوليد بن يزيد ونديمه، يؤانسه
 ويلعب معه الشطرنج!

وفي ديوان الحماسة (٢/٣٩): (وكان يرمى بالزندقة.. وكان أقسى خلق الله قلباً! يغضب على
 الرجل فيأمر أن يضرب بالسياط وهو يتحدث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط!)
 وذكر فقهاؤنا أنه كذب على الإمام الصادق عليه السلام، فوضع جدولاً في علامات ثبوت الهلال
 ونسبه إليه! (غنية النزوع/ ١٣١، ومستند الشيعة: ١٠/٤٠٥، وإقبال الأعمال: ١/٦١).

وقالوا: إنه أسس فرقة الجناحية الضالة، ففي المواقف للإيجي (٣/٦٧٢): (قال عبد الله بن معاوية
 بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين: الأرواح تتناسخ، وكان روح الله في آدم، ثم في شيت ثم

الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي وأولاده الثلاثة، ثم إليه!

وفي أنساب السمعاني (٢/٢٤٩): (الخلولية وهم أصناف.. فمنهم من زعم أنها انتهت إلى بيان بن سمعان وادعي له بذلك الإلهية. ومنهم من زعم أن تلك الروح انتهت إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين، وعبدّه أتباعه وزعموا أنه إلهٌ وكفروا بالجنة والنار والقيامة واستحلوا جميع المحرمات من الميتة والخمر وذوات المحارم.. وهكذا قول المنصورية في أبي منصور العجلي).

وقد يكون الأمويون كذبوا عليه، لكن المؤكد أن سلوكه وبطانته سيئ ومشين.

وكانت ثورة عبد الله بن معاوية في الستين اللتين اضطربت فيهما الخلافة الأموية بسبب اختلافهم (من سنة ١٢٥ الى ١٢٧) وتولى فيهما ثلاثة خلفاء: الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد. فلما تولى آخرهم مروان بن محمد الملقب بالحمار واستتب له الأمر، أرسل جيشاً من الشام بقيادة عامر بن ضبارة لمساندة عامله على العراق محمد بن هبيرة، وعامله على إيران نصر بن سيار، ومحاربة عبد الله بن معاوية، وإعادة إيران إلى طاعة الخليفة. وتدل أخبار عبد الله على أنه لم يكن فيه صفات القيادة، وأن الزيدية دفعوه الى الخروج في غياب والي الكوفة، لكنه هرب في أول المعركة ودخل قصر الكوفة الذي كان خالياً!

ففي تاريخ الذهبي (٨/١٧): (فلما مات يزيد الناقص هاجت شيعة الكوفة وجيشوا، وغلبوا على القصر وبايعوا عبد الله هذا، فحشد معه خلائق فالتقاهم عسكر الكوفة وتمت لهم وقعة انهزم فيها عبد الله بن معاوية، فدخل القصر وقتل خلق من شيعته، ثم إنه أخرج من القصر وأمنوه وأخرجوه من الكوفة).

(فأقام أياماً تبايعه الناس، وأتته بيعة من المدائن ومن كل وجه. وخرج يوم الأربعاء وانهمز فدخل القصر! وثبتت الزيدية فقاتلوا قتالاً شديداً ولزموا أفواه السكك حتى أخذوا له ولأخويه أن يأخذوا حيث شاءوا من البلاد. (تاريخ دمشق (٣٣/٢١٥).

وفي تاريخ الطبري (٥/٦٠٤): (ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدية ولعبد الله بن معاوية أماناً

لا يمنعونهم ويذهبوا حيث شاءوا).

في شرح الأخبار (٣/ ٣٢١): (فنزل إصبهان ودعا إلى نفسه، فأجابته ناس كثير من العرب والعجم، فاستولى على أرض فارس كلها وإصبهان وما والاها من البلاد، واستعمل أخاه الحسن بن معاوية على إصطخر، ويزيد بن معاوية على شيراز، وعلي بن معاوية على كرمان، وصالح بن معاوية على قم وجاءه بنو هاشم فمن أراد منهم عملاً فاستعمله، ومن أراد صلة وصله. وقدم إليه معهم أبو العباس السفاح وأخوه المنصور فولاهما بعض الكور). وفي أنساب الأشراف/ ٦٠: (ضرب الدراهم وكتب عليها: قُلْ لَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

وفي مقاتل الطالبين/ ١١٥: (فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف فسار إليه، حتى إذا قرب من أصبهان ندب ابن معاوية أصحابه إلى الخروج إليه وقتاله فلم يفعلوا ولا أجابوه! فخرج على دهش هو وإخوته قاصدين لخراسان، وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار، فلما صار في طريقه نزل على رجل من التناء ذي مروءة ونعمة، وجاءه فسأله معونته فقال: أنت من ولد رسول الله؟ قال: لا. قال: أفأنت إبراهيم الإمام الذي يدعى له بخراسان؟ قال: لا. قال: فلا حاجة لي في نصرتك! فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته، فأخذه أبو مسلم فحبسه عنده، واختلف في أمره بعد محبسه فقال بعض أهل السير: إنه لم يزل محبوساً حتى كتب إلى أبي مسلم رسالته المشهورة التي أولها: من الأسير في يديه المحبوس بلا جرم لديه.. ثم قال: وهي طويلة لا معنى لذكرها ها هنا فلما كتب إليه بذلك أمر بقتله. وقال آخرون: بل دس إليه سمًا فمات منه، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان. وقال آخرون: سلمه حياً إلى ابن ضبارة فقتله، وحمل رأسه إلى مروان). قتله أبو مسلم سنة ١٣٠

أقول: كان أبو مسلم يعمل بأمر بكير ثم بأمر أبي سلمة، وأعلن أنه يدعو إلى الرضا من آل محمد عليه السلام ولم يسم أحداً، وقيل إنه أعلن في سنة ١٣٠ أنه يدعو إلى بيعة إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عباس، الملقب بالإمام، والذي سجنه مروان الحمار وقتله.

لذا كان عبد الله بن معاوية يشكل خطراً على دعوة بكير! خاصة أنه كان يدعي أن أبا هاشم بن محمد بن الحنفية أوصى إليه. (شرح الأخبار: ٣/٣١٦).

أما لماذا أرسل أبو مسلم رأسه إلى ابن ضبارة فأرسله إلى مروان؟ فلو صح فهو صفقة بين أبي مسلم وابن ضبارة، قبل أن تشتد الحرب بينهما ويتنصر قحطبة قائد أبي مسلم على ابن ضبارة ويقتله. بقي أن نذكر أن سليمان بن حبيب بن المهلب الذي حبس المنصور لسرقته مال الخراج كان شيعياً متديناً، وكان والي الأهواز لابن هبيرة والي العراق. وهو الذي أرسل إلى الخليل يدعوه إلى الأهواز. (أعيان الشيعة: ٦/٣٤٠، و: ٧/٢٩٥).

وأن نذكر قول الحافظ أبي نعيم إن جده مهران كان مولى لعبد الله بن معاوية (كتاب ذكر أخبار إصبهان) ولعله كان نديمه، كما كان عبد الله نديم الأمير الأموي يزيد الفاسق!





الفصل السادس

الثورة على الأمويين فارسية وليست عباسية

أسلمت إيران فدخلت طاقة جديدة في الأمة

لمعرفة الثورة الحسينية العباسية لا بد أن نعرف أهمية خراسان يومذاك، لأن الثورة على الأمويين كانت خراسانية، وليست عباسية! وكان انضمام إيران إلى الأمة الإسلامية ضرورة، فلو لم تنضم هي واليمن إلى جسم الأمة الإسلامية لمات الإسلام، وكنا نسمع بأن نبياً بعث في جزيرة العرب ووحدتها في دولة، ثم تصارعت قريش بعده على سلطانه وتحزبت معها قبائل العرب حتى أكل بعضهم بعضاً، وضيعوا رسالته! لذا شاء الله تعالى أن تكون اليمن وإيران خزانين لقوة بشرية عسكرية فاعلة، وقد دخلت اليمن في حركة الفتوحات من أول يوم، بينما تأخرت إيران حتى استوعبت التغيير وأخذت تشكيلتها الجديدة في ظل الإسلام، وفي تلك الفترة ظهرت في شعوبها اتجاهات عديدة، فكرية وروحية وسياسية، منها اتجاه التعصب القومي الفارسي، واتجاه التصوف، واتجاه الزندقة، واتجاه التعمق العلمي، واتجاه التشيع لعلي والأئمة من ولده عليه السلام.. الخ. وتبلورت ردة فعل الإيرانيين على فتح بلادهم بيد العرب باتجاهين:

الأول، يدعو إلى الثورة على العرب (الغزاة) لإعادة الملك الفارسي الكسروي. وكانت أكبر محاولة لذلك تحشيدهم مئة وخمسين ألف جندي في نهاوند لاسترداد ما فتحه العرب، ثم غزو بلاد العرب! فقد كتب عمار بن ياسر والي الكوفة إلى عمر بن الخطاب كما روى ابن أعثم في الفتوح (٢/ ٢٩٠) وغيره: (إن أهل الري وسمنان وساوه وهمذان ونهاوند وأصفهان وقاشان

وراوند واسفندهان وفارس وكرمان وضواحي آذربيجان.. قد اجتمعوا بأرض نهاوند في خمسين ومائة ألف من فارس وراجل من الكفار، وقد كانوا أمروا عليهم أربعة من ملوك الأعاجم، منهم ذو الحاجب خرزاد بن هرمز، وسنفاد بن حشروا، وخهانيل بن فيروز، وشروميان بن اسفنديار، وأنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا وتكاتبوا وتواصوا وتواثقوا على أنهم يخرجوننا من أرضنا ويأتونكم من بعدنا! وهم جمع عتيد وبأس شديد ودواب فره وسلاح شاك ويد الله فوق أيديهم، فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أنهم قد قتلوا كل من كان منا في مدنهم، وقد تقاربوا مما كنا فتحناه من أرضهم!

قال: فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأه وفهم ما فيه، وقعت عليه الرعدة والنفضة حتى سمع المسلمون أطيظ أضراسه، ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار، ألا اجتمعوا رحمكم الله وأعينوني أعانكم الله). ثم وصف ابن الأعمش مجيء علي عليه السلام وتطمينه لعمر وأنه وضع الخطة فارتاح عمر وأطلق يد علي عليه السلام ليدير المعركة، فأرسل النعمان بن مقرن وحذيفة لقيادة معركة نهاوند.

وانتصر المسلمون في معركة نهاوند، لكن بقي هذا الخط الكسروي متمثلاً بمقاومات عديدة للفتح الإسلامي في إيران، خاصة في خراسان وآذربيجان، ولعل آخرها ثورة بابك الخرمي في آذربيجان التي استمرت أكثر من عشرين سنة!

قال المسعودي في التنبيه والإشراف/ ٣٠٥: (وكان الفتح قد أسر بابك في شهر رمضان وقيل شوال سنة ٢٢٢، وحمل إلى سر من رأى فقتل بها في صفر سنة ٢٢٣. فكان من أدركه الإحصاء ممن قتله بابك في اثنتين وعشرين سنة، من جيوش المأمون والمعتصم، من الأمراء والقواد وغيرهم من سائر طبقات الناس في القول المقلل خمس مائة ألف، وقيل أكثر من ذلك وأن الإحصاء لا يحيط به كثرة!

وكان خروجه في سنة ٢٠٠ في خلافة المأمون وقيل سنة ٢٠١ بجبل البذين من بلاد آذربيجان. وقد ذكرنا في كتابنا (المقالات في أصول الديانات) وفي كتاب (سر الحياة) مذاهب الخرمية،

الكوذية منهم، والكوذشاهية وغيرهم، ومن منهم بنواحي أصبهان والبرج وكرج أبي دلف، والززين زمعقل، وزز أبي دلف، ورستاق الوردسنان، وقسم وكوذشت من أعمال الصيمرة، من مهرجان قذق، وبلاد السيروان، وأربوجان من بلاد ماسبذان، وهمذان، وماه الكوفة، وماه البصرة، وأذربيجان، وأرمينية..

وما جرى لنا من المناظرات مع من شاهدناه منهم في هذه المواطن، وما ينتظره الجميع في المستقبل من عود الملك فيهم... واستقصينا الكلام على هؤلاء وغيرهم من أصحاب الإثنيين). يقصد الثنوية المجوس القائلين بإلهين: إله الخير وإله الشر.

والإتجاه الثاني: قومي واقعي، وقد تبناه أكثر الزعماء الإيرانيين يومها، وهو يقول إن فتح إيران وإسلام أكثر أهلها صار أمراً واقعاً لا يمكن الوقوف في وجه موجته، فلا بد من مماشاتها بإظهار الإسلام والعمل مع النظام الحاكم أو العمل لتغييره وفق الموازين المقبولة عند المسلمين، وليس بالدعوة إلى إعادة الكسروية!

وقد مثل هذا الإتجاه بكبير بن ماهان وصهره أبو سلمة الخلال، وغلामه أبو مسلم الخراساني، وكثير من وزراء الخلفاء العباسيين وقادة جيوشهم، ومن أبرزهم البرامكة الذين كان جدهم من كبار علماء الزردشتية، وكذلك العديد من أبناء ملوك الفرس ووزرائهم كفضل بن سهل وأخيه، وكلهم يعبرون عن الضمير الفارسي، الذي لا يطيق تسلط العرب وظلمهم لشعبهم. والأرجح عندي أن يكون البرامكة من نوع بابك الخرمي، لأنهم اتهموا بالزندقة، ولأن غضب الأئمة عليهم السلام عليهم كان أشد منه على أبي مسلم وأبي سلمة وبكير، وقد حملهم الإمام الرضا عليه السلام مسؤولية قتل الإمام الكاظم عليه السلام وكان يدعو عليهم في الحج! (كان أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثم طأ رأسه فسئل عن ذلك فقال: إني كنت أدعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي، فاستجاب الله لي اليوم فيهم! فلما انصرف لم يلبث إلا يسيراً حتى بطش بجعفر ويحيى، وتغيرت أحوالهم). (عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١/ ٢٤٥).

الإيرانيون أذكي من استغل نقمة الأمة على بني أمية

كتب عديدون عن معاملة حكام المسلمين وخاصة الأمويين مع غير العرب من شعوب البلاد المفتوحة، وكيف تكونت طبقة العرب المتكبرة وظلمت طبقة الموالي المسحوقة! ثم طفح الكيل في زمن بني أمية فنشأت الشعوبية المعادية للعرب!

قال الراغب في محاضرات الأدباء (١/٤٢١): (كانت العرب إلى أن عادت الدولة العباسية إذا أقبل العربي من السوق ومعه شئ فرأى مولى دفعه إليه ليحمله معه! فلا يمتنع ولا السلطان يغير عليه! وكان إذا لقيه راكباً وأراد أن ينزله فعل! وإذا رغب أحدهم في مناكحة مولاة خطب إلى مولاها دون أبيها وجدّها)!

وقال في العقد الفريد/٧٥٧: (قال أصحاب العصبية من العرب.. لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار أو كلب أو مولى. وكانوا لا يكتونهم بالكنى ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب، ولا يمشون في الصف معهم، ولا يقدمونهم في الموكب! وإن حضر وطعاماً قاموا على رؤوسهم، وإن أطعموا المولى لسنته وفضله وعلمه أجلسوه في طرف الخوان، لئلا يخفى على الناظر أنه ليس من العرب!

وقال زياد: دعا معاوية الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب فقال: إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت وأراها قد طعنت على السلف (يقصد الصحابة) وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق، فما ترون؟ فقال الأحنف: أرى أن نفسي لا تطيب، يُقتل أخي لأمي وخالي ومولاي! وقد شاركتاهم وشاركونا في النسب فظننت أني قد قُتلت عنهم.

وأطرق معاوية فقال سمرة بن جندب: إجعلها إلي أيها الأمير فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ إلى ما تريد منه! فقال: قوموا حتى أنظر في هذا الأمر.

قال الأحنف: فقمنا عنه وأنا خائفٌ وأتيت أهلي حزيناً، فلما كان بالغداة أرسل إلي فعلمت أنه أخذ برأبي وترك رأي سمرة).

أقول: كان هذا الوضع كافياً لشحن غير العرب عموماً، وعمدتهم الإيرانيون الذين انهارت
أمبراطوريتهم حديثاً، على يد قوم كانوا إلى الأمس فقراء تابعين لهم مطيعين!
ولما تفاقم ظلم الأمويين وعمّت موجة التعاطف مع أهل بيت النبي ﷺ جاءت الفرصة
الذهبية لقادة الفرس أصحاب مشاريع التغيير فنهضوا بذلك!
ولمعرفة ما أنجزوه يكفي أن تقارن بين موقف معاوية الذي أراد قتل غير العرب إلا من كان
ضرورياً للأسواق والإعمار، وموقف المأمون الذي قال: (الشرف نسب فشریف العرب
أولى بشریف العجم من وضع العجم بشریفهم، وشریف العجم أولى بشریف العرب من
وضع العرب بشریفهم). (محاضرات الأدباء: ١/٤٢٣).

كان النشاط الحسني والعباسي ضعيفاً قبل بكر بن ماهان

يُصَوِّرُ العباسيون وصولهم الى الحكم كأنه خطة وضعوها هم ونفذوها! مع أن الواقع أن
أمير المؤمنين والإمام الباقر والصادق عليهم السلام أخبروهم بأنهم سيملكون الأمة بعد بني أمية،
فغرسوا بذلك الفكرة في رؤوسهم! لأن أهدافهم عليهم السلام عالية في مسار الإسلام وأمته، ولا
بد أن يكون عبد الله بن عباس وأولاده اهتزوا لهذا الخبر وطاروا فرحاً، وأخذوا يفكرون
فيما يعملون! لكنهم لم يستطيعوا عمل شيء يذكر بسبب سيطرة بني أمية وبعدهم عن
الخراسانيين الذين أخبرهم الأئمة عليهم السلام بأنهم أنصارهم!

وحتى بعد ضعف النظام الأموي لم يبدأ عمل العباسيين حتى ظهر الزعيم الفارسي
بكير بن ماهان سنة ١٢٦، فخطط للثورة وقادها هو وصهره أبو سلمة الخلال وغلामه
أبو مسلم، ثم قدموها إلى العباسيين على طبق من ذهب، لأنهم تصوروا أنهم أفضل من
يمكنهم العمل معهم لمصلحة الفرس!

والغاية مما نقله الرواة عن العباسيين أنهم كانوا يتبجحون بدولتهم الآتية! كما فعل علي
بن عبد الله بن عباس لما ضربه الوليد بن عبد الملك: (إن هذا الأمر سيكون في ولدي ووالله
ليكونن فيهم حتى تملك عبيدهم). (وفيات الأعيان: ٣/٢٧٥).

ثم روي أن ابنه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أرسل من الحميمة سنة ٩٧ شخصين إلى العراق، ليدعوا الناس إليه سرّاً، وشخصين إلى خراسان بصفة تجار فرجعا بعد أربع سنين وقالوا: لقد غرسنا شيئاً!

قال الدينوري في الأخبار الطوال/٣٣٢: (وجه أبا عكرمة وحيان العطار إلى خراسان، وعلى خراسان يومئذ سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص فجعلوا يسيران في أرض خراسان من كورة إلى أخرى، فيدعون الناس إلى بيعة محمد بن علي، ويهدانهم في سلطان بني أمية لخبث سيرتهم وعظيم جورهم، فاستجاب لهما بخراسان أناس كثير وفشا بعض أمرهم وعلن، فبلغ أمرهما سعيداً فأرسل إليهم فأتي بهم فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم تجار. قال: فما هذا الذي يذكر عنكم؟ قالوا: وما هو؟ قال: أخبرنا أنكم جئتم دعاة لبني العباس! قالوا: أيها الأمير، لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا! فأطلقهما فخرجا من عنده يدوران كور خراسان ورساتيقها في عداد التجار، فيدعون الناس إلى الإمام محمد بن علي! فمكثا بذلك عامين ثم قدما على الإمام محمد بن علي بأرض الشام فأخبراه أنهما قد غرسا بخراسان غرساً يرجوان أن يثمر في أوانه! وألفياه قد ولد له أبو العباس ابنه فأمر بإخراجه إليهم، وقال: هذا صاحبكم!)

وأضاف الطبري (٣١٦/٥): (ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم فدفعوها إلى ميسرة فبعث بها ميسرة إلى محمد بن علي، واختار عكرمة السراج لمحمد بن علي اثني عشر رجلاً نقيباً منهم سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهز بن قريظ التميمي، وقحطبة بن شبيب الطائي، وموسى بن كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذهل، والقاسم بن مجاشع التميمي، وعمران بن إسماعيل أبو النجم مولى لآل أبي معيط، ومالك بن الهيثم الخزاعي، وطلحة بن زريق الخزاعي، وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة، وشبل بن طهمان أبو علي الهروي مولى لبني حنيفة، وعيسى بن أعين مولى خزاعة، واختار سبعين رجلاً، فكتب إليهم محمد بن علي كتاباً ليكون لهم مثلاً وسيرة يسرون بها).

أقول: معنى أنهم زرعوا في أربع سنين زرعاً للمستقبل، أنهم لم يعملوا شيئاً مهماً!
ونلاحظ أن عبارة الطبري لاتقول إن النقباء بايعوا محمد بن علي! بل تقول إن عكرمة
سماهم لمحمد ليعتمدهم نقباء إن قبلوا بيعته والإنضمام الى حركته!
وبعضهم عرب لهم مسؤوليات إدارية أو عسكرية في خراسان، أو إيرانيون وجهاء، فيبدو أن
يكون ادعاء أنهم نقباء جاء بعد نجاح حركة أبي مسلم!

أما في العراق فلم يكن للعباسيين وجود يذكر، فقد وصف عبدالله بن عمير أحد دعائهم حركة
زيد بن علي عليه السلام سنة ١٢٢ فقال: (وقد أطبق أهل الكوفة على الخروج معه.. فقال بكير: إني
أعلم ما لاتعلمون، إلزموا بيوتكم وتجنبوا أصحاب زيد ومخالطتهم، فوالله ليقتلن وليصلبن
بمجمع أصحابكم. قال يقطين بن موسى: وأنا يومئذ منقطع إلى أبي سلمة فإننا لعند أبي هاشم
(بكير) إذ أتاه آت فقال له: قد خرج زيد وأمر الناس بحضور المسجد، فقال: تَنَحَّوْا بنا عن
هؤلاء وعن شرورهم، فخرج وخرجنا معه أنا وأبو مسرور عيسى بن حمزة فأتينا الحيرة فأقمنا
بها حتى قتل زيد وصلب، ثم انصرفنا إلى الكوفة وقد هداً الناس). (أخبار الدولة العباسية/ ٢٣١).
فأنصارهم في الكوفة كانوا أفراداً وقد تجنبوا ثورة زيد عليه السلام بأمر بكير. بل قال بكير: إن إمامه
محمد بن علي سأله في سنة وفاته ١٢٥: (كَم يبلغ أصحابكم بالكوفة؟ قلت: لا يكونون
ثلاثين رجلاً). (أخبار الدولة العباسية/ ١٩٦).

وهو نص على أن حركتهم لم تتقدم في العراق وإيران لأكثر من ثلاثين سنة، حتى تفاقمت
موجة النقمة على بني أمية، والتعاطف مع أهل البيت وثورة زيد عليه السلام!

ومما يؤكد غياب التحرك العباسي، أن المنصور وأخاه الصغير السفاح كانا مغمورين يتقربان
الى ابن المهلب والي بني أمية على البصرة والأهواز، الذي كان شيعتاً للإمام الصادق عليه السلام،
فوظف المنصور جابياً لخراج بلدة إيذه وهي بلد أمه سلامة وسكن فيها وولد فيها ابنه
الذي سماه المهدي، ثم خان أمانته في الخراج فحبسه ابن المهلب!

ثم هرب من السجن، ثم التحق مع أخيه السفاح، بعبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر،

الذي زعمه الزيديون في الكوفة سنة ١٢٧، ففشل، ثم ثار ابن جعفر في إيران: (فاستولى على أرض فارس كلها وإصبهان وما والاها من البلاد. وجاءه بنو هاشم ومنهم أبو العباس السفاح والمنصور فولاهما بعض الكور). (تاريخ بغداد: ١٠/٥٣).

وكان عمهم عبدالله في الأهواز عند عبدالله بن معاوية بن جعفر، فأسره ابن ضبارة قائد جيش مروان في حملته على ابن جعفر! فقال له: (ما جاء بك إلى ابن معاوية وقد عرفت خلافة أمير المؤمنين (مروان)؟ قال: كان عليّ دينٌ فأديته). (الطبري: ٦/٤١). فالعباسيون كانوا غائبين عن الأحداث، تابعين للحسنين وقد بايعوا مهديهم المزعوم!

أما بكير بن ماهان وصهره أبو سلمة الخلال، وغلّامه أبو مسلم الخراساني عبد الرحمن بن سنفيرون بن إسفنديار! (تاريخ بغداد: ١٠/٢٠٥) فكان لهم مشر وعهم في الثورة على الأمويين وكانوا يحتاجون فيه إلى شخص هاشمي ليعلنوه خليفة في الوقت المناسب ويحكموا باسمه، وهما لا يريدان أن يعمل معهم أي هاشمي! ولذا قتل أبو مسلم إمام الزيديين عبد الله بن معاوية بن جعفر سنة ١٢٨، بعد هزيمته من جيش الشام!

بكير بن ماهان مهندس الثورة على الأمويين

إن نجاح الثورة على نظام قوي، يحتاج إلى قائد محنك مطاع، وقوة قتالية يجمعها شعور عام وهدف! وهذا ما توفر للإيرانيين من أقصى خراسان إلى الأهواز والبصرة، ومن بحر الخزر إلى همدان وواسط، ولم يتوفر في الحجاز لأن قوته العسكرية كانت مجموعات صغيرة مختلفة فيما بينها، ولا في العراق لأن قواته كانت متعددة بحسب القبائل والبلاد، ولم يكن قادتها يعملون بنظرة بعيدة، بل يحسبون الربح والخسارة لكل معركة على حدة!

لكن الفرس أو الخراسانيين كان يسودهم شعور قومي قوي ضد الأمويين، فالكفار منهم يتحسرون للإنتقام لمملكة كسرى، والشيعية يتحرقون للإنتقام للحسين عليه السلام وأهل بيته ولزيد الشهيد وابنه يحيى عليه السلام، والفرس السنة يؤيدون كل ما ينصف الفرس عامة، ويرفع عنهم المذلة والإحتقار ويساويهم بالعرب.

فكانوا كلهم أرضية خصبة للثورة، بانتظار أن يبرز قائد كفوء يثقون به! وكان ذلك القائد بكير بن ماهان، الذي يدل إسمه على أنه أسلم فغيّر إسمه، أما أبوه فقد يكون بقي على مجوسيته! وقد حاولت الرواية العباسية أن تعطي بكيراً وجماعته صفة المؤمنين المطيعين لأنتمهم العباسيين، لكن العباسيين لم يكن لهم حضور إلا التبعية للحسنين.

وكانت بدايتهم أن بكير بن ماهان ذهب إلى محمد بن علي بصفة تاجر عطر، وأعطاه مالاً وهدايا وسيطر على قلبه، وأخبره بخطته للثورة ووعدته أن يعلن إسمه في الوقت المناسب، وأخذ منه تفويضاً عاماً بالعمل بإسمه، واختار محمد بن علي عند وفاته ابنه إبراهيم وسموه بالإمام تشبهاً بالمهدي الحسني، فحبسه مروان الحمار في حران وقتله!

قال في أخبار الدولة العباسية/ ١٩١: (فأما بكير فإن أباه كان مولى لرجل من بني مُسَلِيَّة، سكن الشام بالأردن بعد، وكان بكير ابنه يُنزلُه بنو مسلمية من صليبتهم (يعدونه منهم) وكان من أهل الديوان، وغزا مع يزيد بن المهلب خراسان ودخل معه جرجان حيث افتتحت، وكان هو في عدة من بني مُسَلِيَّة قد شهدوا فتحها مع يزيد.

وحفص بن سليمان وهو أبو سلمة الخلال، وهؤلاء جميعاً موالى بني مُسَلِيَّة، رهط عامر بن إسماعيل وميسرة الرحال وموسى بن سريج السراج.. إنها تأثل (نبت ونما) أمر الدعوة في بني مُسَلِيَّة، وتولوا أمرها والقيام بها).

أقول: بنو مُسَلِيَّة فرع من بلحارث، من قبيلة مذحج اليمانية، وكذا بنو معقل بن الحارث وحيثهم في الكوفة، وكان منهم مقاتلون وموظفون كبار في أصفهان ولهم مزارع هناك، ولهم موالٍ أي حلفاء إيرانيون، ومنهم غلمان أي عبيد، ومن مواليتهم بكير وأبوه ماهان، وأبو سلمة الخلال، وأبو مسلم الخراساني، وقيل كان عبدالموسى السراج جاء به من أصفهان وعمره سبع سنين وكان غلاماً له يعمل معه في صناعة الأعتة والسروج ويسافر لبيعها). (معجم قبائل العرب: ٣/ ١١٢٣، والنجاشي/ ١٦٤، وإيضاح الإشتباه/ ١٨٣، ولسان العرب: ١٤/ ٣٩٦). وعرفت منهم امرأة يضرب بها المثل في العار إسمها بوزع ذكرها جرير: (خزانة الأدب: ١١/ ٤١٦ و ٩/ ٤٥٩).

وكان بنو مُسَلِّية مع المختار في ثورته، وكانوا يقولون بإمامة محمد بن الحنفية! وبقي عدد منهم بعد زوال دولة المختار مع ولده عبد الله المعروف بأبي هاشم.

قال القاضي النعمان في شرح الأخبار (٣/٣١٦): (وقالت فرقة أخرى: بل مات (ابن الحنفية) وأوصى إلى ابنه أبي هاشم واسمه عبد الله، وقد مات وإنه يرجع، وإنه هو المهدي الذي يخرج فيملاً الأرض عدلاً. وقال آخرون: بل مات أبو هاشم وزعموا أن الإمامة في ولد محمد بن الحنفية لا تخرج إلى غيرهم، وأن القائم المهدي منهم يكون.

وزعمت فرقة أخرى منهم أن أبا هاشم مات وأوصى إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.. الذي قتله أبو مسلم في حبسه.

وقالت فرقة أخرى: إن أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ودفع الوصية إلى أبيه علي بن عبد الله بن العباس، لأنه مات عنده بأرض السراة من الشام وكان محمد الوصي. وقالت فرقه أخرى: إن محمد بن علي أوصى إلى ابنه إبراهيم صاحب بكير وأبي مسلم فصارت الإمامة إليه من أبي هاشم.. وبهذا القول تعلق بنو العباس).

معناه: أن العباسيين تمسكوا بمقولة أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى لعلي عليه السلام فهو الإمام وبعده ابنه محمد بن الحنفية، وبعده ابنه أبو هاشم، وورثها منه بنو العباس وأعطاهم صحيفة جده علي عليه السلام وفيها خبر دولة بني العباس.

في هذا الجو نشأ بكير بن ماهان، وهو فارسي أصله من مرو، وسمع بوجود حركة لبني العباس في محلته، رئيسها ميسرة النبال العبدي مولى بني أسد، الذي يسكن في حي الأزديين، وهو يتصل بمحمد بن علي العباسي في الأردن بالحميمة.

فكسب بكير قلب ميسرة العبدي وقلوب بني مُسَلِّية، لأنه أنفق عليهم لبنات ذهب وفضة كان يملكها، ولما توفي ميسرة كلفوا بكيراً أن يذهب موفداً منهم إلى إمامهم العباسي فأجاب إلى ذلك وسرَّ به ونشط له). (أخبار الدولة العباسية/ ١٩٤).

فسافر الى الأردن بصورة تاجر عطر: (اجتمعت الشيعة بالكوفة، وكتبوا إلى الإمام من جماعتهم بموت أبي رباح وسألوه أن يولي عليهم رجلاً، وكان رسولهم بكتابهم إلى الإمام أبو هاشم بكير بن ماهان).

وفي كتاب العباسيين الرسمي (أخبار الدولة العباسية) الذي نشره الدكتور عبد العزيز الدوري سنة ١٩٦/١٩٧١: (قال بكير: فدفعت إليه تسعين ومئة دينار جمعتها من شيعة الكوفة! قال: ودفعت إليّ أم الفضل (زوجة بكير) طوقاً من ذهب وثوباً مروياً (نسبة إلى مرو) من غزل يدها وسألتنى دفعهما إليه، فكان أول مال حملته الشيعة إلى محمد بن علي مع بكير بن ماهان. قال إبراهيم: فكان إذا تفرق بنو علي وحامتهم أرسل محمد إلى بكير فيدخله عليه ويكثر الخلوة به، فقال له أخوه عبد الله بن علي: قد غلبنا هذا العطار على أبي عبد الله فقلت له: إنه حسن الحديث وقد طوّف البلدان وأخوك يعجبه حديثه.. قال عمرو بن شبيب المُسلي: سمعت بكيراً وهو يحدث سالماً قال: قلت لمحمد بن علي: ما أعجب غفلتك، وأنت تريد ما تريد ويأتيك من يأتيك، عن اتخاذك منزلاً شاسعاً تنفرد فيه لأمورك وغاشيتك، وتتنحى فيه عن جماعة أهل بيتك، فوالله ما آمن السفهاء منهم أو من غيرهم من جيرتك أن يفشو شيئاً سمعه أو ظنه، حتى يلقي بك فيما تكره، وأنت بين هذه الفراعنة! فقال لي: رحمك الله يا أبا هاشم! ما زلت أحدث نفسي بذلك. قال: فاتخذ منزلاً بكُداد وبينه وبين منازل ولد أبيه بالحميمة نحو من ميلين. قال بكير: فقلت له: لو صيرت بينك وبين شيعتك رجلاً من أهلك لا تنكر خلوتك به، تكون رسولهم تأتيه ويكون هو يؤدي عنك إليهم؟ فقال: إني فاعل... فلما تهيأ لبكير انصرافه إلى العراق قال لمحمد بن علي: إني قد جَوَلت الآفاق ودخلت خراسان وشهدت فتح جرجان مع يزيد بن المهلب، فما رأيت يوماً أرق قلباً عند ذكر آل الرسول من أهل المشرق، ولقد لقيت رجلاً من الحي يقال له قيس بن السري بجرجان، فصادفت عنده رجلاً من الأعاجم فسمعته يقول بالفارسية: ما رأينا يوماً أضل من العرب، مات نبيهم فصيروا سلطاناً إلى غير عترته، ثم بكى، فوالله ما ملكت نفسي أن بكيت معه

فقلت له: رحمك الله وكم رأيت من باطل قد علا على حق، شُبه على العرب ودُعوا إلى الدنيا فمال إلى الدنيا من كان في الدنيا همته، وقد أفاق كثير منهم وأبصروا خطأهم. قال: فما يمنعكم من الطلب لهم ورد الأمر فيهم، فأنا لكم على أهل بلادي ضمين ينهضون معكم في ذلك، فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، أبسط يدك أبايعك على ذلك فبسطت يدي فبايعني... فقال محمد: يا أبا هاشم دعوتنا مشرقية وأنصارنا أهل المشرق وراياتنا سود، قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم الرايات السود مقبلة من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج... وقد أذنت لك في بث الدعوة بخراسان، واكتم ذلك فلا تظهر شيئاً حتى ترد جرجان، ولا تلق أمرك إلا إلى الثقات من أهلها، فأنت بكر هذا الأمر وبك افتتاحه.. ولتكن دعوتكم وما تلقى به العامة أن تدعوهم إلى الرضا من آل محمد، وتذكر جور بني أمية وأن آل محمد أولى بالأمر منهم.. وأبلغ أصحابك ما ألقيت إليك، ومرهم بالكف إلا في مثل ما ألقيت حتى يأتيهم رأيي، وحذر شيعتنا التحرك في شئ مما تتحرك فيه بنو عمنا من آل أبي طالب، فإن خارجهم مقتول وقائمهم مخذول، وليس لهم في الأمر نصيب، وسندرك بثأرهم وسنتلي بسعيهم، ثم لا يكون ضرر ذلك إلا عليهم!

واحذروا جماعة أهل الكوفة ولا تقبلن منهم أحداً إلا ذوي البصائر، فإنهم لا يُعزُّبهم من نصره، ولا يوهنون بخذلانهم من خذلوه! يا أبا هاشم أنتم خاصتي وعييتي وثقاتي وأمناي، ومنكم القائم بأمرنا).

أقول: في هذا النص دلالة على أن بداية حركتهم كانت على يد بكير، وأن كل عمل محمد بن علي قبله لم يكن ذا قيمة، فقد قال له: (فأنت بكر هذا الأمر وبك افتتاحه)!

وكان بكير حريصاً على إعطاء عمله بعداً غيبياً بإمامه محمد العباسي: (كتب الإمام محمد بن علي إلى بكير بن ماهان أن يقوم مقام ميسرة.. وكان رجلاً مفوهاً فقام بالدعاء وتولى الدعوة بالعراقين. وكانت كتب الإمام تأتيه فيغسلها بالماء ويعجن بغسالتها الدقيق، فيختبر منه فلا يبقى أحد من أهله وولده إلا أطعمه منه!) (الأخبار الطوال/ ٣٣٣).

ونقل عن إمامه أنه قال عن ولده السفاح: (يا أبا هاشم هذا المجلي عن بني هاشم القائم المهدي، لا ما يقول عبد الله بن الحسن في ابنه)! (أخبار الدولة العباسية/ ٢٣٨).

(مرّفتى معه قربتان حتى انتهى إلى دجلة فاستقى ماء ثم رجع، فدعاه بكبير فقال: ما اسمك يا فتى؟ قال: عامر. قال: ابن من؟ قال: ابن إسماعيل من بلحارث. قال: وأنا من بلحارث. قال: فكن من بني مُسلية. قال: فأنا منهم. قال: فأنت والله تقتل مروان! لكأني والله أسمعك تقول: يا جوانكتان دهيد). (تاريخ الطبري: ٦/٩٧، وفي تاريخ دمشق: ٢٥/٣٠٩):
ياحوانكار دهاد، كلمة فارسية مبهمّة، تدل على أن الشاب فارسي.

وزعم بكبير أن إمامه محمد بن علي قال له: يا أبا هاشم أنتم خاصتي وعييتي وثقاتي وأمنائي ومنكم القائم بأمرنا ومنكم قاتل فرعون هذه الأمة عمرو وأو عامر واحد أبيه).

وبعد رجوع بكبير إلى الكوفة، بدأ بعمله فأرسل أشخاصاً إلى خراسان، يدعون إلى بني العباس سرّاً، فقبض عليهم الوالي وقطع (أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم وصلبهم). (الطبري: ٥/٣٨٧). ثم ذهب بكبير بنفسه إلى جرجان ثم إلى خراسان، فبلغ خبره حاكمها الأموي القوي نصر بن سيار، فبعث للقبض عليه فأفلت منه، وعاد إلى الكوفة وذهب إلى إمامه قبيل وفاته: (قدم أبو هاشم بكبير بن ماهان على أبي عبد الله محمد بن علي من خراسان بأموال كثيرة وحلي وثياب فدفعها إليه.. فقال له: إستكثر مني يا أبا هاشم فما أوشك فراقي إياكم.. وهذا إبراهيم صاحبكم بعدي وقد عهدت إليه ألا يعدو رأيك! ثم دعا إبراهيم فقال له: يا بني قد كنت تقدمت إليك في طاعة هذا الرجل بما قد علمت فانتة إلى ذلك ولا تخالفن أمره، ولا تجاهدن بنفسك.. وأقام عنده نحواً من عشرين ليلة، ومرض محمد بن علي فأقام ينتظر ما يكون من أمره حتى هلك.. ومات سنة ١٢٥، ابن ستين سنة). (أخبار الدولة العباسية/ ٢٣٧، و٢٣٩).

أقول: يظهر بذلك بطلان زعم العباسيين أن نشاطهم في إيران بدأ في أواسط سنة ١٢٦، حين

اضطرب أمر بني أمية وقتل يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦، ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد المعروف بالفاسق، ثم حكم هو وأخوه إبراهيم حوالي سنة، حتى استخلف مروان الحمار آخر ملوكهم سنة ١٢٧.

وفي تلك السنة (١٢٦) تحرك الحسينيون وبايع عبد الله بن الحسن لابنه محمد على أنه المهدي. وفي تلك الفترة ثار يحيى بن زيد عليه السلام ثم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وتحرك بكير بن ماهان تحركاً سياسياً سلمياً، ولم يتحرك عسكرياً إلا في سنة ١٣٠، بل نراه ثبتاً أنصاره عن الثورة مع يحيى بن زيد عليه السلام: (لما رجع بكير إلى خراسان قال لهم: إن يحيى بن زيد كامن بين أظهركم وكأنكم به قد خرج على هؤلاء القوم فلا يخرجن معه أحد منكم، ولا يسعى في شئ من أمره فإنه مقتول، وقد نعاه الإمام إلى أهل بيته) (أخبار الدولة العباسية/ ٢٤٢). أي كان يعرف قول الصادق عليه السلام في زيد وابنه عليه السلام!

وروا أن بكيراً حمل معه كتاب إمامه الذي جاء فيه: (وقفنا الله وإياكم لطاعته قد وجهت إليكم شقة مني بكير بن ماهان، فاسمعوا منه وأطيعوا وافهموا عنه، فإنه من نجباء الله، وهو لساني إليكم وأميني فيكم، فلا تخالفوه ولا تقضوا الأمور إلا برأيه، وقد آثر تكتم به على نفسي لثقتي به في النصيحة لكم، واجتهاده في إظهار نور الله فيكم. والسلام). (أخبار الدولة العباسية/ ٢١٣). ولم تطل حياة بكير بعد إمامه فاستخلف صهره أبا سلمة الخلال، ففي الطبري (٥/ ٦٢٢): (كتب إبراهيم إلى أبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه، وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه، ومضى أبو سلمة إلى خراسان فصدقوه وقبلوا أمره ودفعوا إليه ما اجتمع قبلهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم).

وفي أخبار الدولة العباسية/ ٢٥٠: (أتانا قتل الوليد وقدم منصور بن جمهور والياً على العراق، وهرب يوسف بن عمر... فقالوا له: يا أبا هاشم قتل الوليد، وهو مغلوب لشدة مرضه، فكرروا ذلك عليه حتى فهم قولهم فقال: أوقتل الوليد؟ قالوا: نعم. قال: قد كنت أتوقع ذلك فالحمد لله على قضائه، أما لو كانت بي حياة لقرت عيني وعظم سروري. يا أبا سلمة

- وهو حاضر يومئذ - شمر في أمرك فقد فتح الله البلاء على بني أمية، وفتح الفجر على آل رسول الله إنا كنا نقول: إن قتل الوليد أحد أوقاتهم، ثم العصية وقد بدأت بالمشرق الحرورية، ثم الطاعون الجارف ثم الرجفة. قال: وجعل يتكلم فلا يفهم حتى غلب فوالله ما برحنا حتى مات وصار إلى أبي سلمة أمر الدعاة).



أبو مسلم الخراساني: عبد الرحمن بن سروس بن اسفنديار الاصفهاني

الرواية المعقولة عن نشأة هذا الغلام العبقري سفك الدماء، أن إسمه عبد الرحمن، وأن أباه سنفيرون بن إسفنديار. (تاريخ بغداد: ١٠/ ٢٠٥) (أبوه من أهل رستاق فريدين، من قرية تسمى سنجد). (سير الذهبي: ٦/ ٤٨).

(فريدين.. وبينها وبين أصبهان نحو عشرين فرسخاً). (صورة الأرض لابن حوقل: ٢/ ٣٦٥).

وقد بالغوا كعادتهم فجعلوه ابن شيدوس بن جودرن من ولد بزر جمهر حكيم الفرس المشهور! والمؤكد أنه كان غلاماً للعجليين وهم قبيلة في الحلة ترجع الى كنانة، وكانوا يعملون في جباية الخراج في تلك المنطقة من أصفهان.

ففي أخبار الدولة العباسية/ ٢٥٧: (كان برستاق فريدين من أصبهان مولى لبني عجل يقال له عثمان بن يسار، فأتعب (افتقر) في الخراج بفريدين فحمل جارية له أعجمية إلى عيسى بن معقل العجلي بهاوشان وكان من عشيرته، فشكا إليه حاله في الخراج، وباع منه تلك الجارية بثماني مئة درهم، وهي يومئذ حامل بأبي مسلم وهو لا يعلم بحملها، فانطلق عثمان بن يسار من وجهه ذلك فمات، وعلم عيسى بن معقل بحمل الجارية بعد ما فارقه عثمان بن يسار فحصنها، فولدت أبا مسلم وماتت في نفاسها).

(وكان إدريس وعيسى ابنا معقل محبوسين بالكوفة مع قوم حبسهم يوسف بن عمر بسبب الخراج، فكان أبو مسلم يخدمهما ويقضي حوائجهما وهو في ذلك مع أبي موسى السراج صاحبه يخرز الأعنة ويعمل السروج وله بضاعة في الأدم). (أنساب الأشراف: ٣/ ٣٨٣). (وهو إذ

ذاك غلام يخدم عيسى بن معقل. فاشتراه بكير منه بأربعمائة درهم). (النهاية: ٣٧١/٩).
 واتفقوا على أن إمامه إبراهيم أرسله سنة ١٢٩ وهو ابن تسع عشرة سنة: (وتوجه أبو مسلم لشأنه وهو ابن تسع عشرة سنة). (تاريخ بغداد: ٢٠٥/١٠).
 فيكون عمره لما قتل ٢٨ عاماً! وعن الزمخشري أنه قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.
 (وفيات الأعيان: ١٤٩/٣).

وقد: (وصف المدائني أبا مسلم فقال: كان قصيراً، أسمر، جميلاً حلواً، نقي البشرة، أحور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية وافرهما، طويل الشعر، طويل الظهر، قصير الساق والفخذ، خافض الصوت، فصيحاً بالعربية والفارسية، حلو المنطق، راوية للشعر، عالماً بالأمر. لم يُر ضاحكاً ولا مازحاً إلا في وقته، ولا يكاد يقطب في شيء من أحواله، تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور وتنزل به الحوادث الفادحة فلا يرى مكتئباً، وإذا غضب لم يستفزه الغضب. ولا يأتي النساء في السنة إلا مرة ويقول: الجماع جنون ويكفي الإنسان أن يجن في السنة مرة). (وفيات الأعيان: ١٤٩/٣).

لكن أبرز صفاته أنه عفريت سفاك للدماء: علمه ذلك إمامه إبراهيم العباسي قال له: (أنظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره، ومن كان في أمره شبهة، ومن وقع في نفسك منه شيء! وإن استطعت أن لا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل، فأبى غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله). (الطبري: ١٤/٦).

وكذا إمامه السفاح: (فتقدم إليه أبو العباس ألا يدع بخراسان عربياً لا يدخل في أمره إلا ضرب عنقه). (الأخبار الطوال: ٣٥٩).

لذا كانت كلمة: (يا غلام إضرب عنقه) حاضرة على طرف لسانه!
 (قام رجل إلى أبي مسلم وهو يخطب فقال له: ما هذا السواد الذي أرى عليك؟ فقال: حدثني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أن رسول الله دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء، وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة يا غلام إضرب عنقه!) (تاريخ بغداد: ٢٠٥/١٠).

(قتل في دولته ستائة ألف صبراً!) (وفيات الأعيان: ٣/ ١٤٨).

ومعنى قتلهم (صبراً) أنه قتلهم في غير معركة بل كان الواحد منهم أسيراً في يده لا يستطيع دفاعاً عن تهمته ولا دفاعاً عن نفسه فيقول: يا غلام إضرب عنقه! أما الذين قتلهم في معاركه فأضعاف هذا العدد! قال الذهبي في سيره (١٠/ ٢٩٧): (أحصي قتلى أبي مسلم الخراساني، فبلغوا ألفي ألف) أي مليونين! وكان هذا القاتل المسرف يعرف جيداً ما تقترب يده بأمر أئتمته فكان قتله للناس عن علم وعمد، وكان يعرف أنه وأمره يستحقون جهنم!

(سمعت أبا مسلم بعرفات يقول: اللهم إني أتوب إليك مما أظن أنك لن تغفره لي! فقلت: أيها الأمير، أيعظم على الله تعالى غفران ذنب؟ فقال: إني نسجت ثوباً من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبني العباس! فكم صارخٍ وصارخةٍ تلعنني عند تقاوم هذا الأمر فكيف يغفر الله تعالى لمن هذا الخلق خصماًؤه!) (سمط النجوم ٣/ ٣٧٧).

(وقيل له مرة: لقد قمت بأمر لا يقصر بك عن الجنة، فقال: خوفي فيه من النار أولى من الطمع في الجنة! إني أطفأت من بني أمية جمره، وألهبت من بني العباس نيراناً! فإن أفرح بالإطفاء فواحزنا من الإلهاب!) (ربيع الأبرار للزخشي ٣/ ٣١٥).

تقرأ عن كفاءة وعبقريه ونبوغ أبي مسلم فتعجب به ثم ترى فيه سفاك الدماء فتبغضه! قال الذهبي في سيره (٦/ ٤٨): (كان من أكبر الملوك في الاسلام، كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب، من رجل يذهب على حمار بإكاف من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد سبعة أعوام ويعود بكتائب أمثال الجبال ويقلب دولة ويقيم دولة)!

(فسار إلى خراسان وهو ابن تسع عشرة سنة راكباً على حمار بإكاف.. ثم آل به الحال حتى صارت له خراسان بأزمته وحذافيرها، وذكر أنه في ذهابه إليها عدا عليه رجل من بعض الحانات فقطع ذنب حماره، فلما تمكن أبو مسلم جعل ذلك المكان دكاً، فكان بعد ذلك خراباً). (النهاية: ١٠/ ٧٢).

(وفي هذه السنة (١٢٩ هجرية) وجه إبراهيم أبا مسلم إلى خراسان، وكتب إلى أصحابه: إني قد أمرته بأمرتي فاسمعوا منه واقبلوا قوله، فإني قد أمرته على خراسان، وما غلب عليه

بعد ذلك). (تاريخ الطبري: ٤٨/٦).

(ولما وصل كتاب إبراهيم إلى أتباعه رفض طاعته كبيرهم سليمان بن كثير الخزاعي وضرب أبا مسلم بالدواة فجرحه في وجهه، فتباكى لهم أبو مسلم وأظهر أنه مظلوم (فأتاهم أبو مسلم فوضع كتاب إبراهيم نصب أعينهم وقال: هذا كتاب إمامكم ومولاكم. قال له سليمان: (أحسبك والله قد جئت بها دويبية صماء. صلينا بمكروه هذا الأمر واستشعرنا الخوف. فلما تنسمنا روح الحياة وانفسحت أبصارنا وأينعت ثمار غراسنا، طرأ علينا هذا المجهول الذي لا يدري أية بيضة تفلقت عن رأسه، ولا من أي عش درج! والله لقد عرفت الدعوة من قبل أن يخلق هذا في بطن أمه! أكتب يا أبا منصور بما تسمع إلى الإمام. ومد أبو مسلم يده إلى كتاب إبراهيم ليأخذه فحذفه سليمان بن كثير بالدواة فشجه فسال الدم على وجهه، وقذفه بشير بن كثير أخو سليمان، فقام أبو مسلم عن المجلس وهو يقول: **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**، من إمامكم! ونهض مع أبي مسلم من المجلس ناجية ابن أثيلة الباهلي ومحمد بن علوان المروزي فجعلوا يغسلان الدم عن وجهه وهو يقول: **لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**. وشق محمد بن علوان من أسفل ثيابه عصا به فغصب بها رأس أبي مسلم، وافترق القوم عن مجلسهم مختلفين فكانت النقباء تحب أن تضع من أبهة سليمان بن كثير وأن يترأس عليهم أجني ليس منهم أروح عليهم وأوفق لهم فاجتمعت كلمة الشيعة على ترئيس أبي مسلم وخذلوا سليمان بن كثير). (أخبار الدولة العباسية/ ٢٧٠).

توظيف الحديث النبوي كذبا وزورا!

وتعلم ابراهيم العباسي من الحسينيين توظيف الحديث النبوي فأمر برفع الرايات السود! فقد بشر النبي صلى الله عليه وآله بالمهدي من عترته عليه السلام في آخر الزمان، وأخبر أن أنصاره أهل الرايات السود من خراسان، فرغم الحسينيون أنه منهم! ثم زعم العباسيون أنه منهم! وبعثوا إلى خراسان رايات سوداً من زمن أبي سلمة الخلال: (وقدم أبو سلمة خراسان.. فبدأ بجرجان فدفع راية سوداء إلى أبي عون رئيس القوم.. ثم نفذ إلى مرو ودفع إلى سليمان بن كثير راية سوداء، وبعث براية إلى ما وراء النهر). (الطبري: ٣١/٦).

عقدوا اللواء الذي بعث به الإمام إليه (مع أبي مسلم) الذي يدعى الظل، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الراية التي بعث بها الإمام التي تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً وهو يتلو: **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**، ولبسوا السواد هو سليمان بن كثير وإخوة سليمان ومواليه، ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفينجج.. نصر بن سيار وجه مولى له يقال له يزيد في خيل عظيمة لمحاربة أبي مسلم بعد ثمانية عشر شهراً). (الطبري: ٦/٢٥).

وفي سنة ١٢٩ لما أرسل ابراهيم العباسي أبا مسلم، زار الإمام الصادق عليه السلام فقَبَّلَ رأس الإمام عليه السلام فلمس ثيابه وقال: (ما رأيت اليوم أشد بياضاً ولا أحسن منها! فقال: جعلت فداك هذه ثياب بلادنا وجئتك منها بخير من هذه فقال: يا مُعْتَبُ إقبضها منه، ثم خرج الرجل فقال أبو عبد الله: صدق الوصف وقرب الوقت! هذا صاحب الرايات السود من خراسان!)! (المنقب: ٣/٣٥٦) فسجل تزويرهم لحديث النبي صلى الله عليه وآله في الرايات السود!

عوامل ساعدت أبا مسلم في نجاح ثورته

استفاد أبو مسلم من عوامل مهمة في تحريك الناس، هي القومية الفارسية، ونقمة الناس على الأمويين وتعاطفهم مع آل الرسول صلى الله عليه وآله. فقد صُدم عوام المسلمين من الإيرانيين عندما اكتشفوا أن الأمويين الذين يحكمونهم ويظلمونهم كان زعيمهم أبو سفيان عدو النبي صلى الله عليه وآله وقائد المشركين ضده، وأن حفيده يزيداً قتل سبط الرسول الإمام الحسين عليه السلام، وعشيرته قتلوا حفيد الحسين زيداً عليه السلام عندما ثار على طغيانهم!

فكان أبو مسلم ودعاته يعبؤون الناس بالعاطفة لآل الرسول والثأر للحسين وزيد عليهما السلام ويتلو عليهم آية المودة في القربى وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام، ويقولون إنهم آل العباس عم الرسول صلى الله عليه وآله!

وكانوا يعبؤونهم ضد مروان الخليفة الأموي، وهم الذين سموه (مروان الحمار)! ولم يكن غيباً بل كان من أعلم بني أمية وأشجعهم، وأكثرهم كفاءة إدارية وقيادية لكن الموجة كانت ضده. فلا يصح قول ابن حبان (الثقات: ٢/٣٢٢): (إنما عرف بالحمار لقلته عقله). ولا قول

الذهبي وابن الأثير سمي الحمار لجراته وصبره في الحروب! بل الصحيح أن الذي سماه الحمار هم الخراسانيون، فقد كان أحدهم يسوق حماره ويقول له (هَرَهْرُ مروان) أي هُشُّ يا مروان! قال في الأخبار الطوال/ ٣٦٠: (وكان الوقت الذي واعد فيه أبو مسلم مستجيبه، فخرجوا جميعاً في يوم واحد من جميع كور خراسان حتى وافوه... من هراة، وبوشنج، ومرو الروذ، والطاقان، ومرو، ونسا، وأبيورد، وطوس، ونيسابور، وسرخس، وبلخ، والصغانيان، والطحارستان، وختلان، وكش، ونسف، فتوافوا جميعاً مسودى الثياب وقد سودوا أيضاً أنصاف الخشب التي كانت معهم وسموها كافر كوبات (قارعة الكافر) وأقبلوا فرساناً وحمارة ورجالة، يسوقون حميرهم ويزجرونها هَرَهْرُ مروان، يسمونها مروان ترغيباً لمروان بن محمد، وكانوا زهاء مائة ألف رجل.

فلما بلغ نصر بن سيار ظهور أبي مسلم سقط في يديه وخاف على نفسه، ولم يأمن أن ينحاز الكرمانى في اليمانية والربعية إليهم، فيكون في ذلك اصطلامه).

واستفاد أبو مسلم من الصراع الذي حدث بين العرب في خراسان بين المضرية ويرأسهم والى خراسان نصر بن سيار الكنانى، وبين اليمانية ويرأسهم جديع بن علي الأزدي اليماني المعروف بالكرمانى لأنه ولد بكرمان حيث كان أبوه مع المهلب في حرب الخوارج. (الأخبار الطوال/ ٣٤٠).

واشتدت العصبية في العرب من سنة ١٢٦ لما قتل الخليفة الوليد بن يزيد (فاضطرب أمر العرب بخراسان.. فتمكن أبو سلمة الخلال مما أراد، واستثارت الدعوة وقوي أهلها وبث دعائه ورسله... وسليمان بن كثير صاحب أمر الشيعة بخراسان وكامل بن مظفر يدبر لهم أمورهم، فطالت الفتنة بين نصر بن سيار وعلي بن الكرمانى حتى أضجر ذلك كثيراً من أصحابها، وجعلت نفوسهم تطلع إلى غير ما هم فيه وإلى أمر يجمعهم فتحركت الدعوة). (أخبار الدولة العباسية/ ٢٤٨).

وكان أبو مسلم داهية يراسل نصر بن سيار والى خراسان ويطمعه في أن يكون الى جانبه

مقابل اليمانيين! ويراسل ابن الكرماني ويتقرب اليه بأن اليمانيين أقرب الى أهل البيت عليهم السلام! وهو مع ذلك ماضٍ في السيطرة على قرى إيران ومدنها واحدة بعد أخرى، ثم تحالف مع الكرماني وحارب ابن سيار: (واشتدت شوكة أبي مسلم فهرب نصر من خراسان وقصد العراق فمات في الطريق بناحية ساوة، وقيل إنه مرض بالري وحمل إلى ساوة وهي بالقرب من همدان فمات بها، في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين ومائة وكانت ولايته بخراسان عشر سنين. وفي محرم سنة ١٣٢ وثب أبو مسلم على علي بن جديع بن علي الكرماني بنيسابور فقتله بعد أن قيده وحبسه). (وفيات الأعيان: ٣/ ١٥٠).

موجة انتصار أبي مسلم!

وتتابعت انتصارات أبي مسلم في قرى إيران ومدنها، في معارك صغيرة وكبيرة: وأجاد الإدارة سلماً وحرباً، حتى جمع نحو مئة ألف مقاتل، وأرسل منهم نحو سبعين ألفاً بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي (تاريخ بغداد: ٧/ ٤١٥) أبرز قواده، وأمره أن يكتسح المناطق الباقية من إيران ثم يدخل العراق، وقد انضم إليه عدد من القادة العرب: (فكان أول من عقد له منهم زنباع بن النعمان على سمرقند، وولى خالد بن إبراهيم على طخارستان وولى محمد بن الأشعث الطبسين، ثم وجه أصحابه إلى سائر تلك البلاد، وضم إلى قحطبة بن شبيب أبا عون مقاتل بن حكيم العكي، وخالد بن برمك، وحارثة بن خزيمة، وعبد الجبار بن نهيك، وجهور بن مراد العجلي، والفضل بن سليمان، وعبد الله بن النعمان الطائي، وضم إلى كل واحد من هؤلاء القواد صناديد الجنود وأبطالهم. وأمر قحطبة أن يسير إلى طوس، فيلقى من قد اجتمع بها من جنود نصر بن سيار والكرماني فيحاربهم حتى يطردهم عنها، ثم يتقدم قدماً قدماً حتى يرد العراق).

فسار قحطبة حتى إذا دنا من طوس هرب أولئك الذين قد كانوا تجمعوا بها فتفرقوا، وسار قحطبة من طوس إلى جرجان فافتتحها. وسار منها إلى الري فواقع عامل مروان عليها فهزمه، ثم سار من الري إلى أصبهان حتى وافاها وبها عامر بن ضبارة من قبل يزيد بن

عمر حاكم العراق فهرب منه، ودخلها قحطبة واستولى عليها. ثم سار حتى أتى نهاوند وبها مالك بن أدهم الباهلي فتحصن أياماً ثم استأمن إلى قحطبة فأمنه فخرج إليه، وسار قحطبة حتى نزل حلوان فأقام بها. وكتب إلى أبي مسلم يعلمه خبره وأن مروان بن محمد قد أقبل من الشام حتى وافى الزابين فأقام بها في ثلاثين ألفاً، وأن يزيد بن عمر بن هبيرة قد استعد بواسط، فأتاه كتاب أبي مسلم يأمره أن يوجه أبا عون العكي في ثلاثين ألف فارس من أبطال جنوده إلى مروان بن محمد بالزابين فيحاربه، ويسير هو في بقية الجنود إلى واسط فيحارب يزيد بن عمر، ليشغله عن توجيه المدد إلى مروان، ففعل قحطبة ذلك). (الأخبار الطوال/ ٣٦٤).

السفاح والمنصور يدبران قتل أبي مسلم!

بعد بيعة السفاح جاء المنصور إلى إيران ليتشاور مع أبي مسلم في قتل أبي سلمة! قالوا: (لما رأى أبو جعفر عظمة أبي مسلم وسفكه للدماء، رجع من عنده وقال للسفاح: لست بخليفة إن أبقيت أبا مسلم! قال: وكيف؟ قال: ما يصنع إلا ما يريد! قال: فاسكت واكتمها منه). (سير الذهبية: ٥٩/٦، وتاريخ يعقوبي: ٢/٢٩٦). وبأشر السفاح بتنفيذ رأي أخيه وعمل لقتل أبي مسلم، فلم ينجح!

قال الذهبية في سيره (٦/٦٠): (وفي عام ثلاثة وثلاثين خرج على أبي مسلم شريك المهري ببخارى ونقم على أبي مسلم كثرة قتله وقال: ما على هذا اتبعنا آل محمد! فاتبعه ثلاثون ألفاً. فسار عسكر أبي مسلم فالتقوا فقتل شريك.

في سنة خمس وثلاثين: خرج زياد بن صالح الخزاعي من كبار قواد أبي مسلم عليه، وعسكر بما وراء النهر، وكان قد جاء عهد بولاية خراسان من السفاح وأن يغتال أبا مسلم إن قدر عليه، فظفر أبو مسلم برسول السفاح فقتله، ثم تقلل عن زياد جموعه ولحقوا بأبي مسلم، فلجأ زياد إلى دهقان فقتله غيلة وجاء برأسه إلى أبي مسلم!

وفي سنة ست بعث أبو مسلم إلى السفاح يستأذنه في القدوم فأذن له واستتاب على خراسان

خالد بن إبراهيم، فقدم في هيئة عظيمة فاستأذن في الحج فقال: لولا أن أخي حجج لوليتك الموسم! وكان أبو جعفر يقول للسفاح: يا أمير المؤمنين أطعني واقتل أبا مسلم، فوالله إن في رأسه لغدرة! فقال: يا أخي قد عرفت بلائه وما كان منه، وأبو جعفر يراجعه!

أقول: كان أبو مسلم يعرف أن المنصور والسفاح يريدان قتله، لكنه كان يأمل أن يتخلص من ذلك باللين والسياسة وإضافة إنجازات كبرى يقدمها لدولتهم فيسكتان عنه! وإذا حضر الأجل عمي البصر! وذكر بعضهم أنه أراد قتل السفاح أو المنصور، لكن قول الإمام الصادق عليه السلام المتقدم لأبي سلمة: (إبراهيم الإمام لا يصل من الشام إلى العراق، وهذا الأمر لأخويه الأصغر ثم الأكبر، ويبقى في أولاد الأكبر. وإن أبا مسلم بقي بلا مقصود). (المناب لإبن شهر آشوب ٤/٢٢٩) أي يسقط بيده، وبقي بلا هدف ممكن التحقيق!

ومن دهاء المنصور أنه أخرج قتل أبي مسلم حتى قاتل به عمه عبدالله بن علي! فقد كان المنصور في خلافة أخيه السفاح مخططاً ومنفذاً، وكلمته نافذة عنده، كان عمر السفاح سبعمائة وعشرين سنة والمنصور سبعمائة وثلاثين، وإنما جعلوا السفاح خليفة لأنه ابن ربيعة الحارثية من بني عبد المدان، الذين كانوا ملوكاً بنجران، والمنصور ابن سلامة وهي أمة مغمورة. وكان السفاح يعتقد بأن أخاه المنصور أكثر خبرة منه، وأنه يعمل لتثبيت سلطان بني العباس فأطلق يده. فكان المنصور وراء الأحداث المهمة في خلافة السفاح بل إن موت السفاح في أول الثلاثين من عمره يوجب الظن بأن المنصور قتله بالسم، وكان ذلك سائداً من قديم واتسع في زمن بني أمية وبني عباس، وأول المستفيدين من قتله المنصور، لكن ذكرت الرواية الرسمية العباسية أن السفاح عهد إليه بالخلافة ومن بعده إلى عيسى ابن أخيه موسى، ولم يذكر المؤرخون أن السفاح عقد أي مجلس لإعلان ذلك وإنما رووا أنه: (كتب العهد بذلك وصيره في ثوب وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ودفعه إلى عيسى بن موسى). (الطبري: ٦/١٢٠).

وكان عيسى هذا شاباً مقاتلاً شجاعاً وهو الذي أرسله المنصور لحرب مهدي الحسينيين وأخيه

إبراهيم، وكان بيده قصر السفاح في الأنبار، وقد اعتمد عليه المنصور لما سافر إلى الحج مع أبي مسلم، وعلى من زرعهم حول أخيه، وما أن مات السفاح حتى بادر عيسى بأخذ البيعة للمنصور من العباسيين الموجودين بالخلافة وله هو بولاية عهده، وكان المنصور في الحج فسارع بالرجوع وبادر عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بأخذ البيعة لنفسه من قادة جيشه وأهل الشام فقال لهم: (أما تشهدون أن أمير المؤمنين أبا العباس قال: من خرج إلى مروان فهو ولي عهدي؟ فشهدوا له بذلك وبايعوا وبايع أكثر أهل الشام له، وكتب إلى عيسى بن علي وغيره يعلمهم مبايعة من قبله من القواد وأهل الشام له بصحة عهد أبي العباس إليه، وتوجه يريد العراق!) (تاريخ الطبري: ٤/٣٧٧، واليعقوبي: ٢/٣٦٥، والنجوم الزاهرة: ١/٣٣٣). (فقدم المنصور الكوفة غرة المحرم فنزل الحيرة وصلى بالناس الجمعة، ثم شخص إلى الأنبار إلى مدينة أبي العباس فضم إليه أطرافه وخزائن أبي العباس. وبلغه أمر عبد الله بن علي وتوجهه إلى العراق فقال لأبي مسلم: ليس لعبد الله بن علي غيري أو غيرك. فكره أبو مسلم ذلك وقال: يا أمير المؤمنين إن أمر عبد الله بالشام أقل وأذل، وأمر خراسان أمر يجلب خطبه، ثم انصرف أبو مسلم إلى منزله وقال لكاتبه: ما أنا وهذان الرجلان! ثم قال: ما الرأي إلا أن أمضي إلى خراسان وأخلي بين هذين الكبشين فأيهما غلب وكتب إلينا كتبنا إليه سمعنا وأطعنا). (تاريخ اليعقوبي: ٢/٣٦٥، وسير الذهبية: ٦/٦٠) لكن المنصور أقنعه بالتوجه إلى حرب عمه قبل أن يصل بجيشه إلى العراق!

(ومضى أبو مسلم سائراً من الأنبار ولم يتخلف منه من القواد أحد!) (تاريخ الطبري: ٦/١٢٤).

وذكر المؤرخون هنا مجزرة ارتكبتها عبد الله بن علي في جيشه وكان أكثر من ثلاثين ألفاً وقد هزم به مروان في العراق، ثم في الشام، فهرب مروان إلى مصر فأرسل إليه قسماً من جيشه وقتله في مصر، وبذلك تم انتصار العباسيين!

كان قسم من هذا الجيش عراقيين وخراسانيين موالين لأبي مسلم، فخاف عبدالله منهم إذا وصل أبو مسلم أن يلتحقوا به، أو يتواطؤوا معه على الإنضمام إليه عند المعركة لإحداث

الهزيمة به، فأمر بذبحهم جميعاً!

قال ابن كثير في النهاية (١٠/٦٧): (خشي من جيش العراق أن لا يناصره، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً). وقال الطبري (٤/٣٧٨): (فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً).

وأدار أبو مسلم المفاوضات مع عبدالله عم المنصور براعته الأصفهانية، ثم أدار المعركة معه كذلك لشهور، حتى كانت القاضية على جيش عبد الله بن علي!

قال الطبري في تاريخ (٤/٣٨٠): (وكان قد عُومِلَ لأبي مسلم عرش، فكان يجلس عليه إذا التقى الناس فينظر إلى القتال، فإن رأى خللاً في الميمنة أو في الميسرة أرسل إلى صاحبها إن في ناحيتك انتشاراً فاتق ألا تؤتى من قبلك فافعل كذا، قدم خيلك كذا أو تأخر كذا إلى موضع كذا، فإنما رُسُلُهُ تختلف إليهم برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض! قال: فلما كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ومائة أو سبع وثلاثين ومائة، التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما رأى ذلك أبو مسلم مكر بهم فأرسل إلى الحسن بن قحطبة وكان على ميمنته أن أعير الميمنة وضمَّ أكثرها إلى الميسرة، وليكن في الميمنة حماة أصحابك، فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم وانضموا إلى ميمنتهم بإزاء ميسرة أبي مسلم، ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن أن مر أهل القلب مع من بقي في الميمنة على ميسرة أهل الشام فحملوا عليهم وجال أهل القلب والميمنة! قال: وركبهم أهل خراسان فكانت الهزيمة! فقال عبد الله بن علي لابن سراقه الأزدي وكان معه: يا ابن سراقه ما ترى؟ قال: أرى والله أن تصبر وتقاتل حتى تموت، فإن الفرار قبيح بمثلك... قبح الله مروان جزع من الموت ففر! قال فيني آتي العراق. قال: فأنا معك فانهزموا وتركوا عسكرهم!

وكتب بذلك أبو مسلم إلى أبي جعفر... ومضى عبد الله بن علي وعبد الصمد بن علي فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فآمنه أبو جعفر. وأما عبد الله بن

علي فأتى سليمان بن علي بالبصرة فأقام عنده. ثم آمنه المنصور وقتله كعادته!



الطاغية العباسي يسحب العفريت من حلوان الى حتفه!

بعد رجوعه من الحج اشتغل أبو مسلم ستة أشهر في الإعداد لحرب عم المنصور وخوضها، وانتصر فيها وهزم عم المنصور، فأضاف إنجازاً كبيراً الى خدماته لدولة العباسيين، وهذه المرة في صراعهم الداخلي!

وكتب الى المنصور يبيّنه بالنصر فبادره المنصور بإرسال رسوله ليحصي غنائم الحرب ويتسلمها! فغضب أبو مسلم وتوجه مباشرة من حران الى حلوان قاصداً خراسان! كان ذلك في أوائل جمادى الآخرة سنة ١٣٧، وعاش بعدها الى أواخر شعبان من تلك السنة. وسافر المنصور من الأنبار الى المدائن وأقام فيها ليدير معركته مع أبي مسلم! وامتألت هذه الشهور الثلاثة بالمراسلات بينهما، وبرسل المنصور عليه لإقناعه بالمجيء الى المدائن للقاءه، واستعمل المنصور أنواع الخيل فلم تنفع وتحرك أبو مسلم من حلوان نحو الري، لكن جبار بني عباس استطاع أخيراً أن يجير العفريت الى قصره، ويوبخه ويسبه ويشتمه، ثم يقطعه إرباً إرباً، ثم يرسل الى معسكره من ينثر عليهم الذهب حتى إذا تراحموا على جمعه، ألقى اليهم برأس قائدتهم أبي مسلم! (فقتله.. وذلك يوم الأربعاء لأربع بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة). (تاريخ دمشق: ٤١٨/٣٥ والنهاية: ٧١/١٠).

(ثم بعث الى عيسى بن موسى ولي العهد فأعلمه، وأعطاه الرأس والمال فخرج به فألقاه إليهم، ونثر الذهب فتشاغلوا بأخذه). (سير الذهبية: ٦٧/٦).

وقال الذهبي عن أبي مسلم: (فشاور البائس أبا إسحاق المروزي، فقال له: ما الرأي هذا موسى بن كعب لنا دون خراسان، وهذه سيوف أبي جعفر من خلفنا وقد أنكرت من كنت أثق به من أمرائي؟ فقال: أيها الأمير هذا رجل يضطغن عليك أموراً متقدمة، فلو كنت إذ ذاك هذا رأيك، وواليت رجلاً من آل علي كان أقرب. ولو أنك قبلت توليته إياك خراسان والشام والصائفة مدت بك الأيام، وكنت في فسحة من أمرك، فوجهت الى المدينة فاخترت علويّاً فنصبته إماماً فاستملت أهل خراسان وأهل العراق ورميت أبا جعفر بنظيره، لكنك على

طريق تدبير. أتطمع أن تحارب أبا جعفر وأنت بحلوان وعساكره بالمدائن وهو خليفة مجمع عليه؟ ليس ما ظننت! لكن بقي لك أن تكتب إلى قوادك وتفعل كذا وكذا. فقال: هذا رأي إن وافقنا عليه قوادنا! قال: فما دعائك إلى خلع أبي جعفر وأنت على غير ثقة من قوادك؟ أنا أستودعك الله من قتيل! أرى أن توجه بي إليه حتى أسأله لك الأمان، فإما صفح، وإما قتل على عز، قبل أن ترى المذلة والصغار من عسكريك إما قتلوك وإما أسلموك. قال: فسفرت بينه وبين المنصور السفراء، وكتبوا له أماناً فأتى المدائن). (سير الزهبي: ٦٧/٦).

وقد تضمنت الرسائل والحوارات بين المنصور وأبي مسلم، حقائق كثيرة تكشف عن معتقدهما ومحتوى شخصيتهما وهدفها الرخيص، وتكشف عن طغيانها معاً! وفي نفس الوقت عن ذلة أبي مسلم تطبيقاً للحديث الشريف: (من أعان ظالماً سلطه الله عليه). (الخرائج: ١٠٥٨/٣). وهذه بعض نصوصها:

١ - بعث المنصور يقطين بن موسى إلى أبي مسلم، بعد هزيمة عبد الله بن علي ليحصي ما كان في عسكره، فقال أبو مسلم: أفعلها ابن سلامة الفاعلة، لا يكني! (أي وصف أم المنصور بالقحبة الزانية بدون كناية، وكانت رقاصة فارسية في البصرة، أصلها من مدينة إيذة الإيرانية، وكان المنصور يعرف الفارسية من أمه)! فكتب إليه المنصور: إني قد وليتك الشام ومصر فهما أفضل من خراسان، ومنزلك بالشام أقرب إلى أمير المؤمنين فمتى أحببت لقاءه لقيته، وأنفذ الكتاب إليه مع يقطين فلما قرأه قال: أهو يوليني الشام ومصر مكان خراسان وخراسان لي)! (أنساب الأشراف/ ١٠٠٧).

٢ - كتب إليه المنصور: إني أردت مذاكرتك أشياء لم يحتملها الكتاب فأقبل فإن مقامك قبلي يسير، فلم يلتفت إلى الكتاب، فبعث إليه جرير بن يزيد البجلي وكان صديقاً لأبي مسلم راجحاً عنده فلم يزل يمسح جوانبه ويرفق به..

وأمر عمومته ومن حضر من بني هاشم أن يكتبوا إليه فيعظموا عليه حق الطاعة ويحذروه سوء عواقب الغدر والتبديل والنكث ويسألوه الرجوع.

٣- كتب إلى المنصور: من عبد الرحمن بن مسلم إلى عبد الله بن محمد، أما بعد فإنني اتخذت أخاك إماماً، وكان في قرابته برسول الله ومحله من العلم على ما كان، ثم استخف بالقرآن وخرقه طعماً في قليل من الدنيا.. ثم إن الله بحمده ونعمته استنقذني بالتوبة وكره إليّ الحوبة، فإن يعف فقيماً عرف ذلك منه، وإن يعاقب فبذنوبي وما الله بظلام للعبيد. فكتب إليه المنصور: قد فهمت كتابك وللمدل على أهله بطاعته ونصيحته ونصرتة ومحاماته وجميل بلائه مقال.. فأقبل رحمك الله مبسوط اليد في أمرنا محكماً فيما هويت الحكم فيه، ولا تشمت الأعداء بك وبنا إن شاء الله.

كتب المنصور إلى أبي مسلم: أما بعد فإنه يرين على القلوب ويطلع عليها المعاصي، فقع أيها الطائر، وأفق أيها السكران، واتبه أيها النائم، فإنك مغرور بأصغاث أحلام كاذبة، في برزخ دنيا قد غرت من كان قبلك وسم بها سوائف القرون هل تُحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً. وإن الله لا يعجزه من هرب، ولا يفوته من طلب، فلا تغتر بمن معك من شيعتي وأهل دعوتي، فكأنهم قد صالوا عليك بعد أن صالوا معك إن أنت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة وبدا لك من الله ما لم تكن تحتسب! مهلاً مهلاً، إحذر البغي أبا مسلم، فإنه من بغى واعتدى تحلى الله عنه، ونصر عليه من يصصره لليدين والفم، واحذر أن تكون سنة في الذين قد خلوا من قبلك، ومثله لمن يأتي بعدك، فقد قامت الحجة وأعدت إليك وإلى أهل طاعتي فيك. قال تعالى: **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ!**

فأجابه أبو مسلم: أما بعد فقد قرأت كتابك فرأيتك فيه للصواب مجانباً، وعن الحق حائداً إذ تضرب فيه الأمثال على غير أشكالها، وكتبت إلي فيه آيات منزلة من الله للكافرين، وما يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. وإنني والله ما انسلخت من آيات الله ولكني يا عبد الله بن محمد كنت رجلاً متأولاً فيكم من القرآن آيات أوجبت لكم بها الولاية والطاعة، فأتممت بأخوين من قبلك ثم بك من بعدهما، فكنت لهما شيعة متديناً أحسبني هادياً مهتدياً، وأخطأت في التأويل وقدماً أخطأ المتأولون! وقد قال تعالى: **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ**

الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

وإن أخاك السفاح ظهر في صورة مهدي وكان ضالاً، فأمرني أن أجدَّ السيف وأقتل بالظنة وأقدم بالشبهة، وأرفع الرحمة ولا أقيّل العثرة فوترت أهل الدنيا في طاعتكم وتوطئة سلطانكم، حتى عرفكم الله من كان جهلكم!

ثم إن الله سبحانه تداركني منه بالندم واستنقذني بالتوبة، فإن يعف عني ويصفح فإنه كان للأوابين غفوراً، وإن يعاقبني فبذنوبي وما ربك بظلام للعبيد.

فكتب إليه المنصور: أما بعد أيها المجرم العاصي، فإن أخي كان إمام هدى يدعو إلى الله على بينة من ربه فأوضح لك السبيل، وحملك على المنهج السديد فلو بأخي اقتديت لما كنت عن الحق حائداً، وعن الشيطان وأوامره صادراً، ولكنه لم يسنح لك أمران إلا كنت لأرشدهما تاركاً ولأغواهما راكباً، تقتل قتل الفراغنة وتبطش ببطش الجبابرة، وتحكم بالجور حكم المفسدين، وتبذر المال وتضعه في غير مواضعه فعل المسرفين، ثم من خبري أيها الفاسق أني قد وليت موسى بن كعب خراسان وأمرته أن يقيم بنيسابور، فإن أردت خراسان لقيك بمن معه من قوايدي وشيعتي وأنا موجه للقائك أقرانك، فاجمع كيدك وأمرك غير مسدد ولا موفق، وحسب أمير المؤمنين من اتبعه.

٤- ولم يزل المنصور يرأسه تارة بالرغبة وتارة بالرهبة، ويستخف أحلام من حوله من الأمراء والرسل الذين يبعثهم أبو مسلم إلى المنصور ويعددهم، حتى حسنوا لأبي مسلم في رأيه القدوم عليه.

٥- استطاع المنصور أن يقنع نائب أبي مسلم على خراسان أبا داود، فكتب إلى أبي مسلم يلومه ويقول: إننا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت النبوة، فلا تخالفن إمامك فوافاه كتابه وهو على تلك الحال، فزاده همماً ورعباً.

٦- كتب إلى أبي مسلم كتاباً لطيفاً مع أبي حميد المرورودي وقال: إن أجاب إلى الإنصاف وإلا فقل له يقول لك أمير المؤمنين: نُفِيْتُ مِنَ الْعَبَّاسِ لثَنٍ مُضِيَّتْ وَلَمْ تَلْقِنِي! لا وقلت

أمرك إلى أحد سواي ولو خضت إليك البحر الأخضر حتى أموت أو أقتلك! فلما قرأ الكتاب عزم على المضي لوجهه فأدى إليه أبو حميد الرسالة فكسرتة! وعزم على الإنصراف إلى المنصور، وخلف ثقله بحلوان وعليه مالك بن الهيثم.

٧- ولما قدم أبو مسلم على المنصور وهو بالرومية التي عند المدائن أمر الناس بتلقيه وقام إليه فعانقه وأكرمه، وقال: كدت تمضي قبل أن نلتقي فألقي إليك ما أريد، وأمره أن ينصرف إلى منزله فيستريح ويدخل الحمام ليذهب عنه كلال السفر ثم يعود، وجعل يزيد برأ وإعظاماً وهو ينتظر الفرصة فيه، حتى قتله!

وأعد له المنصور عثمان بن نهيك وهو يومئذ على حرسه وعدة.. وقال لعثمان: إذا عاتبته فعلا صوتي فلا تخرجوا، وكان عثمان وأصحابه وراء ستر خلف أبي مسلم، فإذا أنا صفقت فدونكم العليج! فلما قام ليدخل نزع سيفه فقال: ما كان يصنع بي مثل هذا، فقييل: ليس ذلك إلا الخير. فدخل فسلم وجلس على وسادة ليس في البيت غيرها والقوم خلف ظهره. قال: هيه، قتلت أهل خراسان وفعلت وفعلت، ثم جعلت تقول بمكة: أيصلي هذا الغلام بالناس؟ وألقيت نعلي من رجلي فرفعت نفسك عن مناولتي إياها حتى ناولنيها معاذ بن مسلم، وأعجب من هذا إقعادك إياي في دهليز بخراسان مستخفاً بحقي حتى أشير عليك بخلاف ذلك فتكارهت على تسهيل إذني وفتح الأبواب لي، ثم كتابك إلي تبدأ بنفسك، وخطبتك إلي أمية بنت علي، وقولك: إنك ابن سليط بن عبد الله! لقد ارتقيت يا ابن اللخناء مرتقى صعباً، ثم ذمك أخي وسيرته وقولك: إنه أوطأك العشوة وحملك على الإثم.

ثم أنت صاحبني بمكة تنادي: من أكل طعام الأمير فله درهم، ثم كسوتك الأعراب وقولك: لأتخذنكم دون أهل خراسان، وأعجب من هذا أني دفعت في صدر حاجبك بخراسان فقلت لي: أياضرب حاجبي ردوه عنا إلى العراق.

فقال أبو مسلم: إنه لا يقال لي هذا القول بعد بلائي وعنائني. فقال: يا ابن الخبيثة إنما عملت ما عملت بدولتنا، ولو كان الأمر إليك ما قطعت فتيلاً، ثم قتل شاربه وفرك

يده، فلما رأى أبو مسلم فعله قال: يا أمير المؤمنين لا تدخلن على نفسك ما أرى، فإن قدرى أصغر من أن يبلغ شئ من أمري منك هذا المبلغ. وصفق المنصور بإحدى يديه على الأخرى، فضرب عثمان بن نهيك أبا مسلم ضربة خفيفة، فأخذ برجل المنصور فدفعه برجله وضربه شبيب بن واج على جبل عاتقه ضربة أسرعت فيه فقال: وانفساه ألا قوة، ألا مغيث؟ فقال المنصور: إضربوا ابن اللخناء، فاعتوره القوم بأسيا فهم، وأمر به فلف في مسح ويقال في عباءة).

٨- قال له: فلم قتلت سليمان بن كثير، وإبراهيم بن ميمون، وفلاناً وفلاناً؟ قال: لأنهم عصوني وخالفوا أمري. فغضب عند ذلك المنصور وقال: ويحك! أنت تقتل إذا عصيت وأنا لا أقتلك وقد عصيتني؟! وصفق بيديه وكانت الإشارة بينه وبين المرصدين لقتله، فتبادروا إليه ليقتلوه فضربه أحدهم فقطع حمائل سيفه فقال: يا أمير المؤمنين استبقني لأعدائك، فقال: وأي عدوي أعدى منك؟ ثم زجرهم المنصور فقطعوه قطعاً ولفوه في عباءة!

٩- ويقال إن المنصور لما سبه، انكب على يده يقبلها ويعتذر. وقيل: أول ما ضربه ابن نهيك لم يصنع أكثر من قطع حمائل سيفه فصاح: يا أمير المؤمنين استبقني لعدوك، قال: لا أبقاني الله إذاً، وأي عدو أعدى لي منك؟! قتلني الله إن لم أقتلك. وضربه بعمود، ثم وثبوا عليه، وذلك لخمس بقين من شعبان.

١٠- وكان من نية المنصور أن يقتله تلك الليلة فمنعه وزيره أبو أيوب المورياني. قال أبو أيوب: فلما غدوت عليه قال لي: يا ابن اللخناء لا مرحباً بك. أنت منعتني منه أمس والله ما نمت البارحة! أدع لي عثمان بن نهيك فدعوته فقال: يا عثمان كيف بلاء أمير المؤمنين عندك؟ قال: إنما أنا عبدك ولو أمرتني أن أتكى على سيفي حتى يخرج من ظهري لفعلت. قال: كيف أنت إن أمرتك بقتل أبي مسلم؟ قال: فوجم لها ساعة لا يتكلم. فقلت: مالك ساكتاً؟ فقال قوله ضعيفة: أقتله.

فقال: إنطلق فجئ بأربعة من وجوه الحرس شجعان، فأحضر أربعة منهم شبيب بن واج

فكلمهم فقالوا: نقتله، فقال: كونوا خلف الرواق، فإذا صفقت فاخرجوا فاقتلوه. قال: فأخبرني عن تقدمك علي في طريق الحج. قال: كرهت اجتماعنا على الماء فيضرك ذلك بالناس. قال له: ألسنت الكاتب إلي تبدأ بنفسك؟ والكاتب إلي تحطّب أمينة بنت علي عمتي؟! قال: فمراغمتك وخروجك إلى خراسان؟ قال: خفت أن يكون قد دخلك مني شيء فقلت أذهب إليها وإليك أبعث بعذري والآن فقد ذهب ما في نفسك علي؟ قال: تالله ما رأيت كالיום قط! وضرب بيده فخرجوا عليه).

وقال اليعقوبي (٢/٣٦٧): (فأقبل أبو مسلم يتكلم فقال له: يا ابن اللخناء! إنك لمستعظم غير العظيم، ألسنت الكاتب إلي تبدأ باسمك على اسمي؟ ألسنت الذي كتبت إلي تحطّب عمتي أمينة بنت علي وتزعم أنك من ولد سليل بن عبد الله! ألسنت الفاعل كذا والفاعل كذا؟ وجعل يعد عليه أموراً، فلما رأى أبو مسلم ما قد دخله قال: يا أمير المؤمنين إن قدرني أصغر من أن يدخلك كل ما أرى. فعلا صوت أبي جعفر وشفق بيديه، فخرج القوم فضربوه بأسيا ففهم، فصاح: أوه، ألا مغيث، ألا ناصر! وهم يضربونه حتى قتلوه، فلما قتل قال أبو جعفر:

إشرب بكأس كنت تسقي بها أمرّ في فيك من العلقم

كنت حسبت الدّين لا يقتضى كذبت والله أبا مجرم

وقيل لأصحابه: إجتمعوا فإن أمير المؤمنين قد أمر أن ينثر عليكم الدراهم، ونثرت عليهم بدرة دراهم، فلما أكبوا يلتقطونها طرح عليهم رأس أبي مسلم، فلما نظروا إليه أسقط ما في أيديهم وعرتهم ضعفة).

١١- (لما قتل أبو جعفر أبا مسلم قال: رحمك الله أبا مسلم، بايعتنا وبايعناك، وعاهدتنا وعاهدناك، ووفيت لنا ووفينا لك. وإنا بايعنا على ألا يخرج علينا أحد إلا قتلناه، فخرجت علينا فقتلناك). (والفقرات المتقدمة من: أنساب الأشراف للبلاذري/١٠٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/٦٦، والنهاية لابن كثير: ١٠/٧٢).

وقال الطبري في تاريخه (٦/ ٣٣٥): خطب المنصور وقال: أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة.. إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبيّ هذا الغمد! وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه ثم نكث بنا فحكمتنا عليه حكمه على غيره ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه).

أقول: هكذا انتهى الغلام القائد الأسطورة، أبو مسلم الخراساني، مخلفاً وراءه جباراً يمعن في الطريق الذي شقه له، وتاركاً ابنتين: (فأعقبت أسماء، ولم تعقب فاطمة قال: وفاطمة التي تدعو لها الخرمية إلى الساعة). (تاريخ بغداد: ١٠/ ٢٠٦، والنهاية: ١٠/ ٧٤).

وذهب الغلام سفاك الدماء إلى محكمة العدل الإلهي ليووجه أكثر من مليون رجل وامرأة وطفل تشخب أوداجهم ويسألونه: بأي حق قتلهم!

ويسأله الله تعالى: متى خولت أن تدعو عبادي إلى طاعة العباسيين وطاعتك، وتجعل ذلك ميزاناً لقتلهم وإبائهم، ونفعهم وضرهم؟!



أبو سلمة الخلال خليفة بكر بن ماهان وأكفأ منه

أبو سلمة حفص بن سليمان، مولى بني السبيع، كان يعمل في الصرافة وبيع الخل في الكوفة، وصفه الذهبي في سيره (٧/ ٦) بأنه: (رجل شهيم، سائس، شجاع، متمول ذو مفاكهة وأدب وخبرة بالأمر، وكان صيرفياً أنفق أموالاً كثيرة في إقامة الدولة وذهب إلى خراسان وكان أبو مسلم تابعاً له في الدعوة، ثم توهم منه ميل إلى آل علي عندما قتل مروان إبراهيم الإمام. فلما قام السفاح ورز له وفي النفس شيء، ثم كتب أبو مسلم إلى السفاح يُحسِّن له قتله فأبى وقال: رجل قد بذل نفسه وماله لنا! فدس عليه أبو مسلم من سافر إليه وقتله غيلة ليلاً بالأنبار، فإنه خرج من السمر من عند الخليفة فشد عليه جماعة فقتلوه، وذلك بعد قيام السفاح بأربعة أشهر سنة اثنتين وثلاثين ومئة في رجبها، وتحدث العوام أن الخوارج قتلوه. وكان ساعده الله يقال له: وزير آل محمد).

أقول: كان أبو سلمة يعيش في حي زراره من قبيلة همدان بالكوفة، وجوهم التشيع لعلي والأئمة من ذريته عليه السلام. وكان نابغاً في السياسة والإدارة، لكنه كان تابعاً لأستاذة بكير بن ماهان، الذي اختار العباسيين أئمة لثورته، وقد زوج أبا سلمة ابنته حمامة، وأخذ معه إلى إمامه محمد بن علي العباسي، ثم إلى إبراهيم بن محمد، وعرفهم عليه ووثقه عندهم، وأرسله مرات إلى إيران والأردن وأرسل معه غلامه أبا مسلم يخدمه. وعندما توفي بكير سنة ١٢٦، استخلفه وكتب بذلك إلى إمامه إبراهيم بن محمد، فأمضى استخلافه وكتب إلى أنصاره بإطاعته إطاعة كاملة.

قال في الآداب السلطانية/١٠٧: (كان أبو سلمة سمحاً كريماً مطعماً كثير البذل، مشغولاً بالتنوق في السلاح والدواب، فصيحاً عالماً بالأخبار والأشعار والسير والجدل والتفسير، حاضر الحجة، ذا يسار ومروءة ظاهرة. فلما بويح السفاح استوزره وفوض الأمور إليه وسلم إليه الدواوين ولقب وزير آل محمد، وفي النفس أشياء).

وتدل فعالياته في الثورة على أنه كان أكفأ من عمه بكير، فكان ينقذه من مشكلات عملية ومالية، فقد رجع مرة من إيران فوجد بكيراً محبوباً من غرمائه: (وكانت إقامة أبي سلمة هناك أربعة أشهر، ولما انصرف ألفى أبا هاشم محبوباً على ما خلفه عليه، وكانت حمامة بنت بكير تحت أبي سلمة فصالح أبو سلمة عنه غرماءه. وأبو سلمة يومئذ مؤسر حسن الحال وكان يعالج الصرف وكانت له حوانيت يباع له فيها الخل، فلم يلبث أبو هاشم إلا نحواً من شهرين). (أخبار الدولة العباسية/٢٤٨ ونحوه الطبري: ٥/٦٢٢).

قاد أبو سلمة الثورة الإيرانية العباسية، وهو مختبئ في الكوفة، وذهب أثناءها إلى إيران وعاد إلى اختفائه في الكوفة، فقد كانت رسائله وأمره، ورسله تتوالى إلى غلامه أبي مسلم في إيران، وقائد جيشه الشجاع قحطبة بن شبيب الطائي!

ومن أمثلة إدارته رسائله في معركة جيشه في نهاوند مع الجيش الأموي الشامي الذي أرسله مروان بقيادة ابن ضبارة.

قال في أخبار الدولة العباسية/ ٣٣٦: (فأشار بعضهم بالخروج إليه وأبى الأكثر أن يخرجوا حتى يقرب منهم ابن ضبارة، وبلغ أبو سلمة ما دبر ابن هبيرة في ابن ضبارة، وما صنع مروان فيمن وجه من الجنود، فكتب إلى أبي مسلم يخبره بذلك، وأن يسرب الجنود إلى قحطبة، وكتب أبو سلمة إلى قحطبة يأمره بالتأني حتى يستكشف أمره، وبعث بكتابه إليه مع أشيم بن دعيم المسلي، فقدم الري فألقى قحطبة قد أراد الخروج وأن يتقدم، فلما قرأ كتاب أبي سلمة أقام بالري حتى قدمت الجنود إلى قحطبة قائداً في إثر قائد، حتى سرب إليه أحد عشر قائداً في نحو من عشرة آلاف رجل).

كما استطاع أبو سلمة أن يخفي فعالياته ويهدئ الوضع في الكوفة ولا يفتح فيها جبهة، حتى جاءت ساعة الصفر بعد أن تحررت إيران ودخل جيش الخراساني بقيادة قحطبة الى العراق، واشتبك في واسط مع الوالي الأموي ابن هبيرة!

عندها حرك أبو سلمة ابن الوالي الأموي السابق المعزول الذي اتفق معه على الثورة عند دخول الجيش الخراساني العراق: (وكتب قحطبة إلى أبي سلمة يخبره بعبوره الفرات وبعث بكتابه إليه مع أبي ماجد رجل من همدان، فلما وصل إليه الكتاب بعث إلى محمد بن خالد القسري رسولاً يقول له: قد كنت تتمنى هذا اليوم فقد بلغت! فأظهر السواد واخرج في مواليك وعشيرتك وصنائع أهلك، فبعث إلى مواليه وقومه وجيرته وصنائع أبيه، فاجتمع إليه منهم نحو من ألف رجل، فأخبرهم برأيه وما أجمع عليه، وأمرهم ألا يبيتوا حتى يفرغوا من سوادهم. وبعث أبو سلمة بمثل ذلك إلى طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي فتأهب، وبدره محمد بن خالد فخرج من منزله في جماعة كثيرة، ودس له أبو سلمة أصحابه ومن كان من جيرته فيمن يليهم، وأرغبوهم في الخروج للحوق بمحمد بن خالد ففعلوا. وانتشر الحديث بذلك فهاج أهل الكوفة بعضهم في بعض وبلغ ذلك زياد بن صالح صاحب شرطة ابن هبيرة، فهرب من القصر ولحق بابن هبيرة. ومضى محمد بن خالد حتى أتى القصر وليس فيه أحد فدخله وخرج إلى المسجد الجامع يوم الإثنين لست

ليال خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومئة، ووافاه طلحة بن إسحاق في جماعة قومه، فصعد محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وخلع مروان ودعا إلى آل محمد.

وكان فيما تكلم به يومئذ أن قال: يا أهل الكوفة! إن الله قد أكرمكم بهذه الدعوة المباركة وقد طلبها الأبناء بعد الآباء فحرموها حتى ساقها الله إليكم، هذه جنود الحق قد أظلتكم داخله عليكم أحد اليومين فقوموا فبايعوا. قال: فوالله ما رأيت سروراً قط كان أشد اجتماعاً عليه من سرورهم بالبيعة، لقد أطفأوا بالمنبر يستبقون إلى البيعة حتى كادوا يكسرونه، فما تخلف عن البيعة إلا أناس قليل!

وبعث أبو سلمة إلى محمد بن خالد أن ابعث الساعة إلى بيت المال والخزائن والطران من يجتم على ما فيها، وسمى لها: يونس بن أبي الهمداني، والحجاج بن أرطاة النخعي، وبشر ابن الفرافصة العبدي، والهلقام بن عبد الله التميمي، فبعثهم محمد بن خالد فختموا على بيت المال والخزائن والطران). (أخبار الدولة العباسية/٣٦٧).

وأخبر أبو سلمة قادة الثورة بسجن إمامهم إبراهيم، وأنه يعمل لتخليصه:

(وكان مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية يجتال على الوقوف على حقيقة الأمر، وأن أبا مسلم إلى من يدعو منهم، فلم يزل على ذلك حتى ظهر له أن الدعاء لإبراهيم الإمام، وكان مقيماً عند إخوته وأهله بالحميمة. فأرسل إليه وقبض عليه وأحضره إلى حران، فأوصى إبراهيم بالأمر من بعده لأخيه عبد الله السفاح. ولما وصل إلى حران حبسه مروان بهائم غمه بجراب طرح فيه نورة وجعل فيه رأسه وسد عليه إلى أن مات، وذلك في صفر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقيل إنه قتله غير هذه القتلة، لكن هذا هو الأكثر! وكان عمره إحدى وخمسين سنة وكان دفنه هناك داخل حران. وصار أبو مسلم يدعو الناس إلى أبي العباس عبد الله بن محمد الملقب السفاح). (وفيات الأعيان: ٣/١٤٧).

(وورد عليه (قحطبة) كتاب أبي سلمة أن مروان قد حبس إبراهيم الإمام، وقد هيأت رجلين أبعثهما بمال يصانعان في تخليصه. إن ابن هبيرة في جموع عظيمة بجلولاء وإني لعل ثقة من

إتمام الله دعوتنا). (أخبار الدولة العباسية/٣٦٣).

وظهر أبو سلمة في الكوفة واحتفل بالنصر: (وأرسل أبو سلمة إلى حميد بن قحطبة أن يدخل الكوفة بأحسن هيئة، وأن يظهر وا زينتهم ويشهروا سلاحهم وأعلامهم وقوتهم ففعل.. وظهر أبو سلمة وأعلن أمره.. وأتوا أبا سلمة وهو في داره ببرذون سمند يقوم عليه باثني عشر ألف درهم، مسلجاً ملجماً، فقدم إليه فركبه وترجل العكي وبسام وخازم وأبو شراحيل (قادة) فقبلوا يده وتقدم وجوه من معهم إليه يقبلون يده ويدعون له بالبركة، ومضى إلى العسكر، وجعل بعضهم يلقي بعضاً فيقول له: تو أي سلمة ديدي؟ (أنت رأيت أبا سلمة؟) فإذا قال: نعم، اعتنقه وقبله إعظماً لأبي سلمة!

وكان ظهور أبي سلمة وتوليته للأمر يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومئة، فانتهى إلى العسكر وقد وقف له الناس واستقبله القواد، فلم يبق أحد منهم إلا نزل إليه وقبل يده، فاستقرأ صفوفهم يسلم على عوامهم ويدعو بالبركة لهم ثم نزل، وقد هيئت له حجرة فنزلها، وانقاد القوم له وسمعوا منه وأطاعوا أمره وسكنوا إليه، وبات ليلته وقد أطافت الخراسانية بحجرته وعظمت أمره.

فلما أصبح جمع القواد ووجوه الجند وذكر خطبته.. ثم قال: (فتكلم القوم في جواب ذلك وذكروا طاعتهم، وقوة بصائرهم واجتهادهم، وما هم عليه من الجد في مجاهدة عدوهم، وتكلموا بالفارسية بذلك وكبروا تكبيراً متتابعاً ارتج منه العسكر، فلما سكنوا قال: إن أهل بيت اللعنة كانوا يفرضون لجندهم في السنة ثلاث مئة درهم، وإني قد جعلت رزق الرجل منكم في الشهر ثمانين درهماً، وسأخص قوادكم وأهل القدم والسوابق منكم بخواص سنية أجرها عليكم، لكل رجل بقدر استحقاقه، فأبشروا وقرروا عيناً واحمدوا الله على بلائه عندكم، وكأنكم بإمامكم قد حل بين أظهركم فيعطىكم أكثر مما تأملون! فكبروا وارتج العسكر بالتكبير، ثم تحول فعسكر بحمام أعين). (أخبار الدولة العباسية:٣٧٤).

(وسار ابن قحطبة حتى دخل الكوفة في نيف وثلاثين ألفاً من أهل خراسان ومن اتبعه

من أهل العراق وأقبل إليه أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وكان يعرف بالوزير وزير آل محمد، فلما رآه الحسن بن قحطبة قام إليه وقبل يده وتنحى عن مجلسه حتى أجلسه، ثم قال: أيها الوزير إن الأمير أبا مسلم قد أمرنا بطاعتك فما تأمرنا؟ قال: فوثب أبو سلمة من وقته وركب معه الحسن بن قحطبة، ونودي في الناس فاجتمعوا إلى المسجد الأعظم ولم يبق هاشمي ولا غير ذلك من أشرف أهل الكوفة إلا وقد اجتمعوا وهم لا يدرون لأي شيء يجتمعون. قال: وبالكوفة يومئذ جماعة من العلوية، قوم يظنون أن البيعة لولد أبي طالب، وقوم يظنون أن البيعة لولد العباس). (ابن الأعم: ٨/٣٢٨).

وكان الذي سمى أبا سلمة وزير آل محمد، قحطبة قائد جيوش أبي مسلم الذي غرق في دجلة، فخلفه ابنه حسن وحמיד: (وقال قبل موته: إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة، فسلموا هذا الأمر إليه). (الطبري: ٦/٧٣).

حبس أبو سلمة الخلال كل بني العباس في الكوفة!

قام أبو سلمة بعمل جرئ مع العباسيين كان سبب قتله بعد عدة أشهر! فلما وصل أولاد العباس إلى الكوفة حبسهم أربعين يوماً، وفي رواية المسعودي شهرين، وراسل الإمام الصادق عليه السلام عارضاً عليه البيعة بالخلافة! وكان سبب مجيء بني العباس إلى الكوفة أنهم يرون أن الخلافة لهم بعد أخيهم إبراهيم بن محمد، فعندما اعتقل الأمويون إبراهيم من الحميمة بالأردن، قالوا إنه أمر إخوته ورجال بني العباس: (بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وبالسمع والطاعة له وأوصى إلى أبي العباس وجعله الخليفة بعده، فشخص أبو العباس عند ذلك ومن معه من أهل بيته... حتى قدموا الكوفة في صفر فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أود، وكنتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة عن جميع القواد والشيعه، وأراد فيما ذكر تحويل الأمر إلى آل أبي طالب لما بلغه الخبر عن موت إبراهيم بن محمد، فذكر علي بن محمد أن جبلة بن فروخ وأبا السري وغيرهما قالوا قدم الإمام الكوفة في أناس من أهل بيته فاختلفوا، فقال أبو الجهم لأبي سلمة: ما فعل الإمام؟

قال: لم يقدم بعد، فألحَّ عليه يسأله، قال: قد أكثرت السؤال وليس هذا زمان خروجه! حتى لقي أبو حميد خادماً لأبي العباس يقال له سابق الخوارزمي فسأله عن أصحابه فأخبره أنهم بالكوفة، وأن أبا سلمة أمرهم أن يختفوا! فجاء به إلى أبي الجهم فأخبره خبرهم فسرح أبو الجهم أبا حميد مع سابق حتى عرف منزلهم بالكوفة، ثم رجع وجاء معه إبراهيم بن سلمة رجل كان معهم فأخبر أبا الجهم عن منزلهم، ونزول الإمام بني أود وأنه أرسل حين قدموا إلى أبي سلمة يسأله مائة دينار فلم يفعل! فمشى أبو الجهم وأبو حميد وإبراهيم إلى موسى بن كعب فقصوا عليه القصة وبعثوا إلى الإمام ببائتي دينار، ومضى أبو الجهم إلى أبي سلمة فسأله عن الإمام فقال: ليس هذا وقت خروجه لأن واسطاً لم تفتح بعد، فيرجع أبو الجهم إلى موسى بن كعب فأخبره فأجمعوا على أن يلقوا الإمام فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم وعبد الحميد بن ربعي وسلمة بن محمد وإبراهيم بن سلمة وعبد الله الطائي وإسحاق بن إبراهيم وشراحيل وعبيد الله بن بسام وأبو حميد وحرز بن إبراهيم وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين (قادة خراسانيون صغار) إلى الإمام فبلغ أبا سلمة فسأل عنهم فقبل ركبوا إلى الكوفة في حاجة لهم، وأتى القوم أبا العباس فدخلوا عليه فقالوا: أيكم عبد الله بن محمد بن الحارثية؟ فقالوا: هذا فسلموا عليه بالخلافة، فرجع موسى بن كعب وأبو الجهم وأمر أبو الجهم الآخرين فتخلفوا عند الإمام، فأرسل أبو سلمة إلى أبي الجهم أين كنت؟ قال: ركبت إلى إمامي فركب أبو سلمة إليهم، فأرسل أبو الجهم إلى أبي حميد أن أبا سلمة قد أتاكم فلا يدخلن على الإمام إلا وحده، فلما انتهى إليهم أبو سلمة منعه أن يدخل معه أحد، فدخل وحده فسلم بالخلافة على أبي العباس، وخرج أبو العباس على بردون أبلق يوم الجمعة فصلى بالناس، قال فأخبرنا عمارة مولى جبريل وأبو عبد الله السلمي أن أبا سلمة لما سلم على أبي العباس بالخلافة قال له أبو حميد: على رغم أنفك يا ماص بظر أمه، فقال له أبو العباس: مه. قال يزيد بن أسيد: قال أبو جعفر: لما ظهر أبو العباس أمير المؤمنين سمرنا ذات ليلة فذكرنا ما صنع أبو سلمة، فقال رجل منا: ما يدريك لعل ما صنع أبو سلمة كان عن رأي

أبي مسلم! فلم ينطق منا أحد، فقال أبو العباس: لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم إنا بعرض بلاء إلا أن يدفعه الله عنا). (تاريخ دمشق: ٤/١٤، ونحوه الطبري: ٦/٨٠).

وقال يعقوب (٢/٣٥٠): (كان من قدم إلى الكوفة من بني هاشم اثنان وعشرون رجلاً منهم داود وسليمان وعيسى وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو علي بن عبد الله بن عباس، وموسى بن داود، وجعفر ومحمد ابنا سليمان، والفضل وعبد الله ابنا صالح، وأبو العباس ومحمد ابنه، وجعفر ومحمد ابنا المنصور، وعيسى بن موسى بن محمد، وعبد الوهاب ومحمد ابنا إبراهيم، ويحيى بن محمد، والعباس بن محمد).

وفي شرح النهج (٣/٢٩١): (وكان عيسى بن موسى يقول بعد ذلك إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة: إن ثلاثة عشر رجلاً خرجوا من ديارهم وأهلهم يطلبون ما طلبنا، لعظمة همهم كبيرة نفوسهم شديدة قلوبهم).

أقول: وصية إبراهيم لأخيه السفاح غير ثابتة، ولا يبعد أن يكون المنصور والسفاح جاءا من الحجاز، ويظهر أن المتغلبين نفذوا رغبة محمد بن علي بتفضيل أبناء زوجته ربيعة بنت عبد المدان الحارثية أم السفاح على أبناء جاريتها سلامة البربرية أو الفارسية أم إبراهيم والمنصور، وكان إبراهيم أكبر من المنصور بخمس عشرة سنة، وأكبر من السفاح بخمس وعشرين سنة، ولما مات إبراهيم، كان عمر السفاح نحو ٢٧ سنة.

كما أن أبا الجهم الذي كشف مؤامرة أبي سلمة، كان جزاؤه أن سمّهُ المنصور!

شعار الدعوة إلى الرضا من آل محمد ﷺ

توجهت موجة عاطفة المسلمين في الحجاز والعراق وإيران وغيرها، إلى آل النبي أو أهل بيت النبي ﷺ، وهو عنوان عام يشمل عند عوام المسلمين والمناطق البعيدة كل بني هاشم، فكلهم برأيهم أسرة النبي ﷺ وعشيرته وأهل بيته، فلم يكن حاضراً معروفاً عندهم حديث الكساء الذي حصر فيه النبي ﷺ أهل بيته عند نزول آية: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**، بعلي وفاطمة والحسين، وتسعة من ذرية الحسين عليه السلام، فقط. لذلك كان الإجمال في الرضا من

آل محمد ﷺ فرصة لكل فروع بني هاشم أن يدعوا أن الثورة لهم، فالعباسيون يقولون نحن الرضا من آل محمد، والحسينيون يقولون نحن آله وعترته وأمنا ابنته ﷺ، والحسينيون يضيفون إليه النص عليهم بأن الأئمة الربانيين ﷺ منهم، ويستشهدون بأجدادهم الإمام الحسين ﷺ ومأساته. وقد أوصى العباسيون والفرس أتباعهم أن يعملوا باسم نصره آل محمد ﷺ ولا يُسمُوا أحداً للخلافة، بل يقولوا إن الخليفة سيكون شخصاً مرضياً من آل محمد ﷺ يختارونه بعد سقوط بني أمية.

كتب أبو مسلم إلى الإمام الصادق ﷺ ثم جاء يعرض عليه الخلافة

قال الشهرستاني في الملل والنحل (١/١٥٤): (وكان أبو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية في الأول، واقتبس من دعائم العلوم التي اختصوا بها، وأحس منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم، فكان يطلب المستقر فيه، فبعث إلى الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنهما إني قد أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالة بني أمية الى موالة أهل البيت، فإن رغبت فيها فلا مزيد عليك، فكتب إليه الصادق رضي الله عنه: ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني! فحاد أبو مسلم إلى أبي العباس عبدالله بن محمد السفاح وقلده أمر الخلافة). في الكافي (٨/٢٧٤): (عن الفضل بن سليمان الكاتب، قال: كنت عند أبي عبد الله ﷺ فأتاه كتاب أبي مسلم فقال: ليس لكتابك جواب أخرج عنا! فجعلنا يسأرون بعضنا بعضاً، فقال: أي شيء تسأرون؟ يا فضل إن الله عز ذكره لا يعجل لعجلة العباد ولازاله جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله.

ثم قال: إن فلان بن فلان، حتى بلغ السابع من ولد فلان.. قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفيفاني فإذا خرج السفيفاني فأجيبوا الينا. يقوله ثلاثاً وهو من المحتوم).



كشف الإمام الصادق عليه السلام لعبة العباسيين برفعهم الرايات السود!

في مناقب آل أبي طالب (٣/٣٥٦): (عن زكار بن أبي زكار الواسطي قال: قبل رجل رأس أبي عبد الله فمس أبو عبد الله ثيابه وقال: ما رأيت كالיום أشد بياضاً ولا أحسن منها! فقال: جعلت فداك هذه ثياب بلادنا وجئتك منها بخير من هذه، قال فقال: يا معتب إقبضها منه، ثم خرج الرجل فقال أبو عبد الله: صدق الوصف وقرب الوقت، هذا صاحب الرايات السود الذي يأتي بها من خراسان!

ثم قال: يا معتب إلقه فسله ما اسمه؟ ثم قال: إن كان عبد الرحمن فهو والله هو، قال: فرجع معتب فقال قال: إسمي عبد الرحمن. قال: فلما ولي وُلد العباس نظرت إليه فإذا هو عبد الرحمن أبو مسلم.

وفي رامش افزاي أن أبا سلمة الخلال وزير آل محمد، عرض الخلافة على الصادق قبل وصول الجند إليه فأبى، وأخبره أن إبراهيم الإمام لا يصل من الشام إلى العراق، وهذا الأمر لأخويه الأصغر ثم الأكبر ويبقى في أولاد الأكبر. وأن أبا مسلم بقي بلا مقصود! فلما أقبلت الرايات كتب أيضاً بقوله وأخبره أن سبعين ألف مقاتل وصل إلينا فننتظر أمرك! فقال: إن الجواب كما شافهتك. وقال أبو هريرة الأبار صاحب الصادق عليه السلام:

ولما دعا الداعون مولاي لم يكن ليُنَى عليه عزمه بصواب
ولما دعوه بالكتاب أجابهم بحرق الكتاب دون رد جواب
وما كان مولاي كمشري ضلالة ولا ملبساً منها الردى بثواب
ولكنه لله في الأرض حجة دليل إلى خير وحسن مآب).

وإثبات الوصية/ ١٥٨، ونحوه الخرائج: ٢/ ٦٤٥، وإعلام الوری/ ٢٧٢.

ملاحظات

١ - اتصل أبو سلمة القائد العام للثورة وأبو مسلم القائد الميداني بالإمام الصادق عليه السلام قبل

قتل إبراهيم (الإمام) في حران! ثم لما وصل جيش الخراسانيين الى الكوفة! وقد حجج أبو مسلم سنة ١٢٩، وكذلك زاره أبو سلمة الخلال قبل دخول جيش الخراسانيين وعرضاً عليه البيعة فلم يقبل! لأنه لما أرسل اليه بعد دخول جيش الخراسانيين يعرض عليه البيعة أجابه الإمام عليه السلام: (إن الجواب كما شافهتك) أي لما جئتني سابقاً. ويشير النص الى أنه عليه السلام كان أخبره بما يكون، وأن إبراهيم يموت ولا يصل الى الكوفة: (وأن أبا مسلم يبقى بلا مقصود) أي يقتل ولا يحقق هدفه في جعل دور له في اختيار الخليفة! ولعل الإمام عليه السلام أخبر أبا سلمة بقتله بيد السفاح أيضاً!

٢- لم يكن بكير وأبو سلمة وأبو مسلم شيعة للإمام الباقر والصادق عليهما السلام، ولا شيعة للعباسيين، بل كانوا قوميين فرساً يعملون لمصلحة الفرس والشعوب الإيرانية التي كانت تسمى الخراسانية، وكانوا يفكرون بضمأن مستقبل الإيرانيين وإعطائهم دوراً في تعيين الخليفة عن طريق الشورى بين آل النبي صلى الله عليه وآله.

وقد عرض أبو سلمة الخلافة أولاً على الصادق عليه السلام لأنه عاش في وسط الشيعة الزيدية والإمامية، فهو مولى بطن السبيغ من الهمدانيين، ومنهم العالم المشهور أبو إسحاق السبيعي المعاصر لأبي سلمة، وهو يروي عن الإمام الباقر عليه السلام (المحاسن: ١/٢٨٢) ويمدح زيدا عليه السلام (مسند زيد/٤٦).

ومنهم حميد بن شعيب السبيعي المعاصر لأبي سلمة الذي يروي عن جابر الجعفي وله كتاب (النجاشي/١٣٣). وقد نبغ من السبيعيين فيما بعد ابن عقدة الشيعي الزيدي الذي ملأ الدنيا علماً (فهرست الطوسي/٧٣). فكان أبو سلمة أليفاً للأئمة الحسينيين وأصحابهم. وهنا يقوى بقينك بالإمام الصادق وأبيه عليهما السلام لإخبارهما عن مصير الأشخاص ومستقبل الأوضاع، فكذا يكون الإمام المعصوم حجة الله تعالى على خلقه، لو فهموا منه وأطاعوه!

٣- كان أبو سلمة وأبو مسلم يعملان لتشكيل شورى من بني علي وبني العباس، وأن يكون بيد الخراسانيين نصب الخليفة وعزله، فيعلنون ذلك للجيش الخراساني والناس

وتتم البيعة على أساسه! فيكون الخليفة أولاً من أولاد الحسين، ثم من أولاد الحسن عليه السلام، ثم من أولاد العباس! لكن القادة الصغار كأبي الجهم بن عطية مولى باهلة عرفوا أن إبراهيم (الإمام) أوصى من سجنه إلى ابنه فكشفوا الخطة وأحبطوها!

فقد روى في عمدة الطالب/ ١٠١، والتنوخي في الفرج بعد الشدة (٣٧٤/٢): (لما قدم أبو العباس السفاح وأهله سرّاً على أبي سلمة الخلال الكوفة ستر أمرهم، وعزم أن يجعلها شورى بين ولد علي والعباس، حتى يختاروا هم من أرادوا، ثم قال: أخاف أن لا يتفقوا، فعزم على أن يخبر ولد علي من الحسن والحسين، فكتب إلى ثلاثة نفر منهم).

٤- قال المؤرخ ابن الطقطقي في الآداب السلطانية/ ١٠٦: (فلما سبر أحوال بني العباس عزم على العدول عنهم إلى بني علي، فكتب ثلاثة من أعيانهم جعفر بن محمد الصادق وعبد الله المحض بن حسن بن علي بن أبي طالب، وعمر الأشرف بن زين العابدين، وأرسل الكتب مع رجل من مواليهم، وقال له: اقصد أولاً جعفر بن محمد الصادق فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين، وإن لم يجب فالتق عبد الله المحض، فإن أجاب فأبطل كتاب عمر، وإن لم يجب فالتق عمر).

٥- ويؤيده ما قاله ابن الأعمش في الفتوح (٣٢٨/٨): (ونودي في الناس فاجتمعوا إلى المسجد الأعظم، ولم يبق هاشمي ولا غير ذلك من أشرف أهل الكوفة إلا وقد اجتمعوا، وهم لا يدرون لأي شيء يجتمعون. قال: وبالكوفة يومئذ جماعة من العلوية قوم يظنون أن البيعة تكون لولد أبي طالب وقوم يظنون أن البيعة تكون لولد العباس).

قال: فاجتمع الناس وتكاملوا في المسجد، وأقبل أبو سلمة حفص بن سليمان حتى صعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وخطب الناس، ثم قال: أيها الناس أنظروا غداً ولا يبقى أحد ممن يلبس السلاح ويركب الخيل إلا ويلبس السواد ويوافي هذا المسجد حتى تعتقد البيعة لأهلها، والسلام.

قال: فعندها أيس الناس من آل أبي طالب من البيعة وانصرف الناس إلى منازلهم فجعلوا

يصبغون الأقبية والعمام والأعلام، فما أقبل الصباح إلا وأهل الكوفة كلهم لابسون السواد، ثم صاروا إلى المسجد الأعظم فركب بعضهم بعضاً، وضربت الطبول وخفقت الرايات ونفخت البوقات وارتفع التكبير وأقبل أبو سلمة حفص بن سليمان حتى دخل المسجد وعليه سواد، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر محمداً فصلى عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ثم قال: أيها الناس، هل أنتم راضون بما أصنع؟ فقالوا: رضينا بأمرك، إفعل ما بدا لك! فقال: إن الأمير أمير آل محمد أبا مسلم الخراساني عبد الرحمن بن مسلم كتب إليّ وأمرني أن أقيم للناس خليفة هاشمياً، ليستريح هذا الخلق من جور بني أمية العاتين الظالمين الفسقة الذين قتلوا ذرية رسول الله. ألا وإنا قد نظرنا في أخبار بني هاشم وذوائبها، فما رأينا فيها أحداً هو أجل ولا أعبد من علي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد، وكل بني العباس خيرون فاضلون، وقد ارتضيت لكم عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو الزكي في حسبه التقى في نسبه العدل في سيرته، فهل رضيتم به؟ قال: فضج الناس من كل جانب: نعم رضينا.

ثم نزل أبو سلمة عن المنبر وأرسل إلى عبد الله بن محمد فدعاه فأقبل عبد الله بن محمد على بغلة له دهماء وهو معتم بعمامة سوداء، وعليه ثياب سود حتى دخل المسجد).

٦- يعجب الباحث بهذه الحكمة العالية في عمل الإمام الصادق عليه السلام في خضم تلك الأحداث الكبيرة والخطيرة لثورة الخراسانيين، والحسنين، وتسלט العباسيين، فقد رسم عليه السلام الخط السياسي الصحيح ونفذه بمن أطاعه، واتخذ المواقف الشرعية الحكيمة التي تحفظ الإسلام كدين ومسار وأهمها الموقف من الزعامات المتصارعة على الحكم!

٧- يتعجب الناس وتأخذ بعضهم الدهشة من رفض الإمام الصادق عليه السلام أن يتسلم الخلافة والسلطة، مع أنها قدمت له بكل احترام، على طبق من ذهب!

إنه عَرَضَ يسيل له لعاب الناس وأولهم الإسلاميون! فيتساءلون بحرقه: لماذا لم يقبل الإمام عليه السلام تسلم السلطة ويصلحها من الداخل؟ ألا يجب عليه أن يقيم الدولة الإسلامية

ويطبق أحكام الإسلام، ويعمل لتحقيق العدالة التي صادرها الأمويون، فيعيد إلى المسلمين حقوقهم المسلوبة وثوراتهم المنهوبة؟!

الإمام الصادق عليه السلام يؤمن بالثورة لكنه لا يثق بأكثر الثوار!

يعتقد الإمام عليه السلام أن الثورة تحتاج إلى رجال خاصين يستطيعون أن يقيموا العدل، وإلا كانت استبدال نوع من الظلم بنوع آخر من الظلم، وظالم قديم بظالم جديد.

إنه موقف يشبه موقف جده الإمام زين العابدين عليه السلام عندما عرض عليه المختار وابن الأشتر البيعة وتولي قيادة دولة العراق وإيران، فرفض!

مع أنها دولة قامت على المطالبة بثأر أبيه الإمام الحسين عليه السلام!

وفي الكافي (٨/٢٧٤): (عن الفضل بن سليمان الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم فقال: ليس لكتابك جواب أخرج عنا! فجعلنا يسار بعضنا بعضاً فقال عليه السلام: أي شئ تسأرون؟ يا فضل إن الله عز ذكره لا يعجل لعجلة العباد، ولا إزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله. ثم قال: إن فلان بن فلان، حتى بلغ السابع من ولد فلان! قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفيناني فإذا خرج السفيناني فأجيبوا إلينا يقولها ثلاثاً وهو من المحتوم).

وروى في الكافي (٥/١٩): (عن عبد الملك بن عمرو قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: فإن الزيدية يقولون ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلا أنه لا يرى الجهاد! فقال: أنا لا أراه؟ بلى والله إني لأراه، ولكنني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم).

وفي الكافي (٢/٢٤٢): (باب في قلة عدد المؤمنين. عن سدير الصيرفي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: والله ما يسعك القعود! فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، والله لو كان لأمر المؤمنين عليه السلام ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيمُّ ولا عديُّ!

فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف؟

قلت: نعم ومائتي ألف! قال: مائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا!

قال: فسكت عني ثم قال: يخفُّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع؟ قلت: نعم، فأمر بحمار وبغل أن يُسرَّجا فبادرت فركبت الحمار فقال: يا سدير أترى أن تؤثري بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبيل! قال: الحمار أرفق بي، فنزلت فركب الحمار وركبت البغل.

فمضينا فحانت الصلاة فقال: يا سدير إنزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها، فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود! ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة، عطفت على الجداء فعددها فإذا هي سبعة عشر!

وفي رواية: بعدد هذه الشويبات، فعددها فكانت أربعين شاة!

فالإمام الصادق عليه السلام يقول أو من بوجوب الخروج على السلطان الجائر، ووجوب إقامة دولة العدل. لكن هذا يحتاج إلى (كوادر) لهم صفات خاصة من القوة والنزاهة والكفاءة والإخلاص والثبات. فإن لم يكن لك أصحاب من هذا النوع، فإنك ستعجز عن إقامة العدل وتطبيق أحكام الله تعالى. وسيعمل أصحابك لمنافعهم الشخصية ولا يطيعونك، ويسخرون الدولة إلى أغراضهم، فتكون معهم غريباً تأمر فلا تطاع، وإن أمرتهم بأمر على خلاف هواهم لا ينفذونه ويكذبون عليك، أو يتآمرون عليك ليعدوك أو يقتلوك، ويأتوا برئيس يطيعهم!



وفي مناقب آل أبي طالب (٣/٣٦٢): (حدث إبراهيم عن أبي حمزة، عن مأمون الرقي قال: كنت عند سيدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن حسن الخراساني فسلم عليه ثم جلس فقال له: يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة، وأتمم أهل بيت الإمامة، ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال عليه السلام: اجلس يا خراساني رعى الله حقك، ثم قال: يا حنيفة أسجري التنور فسجرتة

حتى صار كالجمره وابتَضَّ علوه، ثم قال: يا خراساني قم فاجلس في التنور، فقال الخراساني: يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار أقلني أقالك الله، قال: قد أقلتك، فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ونعله في سبابته فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال له الصادق: ألق النعل من يدك واجلس في التنور. قال: فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور، وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها، ثم قال: قم يا خراساني وانظر ما في التنور.

قال: فقمتم إليه فرأيته متربعا فخرج الينا وسلم علينا، فقال الإمام عليه السلام: كم تجد بخراسان مثل هذا؟ فقلت: والله ولا واحداً! فقال عليه السلام: لا والله ولا واحداً! قال: أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت).

أقول: بين الإمام عليه السلام في هذا الحديث شرطاً خاصاً في الأصحاب الذين يحتاج اليهم الذين يخرجون على السلطان مع الإمام من العترة عليهم السلام، وهو أن يؤمنوا بأنه إمام من الله تعالى وينفذوا أمره حتى لو لم يفهموا حكمته، وحتى لو كان فيها هلاكهم في الظاهر! وهذا شرط أصعب من الأول، وهو ضروري لأن الأحكام الشرعية ومنها وجوب طاعة الإمام عليه السلام، لا يصح أن تقيسها بموازين عقلك بل يجب أن تعبد بها وتنفذها وتقول أطيع ولو لم أفهم وجه الحكمة، لأن الله تعالى حكيم بالمطلق، ومن أوجب عليّ الحكيم طاعته لا بد أن يكون حكيماً!

فتعجب الخراساني وقال له الإمام عليه السلام لا تقل لك مئة ألف من الأصحاب ومئة ألف، فهو لاء لا ينفعونني، وقد يصدقون معي في إزالة دولة الظلم لكنهم لا يريدون إقامة دولة العدل إذا انتصروا وصاروا وزراء ومدراء، بل يريدون استبدال دولة ظالمة بدولة ظالمة بأيديهم. ولا أستحل أن أقوم لاستبدال ظلم بظلم!



ومن هذه الرؤية أخبر العباسيين بأن دولتكم عسر لايسرفيه، وأنكم أشد ظلماً للمسلمين من

بني أمية، وتنتهي دولتكم بأن يلعب بالخلافة نساؤكم وصبيانكم، وأنها قبل دولتنا، ودولتنا
آخر الدول تحكم بالعدل والهدى الى يوم القيامة!



قال المسعودي في مروج الذهب ٣/ ٢٥٣: (وأخفى أبو سَلَمَة أمر أبي العباس ومن معه ووكل بهم وكيلاً، وكان قدوم أبي العباس الكوفة في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس، وقد كان أبو سَلَمَة لما قُتِل إبراهيم الإمام خاف انتقاض الأمر وفساده عليه، فبعث بمحمد بن عبد الرحمن بن أسلم وكان أسلم مولياً لرسول الله ﷺ وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وإلى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يدعو كل واحد منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه، ويجتهد في بيعة أهل خراسان له، وقال للرسول: العَجَل العَجَل فلا تكوننَّ كوافد عاد (بعثوه فاختر سحابة سوداء فكانت عليهم لاهم) فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على أبي عبد الله جعفر بن محمد فلقبه ليلاً، فلما وصل إليه أعلمه أنه رسول أبي سَلَمَة ودفع إليه كتابه فقال له أبو عبد الله: وما أنا وأبو سَلَمَة وأبو سَلَمَة شيعة لغيري! قال: إني رسول فتقرأ كتابه وتجيئه بما رأيت. فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول: عرّف صاحبك بما رأيت! ثم أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميث بن زيد رضي الله عنه:

أيا مُوقِداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده، وأتى عبد الله بن الحسن فدفع إليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج به، فلما كان من غد ذلك اليوم الذي وصل إليه فيه الكتاب ركب عبد الله حماراً حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه وكان عبد الله أسنَّ من أبي عبد الله فقال له: يا أبا محمد أمرٌ ما أتى بك! قال: نعم وهو أجلُّ من أن يوصف، فقال: وما هو يا أبا محمد؟ قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما أقبله وقد قدمت عليه

شيعتنا من أهل خراسان!

فقال له أبو عبد الله: يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدمهم أو وجهت فيهم وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام إلى أن قال: إنما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهديُّ هذه الأمة، فقال أبو عبد الله جعفر: والله ما هو مهدي هذه الأمة ولئن شهر سيفه ليقتلن، فنازعه عبد الله القول حتى قال له: والله ما يمنعك من ذلك إلا الحسد! فقال أبو عبد الله عليه السلام: والله هذا نصح مني لك، ولقد كتب إليّ أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك، فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك، ولقد أحرقتُ كتابه من قبل أن أقرأه، فانصرف من عند جعفر مغضباً!

ولم ينصرف رسول أبي سلمة إليه إلى أن بويح السفاح بالخلافة، وذلك أن أبا حميد الطوسي دخل ذات يوم من المعسكر إلى الكوفة فلقي سابقاً الخوارزمي في سوق الكناسة فقال له: أسابق؟ قال: سابق، فسأله عن إبراهيم الإمام، فقال: قتله مروان في الحبس، وكان مروان يومئذ بحرّان، فقال أبو حميد: فيلى من الوصية؟ قال: إلى أخيه أبي العباس، قال: وأين هو؟ قال: معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته، قال: مُذ متى هم هنا؟ قال: من شهرين، قال: فتمضي بنا إليهم، قال: غداً بيني وبينك الموعد في هذا الموضع، وأراد سابق أن يستأذن أبا العباس في ذلك فانصرف إلى أبي العباس فأخبره، فلامه إذ لم يأت به معه إليهم، ومضى أبو حميد فأخبر جماعة من قواد خراسان في عساكر أبي سلمة بذلك، منهم أبو الجهم وموسى بن كعب وكان زعيمهم، وغداً سابق إلى الموضع فلقي أبا حميد، فمضياً حتى دخلا على أبي العباس ومن معه فقال: أيكم الإمام؟ فأشار داود بن علي إلى أبي العباس وقال: هذا خليفكم، فأكبَّ على أطرافه يقبلها وسلم عليه بالخلافة، وأبو سلمة لا يعلم بذلك، وأتاه وجوه القواد فبايعوه، وعلم أبو سلمة بذلك فبايعه، ودخلوا إلى الكوفة في أحسن زي، وقُدِّمت الخيول فركب أبو العباس ومن معه حتى أتوا قصر الإمارة، وذلك

في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة).

أبو مسلم الخراساني يؤكد رأي الإمام الصادق عليه السلام

(دعا أبو مسلم في عرفات: اللهم إني أتوب إليك مما أظن أنك لن تغفره لي! فقلت: أيها الأمير، أيعظم على الله تعالى غفران ذنب؟ فقال: إني نسجت ثوباً من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبني العباس! فكم صارخٍ وصارخةٍ تلعنني عند تفاقم هذا الأمر، فكيف يغفر الله تعالى لمن هذا الخلق خصماًؤه!) (سمط النجوم العوالي / ١٠٨٧).

(وقيل له مرة: لقد قمت بأمر لا يقصر بك عن الجنة، فقال: خوفي فيه من النار أولى من الطمع في الجنة! إني أطفأت من بني أمية جمره، وألهبت من بني العباس نيراناً! فإن أفرح بالإطفاء فواحزنا من الإلهاب!) (ربيع الأبرار للزخشي / ٥٦٤).

وهذا يدل على إسلام أبي مسلم وأنه يعتقد بالله تعالى ورسوله والآخرة، وما جاء به النبي صلى الله عليه وآله. وقد أقر بأنه كان يعرف جريمة ما قام به من قتال وقتل للألوف المؤلفة، وروي أنه قتل مليوني مسلم! منهم ست مائة ألف صبراً، يعني يأمر: يا غلام إضرب عنقه أو أعناقهم! ومن حقه أن يخاف من العقاب والنار!





الفصل السابع

ثورة الحسينين على العباسيين!

مناقبية الأخوة عند الإمامين الحسن والحسين

يضرب المثل للأخوين المتصافين فيقال: أخوان كالحسن والحسين عليهما السلام، لأن سلوكهما كان نبوياً في المودة والإحترام، وإيثار أحدهما لأخيه.

وتجلى ذلك في حرص الحسن على أن يُغَيَّبَ الحسين عليه السلام عن تنازله لمعاوية، فلا تجده ذكرراً في مفاوضات الصلح وفصوله الرسمية!

كما تجلى عندما كان الحسن عليه السلام يكابد السم الذي دسه له معاوية ذات مرة، فجاءه الحسين عليه السلام: (فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكى لما يُصنع بك! فقال له الحسن عليه السلام: إن الذي يؤتى إليَّ سُمٌّ يُدَسُّ إليَّ فأقتل به ولكن لا يومَ كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله ويتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك وانتهاك ثقلك، فعندها تحل بيني أمية اللعنة وتمطر السماء رماداً ودماً وبيكي عليك كل شئ حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار!) (أمالي الصدوق/ ١٧٧). وأوصى الإمام الحسن عليه السلام أولاده أن يكونوا مع عمهم الحسين عليه السلام في كربلائه الموعودة فاستشهد بين يديه ثلاثة منهم: القاسم وعبد الله وعمرو.

وكان أولاد الإمام الحسن عليه السلام بضعة عشر بنتاً وبنياً، وغالب ذريته من ابنه زيد بن الحسن، والحسن بن الحسن الذي يسمى الحسن المثنى. (الذريعة: ٢/ ٣٧٢).

زيد بن الإمام الحسن عليه السلام وذريته

مدحه علماءنا مدحاً عاماً فقال المفيد رحمته الله في الإرشاد (٢/ ٢١): (كان جليل القدر كريم الطبع ظَلَف النفس (متورعاً متقشفاً) كثير البر، ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله.. كان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله.. كان مسالماً لبني أمية ومتقلداً من قبلهم الأعمال، وكان رأيه التقية لأعدائه والتألف لهم والمداراة.. ومات زيد وله تسعون سنة، فرثاه جماعة من الشعراء وذكروا مآثره).

ثم ذكر أن سليمان بن عبد الملك عزله عن صدقات النبي صلى الله عليه وآله ثم أعادها إليه ابن عبد العزيز. وقال في عمدة الطالب/ ٦٩: (تخلف عن عمه الحسين عليه السلام فلم يخرج معه إلى العراق. وبائع بعد قتل عمه الحسين عليه السلام عبد الله بن الزبير، لأن أخته لأمه وأبيه كانت تحت عبد الله بن الزبير.. فلما قتل عبد الله أخذ زيد بيد أخته ورجع إلى المدينة.. عاش مائة سنة، وقيل خمساً وتسعين، وقيل تسعين).

وبعد زيد بن الحسن، ولَّى الوليد بن عبد الملك ابنه الحسن بن زيد صدقات النبي صلى الله عليه وآله فنازعه فيها أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، فشكى ابن زيد إلى الوليد بن عبد الملك فحبس أبا هاشم وطال حبسه، فتوسط له الإمام زين العابدين عليه السلام وطلب أن يطلقه لأنه مكذوب عليه. (الوافي للصفدي: ١٥/ ١٩).

واشتهر زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن عليه السلام: (كان أمير المدينة من قبل المنصور الدوانيقي، وكان مظاهراً لبني العباس على بني عمه الحسن المثنى، وهو أول من لبس السواد من العلويين، وبلغ من السن ثمانين سنة). (عمدة الطالب/ ٦٩).

وفي ميزان الاعتدال: ١/ ٤٩٢: (ولَّى المدينة للمنصور خمس سنين، ثم عزله وصادره ثم سجنه، فلما ولي المهدي أطلقه وأكرمه وأداناه. وكان شيخ بني هاشم في زمانه.. وهذا هو والد الست نفيسة).

أقول: اشتهرت بنته نفيسة أكثر منه، ففي الأعلام (٨/ ٤٤): (نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن

بن علي بن أبي طالب: صاحبة المشهد المعروف بمصر . تقيّة صالحة عالمة بالتفسير والحديث . ولدت بمكة ونشأت في المدينة، وتزوجت إسحاق المؤمن بن جعفر الصادق . وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها . حجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن وسمع عليها الإمام الشافعي، ولما مات أُدخلت جنازته إلى دارها وصلت عليه . وكان العلماء يزورونها ويأخذون عنها).

الحسن بن الإمام الحسن عليه السلام وذريته

تقدم في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام أن الحسن بن الحسن شهد كربلاء مع عمه الحسين عليه السلام وأُتخن بالجراح، فلما أرادوا أخذ الرؤوس وجدوا به رمقاً، وكانت أمه من قبيلة فزارة فاستوهبه رئيس فزارة أساء بن خارجة، فقال عبيد الله بن زياد: (دعوا لأبي حسان ابن أخته، وعالجه أساء حتى برئ ثم لحق بالمدينة... حتى دس إليه الوليد بن عبد الملك من سقاه سمًا فمات، وعمره إذ ذاك خمس وثلاثون سنة، وكان يشبه برسول الله صلى الله عليه وآله). (عمدة الطالب/١٠٠).

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد: ٢٣/٢: (أما الحسن بن الحسن فكان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً.. وروي أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين عليه السلام إحدى ابنتيه فقال له الحسين: إختري يا بني أحبهما إليك، فاستحيا الحسن ولم يُجر جواباً، فقال الحسين عليه السلام: إني قد اخترت لك ابنتي فاطمة وهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله . وقُبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة وأخوه زيد بن الحسن حيي.. ولما مات.. ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسقطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت تشبه بالخور العين لجمالها، فلما كان رأس السنة قالت لمواليها: إذا أظلم الليل فقوّضوا هذا الفسوط).
وعلمه الإمام زين العابدين عليه السلام دعاءً، وظهرت له كرامة.

ففي فتح الباري (١١/١٢٤): (كتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حيان (واليه على المدينة): أنظر الحسن بن الحسن فاجلده مائة جلدة وأوقفه للناس، قال: فبعث إليه فجىء به فقام إليه علي بن الحسين فقال: يا ابن عم تكلم بكلمات الفرج يفرج الله عنك، فذكر حديث

علي باللفظ الثاني، فقالها فرفع إليه عثمان رأسه فقال: أرى وجه رجل كُذِبَ عليه! خلوا سبيله فسأكتب إلى أمير المؤمنين بعذره فأطلق!) ووي أن الخليفة قتله بالسم كعادة أسلافه!
أقول: عرف حفيد الحسن هذا باسم شهيد فخ، وهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام، وقد مدحه الأئمة عليهم السلام أكثر من الحسينين.



عبد الله بن الحسن المثنى الأب المؤسس للثورة العباسية

هو عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن عليه السلام، ويسمى عبد الله المحض، لأن أباه ابن الحسن وأمه بنت الحسين عليه السلام. وكان صاحب شخصية قوية، وكان سياسياً وليس عالماً! وهو صاحب مشروع الثورة على الأمويين بعد زيد بن علي عليه السلام، وقد ابتكر ادعاء المهديّة لنفسه، ثم لولده محمد، ودعا إلى بيعته ولم يقبل أن يبايعوه هو بدل ابنه!
واستطاع أن يقنع العباسيين وأكثر الحسينيين فبايعوا ابنه بالإمامة والطاعة، لكنه لم يستطع أن يضم إليه أئمة العترة من ذرية الحسين عليه السلام.

ثم انقلب عليه العباسيون فيما بعد واتفقوا مع أبي مسلم والخلال أن يبايع أبا العباس السفاح بالخلافة، فثار عليهم عبد الله بن الحسن وقتل هو وأكثر أولاده، وواصل الذين أفلتوا منهم ثوراتهم فأسسوا دولتهم في المغرب، وما زالوا يحكمونها إلى اليوم، ودولتهم في شمال إيران وقد انتهت، كما حكموا الحجاز مدة طويلة حتى ورثهم آل سعود، وما زالوا إلى اليوم يحكمون الأردن.

عبد الله بن الحسن يدعو إلى مؤتمر الأبواء لبيعة ابنه

روت مصادر التاريخ أن عبد الله بن الحسن دعا شخصيات بني هاشم إلى مؤتمر في الأبواء سنة ١٢٦ قرب المدينة، ليايعوا ابنه محمداً على أنه المهدي الموعود!

ففي مقاتل الطالبيين/ ١٤٠، ١٧١، عن عمر بن شبة ومؤرخين عاصروا تلك الفترة، بعدة

أسانيد، قال: (إن بني هاشم اجتمعوا فخطبهم عبد الله بن الحسن، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة واختاركم لها، وأكثركم بركة يا ذرية محمد ﷺ بنو عمه وعترته، وأولى الناس بالفرع في أمر الله من وضعه الله موضعكم من نبيه ﷺ، وقد ترون كتاب الله معطلاً وسنة نبيه متروكة والباطل حياً والحق ميتاً. قاتلوا الله في الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم اسمكم، وتهونوا عليه كما هانت بنو إسرائيل وكانوا أحب خلقه إليه. وقد علمتم أننا لم نزل نسمع أن هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الأمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم يعني الوليد بن يزيد (سنة ١٢٦) فهلمّ نبايع محمداً فقد علمتم أنه المهدي! فقالوا: لم يجتمع أصحابنا بعد، ولو اجتمعوا فعلنا، ولسنا نرى أبا عبد الله جعفر بن محمد! فأرسل إليه ابن الحسن فأبى أن يأتي، فقام وقال: أنا أت به الساعة فخرج بنفسه حتى أتى مضرب الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث فأوسع له الفضل ولم يصدّره، فعلمت أن الفضل أسن منه، فقام له جعفر وصدّره فعلمت أنه أسن منه. ثم خرجنا جميعاً حتى أتينا عبد الله فدعا إلى بيعة محمد فقال له جعفر: إنك شيخ وإن شئت بايعتك وأما ابنك فوالله لا أبايعه وأدعك).

وفي رواية: (إن جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن علي، وعبد الله بن الحسن بن الحسن، وابناه محمد وإبراهيم، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان. فقال صالح بن علي: قد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم إليهم وقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم، وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين. فحمد الله عبد الله بن الحسن وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلموا فلنبايعه. وقال أبو جعفر المنصور: لأي شيء تخذعون أنفسكم! والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أطول أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى! يريد محمد بن عبد الله. قالوا: قد والله صدقت، إن هذا هو الذي نعلم!

فبايعوا جميعاً محمداً ومسحوا على يده! قال عيسى (بن زيد بن الحسن): فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا عليه، وأرسل جعفر بن محمد بن عبد الله الأرقط بن علي بن الحسين فجئناهم، فإذا بمحمد بن عبد الله يصلي على طنفسة رجل مثنية، فقلت: أرسلني أبي إليكم لأسألکم لأي شيء اجتمعتم؟ فقال عبد الله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله. قالوا: وجاء جعفر بن محمد فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فتكلم بمثل كلامه، فقال جعفر: لا تفعلوا فإن هذا الأمر لم يأت بعد! إن كنت ترى يعني عبد الله أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإننا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك. فغضب عبد الله وقال: علمت خلاف ما تقول! والله ما أطلعك الله على غيبه ولكن يملك على هذا الحسد لابني! فقال: والله ما ذاك يملني ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن، وقال: إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ولكنها لهم وإن ابنك لمقتولان! ثم نهض وتوكل على يد عبد العزيز بن عمران الزهري. فقال: رأيت صاحب الرداء الأصفر يعني أبا جعفر؟ قال: نعم. قال: فإننا والله نجده يقتله! قال له عبد العزيز: أيقتل محمداً؟ قال: نعم. قال: فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة! قال: ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيت قتلهما!

قال: فلما قال جعفر ذلك انفضَّ القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعدها، وتبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا: يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال: نعم، أقوله والله وأعلمه).

وفي مناقب ابن شهر آشوب (٤/٢٢٨): إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنك، وإنما هي لهذا يعني السفاح، ثم لهذا يعني المنصور، يقتله على أحجار الزيت، ثم يقتل أخاه بالطفوف وقوائم فرسه في الماء، فتبعه المنصور فقال: ما قلت يا أبا عبد الله؟ فقال: ما سمعته وإنه لكائن! قال: فحدثني من سمع المنصور أنه قال: انصرفت من وقتي فهيأت أمري، فكان كما قال).

ملاحظات

١- جعلنا تاريخ هذا المؤتمر سنة ١٢٦، لقول عبد الله بن الحسن في خطبته: (وقد علمتم أنكم لم نزل نسمع أن هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الأمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم يعني الوليد بن يزيد فهلمّ نبايع محمداً).

ويزيد بن الوليد المعروف بالناقص قتله الوليد بن يزيد المعروف بالفاسق (يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦). (الطبري: ٥/٥٥٦).

وبويع ليزيد الناقص وامتنع أهل حمص عن بيعته، ثم مات أو قتل بعد شهر، ثم بويع لإبراهيم بن الوليد، واضطرب أمر بني أمية بينه وبين مروان بن محمد.

قال الطبري (٥/٥٩٦): (ثم كان إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان غير أنه لم يتم له أمر.. وكان يسلم عليه جمعة بالخلافة، وجمعة بالأمرة، وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالأمرة)!. وبعد صراع بقية تلك السنة غلب مروان بن محمد الملقب بالحمار، وبويع له أوائل سنة ١٢٧. (تاريخ دمشق: ٥٧/٣٢٧).

ومعنى ذلك أن نشاط الحسينيين بدأ بعد ثورة زيد بسبع سنين! أما العباسيون فكانوا تابعين لهم ومتحمسين لبيعة مهديهم محمد بن عبد الله، كما صرح صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، وابن أخيه المنصور، أما أبو السفاح والمنصور محمد بن علي فكان يومها في الشام يعيش على سفرة بني أمية التي تصله في منفاه في الأردن، وعندما شحت سفرتهم لاضطراب الخلافة احتاجوا أن يلتحقوا بعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي ثار في إيران فملك الأهواز وأصفهان في سنة ١٢٧، ووظفها عنده.

وهذا تسقط أكاذيب كثيرة للعباسيين، بأنهم أرسلوا دعواتهم إلى خراسان زمن عمر بن عبد العزيز! والصحيح أن أبا مسلم بدأ حركته في أواخر سنة ١٢٨، في خلافة مروان الحمار ولم يعلن خلافة إبراهيم العباسي إلا أواخر سنة ١٣٢، فقبض مروان على إبراهيم.

٢- عقدنا في المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام فصلاً في تحريف البشارة النبوية وإدعاء

المهدية، وقلنا: إن معاوية ادعى المهدية مقابل مهدي بني هاشم، ثم ادعاها موسى بن طلحة بن عبيد الله، ثم ادعاها من بني هاشم اثنان هما محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى، ثم محمد بن عبد الله المنصور المعروف بالمهدي العباسي، وحاول أنصار كل منهما أن يطبقوا أحاديث المهدي الموعود على صاحبهم.

وكان عبد الله بن الحسن المثنى أبرعهم! فادعاها لنفسه: (لم يزل عبد الله بن الحسن منذ كان صبياً يتوارى ويراسل الناس بالدعوة إلى نفسه ويسمى بالمهدي) (مقاتل الطالبين/٢٣٩). ثم ادعاها لابنه محمد وحجبه عن الناس وأشاع حوله الأساطير!

ففي تهذيب الكمال (٤٦٧/٢٥): (عن ابن أخ الزهري: تجالسنا بالمدينة أنا وعبد الله بن حسن فتذاكرنا المهدي فقال: المهدي من ولد الحسن بن علي. فقلت: يأبى ذاك علماء أهل بيتك! فقال عبد الله: المهدي والله من ولد الحسن بن علي، ثم من ولدي خاصة).

لذلك نرجح أنه هو الذي زاد في حديث البشارة النبوية: (واسم أبيه إسم أبي) مع أن أصله: إسمه إسمي وكنيته كنيته، وليس فيه: واسم أبيه إسم أبي! وقد أقنع عبد الله حلفاءه العباسيين بمهدية ابنه وبايعوه! فكان المنصور يأخذ بركاب محمد هذا ويقول: (هذا مهدينا أهل البيت!) (مقاتل الطالبين/٢٣٩).

ولما اختلفوا مع الحسينيين ادعى المنصور المهدية لابنه محمد المعروف بالمهدي العباسي! ووضعوا له أحاديث عن ابن عباس وغيره مثل: (منا السفاح والمنصور، والمهدي يسلمها إلى الدجال). (العيون لابن قتيبة: ١/٣٠٢).

٣- نلاحظ أن الأئمة عليهم السلام تعمدوا في مناسبات عديدة أن يخبروا بني العباس بأنهم سيحكمون، فقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس بأن طفله علياً هو أبو الملوك العباسيين! وأخبر الإمام الباقر عليه السلام المنصور بأنه سيحكم وسماه جباراً! ثم أكد له ذلك الإمام الصادق عليه السلام وأخبر الحسينيين بأنهم لا يصلون إلى الحكم، وأن العباسيين سيحكمون ويقتلونهم! وهو عمل يثبت اختصاص الأئمة عليهم السلام بعلم بعض المغيبات كرامة من الله ورسوله صلى الله عليه وآله. ويقوي العباسيين

على العمل ضد الأمويين! وكأن الله تعالى لم يشأ أن يحكم الحسينيون الأمة. وذلك صيانة للإمام الحسن عليه السلام وإبعاد لهم عن مساوئ الحكم التي سيقعون فيها، وعماسيلاقي منهم الأئمة الحسينيون عليهم السلام. فقد كانت عوامل النجاح متوفرة لإبراهيم لكن الإرادة الربانية أطاحت بجهودهم!

٤- أورد السيد الخوئي هذا الحديث في ترجمة عبد الله بن الحسن في معجمه (١١/ ١٧٠) وقال: (ثم إن الروايات قد كثرت في ذم عبد الله هذا. سليمان بن هارون قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن العجلية يزعمون أن عبد الله بن الحسن يدعي أن سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عنده! قال عليه السلام: والله لقد كذب! فوالله ما هو عنده وما رآه بواحدة من عينيه قط ولا رآه أبوه، إلا أن يكون رآه عند علي بن الحسين عليه السلام، وإن صاحبه لمحفوظٌ ومحفوظٌ له. لا تذهبن يميناً ولا شمالاً فإن الأمر واضح! والله لو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يحولوا هذا الأمر من موضعه الذي وضعه الله ما استطاعوا، ولو أن خلق الله كلهم جميعاً كفروا حتى لا يبقى أحد، جاء الله لهذا الأمر بأهل يكونون هم أهله.. فالسند صحيح... عن علي بن سعيد قال: كنت قاعداً عند أبي عبد الله عليه السلام... فقال محمد بن عبد الله بن علي: العجب لعبد الله بن الحسن أنه يهزأ ويقول في جفركم الذي تدعون! فغضب أبو عبد الله عليه السلام فقال: العجب لعبد الله بن الحسن يقول: ليس فينا إمام، صدق ما هو بإمام ولا كان أبوه إماماً. ويزعم أن علي بن أبي طالب لم يكن إماماً! أخبرني سماعة بن مهران قال: أخبرني الكلبي النسابة قال: دخلت المدينة ولست أعرف شيئاً من هذا الأمر، فأتيت المسجد فإذا جماعة من قريش فقلت: أخبروني عن عالم أهل هذا البيت فقالوا: عبد الله بن الحسن، فأتيت منزله فاستأذنت فخرج إليّ رجل ظننت أنه غلام له فقلت له: إستاذن لي على مولاك فدخل ثم خرج فقال لي: أدخل، فدخلت فإذا أنا بشيخ معتكف شديد الاجتهاد... قلت: أخبرني عن رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء، فقال: تبين برأس الجوزاء، والباقي وزرٌ عليه وعقوبة! فقلت في نفسي: واحدة، فقلت: ما يقول الشيخ في المسح على الخفين؟ فقال: قد مسح قوم صالحون ونحن

أهل البيت لانمسخ. فقلت في نفسي: ثنتان، فقلت: ما تقول في أكل الجري أحلال هو أم حرام؟ فقال: حلال إلا أنا أهل البيت نعافه، فقلت في نفسي: ثلاث، فقلت: ما تقول في شرب النبيذ؟ فقال: حلال إلا أنا أهل البيت لا نشربه، فخرجت من عنده وأنا أقول: هذه العصابة تكذب على أهل هذا البيت!

وقال: (هذه الرواية تدل على أن عبد الله بن الحسن كان قد نصب نفسه للإمامة، وكان يفتي بغير ما أنزل الله! والمتحصل: أن عبد الله بن الحسن مجروح مذموم، ولا أقل من أنه لم يثبت وثاقته أو حسنه).

أقول: وصف ابن الأثير في الكامل (٥/٥٢٦) قوة شخصية عبد الله بن الحسن عندما اعتقله المنصور في الحج، قال: (ثم إن المنصور أخذهم وسار بهم من الربذة، فمر بهم على بغلة شقراء، فناده عبد الله بن الحسن: يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر! فأخسأه أبو جعفر، وتفل عليه ومضى! فلما قدموا إلى الكوفة قال عبد الله لمن معه: أما ترون في هذه القرية من يمنعنا من هذه الطاغية؟ قال: فلقية الحسن وعلي ابنا أخيه مشتملين على سيفين فقالا له: قد جئناك يا ابن رسول الله فمرنا بالذي تريد. قال: قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا في هؤلاء شيئاً فانصرفا!)

وكان المنصور على جبروته وشيظنته يخاف من عبد الله هذا أن يؤثر عليه، فلما سجنه في العراق طلب منه المنصور أن يوافق على حل مشكلة ولده محمد، فأجابه: (لا والله، لا أرد عليكما حرفاً! إن أحب أن يأذن لي فألقاه فليفعل. فانصرف الرجلان فأبلغاه فقال: أراد أن يسحرنى! لا والله لا ترى عينه عيني حتى يأتيني بابنيه). (الطبري: ٦/١٧٣).

والمتحصل: أن عبد الله بن الحسن مذموم، ولا أقل من أنه لم يثبت وثاقته أو حسنه.

موقف الأئمة عليهم السلام من الثوار الحسينيين

كان الأئمة عليهم السلام يحذرون الحسينيين من العمل للوصول الى الحكم، لأن النتيجة ستكون عليهم عكسية، وفي نفس الوقت كانوا يتعاطفون معهم عندما يقع عليهم ظلم أو تحلُّ بهم نكبة.

لكن لا يصح اعتبار هذا التعاطف تأييداً لسياستهم، فقد جاء محمد بن عبد الله بن الحسن الذي ادعوا له المهديّة، يوماً إلى منزل الإمام الصادق عليه السلام، فلما ذهب: (رقّ له أبو عبد الله عليه السلام ودمعت عينه فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع؟ قال: رققته له لأنه ينسب في أمر ليس له! لم أجده في كتاب علي من خلفاء هذه الأمة، ولا ملوكها). (الكافي: ٨/ ٣٩٥).
وتعاطف الإمام الصادق عليه السلام مع عبد الله بن الحسن وجماعته لما اعتقله العباسيون، ولما قُتل ولداه محمد وإبراهيم. ففي مقاتل الطالبين/ ١٤٨: (إني لواقف بين القبر والمنبر إذ رأيت بني الحسن يخرج بهم من دار مروان مع أبي الأزهر يراد بهم الربذة فأرسل إلي جعفر بن محمد فقال: ما وراءك؟ قلت: رأيت بني الحسن يخرج بهم في محامل. فقال: اجلس فجلست قال: فدعا غلاماً له ثم دعا ربه كثيراً ثم قال لغلامه: اذهب فإذا حملوا فأت فأخبرني. قال: فأتاه الرسول فقال: قد أقبل بهم. فقام جعفر فوقف وراء ستر شعر أبيض من ورائه فطلع بعبد الله بن الحسن وإبراهيم بن الحسن وجميع أهلهم كل واحد منهم معادله مسود فلما نظر إليهم جعفر بن محمد هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته ثم أقبل علي فقال: يا أبا عبد الله، والله لا تحفظ لله حرمة بعد هذا، والله ما وفيت الأنصار ولا أبناء الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله بما أعطوه من البيعة على العقبة.. على أن تمنعوا رسول الله وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذرايكم. قال: فوالله ما وفوا له حتى خرج من بين أظهرهم ثم لا أحد يمنع يد لامس! اللهم فاشدد وطأتك على الأنصار).

وروى ابن طاووس رحمته الله في كتاب الإقبال (٨٢/٣) أن الإمام الصادق عليه السلام كتب رسالة تعزية إلى عبد الله بن الحسن والحسينين، عبرت عن تأثره جاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم. إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه، أما بعد فلئن كنت تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم، ما انفردت بالحزن والغبطة والكآبة وأليم وجل القلب دوني، فلقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحر المصيبة مثل ما نالك، ولكن رجعت إلى ما أمر الله جل جلاله به المتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبية صلى الله عليه وآله:

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا. وحين يقول: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخُوتِ.. وذكرت الرواية آيات عديدة وتابعت: واعلم أي عم وابن عم أن الله جل جلاله لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط، ولا شئ أحب إليه من الضر والجهد والأذى مع الصبر، وأنه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط، ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أوليائه ويخيفونهم ويمنعونهم، وأعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون. ولولا ذلك ما قتل زكريا ويحيى، ظلماً وعدواناً في بغي من البغايا. ولولا ذلك ما قتل جدك علي بن أبي طالب عليه السلام لما قام بأمر الله جل وعز ظلماً، وعمك الحسين بن فاطمة صلى الله عليهما اضطهاداً وعدواناً. ولولا ذلك ما قال الله عز وجل في كتابه: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. ولولا ذلك لما قال في كتابه: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ... فعليكم يا عم وابن عم وبني عمومي وإخوتي، بالصبر والرضا والتسليم والتفويض إلى الله جل وعز، والرضا والصبر على قضائه والتمسك بطاعته والنزول عند أمره. أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وختم لنا ولكم بالأجر والسعادة، وأنقذكم وإيانا من كل هلكة، بحوله وقوته إنه سميع قريب، وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته).

وقد صحح ابن طاووس رحمته الله هذه الرواية واستنتج منها أن عبد الله بن الحسن وجماعته ممدوحون مرضيون، قال رحمته الله: (وهذا يدل على أن هذه الجماعة المحمولين كانوا عند مولانا الصادق عليه السلام معذورين وممدوحين ومظلومين وبجبه عارفين. ثم أجاب رحمته الله على الروايات التي تنص على مخالفتهم للأئمة عليهم السلام بقوله: (وذلك محتملٌ للتقية لئلا يُنسب إظهارهم لإنكار المنكر إلى الأئمة الطاهرين).

ثم استدلل رحمته الله بقول النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: يقتل منك أو يصاب منك نفر بشرط الفرات ما سبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون. ثم ذكر رحمته الله رواية أخرى وطبقها على عبد الله بن الحسن وجماعته، مع أنها وردت في الحسين عليه السلام وأصحابه دون غيرهم! وختم رحمته الله بقوله: (وهذه شهادة صريحة من طرق صحيحة بمدح المأخوذ من بني

الحسن عليه السلام، وأنهم مضوا إلى الله جل جلاله بشرف المقام والظفر بالسعادة).
أقول: هذا الرأي يتناسب مع طبيعة هذا السيد الجليل ابن طاووس عليه السلام، فهو حسن الظن سريع التصديق، ثم هو من ذرية الحسن عليه السلام! والذي أعتقده أن الرواية مجعولة، وأن الإمام الصادق عليه السلام تضامن معهم وتآلم لهم وشبه ظلامتهم بظلامه أمير المؤمنين عليه السلام وهو نوع من المديح، لكنه ليس تأييداً لثورتهم ولا موافقةً على أفكارهم وادعائهم المهديّة، وترضيهم عن خصوم أمير المؤمنين عليه السلام.
بينما أيد الإمام الصادق ثورة عمه زيد عليه السلام تأييداً صريحاً قوياً ومدحه مديحاً خاصاً بقوله: (رحم الله عمي زيداً إنه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك! فلما ولى قال: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه). (عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٢٥).
أما واعية الحسينين فلا يجب على من سمعها نصرتهم وقد سمعها الإمام الصادق عليه السلام ولم ينصرهم، بل خرج محمد الذي ادعوا له أنه المهدي وسيطر على المدينة، وأذى الإمام الصادق عليه السلام واعتقله، حتى جاء جيش المنصور وقتل محمداً.

حساسية عبدالله بن الحسن وأبنائه من الأئمة عليهم السلام

والأحاديث في ذلك كثيرة، فيها الصحيح كالذي ذكره السيد الخوئي رحمته في ترجمته. وقد أورد في البحار (٤٧/ ٢٧٠) عدداً منها في سيرة الإمام الصادق عليه السلام تحت عنوان:
(أحوال أقربائه وعشائره وما جرى بينه وبينهم، وما وقع عليهم من الجور والظلم، وأحوال من خرج في زمانه من بني الحسن وأولاد زيد عليه السلام وغيرهم). روى فيه بضعة عشرة رواية تدل على ذم عبد الله بن الحسن وأولاده، وحسداهم للأئمة عليهم السلام وعداوتهم لهم وسوء أدبهم! وفي بعضها أن الإمام الصادق عليه السلام قال: (ليس منا إلا وله عدو من أهل بيته، فقيل له: بنو الحسن لا يعرفون لمن الحق؟ قال: بلى، ولكن يمنعهم الحسد).

وفي بعضها أن محمد بن عبدالله بن الحسن الذي ادعوا له المهديّة قال مرة للإمام

الصادق عليه السلام: (والله إني لأعلم منك وأسخى منك وأشجع منك! فقال: أما ما قلت إنك أعلم مني، فقد أعتق جدي وجدك ألف نسمة من كديده فسمهم لي، وإن أحببت أن أسميهم لك إلى آدم فعلت!

وأما ما قلت إنك أسخى مني فوالله ما بتُّ ليلةً والله عليَّ حق يطالبني به.

وأما ما قلت إنك أشجع مني، فكأنني أرى رأسك وقد جرى به ووضع على حجر الزناير يسيل منه الدم إلى موضع كذا وكذا! قال: فحكى ذلك لأبيه فقال: يا بني آجرني الله فيك! إن جعفرًا أخبرني أنك صاحب حجر الزناير).

وفي بعضها أن علي بن سعيد قال للإمام الصادق عليه السلام: (جعلت فداك إن عبد الله بن الحسن يقول: ما لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد كلام: أما تعجبون من عبد الله يزعم أن أباه علياً عليه السلام لم يكن إماماً! ويقول: إنه ليس عندنا علم، وصدق والله ما عنده علم! ولكن والله وأهوى بيده إلى صدره إن عندنا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ودرعه، وعندنا والله مصحف فاطمة عليها السلام، ما فيه آية من كتاب الله، وإنه لمن إمام رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده، والجفر، وما يدرون ما هو: مسك شاة أو مسك بعير).

وفي بعضها عن محمد بن عبد الله بن علي أنه قال: (... العجب لعبد الله بن الحسن إنه يهزأ ويقول: هذا في جفركم الذي تدعون! فغضب أبو عبد الله عليه السلام فقال: العجب لعبد الله بن الحسن يقول: ليس فينا إمام صدق! ما هو بإمام ولا كان أبوه إماماً. يزعم أن علي بن أبي طالب لم يكن إماماً ويردد ذلك. وأما قوله في الجفر فإنها هو جلد ثور مذبوح كالجراب فيه كتب، وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام، إمام رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده، وفيه مصحف فاطمة عليها السلام ما فيه آية من القرآن، وإن عندي خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه وسيفه ولواءه. وعندني الجفر، على رغم أنف من رُغم).

وفي بعضها أن الإمام الصادق عليه السلام لقي محمداً هذا في الطريق فدعا الإمام إلى منزله فأبى أن يذهب وأرسل معه ولده إسما عيل عليه السلام، وأومأ له أن يصمت: (فلما انتهى إلى منزله أعاد إليه

الرسول ليأتيه، فأبى، فضحك محمد ثم قال: ما منعه من إتياني إلا أنه ينظر في الصحف! قال: فرجع إسماعيل فحكى لأبي عبد الله الكلام فأرسل رسولاً من قبله وقال: إن إسماعيل أخبرني بما كان منك وقد صدقت، إني أنظر في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى، فسل نفسك وأباك هل ذلك عندكما؟ قال: فلما أن بلغه الرسول سكت فلم يجب بشيء).

وفي بعضها أن عبد الخالق بن عبد ربه قال للإمام الصادق عليه السلام: إن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ذكر أنك تقول إن عندك كتاب علي عليه السلام، وقد نفى أن يكون علي عليه السلام ترك كتاباً! فقال عليه السلام: (ما هو والله كما يقولون، إنهما جفران مكتوب فيهما، لا والله إنهما لإهابان عليهما أصوافهما وأشعارهما، مدحوسين كتباً في أحدهما، وفي الآخر سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله.. الخ).
وفي بعضها (عن عبيد بن زرارة قال: لقيت أبا عبد الله عليه السلام في السنة التي خرج فيها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، فقلت له: جعلت فداك، إن هذا قد أَلَفَ الكلام وسارع الناس إليه فما الذي تأمر به؟ قال: فقال: إتقوا الله واسكنوا ما سكنت السماء والأرض) أي سكنت السماء من النداء، والأرض من الخسف.. الخبر.

وفي بعضها أنه (وقع بين جعفر عليه السلام وعبد الله بن الحسن كلام في صدر يوم فأغلظ له في القول عبد الله بن حسن، ثم افترقا وراحا إلى المسجد، فالتقيا على باب المسجد، فقال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام لعبد الله بن الحسن: كيف أمسيت يا أبا محمد؟ فقال: بخير كما يقول المغضب! فقال: يا أبا محمد أما علمت أن صلة الرحم تخفف الحساب فقال: لا تزال تجيء بالشئ لا نعرفه، قال: فإني أتلو عليك به قرأناً قال: وذلك أيضاً؟ قال: نعم، قال: فهاته، قال: قول الله عز وجل: وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ. قال: فلا تراني بعدها قاطعاً رحماً).

وفي بعضها ذم الحسن المثلث الذي مات معه في السجن، ففي رجال الكشي (٢/٦٥١): (عن سليمان بن خالد قال: لقيت الحسن بن الحسن فقال: أما لنا حق؟ أما لنا حرمة؟ إذا اخترتم منا رجلاً واحداً كفاكم! فلم يكن عندي له جواب، فلقيت أبا عبد الله عليه السلام فأخبرته بما كان من قوله لي، فقال لي: إلقه، فقل له: أتيناكم فقلنا: هل عندكم ما ليس عند غيركم؟ فقلتم

لا، فصدقناكم وكنتم أهل ذلك. وأتينا بني عمكم فقلنا هل عندكم ما ليس عند الناس؟ فقالوا: نعم، فصدقناهم وكانوا أهل ذلك!

قال: فلقيته فقلت له ما قال لي، فقال لي الحسن: فإن عندنا ما ليس عند الناس، فلم يكن عندي شيء، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فأخبرته فقال لي: إلقه وقل: إن الله عز وجل يقول في كتابه: **إِنْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنَارِقَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**. فاقعدوا لنا حتى نسألكم! قال: فلقيته فحاججته بذلك، فقال لي: أفما عندكم شيء إلا تعيبنوا؟ إن كان فلان (يعني الصادق عليه السلام) تفرغ وشغلنا، فذاك الذي يذهب بحقنا!).



موسى بن عبد الله بن الحسن يتحدث عن موقف الإمام الصادق عليه السلام

من نصوص الموضوع رواية موسى بن عبد الله بن الحسن، التي روى بعضها الطبري (١٨٨/٦) ورواها في الكافي (٣٤٣/١) بعنوان: باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

روى أحاديث مليئة بالفوائد، منها هذا الحديث عن عبد الله بن إبراهيم بن محمد الجعفري قال: (أتينا خديجة بنت عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب نعزيها بابن بنتها فوجدنا عندها موسى بن عبد الله بن الحسن، فإذا هي في ناحية قريباً من النساء فعزيناهم، ثم أقبلنا عليه فقال موسى بن عبد الله: والله لأخبرنكم بالعجب! رأيت أبي عليه السلام (عبد الله بن الحسن المثنى) لما أخذ في أمر محمد بن عبد الله وأجمع على لقاء أصحابه فقال: لا أجد هذا الأمر يستقيم إلا أن ألقى أبا عبد الله جعفر بن محمد، فانطلق وهو متكئ عليّ فانطلقت معه حتى أتينا أبا عبد الله، فلقيناه خارجاً يريد المسجد فاستوقفه أبي وكلمه فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ليس هذا موضع ذلك نلتقي إن شاء الله. فرجع أبي مسروراً ثم أقام حتى إذا كان الغد أو بعده بيوم انطلقنا حتى أتينا فدخل عليه أبي وأنا معه، فابتدأ الكلام ثم قال له فيما يقول: قد علمت جعلت فداك أن السن لي عليك، فإن في قومك من هو أسن منك، ولكن الله عز وجل قد قدم لك فضلاً ليس هو لأحد من قومك، وقد جئتكم معتمداً لما أعلم من برك

وأعلم فديتك أنك إذا أجبتي لم يتخلف عني أحد من أصحابك، ولم يختلف علي اثنان من قريش ولا غيرهم. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنك تجد غيري أطوع لك مني ولا حاجة لك فيّ، فوالله إنك لتعلم أي أريد البادية أو أهم بها فأثقل عنها، وأريد الحج فما أدركه إلا بعد كد وتعب ومشقة على نفسي، فاطلب غيري وسله ذلك ولا تعلمهم أنك جئتني.

فقال له: إن الناس ما دؤن أعناقهم إليك وإن أجبتي لم يتخلف عني أحد، ولك أن لا تكلف قتالاً ولا مكروهاً. قال: وهجم علينا ناس فدخلوا وقطعوا كلامنا، فقال أبي: جعلت فداك ما تقول؟ فقال: نلتقي إن شاء الله، فقال: أليس على ما أحب؟ قال: على ما تحب إن شاء الله من إصلاح حالك. ثم انصرف حتى جاء البيت فبعث رسولاً إلى محمد في جبل بجهينة يقال له الأشقر، على ليلتين من المدينة، فبشره وأعلمه أنه قد ظفر له بوجه حاجته وما طلب، ثم عاد بعد ثلاثة أيام فوقفنا بالباب ولم نكن نحجب إذا جئنا، فأبطأ الرسول ثم أذن لنا، فدخلنا عليه فجلست في ناحية الحجرة ودنا أبي إليه فقبل رأسه ثم قال: جعلت فداك قد عدت إليك راجياً مؤملاً قد انبسط رجائي وأملي، ورجوت الدرك لحاجتي. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن عم إني أعيدك بالله من التعرض لهذا الأمر الذي أمسيت فيه، وإني لخائف عليك أن يكسبك شراً، فجرى الكلام بينهما حتى أفضى إلى ما لم يكن يريد، وكان من قوله: بأي شيء كان الحسين أحق بها من الحسن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: رحم الله الحسن ورحم الحسين وكيف ذكرت هذا؟ قال: لأن الحسين كان ينبغي له إذا عدل، أن يجعلها في الأسن من ولد الحسن! فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لما أن أوحى إلى محمد صلى الله عليه وآله أوحى إليه بما شاء ولم يؤامر أحداً من خلقه، وأمر محمد صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بما شاء ففعل ما أمر به، ولسنا نقول فيه إلا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله من تبجيله وتصديقه فلو كان أمر الحسين عليه السلام أن يصيرها في الأسن، أو ينقلها في ولدهما يعني الوصية لفعل ذلك الحسين، وما هو بالمتهم عندنا في الذخيرة لنفسه، ولقد ولى وترك ذلك، ولكنه مضى لما أمره جدك وعمك، فإن قلت خيراً فما أولاك به، وإن قلت هجراً فيغفر الله لك، أظعني يا ابن عم

واسمع كلامي، فوالله الذي لا إله إلا هو لا ألوك نصحاً وحرصاً، فكيف ولا أراك تفعل وما لأمر الله من مردّ. فسرّ أبي عند ذلك. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: والله إنك لتعلم أنه الأحول الأَكْشَفُ الأَخْضَرُ المَقْتُولُ بسدة أشجع بين دورها عند بطن مسيلها، فقال أبي: ليس هو ذاك، والله لنجازين باليوم يوماً وبالساعة ساعة وبالسنّة سنة، ولنقوم من بثار بني أبي طالب جميعاً. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يغفر الله لك ما أخوفني أن يكون هذا البيت يلحق صاحبنا: مَتَّكَ نَفْسُكَ فِي الحَلَاءِ ضاللاً! لا والله لا يملك أكثر من حيطان المدينة ولا يبلغ عمله الطائف إذا أحفل، يعني إذا أجهد نفسه، وما للأمر من بد أن يقع فاتق الله وارحم نفسك وبني أبيك، فوالله إني لأراه أشأم سلحة أخرجتها أصلاب الرجال إلى أرحام النساء! والله إنه المقتول بسدة أشجع بين دورها، والله لكأني به صريعاً مسلوباً بزته، بين رجله لبنة، ولا ينفع هذا الغلام ما يسمع! قال موسى بن عبد الله: يعنيني! وليخرجن معه فينهزم ويُقتل صاحبه، ثم يمضي فيخرج مع راية أخرى، فيقتل كبشها ويتفرق جيشها، فإن أطاعني فليطلب الأمان عند ذلك من بني العباس حتى يأتيه الله بالفرج! ولقد علمت بأن هذا الأمر لا يتم، وإنك لتعلم ونعلم أن ابنك الأحول الأَخْضَرُ الأَكْشَفُ المَقْتُولُ بسدة أشجع، بين دورها عند بطن مسيلها!

فقام أبي وهو يقول: بل يغني الله عنك، ولتعودن أو ليفى الله بك وبغيرك، وما أردت بهذا إلا امتناع غيرك، وأن تكون ذريعتهم إلى ذاك!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: الله يعلم ما أريد إلا نصحك ورشدك، وما عليّ إلا الجهد! فقام أبي يجر ثوبه مغضباً فلحقه أبو عبد الله عليه السلام فقال له: أخبرك أني سمعت عمك وهو خالك يذكر أنك وبني أبيك ستقتلون، فإن أطعتني ورأيت أن تدفع بالتي هي أحسن فافعل، ووالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الكبير المتعال على خلقه، لو ددت أني فديتك بولدي وبأحبهم إليّ وبأحب أهل بيتي إليّ، ما يعدلك عندي شئ، فلا ترى أني غششتك! فخرج أبي من عنده مغضباً أسفاً!

قال: فما أقمنا بعد ذلك إلا قليلاً عشرين ليلة أو نحوها، حتى قدمت رسل أبي جعفر فأخذوا أبي وعمومتي سليمان بن حسن، وحسن بن حسن، وإبراهيم بن حسن، وداود بن حسن، وعلي بن حسن، وسليمان بن داود بن حسن، وعلي بن إبراهيم بن حسن، وحسن بن جعفر بن حسن، وطباطبا إبراهيم بن إسماعيل بن حسن، وعبد الله بن داود، وقال: فضفدوا في الحديد، ثم حملوا في محامل أعراء لا وطاء فيها، ووقفوا بالمصلى لكي يشتمهم الناس قال: فكفَّ الناس عنهم ورفقوا لهم للحال التي هم فيها، ثم انطلقوا بهم حتى وقفوا عند باب مسجد رسول الله ﷺ.

قال عبد الله بن إبراهيم الجعفري: فحدثنا خديجة بنت عمر بن علي أنهم لما أوقفوا عند باب المسجد، الباب الذي يقال له باب جبرئيل، أطلع عليهم أبو عبد الله ﷺ وعامة رداءه مطروح بالأرض، ثم اطلع من باب المسجد فقال: لعنكم الله يا معشر الأنصار، ثلاثاً، ما على هذا عاهدتم رسول الله ﷺ، ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصاً ولكنني غلبت، وليس للقضاء مدفع، ثم قام وأخذ إحدى نعليه فأدخلها رجله والأخرى في يده، وعامة رداءه يجره في الأرض، ثم دخل في بيته فحُمَّ عشرين ليلة لم يزل يبكي فيها الليل والنهار، حتى خفنا عليه! فهذا حديث خديجة.

قال الجعفري: وحدثنا موسى بن عبد الله بن الحسن أنه لما طلع بالقوم في المحامل قام أبو عبد الله ﷺ من المسجد ثم أهوى إلى المحمل الذي فيه عبد الله بن الحسن يريد كلامه، فمنع أشد المنع وأهوى إليه الحرس فدفعه وقال: تنح عن هذا فإن الله سيكفيك ويكفي غيرك، ثم دخل بهم الزقاق! ورجع أبو عبد الله ﷺ إلى منزله فلم يبلغ بهم البقيع حتى ابتلي الحرسى بلاء شديداً! رحمته ناقته فدقت وركه فمات فيها ومضى القوم.

فأقمنا بعد ذلك حيناً، ثم أتى محمد بن عبد الله بن الحسن، فأخبر أن أباه وعمومته قتلوا، قتلهم أبو جعفر، إلا حسن بن جعفر، وطباطبا، وعلي بن إبراهيم وسليمان بن داود، وداود بن حسن وعبد الله بن داود، قال: فظهر محمد بن عبد الله عند ذلك ودعا الناس لبيعتة، قال:

فكنت ثالث ثلاثة بايعوه واستوثق الناس لبيعته، ولم يختلف عليه قرشي ولا أنصاري ولا عربي.
قال: وشاور عيسى بن زيد وكان من ثقاته، وكان على شرطته فشاوره في البعثة إلى وجوه
قومه فقال له عيسى بن زيد: إن دعوتهم دعاء يسيراً لم يجيئك أو تغلظ عليهم، فخلني
وإياهم. فقال له محمد: إمض إلى من أردت منهم فقال: إبعث إلى رئيسهم وكبيرهم يعني
أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فإنك إذا أغلظت عليه علموا جميعاً أنك ستمرهم على
الطريق التي أمرت عليها أبا عبد الله! قال: فوالله ما لبثنا أن أتى بأبي عبد الله عليه السلام حتى
أوقف بين يديه فقال له عيسى بن زيد: أسلم تسلم، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أحدثت
نبوة بعد محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال له محمد: لا، ولكن بايع تأمن على نفسك ومالك وولدك ولا
تكلفن حرباً. فقال له أبو عبد الله: ما فيَّ حرب ولا قتال، ولقد تقدمت إلى أبيك وحذرتك
الذي حاق به ولكن لا ينفع حذر من قدر، يا ابن أخي عليك بالشباب ودع عنك الشيوخ.
فقال له محمد: ما أقرب ما بيني وبينك في السن، فقال له أبو عبد الله: إني لم أعازك ولم
أجئ لأتقدم عليك في الذي أنت فيه، فقال له محمد: لا والله لا بد من أن تبايع، فقال له
أبو عبد الله عليه السلام: ما فيَّ يا ابن أخي طلب ولا هرب، وإني لأريد الخروج إلى البادية فيصدمني
ذلك ويثقل عليّ حتى يكلمني في ذلك الأهل غير مرة، وما يمنعني منه إلا الضعف، والله
والرحم أن تدبر عنا ونشقى بك!

فقال له: يا أبا عبد الله قد والله مات أبو الدوانيق يعني أبا جعفر! فقال له أبو عبد الله:
وما تصنع بي وقد مات؟ قال: أريد الجمل بك، قال: ما إلى ما تريد سبيل، لا والله ما
مات أبو الدوانيق إلا أن يكون مات موت النوم! قال: والله لتبايعني طائعاً، أو مكرهاً ولا
تحمد في بيعتك! فأبى عليه إباءً شديداً فأمر به إلى الحبس! فقال له عيسى بن زيد: أما إن
طرحناه في السجن وقد خرب السجن وليس عليه اليوم غلق خفنا أن يهرب منه فضحك
أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أو تراك تسجنني؟! قال:
نعم والذي أكرم محمد صلى الله عليه وآله بالنبوة لأسجننك ولأشددن عليك!

فقال عيسى بن زيد: إحبسوه في المخبأ، وذلك دار ربطة اليوم، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله إني سأقول ثم أصدق، فقال له عيسى بن زيد: لو تكلمت لكسرت فمك! فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله يا أكرش يا أزرقي، لكأني بك تطلب لنفسك جُحراً تدخل فيه! وما أنت في المذكورين عند اللقاء! وإني لأظنك إذا صُفِّق خلفك طرت مثل الهيق النافر، فنفر عليه محمد بانتهار: إحبسه وشدد عليه وأغلظ عليه!

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله لكأني بك خارجاً من سدة أشجع إلى بطن الوادي وقد حمل عليك فارس معلم، في يده طرادة نصفها أبيض ونصفها أسود، على فرس كميت أقرح قطعنك فلم يصنع فيك شيئاً، وضربت خيشوم فرسه فطرحته وحمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبي عمار الدثليين، عليه غدירתان مصفورتان قد خرجتا من تحت بيضته كثير شعر الشاربين فهو والله صاحبك فلا رحم الله رمته! فقال له محمد: يا أبا عبد الله حَسَبْتَ فأخطأت! وقام إليه السراقي ابن سلخ الحوت فدفع في ظهره حتى أدخل السجن! واصطفى ما كان له من مال وما كان لقومه ممن لم يخرج مع محمد!

قال: فطلع بإسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو شيخ كبير ضعيف قد ذهب إحدى عينيه وذهب رجلاه وهو يحمل حملاً، فدعاه إلى البيعة فقال له: يا ابن أخي إني شيخ كبير ضعيف، وأنا إلى برك وعونك أحوج! فقال له: لا بد من أن تباع، فقال له: وأي شيء تنتفع ببيعتي، والله إني لأضيق عليك مكان إسم رجل إن كتبتة! قال: لا بد لك أن تفعل، فأغلظ عليه في القول فقال له إسماعيل: أدع لي جعفر بن محمد فلعلنا نباع جميعاً. قال: فدعا جعفر عليه السلام فقال له إسماعيل: جعلت فداك إن رأيت أن تبين له فافعل، لعل الله يكفه عنا، قال: قد أجمعتُ ألا أكلمه فليَرَ في رأيه! فقال إسماعيل لأبي عبد الله عليه السلام: أنشدك الله هل تذكر يوماً أتيت أباك محمد بن علي عليه السلام وعليّ حلتان صفراوان، فأدام النظر إليّ ثم بكى، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال لي: يبكيني أنك تقتل عند كبر سنك ضياعاً، لا ينتطح في دمك عزان! قال: فقلت: متى ذاك؟ قال: إذا دعيت إلى الباطل فأبیته، وإذا نظرت إلى أحول

مشوم قومه ينتمي من آل الحسن على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو إلى نفسه قد تسمى بغير اسمه، فأحدث عهدك وكتب وصيتك فإنك مقتول من يومك أو من غد؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: نعم وهذا ورب الكعبة لا يصوم من شهر رمضان إلا أقله، فأستودعك الله يا أبا الحسن، وأعظم الله أجرنا فيك، وأحسن الخلاقة على من خلفت، وإنا لله وإنا إليه راجعون! قال: ثم احتُمل إسماعيلُ، ورُدَّ جعفر إلى الحبس. قال: فوالله ما أمسينا حتى دخل عليه بنو أخيه بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر فتوطؤوه حتى قتلوه! وبعث محمد بن عبد الله إلى جعفر عليه السلام فخلى سبيله! قال: وأقمنا بعد ذلك حتى استهللنا شهر رمضان، فبلغنا خروج عيسى بن موسى يريد المدينة، قال: فتقدم محمد بن عبد الله على مقدمته يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وكان على مقدمة عيسى بن موسى ولد الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن، وقاسم، ومحمد بن زيد، وعلي وإبراهيم بنو الحسن بن زيد، فهزم يزيد بن معاوية، وقدم عيسى بن موسى المدينة، وصار القتال بالمدينة، فنزل بذباب، ودخلت علينا المسودة من خلفنا، وخرج محمد في أصحابه حتى بلغ السوق فأوصلهم ومضى، ثم تبعهم حتى انتهى إلى مسجد الخوامين، فنظر إلى ما هناك فضاء ليس مسود ولا مبيض، فاستقدم حتى انتهى إلى شعب فزاره ثم دخل هذيل، ثم مضى إلى أشجع، فخرج إليه الفارس الذي قال أبو عبد الله عليه السلام من خلفه من سكة هذيل فطعنه فلم يصنع فيه شيئاً، وحمل على الفارس وضرب خيشوم فرسه بالسيف فطعنه الفارس فأنفذه في الدرع وانثنى عليه محمد فضربه فأثخنه، وخرج إليه حميد بن قحطبة وهو مدبر على الفارس يضربه من زقاق العماريين، فطعنه طعنة أنفذ السنان فيه فكسر الرمح وحمل على حميد، فطعنه حميد بزج الرمح فصرعه، ثم نزل فضربه حتى أثخنه وقتله وأخذ رأسه، ودخل الجند من كل جانب وأخذت المدينة، وأجلينا هرباً في البلاد.

قال موسى بن عبد الله: فانطلقت حتى لحقت بإبراهيم بن عبد الله، فوجدت عيسى بن زيد مكمناً عنده فأخبرته بسوء تدبيره، وخرجنا معه حتى أصيب، ثم مضيت مع ابن أخي

الأشتر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن حتى أصيب بالسند، ثم رجعت شريداً طريداً تضيق عليّ البلاد، فلما ضاقت علي الأرض واشتد الخوف، ذكرت ما قال أبو عبد الله عليه السلام فجئت إلى المهدي وقد حج وهو يحطب الناس في ظل الكعبة، فما شعر إلا وأني قد قمت من تحت المنبر فقلت: لي الأمان يا أمير المؤمنين وأدلك على نصيحة لك عندي؟ فقال: نعم، ما هي؟ قلت: أدلك على موسى بن عبد الله بن حسن، فقال: نعم لك الأمان فقلت له: أعطني ما أثق به، فأخذت منه عهداً ومواثيق ووثقت لنفسي، ثم قلت: أنا موسى بن عبد الله، فقال لي: إذا تكرم وتجبي! فقلت له: أقطعني إلى بعض أهل بيتك يقوم بأمرى عندك. فقال: أنظر إلى من أردت فقلت: عمك العباس بن محمد فقال العباس: لا حاجة لي فيك! فقلت: ولكن لي فيك الحاجة أسألك بحق أمير المؤمنين لإقبلتني قبلتني شاء أو أبى، وقال لي المهدي: من يعرفك وحواله أصحابنا أو أكثرهم فقلت: هذا الحسن بن زيد يعرفني، وهذا موسى بن جعفر يعرفني، وهذا الحسن بن عبيد الله بن عباس يعرفني. فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين كأنه لم يغيب عنا! ثم قلت للمهدي: يا أمير المؤمنين لقد أخبرني بهذا المقام أبو هذا الرجل، وأشرت إلى موسى بن جعفر عليه السلام. قال موسى بن عبد الله: وكذبت على جعفر كذبة فقلت له: وأمرني أن أقرئك السلام وقال: إنه إمام عدل وسخاء، قال: فأمر لموسى بن جعفر عليه السلام بخمسة آلاف دينار، فأمر لي موسى عليه السلام منها بألفي دينار، ووصل عامة أصحابه ووصلني فأحسن صلتني! فحيث ما ذكر ولد محمد بن علي بن الحسين فقولوا: صلى الله عليهم وملائكته وحمله عرشه والكرام الكاتبون، وخصوصاً أبا عبد الله عليه السلام بأطيب ذلك، وجزى موسى بن جعفر عني خيراً فأنا والله مولاهم بعد الله).

ملاحظات

١ - هذه الرواية تكشف موقف عبد الله بن الحسن المثنى وأولاده وأتباعه من إمامة الإمام الصادق وبقية الأئمة الحسينيين عليهم السلام.

فهو يرى أن الإمام الحسن عليه السلام أكبر سنناً من الإمام الحسين عليه السلام فبناؤه أولى بالإمامة، وكان

الواجب على الحسين عليه السلام أن يجعلها بعده في أكبر أولاد أخيه، وقد أخطأ واستأثر عندما جعلها في ابنه علي بن الحسين عليه السلام!

وهذا هو التفكير القرشي القبلي في الإمامة، كأنها مقام يختاره الناس فيجب أن يخضع لمقاييس القبيلة والعرف الاجتماعي! مع أنها اختياراً من الله تعالى وعصمة وعلم واجتباء لادخل للبشر فيها!

ومنطق عبد الله بن الحسن نفس منطق هشام الأحول مع الإمام الباقر عليه السلام عندما قال له: (أليس الله بعث محمداً من شجرة عبد مناف إلى الناس كافة أبيضها وأسودها وأحمرها، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم، ورسول الله مبعوث إلى الناس كافة؟ ومن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد نبي وما أتم أنبياء!). وهو نفس منطق قريش الجاهلي الذي استعملته مع النبي صلى الله عليه وآله، واستعملته مع عترته المعصومين عليهم السلام!

لاحظ جرأة عبد الله على عمه الحسين عليه السلام: (لأن الحسين كان ينبغي له إذا عدل أن يجعلها في الأسن من ولد الحسن! فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لما أن أوحى إلى محمد صلى الله عليه وآله أوحى إليه بما شاء ولم يؤامر أحداً من خلقه، وأمر محمد علياً بما شاء ففعل ما أمر به، ولسنا نقول فيه إلا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله من تجليله وتصديقه، فلو كان أمر الحسين أن يصيرها في الأسن أو ينقلها في ولدهما يعني الوصية، لفعل ذلك الحسين، وما هو بالمتهم عندنا في الذخيرة لنفسه).

فعبد الله يتهم عمه الإمام الحسين عليه السلام بأنه استأثر لأولاده بالإمامة! مع أنه يشهد أن النبي صلى الله عليه وآله قال فيه وفي أخيه: (الحسن والحسين سيدا أهل الجنة)! وهو يعرف أن سيد شباب أهل الجنة لا يمكن أن يظلم صاحب حق، ولا أن يكون أنانياً لأولاده!

لكنه الحسد لأبناء عمه أبناء الحسين عليه السلام الذي جعله يتهم المعصوم ويعترض على ربه! قال عز وجل: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. وقوله تعالى: أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ!

٢- نلاحظ في أحداث القصة، البصيرة الربانية عند الإمام الصادق عليه السلام ويقينه بما سيحدث، فهو يصفه كمن يشاهده أمامه، فيقع كما أخبر به عليه السلام لا يخرم عنه بشعرة! ونلاحظ في المقابل إيمان عبدالله وأولاده بما يقوله الصادق عليه السلام عن مستقبلهم، وإن أظهروا التشكيك والمكابرة، ولذا قال له عليه السلام: (والله إنك لتعلم..).

٣- لا يغرك أدب عبدالله وأولاده مع الإمام الصادق عليه السلام عند حاجتهم الى تأييده، لأنهم يعرفون أن شعبيته أوسع من شعبيتهم وأعمق، ولذلك يقول له عبدالله: (إن الناس مآذون أعناقهم إليك، وإن أجبتني لم يتخلف عني أحد، ولك أن لا تكلف قتالاً ولا مكروهاً). وعندما ردهم الإمام عليه السلام رداً جميلاً لينا، ووعدهم بعدم معارضتهم، كشفوا عن حقيقتهم التي لا تختلف بشيء عن حقيقة جابرة بني أمية! فهم يثورون على بني أمية للنهي عن المنكر بزعمهم، وأول عملهم أنهم يجبرون المسلمين على بيعتهم، ولا يتورعون عن قتل ابن عمهم الشيخ الهرم: (إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو شيخ كبير ضعيف، قد ذهبت إحدى عينيه وذهبت رجلاه، وهو يُحمل حملاً!) فقتلوه ظلماً وعدواناً لمجرد أنه لم يبايع محمدهم المتسمي بالمهدي!

وأهانوا الإمام الصادق عليه السلام وحبسوه لأنه لم يبايعهم ودفعوه في ظهره وأدخلوه السجن! وصادروا أمواله وأموال كل من لم يبايعهم! وربما أرادوا قتله فأنجاه الله بكرامة لم تصل إلينا! فأبي عدل يريد أن يملأ به الأرض هذا المهدي المزعوم!؟

إن المكتوب يقرأ من عنوانه، وعنوانه الظلم المتعمد لمن يعرفون مكانته وحرمة! ولك أن تقدر ما تحمله الإمام الباقر عليه السلام والأئمة المعصومون عليهم السلام من أقاربهم المخالفين وكل ذنبهم أن الله اختارهم للإمامة ولم يختَر أولئك!

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم... أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم،

وأدخلنا وأخرجهم)! (نهج البلاغة: ١/٨٢، ٢/٢٧).

٤- وصف الإمام الصادق عليه السلام محمد بن عبدالله الذي ادعى المهديّة بأوصاف شديدة كما رأيت، وفيها قوله لأبيه: (والله إنك لتعلم أنه الأحول الأَكشف الأخضر المقتول بسدة أشجع بين دورها عند بطن مسيلها)!

واستشهد بيت الأخطل الذي يهجو به جريراً:

فانق بضأنك يا جرير فإنما مَتَّكَ نفسُك في الخلاء ضلالاً!

(والمعنى إنك يا جرير من رعاة الغنم لا من الأشراف، وما مَتَّكَ نفسك به في الخلاء أنك من العظماء، فضلال باطل). (خزانة الأدب: ١١/١٤٠، وأمالى المرتضى: ١/١٥٧. وقد غلط في تفسيره في البحار: ٤٧/٢٨٩، وشرح الكافي: ٦/٣١٤).

ومعناه أن نفسك منتك يا محمد بأنك المهدي وأنك تحكم وتقيم العدل، وكلاهما من أمانى الباطل!

٥- عين أبي زياد التي صادروها: بساتين أنشأها الإمام الصادق عليه السلام قرب المدينة، ففي تاريخ المدينة لعمر بن شبة (١/١٧٢) أن سيول المدينة تنحدر وتجتمع عند إضم الذي سمي به لانضمام السيول إليه: (ثم تجتمع فتنحدر على عين أبي زياد، ثم تنحدر فيلقاها شعاب يمنا ويسرة). وفي تاج العروس: ١٨/٤١٣، أنها عند وادي نعمان.

وقال الشيخ الأنصاري رحمته الله: (يظهر من بعض الأخبار أن عين زياد كانت ملكاً لأبي عبدالله عليه السلام). (المكاسب: ٢/٢١٠، الوسائل: ٦/١٤٠).

وفي الكافي (٣/٥٦٩) أن غلَّتْها كانت أربعة آلاف دينار، وأن الإمام الصادق عليه السلام كان يقسمها ويبقى له أربع مائة دينار.

وفي الطبري (٦/٢٠٥): (كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى: من لقيك من آل أبي طالب فاكتب إلي باسمه، ومن لم يلقك فاقبض ماله. قال: فقبض عين أبي زياد وكان جعفر بن

محمد تغيب عنه، فلما قدم أبو جعفر كلمه جعفر، وقال: مالي قد قبضه مهديكم)! وقد ذكَّره الإمام عليه السلام ببيعته لمحمد المهدي الحسيني، وأنه كان يأخذ بركابه ويمشي معه كالخادم ويقول: هذا مهدينا أهل البيت، وكان الإمام عليه السلام ينهاهم عن ذلك! وهذا يدل على أن والي المدينة أخذ عين زياد من أموال مهدي الحسينين.

وفي الطبري (٦/٢٢٤): (فقال: يا أمير المؤمنين ردَّ عليَّ قطيعتي عين أبي زياد آكل من سعفها. قال: إياي تكلم بهذا الكلام، والله لأزهقن نفسك! قال: فلا تعجل عليَّ قد بلغت ثلاثاً وستين وفيها مات أبي وجدي وعلي بن أبي طالب! وعلي كذا وكذا إن ربُّك بشيء أبداً، وإن بقيت بعدك إن ربُّ الذي يقوم بعدك. قال: فرق له وأعفاه.

وحدثني هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد قال: لم يردَّ أبو جعفر المنصور عين أبي زياد حتى مات، فردها (ابنه) المهدي على ولده). ونحوه تاريخ الإسلام للذهبي (٩/٣١).

وفي مقاتل الطالبين/ ١٨٤، عن الرومي مولى جعفر بن محمد قال: (أرسلني جعفر بن محمد عليه السلام أنظر ما يصنعون؟ فجئته فأخبرته أن محمداً قتل، وأن عيسى قبض على عين أبي زياد، فنكس طويلاً ثم قال: ما يدعو عيسى إلى أن يسبنا ويقطع أرحامنا! فوالله لا يذوق هو ولا ولده منها شيئاً أبداً).

وفي الكافي (٥/٢٢٩) أن أحدهم أراد أن يشتري تمرها من السلطة فبعث يسأل الإمام عليه السلام عن ذلك فأجاب: (يشتره فإنه إن لم يشتره اشتراه غيره).

٦- يُعرف راوي القصة عليه السلام موسى بن عبدالله بن الحسن المثنى بموسى الجون، لسمرته وله أولاد كثيرون ولعله أكثر الحسينيين ذرية، ومن أولاده المشهورين عبدالله بن موسى بن عبدالله الذي طلبه المأمون فتوارى عنه فكتب له يعطيه الأمان ويضمن له أن يوليه العهد بعده، فأجابه: (وصل كتابك وفهمته تحتلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال علي حيلة المعتال القاصد لسفك دمي، وعجبت من بذلك العهد وولايته لي بعدك، كأنك

تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، ففي أي شيء ظننت أني أرغب من ذلك.. أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا! فلم أجد أضر على الاسلام منك، لأن الكفار أظهروا كفرهم فاستبصر الناس في أمرهم، وعرفوهم فخافوهم، وأنت ختلت المسلمين بالاسلام وأسرت الكفر فقتلت بالظنة وعاقبت بالتهمة وأخذت المال من غير حله فأنفقت في غير حله، وشربت الخمر المحرمة صراحاً وأنفقت مال الله على الملهين وأعطيته المغنين. فإن يسعدني الدهر ويُعني الله عليك بأنصار الحق أبذل نفسي في جهادك بدلاً يرضيه مني، وإن يمهلك ويؤخرك فحسبي من سعبي ما يعلمه الله عز وجل من نيتي. ولم يزل متوارياً إلى أن مات في أيام المتوكل). (مقاتل الطالبين/ ٦٣٠).

ومن أولاده بنو الأخيضر، الذين حكموا اليمامة مدة، وأغاروا على مكة والمدينة مراراً ثم حكموا الحرمين. (ابن خلدون: ٩٨/٤، وسر السلسلة العلوية/ ٩).

وقد ترجمت له المصادر ووثقه ابن شبة والخطيب وابن معين. (تاريخ الذهبي: ١٣/٤١٦).

أقول: طبعي أن يتوقف فيه بعضهم كالبخاري لأن مروياته شديدة عليهم، ففيها أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر وعمر أن يسلموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين! وفيها أن الله تعالى اختار علياً عليه السلام خليفة: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عُرج بي إلى السماء وصرت إلى سدرة المنتهى أوحى الله إليّ: يا محمد قد بلوت خلقي فمن وجدت أطوعهم؟ قلت: يا رب علياً. قال: صدقت يا محمد. ثم قال: هل اخترت لأمتك خليفة من بعدك يعلمهم ما جهلوا من كتابي ويؤدي عني؟ قلت: اللهم اختر لي فإن اختيارك خير من اختياري. قال: قد اخترت لك علياً). (نوادير المعجزات للطبري/ ٧٤، ومناقب محمد بن سليمان: ٢/٢٧١، ومقاتل الطالبين/ ٢٥٩، و٢٩٠، و٤١٥، و٤٣٧، وشرح الأخبار: ٣/٣٢٦، وعمدة الطالب/ ١١١، والبحار: ٢٨/٣١٦، و: ٣٠/٣٨٦، ومعجم السيد الخوئي: ٢٠/٥٥).

٧- مع أن عبد الله بن الحسن المثنى كان يملك قدرة تأثير وإقناع يضرب بها المثل لكنه لم يؤثر على كل أولاده، فكان منهم ومن ذريتهم شيعة للإمام الصادق عليه السلام. وابنه موسى

صاحب القصة نموذج لمن تجعفر منهم لما رآه من آيات. ويظهر أن أفضل الحسينين وأعمقهم إيماناً وتشيعاً شهيد فخر الله وهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الإمام الحسن عليه السلام، الذي ثار على الدولة العباسية عندما أمعنت في إبادة أبناء علي وفاطمة عليهما السلام، وقد أثنى عليه الأئمة عليهم السلام.

٨- تضمنت الرواية أن عبدالله بن الحسن كان أكبر سنّاً من الإمام الصادق عليه السلام وذكر في مقاتل الطالبين / ١٢٥ أن عبدالله بن الحسن توفي سنة ١٤٥، وله خمس وسبعون سنة، فولادته نحو السبعين هجرية، بينها ولادة الإمام الصادق عليه السلام سنة ثمانين هجرية، أما مهدي الحسينين محمد بن عبدالله فولد سنة ثلاث وتسعين أو خمس وتسعين، فيكون الإمام الصادق عليه السلام أكبر من محمد هذا ببضع عشرة سنة.

٩- تضمنت الرواية دعاء الإمام الصادق عليه السلام على الأنصار ولعنه من لم يف منهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يحموا ذريته مما يحمون منه أنفسهم وذرائعهم! قال عليه السلام: (لعنكم الله يا معشر الأنصار، ثلاثاً، ما على هذا عاهدتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا بايعتموه).

وقد تكرر هذا الإحتجاج من الأئمة عليهم السلام على الأنصار وقريش لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ منهم بيعة العقبة على حمايته وحماية ذريته وأن لا ينازعا الأمر أهله. وبنحوها كانت بيعة الشجرة! فكان يجب على الأنصار أن يقاوموا السقيفة وظلم قريش وبني أمية لأهل البيت عليهم السلام، ولكنهم لم يفعلوا ونقضوا بيعتهم، فعاقبهم الله بالقتل والذل! وقد بحثنا ذلك في الإنتصار (١١/٧) وأوردنا مصادره وتصحيح أحاديثه.



الحسنيون أقنعوا فقهاء البصرة بمبايعة مهديهم!

نشط عبد الله بن الحسن المثنى وأولاده في الدعوة إلى مهديهم من سنة ١٢٦ وأقنعوا أكثر علماء عصرهم بذلك، فبايعه كبار فقهاء البصرة والمدينة من معتزلة وغيرهم مثل عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وحفص بن سالم، وابن عجلان، ومالك بن أنس وأبي حنيفة، وغيرهم! بعضهم بايعه في زمن بني أمية، وبعضهم زمن بني العباس، وأفتوا بوجوب الخروج معه، وبأن بيعه المسلمين للمنصور باطلة لأنها بيعة إكراه! ووفى هؤلاء الفقهاء والتصوفة ببيعته لمحمد، ولم ينكثوها كما نكثها المنصور، بل تحدوا العباسيين وأفتوا بالخروج عليهم بعد ثلاث عشرة سنة من قيام دولتهم!

ففي الطبري (٢٢٨/٦ و٢٢٩) أن المنصور قال لمحمد بن عثمان بن خالد الزيري: (هية يا عثمان! أنت الخارج على أمير المؤمنين والمعين عليه؟ قال: بايعت أنا وأنت رجلاً بمكة، فوفيت ببيعتي وغدرت ببيعتك! قال: أين المال الذي عندك؟ قال: دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام! قال: ومن أمير المؤمنين؟ قال: محمد بن عبد الله! قال: أبايعته؟ قال: نعم كما بايعته! قال: يا ابن اللخناء! قال: ذاك من قامت عنه الإمام! قال: إضرب عنقه. قال: فأمر فضربت عنقه). يقول للمنصور إن أمك سلامة الرقاصة هي اللخناء الزانية!

ويظهر أن واصل بن عطاء رئيس المعتزلة، وعمرو بن عبيد كبير علماء البصرة قادا حركة بيعة الفقهاء لمهدي الحسنيين! ففي مقاتل الطالبين/١٩٦، بسنده عن ابن فضالة النحوي: (اجتمع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد في بيت عثمان بن عبد الرحمن المخزومي من أهل البصرة، فتذاكروا الجور، فقال عمرو بن عبيد: فمن يقول بهذا الأمر ممن يستوجبه وهو له أهل؟ فقال واصل: يقوم به والله من أصبح خيراً هذه الأمة: محمد بن عبد الله بن الحسن. فقال عمرو بن عبيد: ما أرى أن نبايع ولا نقوم إلا مع من اخترناه وعرفنا سيرته. فقال له واصل: والله لو لم يكن في محمد بن عبد الله أمر يدل على فضله إلا أن أباه عبد الله بن الحسن في سنه وفضله وموضعه، قد رآه لهذا الأمر أهلاً، وقدمه فيه على نفسه، لكان لذلك

يستحق ما نراه له، فكيف بحال محمد في نفسه وفضله؟

قال يحيى (بن الحسن المذكور في سند الحديث): وسمعت أبا عبيد الله بن حمزة يحدث قال: خرج جماعة من أهل البصرة من المعتزلة، منهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما، حتى أتوا سويقة، فسألوا عبد الله بن الحسن أن يخرج لهم ابنه محمداً حتى يكلموه، فضرب لهم عبد الله فسطاطاً، واجتمع هو ومن شاوره من ثقاته أن يخرج إليهم إبراهيم بن عبد الله. فأخرج إليهم إبراهيم وعليه ريطتان ومعه عكازة حتى أوقفه عليهم، فحمد الله وأثنى عليه وذكر محمد بن عبد الله وحاله ودعاهم إلى بيعته وعذرهم في التأخر عنه فقالوا: اللهم إنا نرضى برجل هذا رسوله! فبايعوه وانصرفوا إلى البصرة!

ملاحظات

١- قوله: (اجتمع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في بيت عثمان بن عبد الرحمن المخزومي من أهل البصرة). (عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد.. المخزومي حجازي سمع عروة بن الزبير). (الجرح والتعديل: ٦/١٥٧). فصاحب البيت الذي اجتمعوا فيه قرشي من الرواة، وأبوه كان قاضي البصرة (أخبار القضاة لابن حيان: ٢/١٤٢). وأمّه أم كلثوم بنت أبي بكر. (تاريخ دمشق: ٦٩/٢٤٩).

٢- قوله: حتى أتوا سويقة. (موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه). (معجم البلدان: ٣/٢٨٦). (فيه مساكن ونخيل للحسينيين). (أعيان الشيعة: ٦/٩٩). ومعناه أن وفد فقهاء البصرة وشخصياتها جاؤوا خصيصاً ليروا مهدي الحسينين فإن اقتنعوا بشخصيته بايعوه. ويفاجؤك هنا أن مهدي الحسينين غيَّبه أبوه، ولما طلبوا منه أن يريهم طلعت بهية، نصب لهم فسطاطاً أي خيمة كبيرة وعقد مجلساً، ولم يخرج لهم مهديه الأسمر الذي كان مريضاً بل أخرج بدله أخاه إبراهيم بزيّ الصلحاء! فكلهم فبايعوا مهديهم لأن بديله أعجبهم، وعادوا إلى البصرة فرحين شاكرين!

فهل هذا سذاجة وبكّة من أولئك الفقهاء، أو حيلة ونفاق!

٣- بايع عبد الله بن الحسن المثنى لولده المهدي لما قتل الوليد بن يزيد في سنة ١٢٦، وقد قتل يزيد الوليد في وسط السنة، والمرجح أن يكون مجيء فقهاء البصرة في السنة التالية ١٢٧ حيث جدد عبد الله بن الحسن المثنى بيعة ولده، وفيها تمت بيعة مروان الحمار بدمشق.

٤- يظهر أن بيعة فقهاء البصرة وشخصياتها المهدي الحسينيين، أثمرت شعبية واسعة لهم، فبعد قتل مهديهم في المدينة سنة ١٤٥، ذهب أخوه إبراهيم إلى البصرة وسيطر عليها بسهولة وجند منها خمسين ألف مقاتل قصد بها الكوفة، ومدحه بشار بن برد فقال:

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن برأى نصيحٍ أو نصيحة حازم
وآذن من القربى المقدم نفسه ولا تشهد الشورى امرأةً غير كاتم
وما خير كفّ أمسك الغلّ أختها وما خير سيف لم يوتد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم

(نهاية الأرب ٦/ ٧١، وبيجة المجالس/ ٢١٢، والأغاني: ٣/ ١٥٠، ومحاضرات الراغب/ ١٦).

٥- ذكر المؤرخون عدداً آخر من الفقهاء بايعوا مهدي الحسينيين، قال الذهبي في تاريخه (٢٣/٩) والطبري (١٨٨/٦): (فلما قتل وولي المدينة جعفر بن سليمان، أتوه بآبن عجلان فكلّمه كلاماً شديداً وقال: خرجت مع الكذاب؟ وأمر بقطع يده، فلم ينطق إلا أنه حرك شفّيته. فقال من حضر من العلماء: أصلح الله الأمير، إن ابن عجلان فقيه المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، ولم يزالوا يرغبون إليه حتى تركه. ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له واعتزل فيها، وخرج أخواه عبد الله وأبو بكر مع محمد بن عبد الله ولم يقتلا، عفا عنهما المنصور. واختفى جعفر الصادق وذهب إلى مال له بالفرع

معتزلاً للفتنة. قال سعد بن عبد الحميد: إن مالكا استفتي في الخروج مع محمد وقيل له: إن في أعناقنا بيعة للمنصور، فقال: إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين! فأسرع الناس إلى محمد، ولزم مالك بيته).

وفي الطبري (٦/٢١١): (أبي بابر هرمز إلى عيسى بعدما قتل محمد فقال: أيها الشيخ أما ورعك فقهك عن الخروج مع من خرج؟ قال: كانت فتنة شملت الناس فشملتنا فيهم! قال: إذهب راشداً.. سمعت مالك بن أنس يقول: كنت آتي ابن هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب، ثم يذكر أول هذه الأمة ثم يبكي حتى تحضل لحيته. قال: ثم خرج مع محمد فقبل له: والله ما فيك شيء! قال: قد علمت، ولكن يراني جاهل فيقتدي بي).

وفي الطبري (٦/٢٢٦): (وخرج معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة... وخرج معه عبد الواحد بن أبي عون. وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، وعبد الحميد بن جعفر، وعبد الله بن عطاء بن يعقوب وبنوه. وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان وعبد العزيز بنو عبد الله بن عطاء. قال أبو جعفر لعيسى بن موسى: من استنصر مع محمد؟ قال: آل الزبير. قال: ومن؟ قال: وآل عمر. قال: أما والله لعن غير مودة بهما له ولا محبة له ولا لأهل بيته).

أقول: ترجع أسباب مبايعة الفقهاء والشخصيات المهدي الحسينيين، إلى تنامي وعي الأمة لأجداد علي والحسن والحسين عليهم السلام وأبنائهم الأئمة عليهم السلام، وثقتهم بهم ككل بدون تمييز بينهم وتصور أنهم جميعاً يعملون لتحقيق العدالة واحترام الإنسان!

كما ترجع إلى الموجة التي أحدثتها جهود الإمام الباقر والصادق وثورة زيد عليه السلام.

وإلى تفاقم ويلاتهم من بني أمية، وسوء ظنهم بالعباسيين، لأن سياستهم سياسة بني أمية!

أما الأئمة عليهم السلام فكانوا يرون أن الحسينيين كالعباسيين إن لم يكونوا أسوأ منهم!

وقد تقدم موقف الإمام الصادق عليه السلام وتكذيبه عبد الله بن الحسن في ادعاء المهديّة لابنه، وإخباره

المنصور الذي كان يأخذ بركابه بأنه سيقتله وأخاه!

ففي رجال الكشي (٢/٤٧٣): (عن أبي غيلان قال: أتيت الفضيل بن يسار فأخبرته أن محمداً

وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن قد خرجا، فقال لي: ليس أمرهما بشيء قال: فصنعت ذلك مراراً، كل ذلك يرد علي مثل هذا الرد. قال: قلت: رحمك الله قد أتيتك غير مرة أخبرك فتقول: ليس أمرهما بشيء، أفبرأيك تقول هذا؟ قال: فقال: لا والله، ولكن سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن خرجا قتلا).

وفي تاريخ الطبري (٢٢٣/٦): (أم حسين بنت عبد الله بن محمد بن علي بن حسين قالت: قلت لعمي جعفر بن محمد: إني فديتك، ما أمر محمد بن عبد الله؟ قال: فتنة يقتل فيها محمد عند بيت رومي، ويقتل أخوه لأبيه وأمه بالعراق وحوافر فرسه في ماء).

ومن اقتدى بالإمام الصادق عليه السلام سليمان الأعمش رضي الله عنه فنجا من فخ المنصور حيث زوّر له كتاباً (الطبري: ٢٠٣/٦): (على لسان محمد مدعي المهدي يدعو إلى نصرته، فلما قرأه قال: قد خبرناكم يا بني هاشم فإذا أنتم تحبون الثريد، فلما رجع الرسول إلى المنصور قال المنصور: أشهد أن هذا كلام الأعمش)!

حاول فقهاء البصرة إفتناع الإمام الصادق عليه السلام برأيهم

يظهر أن الحسينيين دفعوا هؤلاء الفقهاء ليقتنعوا بالإمام الصادق عليه السلام بالانضمام إليهم في بيعة المهدي الحسيني، فناقشهم الإمام عليه السلام وأثبت لهم أن مشروع الحسينيين لا يختلف عن مشروع بني أمية! لأنه لا يقوم على حكم الأمة بعلم وفقه، بل بالجبر والظن والهوى!

في الكافي (٢٣/٥) والتهديب (١٤٨/٦) بسند صحيح عن عبد الكريم بن عتبة، قال: (كنت قاعداً عند أبي عبد الله عليه السلام بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة، فيهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وحفص بن سالم مولى ابن هبيرة، وناس من رؤسائهم، وذلك حدثان قتل الوليد واختلاف أهل الشام بينهم، فتكلموا وأكثروا وخطبوا فأطالوا، فقال لهم أبو عبد الله عليه السلام: إنكم قد أكثرتم عليّ فأسندوا أمركم إلى رجل منكم ولتتكلّم بحججكم ويوجز، فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد، فتكلم فأبلغ وأطال، فكان فيما قال أن قال: قد قتل أهل الشام خليفتهم، وضرب الله عز وجل بعضهم ببعض وشتت الله أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروءة، وموضع ومعدن للخلافة، وهو محمد بن عبد الله بن الحسن، فأردنا أن

نجتمع عليه فبإيعه ثم نظهر معه، فمن كان بايعنا فهو منا وكنا منه، ومن اعتزلنا كفنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه وردة إلى الحق وأهله. وقد أحبينا أن نعرض ذلك عليك فتدخل معنا، فإنه لا غنى بنا عن مثلك لموضعك وكثرة شيعتك. فلما فرغ قال أبو عبد الله عليه السلام: أكلكم على مثل ما قال عمرو؟ قالوا: نعم، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال:

إنما نسخط إذا عصي الله فأما إذا أطيع رضينا. أخبرني يا عمرو لو أن الأمة قلدتك أمرها وولتك بغير قتال ولا مؤونة وقيل لك ولها من شئت، من كنت توليها؟ قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين. قال: بين المسلمين كلهم؟ قال: نعم، قال: بين فقهاءهم وخيارهم؟ قال: نعم، قال: قريش وغيرهم؟ قال: نعم، قال: والعرب والعجم؟ قال: نعم. قال: أخبرني يا عمرو أتتولى أبا بكر وعمر أو تبرأ منهما؟ قال: أتولاهما، فقال: فقد خالفتهما! ما تقولون أنتم تتولونهما أو تبرؤون منهما؟ قالوا: نتولاهما.

قال: يا عمرو إن كنت رجلاً تبرأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما، وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما! قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور فيه أحداً، ثم ردها أبو بكر عليه ولم يشاور فيه أحداً! ثم جعلها عمر شورى بين ستة وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار غير أولئك الستة من قريش! وأوصى فيهم شيئاً لا أراك ترضى به أنت ولا أصحابك إذ جعلتها شورى بين جميع المسلمين! قال: وما صنع؟ قال: أمر صهيياً أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، وأن يشاور أولئك الستة ليس معهم أحد، وابن عمر يشاورونه وليس له من الأمر شيء، وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام قبل أن يفرغوا أو يبايعوا رجلاً أن يضربوا أعناق أولئك الستة جميعاً، فإن اجتمع أربعة قبل أن تمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان أن يضربوا أعناق الإثنين! أفترضون بهذا أنتم فيما تجعلون من الشورى في جماعة من المسلمين؟ قالوا: لا.

ثم قال: يا عمرو، دع ذا، أرأيت لو بايعت صاحبك الذي تدعوني إلى بيعته ثم اجتمعت لكم

الأمة فلم يختلف عليكم رجالان فيها، فأفضتم إلى المشركين الذين لا يسلمون ولا يؤدون الجزية، أكان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسرون بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في المشركين في حروبه؟ قال: نعم، قال: فتصنع ماذا؟ قال: ندعوهم إلى الإسلام فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية. قال: وإن كانوا مجوساً ليسوا بأهل الكتاب؟ قال: سواء، قال: وإن كانوا مشركي العرب وعبدة الأوثان؟ قال: سواء، قال: أخبرني عن القرآن تقرؤه؟ قال: نعم، قال: اقرأ: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ. فاستثناء الله عز وجل واشترطه من الذين أوتوا الكتاب فهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء؟ قال: نعم، قال: عمن أخذت ذا؟ قال: سمعت الناس يقولون! قال: فدع ذا، فإن هم أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصنع بالغنيمة؟ قال: أخرج الخمس وأقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه. قال: أخبرني عن الخمس من تعطيه؟ قال: حيثما سمى الله، قال: فقرأ: وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ. قال: الذي للرسول من تعطيه؟ ومن ذو القربى؟ قال: قد اختلف فيه الفقهاء فقال بعضهم: قرابة النبي وأهل بيته، وقال بعضهم: الخليفة، وقال بعضهم: قرابة الذين قاتلوا عليه من المسلمين، قال: فأي ذلك تقول أنت؟ قال: لا أدري، قال: فأراك لا تدري فدع ذا...

قال: نعم. قال: فقد خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله في كل ما قلت في سيرته، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي، وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر ولا يقسمه بينهم بالسوية، وإنما يقسمه على قدر ما يحضره منهم وما يرى، وليس عليه في ذلك شيء موقت موظف... ثم أقبل على عمرو بن عبيد فقال له:

إتق الله، وأنتم أيها الرهط فاتقوا الله، فإن أبي حدثني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله أن رسول الله قال: من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه، فهو ضالٌ متكلف).

ملاحظات

١- بين لهم الإمام عليه السلام في احتجاجه أنهم وغيرهم ليس عندهم آية شرعية لانتخاب خليفة، وأنهم لا علم لهم بفقهِ الإسلام ليحكموا به المسلمين.

وهما دليلان على ضرورة وجود الإمام المعصوم. والعصمة أمر خفي يعلمه الله تعالى ولا يعلمه البشر: إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. كما أن الحاكم يحتاج إلى علم بالكتاب وغيره، وهو علم يورثه الله للأئمة المختارين من عترته عليه السلام فقط: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.

٢- أثبت الإمام عليه السلام لفقهاء البصرة أنهم لا علم لهم بالأحكام الشرعية في مسائل مالية محسوسة كتوزيع غنائم الحرب والجزية والصدقات، فكيف بغيرها! وإذا كانوا هم فقهاء الأمة ولا يعرفون فكيف بمن سيباعونه وهو أقل علماً منهم!؟

٣- وخلص الإمام عليه السلام إلى بيان شرط الأعلم أمام كل طامح لحكم المسلمين، وإذا طبقوا هذا الشرط فسيصلون إلى أهل البيت عليهم السلام، الذين هم أعلم الأمة!

٤- نبه الإمام عليه السلام فقهاء البصرة إلى شورى عمر المزعومة، وتناقضه مع أبي بكر كما ألفت إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد الأحكام عنها، بل عدم فهمهم لها.

ومما يتصل بالموضوع قول الإمام الصادق عليه السلام: (إن القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير)!(الكافي: ٥/٢٤).

وقول مهدي العباسيين للإمام الصادق عليه السلام يوماً: (والله إني لأعلم منك وأسخى منك وأشجع منك! فقال: أما ما قلت إنك أعلم مني فقد أعتق جدي وجدك ألف نسمة من كديده فسمهم لي، وإن أحببت أن أسميهم لك إلى آدم، فعلت)!(المناقب: ٣/٣٥٥).

لم يستفد الحسينيون من الجمهور الزيدي وضيعوا فرصاً ذهبية

نلاحظ في تاريخ حركة الحسينيين (بقطع النظر عن هدفهم) أنهم كانت تنقصهم المبادرة وسرعة الإقدام، وكان الله شاء أن لا يحكموا! فتراهم لم يشاركوا زيداً عليه السلام في ثورته، مع أن عبد الله بن الحسن كان شخصية بارزة، لكن اكتفى بادعاء المهدي لابنه بعد حركة زيد عليه السلام. (تاريخ الدولة العباسية/ ٣٨٤).

ثم أوصى لهم يحيى بن زيد عليه السلام فقال للمتوكل بن هارون كما في سند الصحيفة: (فهي أمانة لي عندك حتى توصلها إلى ابني عمي محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام، فإنها القائمان في هذا الأمر بعدي).

لكنهم لم يقوموا بعد شهادته عليه السلام بنشاط مهم، واكتفوا بأخذ البيعة لمهديهم سنة ١٢٧، وبنشاطهم مع فقهاء البصرة الذين شرطوا عليهم تقديس الشيخين فقبلوا، وبايعوا مهديهم.

وكانت نظرة عبد الله بن الحسن لأهل الكوفة سيئة، قال: (أهل الكوفة نفخ في العلانية، خور في السريرة، هرج في الرخاء، جزع في اللقاء، تتقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم، ولقد تواترت إليّ كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم، يأساً منهم واطراحاً لهم، وما لهم مثل إلا كما قال علي بن أبي طالب: إن أهملتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمامة طعتهم، وإن أجبتم إلى مشقة نكصتم). (كامل ابن الأثير: ٥/ ٢٣٥).

ومع الإشكال على كلامه في تقييم أهل الكوفة، فلا عذر له في عدم التحرك في إيران لجمع أنصار يحيى عليه السلام ومواصلة حركته بعد أن أوصى لهم، خاصة بعد أن رفع أبو مسلم الخراساني شعار الثأر بدم يحيى وأمر الناس بالبكاء عليه!

لكنه تأخر حتى حج إبراهيم بن محمد ومعه قحطبة سنة ١٢٩، فاقترح أن يرسل ولده محمداً ليبايعوا له في خراسان! (حج إبراهيم) في سنة تسع وعشرين ومئة وحج معه قحطبة، فلقيه عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بمكة فاستسلفه مالاً، وقد بلغه أن قحطبة قدم عليه بهال من خراسان، فقال له إبراهيم: كم تريد؟ قال: أريد أربعة آلاف

دينار، فقال إبراهيم: والله ما هي عندي ولكن هذه ألف دينار فخذها صلة وأمر عروة مولاه بحملها إليه. وانصرفوا صادريين من حجهم وقد سقط إلى عبد الله بن الحسن وَصَّحَّ من أمر إبراهيم، فلما صاروا إلى المدينة اتخذ عبد الله بن الحسن طعاماً فدعا أهل بيته، ودعا إبراهيم ومن كان معه فلما طعموا قال عبد الله لإبراهيم، وليس معهما إلا رجلان من مشايخهم: إنه قد بلغنا أن أهل خراسان قد تحركوا لدعوتنا، فلو نظرنا في ذلك فاخترنا منا من يقوم بالأمر فيهم، فقال إبراهيم: نجمع مشايخنا فننظر فلن نخرج مما اتفقوا عليه. وافترقا على ذلك، وجمع أهله وأهل بيته وبعث إلى إبراهيم ومعه يومئذ داود بن علي ويحيى بن محمد، فلما أتوه قدم إليهم الطعام فلما فرغوا من طعامهم قال عبد الله: إنه قد انتهى إليّ تشمير أهل المشرق في الدعاء إلى آل محمد، فانظروا في ذلك واتفقوا على رجل يقوم بالأمر فتأتيهم رسله. فقال بعضهم: أنت أسن أهل بيتك فقل، فقال: نعم، محمد ابني فقد أملتة الشيعة، وهو في فضله ونعمة الله عليه، فوصفه بالفضل فأسكت القوم. فقال إبراهيم: سبحان الله يا أبا محمد، تدع مشايخنا وذوي الأسنان منا وتدعوننا إلى فتى كبعضنا! لو دعوتنا إلى نفسك أو إلى بعض من ترى. ما هاهنا أحد من ذوي الأسنان يرضى بهذا في نفسه وإن أعطاك الرضا في علانيته! قال من حضر منهم: صدق وبرّ، فأيقن بأنه قد وطأ الأمر لنفسه. وانصرف إبراهيم إلى منزله من السراة). (تاريخ الدولة العباسية/ ٣٨٧).

فلما إذا لم يبادر عبد الله ويرسل أحداً إلى خراسان إلى جنب أبي مسلم، أو موازياً له؟ لعل سببه أنه يعرف أن هوى أبي مسلم مع أولاد العباس، وأنه يخاف أن يغضب عليه الخليفة مروان، فقد كان يحتفظ معه بعلاقة حسنة: (قال مروان بن محمد لعبد الله بن الحسن: إئتني بابنك محمد. قال: وما تصنع به يا أمير المؤمنين؟ قال: لاشئ إلا أنه إن أتانا أكرمناه وإن قاتلناه، وإن بعد عنا لم تُهْجَهُ. وعن المغيرة بن زميل العنبري أن مروان بن محمد قال له: ما فعل مهديكم؟ قال: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين فليس كما يبلغك. فقال: بلى، ولكن يصلحه الله ويرشده). (مقاتل الطالبين/ ١٧٥).

ومعناه أن مروان الحمار كان يعلم بمشروع الحسينيين، وقد قرر أن لا يبيجهم قبل أن يظهر وا حركتهم! ولذا اتهمهم العباسيون بأنهم حركوا مرواناً ضد إبراهيم (الإمام) وأنهم السبب في سجنه وقلته، فزعموا أن عبد الله كتب له: (إنك تظن يا أمير المؤمنين أن أحداً لا ينازعكم ملككم غير بني أبي طالب، هذا إبراهيم بن محمد في جوارك بالشام قد زحفت إليك شيعته من خراسان.

فقال إبراهيم: كذب عبد الله بن الحسن يا أمير المؤمنين! أفلا ينصح لك في محمد ابنه الذي يزعم أنه مهدي هذه الأمة، وهو مستخف منك ومن الوليد بن يزيد ومن هشام بن عبد الملك، تربصاً للخلافة). (تاريخ الدولة العباسية/ ٣٩٤).

ثم زعم العباسيون أن مرواناً أحضر عبد الله الى حران، فدافع عن نفسه بأنه ليس عنده حركة بل الحركة في خراسان تأخذ البيعة لإبراهيم! (فقال له عبد الله بن الحسن: وما أنا وهذا، وصاحب أمرهم إبراهيم بن محمد وهو المتحرك لها، وكان أبوه من قبله على مثل رأيه فشأنك به! فحلفه على براءته مما ظن به فحلف له، ولما حلف له أخذ بيعته وخلى عنه). (تاريخ الدولة العباسية/ ٣٩٤).

ولا نعلم صدق هذه التهمة، لكن المؤكد أن الحسينيين قوّتوا فرصاً كثيرة، وآخرها أن القائد ابن هبيرة الذي كان معه عشرون ألف مقاتل وكان مرابطاً في واسط، ولم يستطع جيش أبي مسلم الخراساني والسفاح الانتصار عليه طوال سنة: (بعث ابن هبيرة إلى محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بأن يبايع له، فأبطأ عنه جوابه). (ابن خلدون: ٣/ ١٧٥).

أما العباسيون فلم يفوتوا الفرصة، واعتمدوا على الإيرانيين ووثقوا علاقتهم مع كبيرهم بكير بن ماهان ثم أبي سلمة، الذي أرسل فتاه أبا مسلم الى خراسان وكان ابن ١٩ سنة، فلم يقبله المعارضون، ثم عاود إرساله في السنة التالية ١٢٩، وأمره أن يبايع للرضا من آل محمد ﷺ، بدون تسمية أحد، فأخذ يسجل نجاحاته!

ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى المتسمي بالمهدي

ثار هذا (المهدي) سنة ١٤٥ في المدينة، بعد أن حبس المنصور أباه وبقية الحسينيين: (ثم وجه إلى مكة فأخذت له وبيّضوا... ووجه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة فأخذها وغلبها وبيّضوا معه... أن الحسن والقاسم لما أخذوا مكة تجهزوا وجمعا جمعاً كثيراً، ثم أقبلوا يريدان محمداً ونصرته على عيسى بن موسى واستخلفا على مكة رجلاً من الأنصار، فلما كانا بقديد لقيهما قتل محمد، فتفرق الناس عنهما..

استعمل محمد الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على مكة، ووجه معه القاسم بن إسحاق واستعمله على اليمن... وموسى بن عبد الله على الشام يدعوان إليه، فقتلا قبل أن يصلوا). (الطبري: ٦/٢٠٢، ٢٠٣، و٢٠٤).

أقول: رفع بنو العباس الرايات السود ولبسوا الثياب السود، وادعوا انطباق الحديث النبوي عليهم، وأن منهم المهدي الذي يكون أنصاره أصحاب الرايات السود من خراسان! واستعمل الخارجون عليهم الرايات والثياب البيض، فسمي العباسيون (المُسَوِّدَة) والثوار عليهم (المُبَيِّضَة).

وأرسل إليه المنصور جيشاً بقيادة ابن عمه ولي عهده عيسى بن موسى: (في أربعة آلاف من الجند، فلما أحس محمد بن عبد الله به قد أتى، حفر خندق النبي ﷺ الذي كان احتفراه للأحزاب فاجتمع زهاء ألف رجل). (شرح الأخبار ٣/٣٢٥).

وفي الطبري (٦/٢١٤) أن قسماً من الجيش كان من أهل خراسان.

وقال الذهبي في تاريخه (٩/٢٦): (ندب المنصور لقتال محمد، ابن عمه عيسى بن موسى وقال في نفسه: لا أبالي أيهما قتل صاحبه! (لأن عيسى ولي عهده بنص السفاح، وهو يريد استبداله بابنه الذي زعم أنه المهدي).

فجهز مع عيسى أربعة آلاف فارس وفيهم محمد بن السفاح، فلما وصل إلى فند كتب إلى أهل المدينة في خرق الحرير يتألفهم، فتفرق عن محمد خلق، وسار منهم طائفة لتلقي عيسى والتحيز إليه، فاستشار محمد

بن جعفر فقال: أنت أعلم بضعف جمعك وقتلهم، وبقوة خصمك وكثرة جنده، والرأي أن تلحق بمصر، فوالله لا يردك عنها راد...

ثم إن عيسى أحاط بالمدينة في أثناء شهر رمضان، ثم دعا محمد إلى الطاعة ثلاثة أيام، ثم ساق بنفسه في خمس مائة فوقف بقرب السور فنادى: يا أهل المدينة إن الله قد حرم دماء بعضنا على بعض فاهلموا إلى الأمان، فمن جاء إلينا فهو آمن، ومن دخل داره أو المسجد أو ألقى سلاحه فهو آمن، خلوا بيننا وبين صاحبنا، فإمنا وإمنا له، قال: فشتموه. فانصرف يومئذ ففعل من الغد كذلك ثم عبأ جيشه في اليوم الثالث وزحف).

ووصف الطبري (١٨٨/٦) مهدي الحسينيين فقال: (كان محمد آدم شديد الأدمة، أدم، جسيماً، عظيماً، وكان يلقب القاري من أدمته (نسبة إلى القار أي الزيت) حتى كان أبو جعفر يدعوه محمماً. كان محمد تماماً فرأيته على المنبر يتلجلج الكلام في صدره فيضرب بيده على صدره يستخرج الكلام. حدثني من حضر محمداً على المنبر يخطب، فاعترض بلغم في حلقه فتنحج فذهب ثم عاد فتنحج فذهب، ثم عاد فتنحج ثم عاد فتنحج، ثم نظر فلم ير موضعاً فرمى بنخامته سقف المسجد فألصقها به)!

وقال ابن قدامة في المغني (١١٦/٩): (قال الشافعي: بقي محمد بن عجلان في بطن أمه أربع سنين.. وبقي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي في بطن أمه أربع سنين، وهكذا إبراهيم بن نجیح العقيلي)!

(اجتمع مع محمد جمع لم أر مثله ولا أكثر منه، إني لأحسب أنا قد كنا مائة ألف! فلما قرب عيسى خطبنا فقال: يا أيها الناس إن هذا الرجل قد قرب منكم في عدد وعدة، وقد حللتكم من بيعتي فمن أحب المقام فليقم، ومن أحب الانصراف فلينصرف، فتسللوا حتى بقي في شردمة ليس بالكثيرة. خرج ناس كثير من أهل المدينة بذرايعهم وأهليهم إلى الأعراس والجبال، فأمر محمد أبا القلمس فرد من قدر عليه منهم، فأعجزه كثير منهم فتركهم).

أقول: هذا يدل على أن مهديهم يكذب كالعباسيين والأمويين، فقد خيرهم بين البقاء معه أو ترك المدينة، ثم أمر قائد شرطته أبا القلمس بإجبار الناس على البقاء، فنقض كلامه لهم بأنهم في الخيار وفي حل من بيعته! بل سمع أن المنصور بعث برسائل إلى شخصيات من المدينة فأخذ الرسول والكتب وحبس أصحابها قبل أن تصلهم: (وجاء بهم وضرب بعضهم ثلاث مئة ثلاث مئة) ثم حبسهم: (وقيدهم بكبول وسلاسل تبلغ ثمانين رطلاً). (الطبري: ٦/٢٠٦). كما صادر أبو القلمس إبلاً في المدينة فجاء صاحبها إلى المهدي وقال له: (أنت تدعو إلى العدل ونفي الجور فما بالك إبي تؤخذ! قال: فدفعها إليه). (الطبري: ٦/٢٠٦).

أما قائد جيشه عيسى بن زيد بن الحسن فكان يقول له: (من خالفك أو تخلف عن بيعتك من آل أبي طالب، فأمكنني منه أن أضرب عنقه). (مقاتل الطالبين/ ٢٦٩).

وكان عيسى هذا عدواً لدوداً للإمام الصادق عليه السلام وهو الذي أحضره ليجبره على بيعته مهدي الحسينين وقال له: أسلم تسلم! وهدده وأذاه فقال له عليه السلام: (أما والله يا أكشف يا أزرق، لكأني بك تطلب لنفسك جُحراً تدخل فيه! وما أنت في المذكورين عند اللقاء وإني لأظنك إذا صُفِّق خلفك طرت مثل الهيق النافر). (الكافي: ١/٣٦٣).

والأكشف: الجبان، وهو أيضاً الذي في قصاص رأسه شعرات واقفة لا تسترسل. (نهاية ابن الأثير: ٤/١٧٦، وتاج العروس: ١٢/٤٥٧). والهيق النافر أو الظليم: طائر النتنق أو اللقلق. (العين: ٥/٢٨).

وصدق الإمام الصادق عليه السلام فلما حمي الوطيس هرب عيسى بن زيد، وبقي كل عمره هارباً كالهيق النافر حتى قتل! أما مهديه فلم يستطع أن يهرب فقتل. لكن أبا القلمس الذي أجبر الناس على عدم الهروب شبع ضحكاً وهو هارب! قال صاحبه: (لما انهمزنا يومئذ كنت في جماعة فيهم أبو القلمس، فالتفت إليه فإذا هو مستغرق ضحكاً! قال: فقلت: والله ما هذا بموضع ضحك! وخفضت بصري فإذا برجل من المنهزمة قد تقطع قميصه فلم يبق منه إلا جربانه وما يستر صدره إلى ثدييه، وإذا عورته بادية وهو لا يشعر! قال: فجعلت أضحك لضحك أبي القلمس). (الطبري: ٦/٢٢٦).

وفي رواية الإربلي في كشف الغمة (٣٧٤/٢) أن الإمام الصادق عليه السلام بعد امتحانه عليه السلام من الحسينين غيب وجهه فذهب الى الفرع، فلم يزل هناك مقيماً حتى قتل محمد، فلما قتل محمد واطمأن الناس وأمنوا، رجع إلى المدينة.

(خرج محمد في أول يوم من رجب سنة ١٤٥، فبات بالمزاد هو وأصحابه، ثم أقبل في الليل فددق السجن وبيت المال، وأمر برياح (الوالي) وابن مسلم فحبسا معاً في دار ابن هشام). فرأيت عليه ليلة خرج قلنسوة صفراء مصرية وجبة صفراء وعمامة قد شد بها حقويه، وأخرى قد اعتم بها متوشحاً سيفاً فجعل يقول لأصحابه: لا تقتلوا لا تقتلوا. وتعلق رياح في مشربة في دار مروان فأمر بدرجها فهدمت، فصعدوا إليه فأنزلوه وحبسوه في دار مروان... صعد محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم، من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندةً لله في ملكه، وتصغيراً للكعبة الحرام، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى. وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين. اللهم إنهم قد أحلوا حرامك وحرّموا حلالك وآمنوا من أخفت، وأخافوا من آمنت! اللهم فأحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً). (الطبري: ٦/١٨٤ و١٨٦).

وكان مهديهم متحيراً لا وضح عنده! (إننا لعند محمد ليلة وذلك عند دنو عيسى من المدينة إذ قال محمد: أشيروا عليّ في الخروج والمقام؟ قال: فاختلفوا فأقبل علي فقال: أشر عليّ يا أبا جعفر قلت: أأست تعلم أنك في أقل بلاد الله فرساً وطعاماً وسلاحاً وأضعفها رجلاً؟ قال: بلى. قلت: تعلم أنك تقاتل أشد بلاد الله رجلاً وأكثرها مالاً وسلاحاً؟ قال: بلى. قلت: فالرأي أن تسير بمن معك حتى تأتي مصر فوالله لا يردك راد! فصاح حين بن عبدالله: أعوذ بالله أن تخرج من المدينة وحدثه أن النبي (ص) قال رأيتني في درع حصينة فأولتها المدينة). (الطبري: ٦/٢٠٧).

ولم تطل المعركة إلا بعض يوم كما قال الطبري (٦/٢١٠): (نزل عيسى بقصر سليمان بالجرف. وغدا

يوم الإثنين حتى استوى على سَلَع، فنظر إلى المدينة وإلى من دخلها وخرج منها، وشحن وجوهها كلها بالخييل والرجال، إلا ناحية مسجد أبي الجراح وهو على بطحان فإنه تركه لخروج من هرب... أقبل على دابة يمشي حواليه نحو من خمس مائة وبين يديه راية يسار بها معه فوقف على الثبية ونادى: يا أهل المدينة إن الله قد حرم دماء بعضنا على بعض فاهلموا إلى الأمان.. خلوا بيننا وبين صاحبنا فإما لنا أو له.

قال: فشموه وأقذعوا له وقالوا: يا ابن الشاة، يا ابن كذا يا ابن كذا وانتهوا إلى الخندق. فأرسل إليه عيسى بأبواب بقدر الخندق فعبروا عليها حتى كانوا من ورائه، ثم اقتتلوا أشد القتال من بكرة حتى صار العصر... انصرف محمد يومئذ قبل الظهر حتى جاء دار مروان فاغتسل وتحنط... رأيت محمداً يومئذ باشر القتال بنفسه فأنظر إليه حين ضربه رجل بسيف دون شحمة أذنه اليمنى فبرك لركبتيه وتعاوروا عليه، وصاح حميد بن قحطبة: لا تقتلوه فكفوا، وجاء حميد فاحتز رأسه، بعد العصر يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان). (الطبري: ٦/٢١٥-٢٢٠).

(واستحر القتال وانهمز أصحاب محمد ونزل وقاتل وقتل بيده جماعة وحمل عليه ابن قحطبة فطعنه في صدره فصرعه ثم نزل فاحتز رأسه). (شرح الأخبار: ٣/٣٢٦).

وصدق الإمام الصادق عليه السلام فقد قتل مهدي الحسينين في المكان الذي حدده له قبل نحو عشرين سنة! في زقاق بني أشجع الغطفاني (الطبري: ٤/٤٤٦، وطبعة: ٧/٥٩٤، وتاريخ الذهبي: ٩/٣٠).
ولا بد أن رأسه حمل ووضع عند حجر الزنابير كما أخبره عليه السلام.

وروى الطبري أفاعيل الجيش الخراساني الوحشية في المدينة، فقال شاهد عيان: (إنا لعلنا ظهر سلع (جبل) بنظر وعليه أعاريب جهينة، إذ صعد إلينا رجل بيده رمح قد نصب عليه رأس رجل متصلًا بحلقومه وكبده وأعفاج بطنه! قال: فرأيت منه منظرًا هائلًا وتطيرت منه الأعاريب وأجفلت هاربة حتى أسهلت (صارت في السهل)! وعلا الرجل الجبل ونادى على الجبل رطانة لأصحابه بالفارسية: كوهبان (المسؤول عن الجبل)! فصعد إليه أصحابه حتى

علوا سلعاً، فنصبوا عليه راية سوداء). (الطبري: ٢١٦/٦).

ودخلوا المدينة فجاءت إحدى نساء بني العباس بخمار أسود فنصبوه: (على منارة مسجد رسول الله (ص) فلما رأى ذلك أصحاب محمد تنادوا ودخلت المدينة وهربوا). (الطبري: ٢١٦/٦).
(وكان مكث محمد بن عبد الله من حين ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوماً).
(الطبري: ٢٢٦/٦).

(لما قدم برأس محمد على أبي جعفر وهو بالكوفة، أمر به فطيف به في طبق أبيض، فرأته آدم أرقط، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق). (الطبري: ٢٢٣/٦).
هذا، وقد روى في رثاء مهدي الحسينين الذي سموه النفس الزكية، قصائد عديدة، منها قصيدة غالب الهمداني برواية المدائني، وفيها (مقاتل الطالبين/١٥٣):

أصبح آل الرسول أحمد في الناس كذي عرّة به جرب
بؤساً لهم ما جنت أكفهم وأي حبل من أمة قضوا).

الرسائل المتبادلة بين المنصور ومهدي الحسينيين

من نصوص ثورة مهدي الحسينيين المهمة، الرسائل المتبادلة بينه وبين المنصور فهي وثيقة تكشف ظروف تلك الفترة، وتتضمن أقوى حجج الحسينيين والعباسيين ضد بعضهم. ويتضح منها قوة حجج الأئمة عليهم السلام على الطرفين.

قال الطبري في تاريخه (١٩٥/٦): (لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهور محمد بن عبد الله بالمدينة كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله. إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ولك علي عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله (ص) إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك، أن أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دماءكم وأموالكم، وأسوغك ما أصبت من دم أو مال، وأعطيك ألف ألف درهم، وما سألت من الحوائج، وأنزلك

من البلاد حيث شئت، وأن أطلق من في حبي من أهل بيتك، وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك أو دخل معك في شئ من أمرك، ثم لا أتبع أحداً منهم بشئ كان منه أبداً، فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إليّ من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق وما تثق به.

فكتب إليه محمد بن عبد الله: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد: طسم. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُكْمِنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ. وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت عليّ، فإن الحق حقنا، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم له بشيعتنا، وحظيتم بفضلنا، وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء! ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحده مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا. لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء! وليس يمتُّ أحد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة والفضل. وإنا بنو أم رسول الله (ص) فاطمة بنت عمرو في الجاهلية، وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم.

إن الله اختارنا واختار لنا، فوالدنا من النبيين محمد (ص) ومن السلف أولهم إسلاماً عليّ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى القبلة ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإن هاشماً ولد علياً مرتين، وإن عبد المطلب ولد حسناً مرتين، وإن رسول الله (ص) ولدني مرتين، من قبل حسن وحسين، وإنني أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أباً، لم تعرّق في العجم، ولم تنازع في أمهات الأولاد، فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام، حتى اختار لي في النار، فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة وأهونهم عذاباً في النار، وأنا ابن خير الأخيار وابن خير الأشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار. ولك الله عليّ إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أؤمنك على نفسك ومالك، وعلى كل

أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهد، فقد علمت ما يلزمك من ذلك، وأنا أولى بالأمر منك، وأوفى بالعهد لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلي! فأبي الأمانات تعطيني أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله بن علي، أم أمان أبي مسلم؟! فكتب إليه المنصور: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك، فإذا جل فخرك بقرابة النساء، لتضل به الجفأة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعنومة والآباء، ولا كالعصبة والأولياء، لأن الله جعل العم أباً وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا، ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهم كانت آمنة أقربهم رحماً وأعظمهم حقاً وأول من يدخل الجنة غداً. ولكن اختيار الله لخلقه على علمه، لما مضى منهم واصطفائه لهم. وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لابنتاً ولا ابناً، ولو أن أحداً رزق الإسلام بالقرابة رزقه عبد الله أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة، ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء، قال الله عز وجل: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.

ولقد بعث الله محمداً ﷺ وله عمومة أربعة فأنزل الله عز وجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فأنذرهم ودعاهم فأجاب اثنان أحدهما أبي، وأبي اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثاً! وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذاباً، وابن خير الأشرار وليس في الكفر بالله صغير ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير، وليس في الشر خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار! وسترد فتعلم: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ. وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي وأن هاشماً ولده مرتين، ومن فاطمة أم حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين وأن النبي (ص) ولدك مرتين فخير الأولين والآخرين رسول الله (ص) لم يلد هاشم إلا مرة، ولا عبد المطلب إلا مرة! وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أمماً وأباً وأنه لم تلدك العجم، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً فانظر ويحك أين أنت من الله غداً، فإنك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً وأولاً وآخرأ، إبراهيم بن رسول الله (ص) وعلى والد ولده. وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا

بنو أمهات أو أولاد، وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله (ص) أفضل من علي بن حسين وهو لأم ولد، وهو خير من جدك حسن بن حسن. وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد، وهو خير من أبيك. ولا مثل ابنه جعفر وجدته أم ولد، وهو خير منك. وأما قولك إنكم بنو رسول الله (ص) فإن الله تعالى يقول في كتابه: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ. ولكنكم بنو ابنته وإنها لقربة قريبة، ولكنها لا تحوز الميراث ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الإمامة فكيف تورث بها، ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهاراً ومرّضها سرّاً ودفنها ليلاً! فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما. ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون. وأما ما فخرت به من عليّ وسابقته فقد حضرت رسول الله (ص) الوفاة فأمر غيره بالصلاة، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه، وكان في الستة فتركوه كلهم دفعاً له عنها، ولم يروا له حقاً فيها.

أما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان وقتل عثمان وهو له متهم، وقاتله طلحة والزبير، وأبى سعد بيعته، وأغلق دونه باب، ثم بايع معاوية بعده! ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها وتفرق عنه أصحابه وشك فيه شيعته قبل الحكومة، ثم حكم حكمين رضى بهما وأعطاهما عهده وميثاقه فاجتمعا على خلعه، ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودرهم ولحق بالحجاز، وأسلم شيعته بيد معاوية، ودفن الأمر إلى غير أهله، وأخذ مالا من غير ولائه ولا حله. فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه!

ثم خرج عمك حسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه، وأتوا برأسه إليه! ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل، وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء وحملوهم بلا وطاء في المحامل، كالسيبي المجلوب إلى الشام، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم وأدركننا بدمائكم، وأورثناكم أرضهم وديارهم وسنيننا سلفكم وفضلنا، فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلنا للتقدمة منا له على

حمزة والعباس وجعفر، وليس ذلك كما ظننت، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلماً منهم مجتمعاً عليهم بالفضل، وابتلي أبوك بالقتال والحرب، وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة فاحتججنا له وذكرناهم فضله وعنفاهم وظلمناهم بما نالوا منه، ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين إخوته، فنازعنا فيها أبوك ففضى لنا عليه عمر، فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام، ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأبينا حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث، وأبوك حاضر لم يتوسل به. ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي (ص) غيره، فكان وراثته من عمومته.

ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده، فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة في ولده، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه!

وأما ما ذكرت من بدر، فإن الاسلام جاء والعباس يموّن أبا طالب وعياله وينفق عليهم للأزمة التي أصابته، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً لمات طالب وعقيل جوعاً، وللحسا جفان عتبة وشيبة، ولكنه كان من المطعمين فأذهب عنكم العار والسبة، وكفاكم النفقة والمؤونة، ثم فدى عقيلاً يوم بدر.

فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر وفديناكم من الأسر، وحُزنا عليكم مكارم الآباء، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وطلبنا بئاركم فأدر كنا منه ما عجزتم عنه، ولم تدركوه لأنفسكم. والسلام عليك ورحمة الله).

أقول: في هذه الرسائل مواضيع مهمة، لا يتسع المجال لاستيفائها: منها، غياب نقاط لا بد أن تكون هذه الرسائل تضمثتها ولم يذكرها الرواة، وهي مطالبة مهدي الحسينين للمنصور ببيعته له أكثر من مرة! فلا بد أن يكون ذكرها في رسالته، لأن أنصاره احتجوا بها على المنصور! والمتأمل في جواب المنصور يشعر بأنه يجيب على فقرات من رسالة محمد قد بترها الرواة!

ومنها احتجاج الحسيني على المنصور بأن النبي ﷺ أوصى لعلي عليه السلام وقد كان الحسينيون والعباسيون يحتجون به على بني أمية لإثبات استحقاق بني هاشم للخلافة!

ففي أول خطبة عند بيعة السفاح قال عمه داود بن علي: (أيها الناس! الآن تقشعت حنادس الفتنة.. وأخذ القوس باريتها، ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة بكم والرحمة لكم والتعطف عليكم.. وإنه والله أيها الناس ما وقف هذا الموقف بعد رسول الله أحد أولى به من علي بن أبي طالب، وهذا القائم خلفي، فاقبلوا عباد الله ما آتاكم بشكر). (تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٥٠). ومنها، قول محمد الحسيني: (لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء): وهو احتجاج قوي على العباسيين، لأن أباهم العباس طليق بعد أن أسره المسلمون في بدر، ولا حق لطليق وابن طليق في الخلافة، كما قال عمر بن الخطاب. فقد روى ابن سعد في الطبقات: ٣/ ٣٤٢، عن عمر قال: (هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء).. وهي نقطة لم يجب عليها المنصور! ومنها، ضعف إشكال الحسيني على المنصور بأن بناء القبة الخضراء ببغداد مضاهاة للكعبة! قال في خطبته في أهل المدينة: (كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء، التي بناها معاندةً لله في ملكه، وتصغيراً للكعبة الحرام..). فالإشكال من هذه الناحية غير وارد، نعم يرد على جباية أموال المسلمين بغير حق وإنفاقها على البذخ والترف! ومنها، قوة إشكال المنصور على مهدي الحسينيين بافتخاره بأبائه من أهل النار وأنه: (ابن أرفع الناس درجة في الجنة وأهونهم عذاباً في النار.. وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار) فهو إشكال قوي إذ لا يصح الفخر بأهل النار!

وقد كذب ابن يونس النباطي رحمه الله نسبة هذا الكلام الى الحسيني فقال: (هذا كذب صريح، وكيف يفتخر برجل كافر يعذب بنوع من العذاب). (الصراط المستقيم: ١/ ٣٣٦).

لكن فاته أن عبد الله بن الحسن وأولاده ومنهم المتسمي بالمهدي، تبنوا بعض الأفكار السننية، وقد تقدم اتهام أبيهم عبد الله للإمام الحسين عليه السلام بأنه كان عليه أن يجعل الإمامة في

أكبر أبناء أخيه الحسن عليه السلام ولكنه لم يعدل فجعلها لابنه الإمام زين العابدين عليه السلام! وجواب الإمام الصادق عليه السلام له. فهم يرون أن خلافة علي عليه السلام ثبتت بالنص، وكذا خلافة الحسن والحسين عليهما السلام وبعده يجب أن تكون الخلافة في أكبر أبناء الحسن عليه السلام بمقياس قبلي وليس بالنص! وقد خضعوا لرغبة من يتولون أبا بكر وعمر فتولوهما، مع أنهما برأيهم غاصبان للخلافة! ووافقوا أتباع الخلافة القرشية على أن أجدادهم أبا طالب وعبد المطلب كانا كافرين! ويظهر أنهم تأثروا بالحديث الذي وضعه رواة السلطة بعد معاوية، أن النبي يشفع لأبي طالب فلا تؤثر شفاعته فيوضع في ضحضاح من نار! ولو كان هذا الحديث معروفاً في زمن معاوية لاحتج به على علي عليه السلام لكنه ظهر بعده، ورده الأئمة عليهم السلام. وسبب وضعه أن الحكومات رأت أنها إذا اعترفت بإيمان أبي طالب وعبد المطلب لكانا وارثين لإسماعيل وإبراهيم عليهما السلام فيكون النبي صلى الله عليه وآله وارثاً لهما مع علي عليه السلام. فقالت: إن عم النبي صلى الله عليه وآله وجده كانا كافرين لتنفي وراثته لهما. ومنها: أن المنصور أعلن في رسائله وخطبه نصبه وعداؤه لعلي عليه السلام وإنكار وصية النبي صلى الله عليه وآله له، بل طعن فيه وفي الإمام الحسن عليه السلام! وقد اشتهر نكثه للعهود والمواثيق ومنها عهده وأمانه لأبي مسلم، وعهده لعنه عبد الله بن علي.

أوصى مهدي الحسينيين إلى أخيه إبراهيم ثم إلى ابن زيد

(ولما ظهر محمد وزحف إليه عيسى بن موسى، جمع إليه وجوه الزيدية وكل من حضر معه من أهل العلم، وعهد إليه أنه إن أصيب في وجهه ذلك فالأمر إلى أخيه إبراهيم، فإن أصيب إبراهيم، فالأمر إلى عيسى بن زيد). (مقاتل الطالبين/ ٢٧٠).

(كان عيسى والحسين ابنا زيد مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن في حروبهما، من أشد الناس قتالاً وأنفذهم بصيرة، فبلغ ذلك عنهما أبا جعفر (المنصور) فكان يقول: مالي ولا بني زيد، وما ينقمان علينا؟ ألم نقتل قتلة أبيهما ونطلب بثأرهما، ونشفي صدورهما من عدوهما؟). (مقاتل الطالبين/ ٢٦٩).

الحسينيون ولعنة ادعاء المهديوية!

كل من ادعى المهديّة كذباً لحقته لعنتها في عمله السياسي فأصيب بالفشل، وظهر ظلمه في سلوكه، وكذب نفسه بأنه سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً!

وهذا ما ابتلي به الحسينيون لما أرادوا أن يستغلوا موجة السخط على بني أمية والتعاطف مع أهل البيت عليهم السلام ویرثوا ثورة زيد عليه السلام، فابتكر مهندس حركتهم عبد الله أن يجعل ابنه محمداً المهدي الموعود ويأخذ له البيعة، فأقنع أولاده وبقية العباسيين ودعا الى مؤتمر الأبناء بعد بضع سنين من شهادة زيد عليه السلام، وأخذ البيعة لابنه على أنه المهدي الموعود، وكذّب الإمام الصادق عليه السلام وقال له: (إن كنت ترى أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تُخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإننا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونباع ابنك). (مقاتل الطالبين/ ١٤٠).

وكان المنصور متحمساً لبيعة محمد المهدي! ثم أول المنقلبين عليه وصار يسمي أباه: أبا قحافة، تهكماً لأنه بايع لابنه وهو حي كوالد أبي بكر! (شرح النهج: ١/١٥٦).

ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى في البصرة

(أرسله أخوه محمد النفس الزكية إليها، فاستولى عليها فبلغه الخبر بمقتل أخيه يوم العيد غرة شهر شوال، سنة ١٤٥، فخطب الناس ونعاه إليهم، وأنشد:

سأبكيك بالبيض الصفاح وبالقنا فإنّ بها ما يدرك الطالب الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة يُعصّرُها من ماء مقلته عصرا
ولكن أروي النفس مني بغارة تَلَهَّبُ في قصري كتائبها جمرًا
وإنّا أناسٌ لا نفيض دموعنا على هالك منا وان قصم الظهرًا

فبايعوه بالإمامة، واستولى على واسط والأهواز وكورها وما والاها من بلاد فارس ونهض لقتال المنصور). (سمط النجوم: ٤/١٧٧، وابن حمدون/ ٤٩٤).

(فأظهر محمد دعوته بالمدينة واستولى عليها وعلى مكة، واستولى أخوه إبراهيم على البصرة،

واستولى أخوهما إدريس على بعض بلاد المغرب وكان ذلك في ولاية المنصور، وأنفذ المنصور عيسى بن موسى لحرب محمد فقتلوه في المعركة، ثم نفذ المنصور أيضاً عيسى المذكور لحرب إبراهيم فقتله بباخرى قرية من قرى الكوفة). (الوافي بالوفيات: ٣/ ٢٤٣).

أقول: إن إبراهيم عليه السلام وثورته أكثر معقولية من أبيه وأخيه، وثورته تستحق كتاباً خاصاً ونقدم خلاصتها من: تاريخ الطبري: ٦/ ٢٥٥، وتاريخ الذهبي: ٩/ ٣٦، ومقاتل الطالبين/ ٢١٠.

دخل إبراهيم البصرة فأسرع أهلها إلى بيعته!

جاء إبراهيم إلى البصرة قبل مدة فلم يستجب له إلا قلة قليلة، فاضطر لأن يختبئ ثم يرجع إلى المدينة! أما بعد تغييرهم رأيهم في أبي بكر وعمر، وبيعة المشايخ والمتصوفة لأخيه فقد جاء إلى البصرة فأسرعت فئات الناس إلى بيعته حتى صار المنصور كالمعزول في جزيرة!

قال الطبري (٦/ ٢٥٧): (قال الحجاج بن قتيبة: لقد دخلت على أمير المؤمنين المنصور في ذلك اليوم مسلماً وما أظنه يقدر على رد السلام! لتتابع الفتوق والخروق عليه والعساكر المحيطة به، ولمائة ألف سيف كامنة له بالكوفة، بإزاء عسكره ينتظرون به صيحة واحدة فيثبون! فوجدته صقراً أحوزياً مشمرأً، قد قام إلى ما نزل به من النوائب يعركها ويمر سها!) وهذا مدح للمنصور من الحجاج الراوي، وقد أخفى خوف المنصور.

وفي تاريخ الذهبي (٩/ ٣٨): (وقيل: إن المنصور لما بلغه خروج إبراهيم قال: ما أدري ما أصنع؟ ما في عسكري إلا ألفا رجل! فرقت عساكري، مع ابني بالري ثلاثون ألفاً، ومع محمد بن أشعث بأفريقية أربعون ألفاً، ومع عيسى بن موسى بالحجاز ستة آلاف، ولئن سلمت من هذه لايفارقني ثلاثون ألف فارس، ثم لم ينشب أن قدم عليه عيسى من الحجاز منصوراً فوجهه على الناس لحرب إبراهيم).

تزامم الفقهاء والرواة والعباد على تأييده والثورة على المنصور!

وسبب ذلك: شعور الأمة بأن موجة الظلم الأموي لأهل البيت عليهم السلام كانت موجهة ضد

بني علي وفاطمة عليهما السلام، فالخلافه يجب أن تكون لهم وقد قفز بنو عمهم العباس وسرقوا الخلافة، مع أنهم كانوا بايعوا الحسينين!

ومن جهة أخرى رأوا أن سلوك المنصور هو نفس سلوك جبابرة الأمويين!
قال الذهبي المتعصب في تاريخه (٣٦/٩): (وقد جرت لإبراهيم أمور في اختفائه، وربما وقع به بعض الأعوان فيصطنعه ويطلقه لما يعلم من جبروت أبي جعفر، ثم اختفى بالبصرة فجعل يدعو الناس فيستجيبون له لشدة بغضهم للمنصور لبخله وعسفه!
قال ابن سعد: لما ظهر محمد بن عبد الله وغلب على الحرمين وجه أخاه إبراهيم إلى البصرة فدخلها في أول رمضان من سنة خمس فغلب عليها، ويض أهل البصرة ونزعوا السواد، وخرج معه من العلماء جماعة كثيرة).

وكان بشير الرحال الزاهد المعروف، يعرض بالمنصور في خطبه ويقول: (عليك أيها المنبر لعنة الله وعلى من حولك، فوالله لولاهم ما نفذت لله معصية، وأقسم بالله لو يطيعني هؤلاء الأبناء حولي لأقمت كل امرئ منهم على حقه وصدقه قائلاً للحق أو تاركاً له، وأقسم بالله لئن بقيت لأجهدن في ذلك جهدي، أو يريني الله من هذه الوجوه المشوهة المستنكرة في الاسلام.
أيها القائل بالأمس: إن ولينا عدلنا، وفعلنا وصنعنا، فقد وليت فأبي عدل أظهرت؟ وأي جور أزلت؟ وأي مظلوم أنصفت؟ أه. ما أشبه الليلة بالبارحة! إن في صدري حرارة لا يطفئها إلا بردُ عدل، أو حرٌّ سنان). (مقاتل الطالبين/٢٢٧).

وعقد في مقاتل الطالبين/٢٣٥، فصلاً بعنوان: (تسمية من خرج مع إبراهيم) خلاصته:
قال سلام بن أبي واصل الحذاء لولده: يا بني إن إبراهيم قد ظهر بالبصرة، فابتع لي عمامة صوف وقباء وسراويل، فشخص هو وثلاثة رهط معه حتى لحقوا بإبراهيم بالبصرة، فقال له إبراهيم: إن بيت المال ضائع فاكفناه، فولاه بيت المال.

خرج فطر بن خليفة مع إبراهيم وكان يومئذ شيخاً كبيراً، وعيسى بن أبي إسحاق السبيعي، وأبو خالد الأحمر، مصطحبين متنكرين مع الحاج عليهم جباب الصوف وعمائم الصوف،

يسوقون الجمال في زي الجمالين، حتى آمنوا فعدلوا إلى إبراهيم، وكانوا معه حتى قتل. وشهد معه حمزة بن عطاء البرني، وعبد الله بن جعفر المدائني، وهو والد علي بن المدائني، وخليفة بن حسان الكيال، وكان أفرس الناس.

خرج معه هارون بن سعد فقال له: استكفني أهم أمرك إليك، فاستكفاه واسطاً واستعمله عليها. قال أبو نعيم: والذي رواه الأعمش عن أبي عمرو الشيباني إنما سمعه من هارون بن سعد. وكان شيخاً كبيراً قد انحنى على دابته، فدخل واسطاً وهرب منه أصحاب أبي جعفر فبايعه أهل واسط وتبعه الخلق ولم يتخلف أحد من الفقهاء ولم يبق أحد من أهل العلم إلا تبعه وكان منهم عواد بن العوام، وإسحاق بن يوسف الأزرق، ويزيد بن هارون ومسلم ابن سعيد، والأصبغ بن زيد، وهشيم، وكان موقف هشيم في حروبه مشهوراً وقتل ابنه معاوية وأخوه الحجاج بن بشير في بعض الوقائع.

وخطب هارون بن سعد الناس ونعى على أبي جعفر أفعاله وقتله آل رسول الله وظلمه الناس، وأخذ الأموال ووضعها في غير مواضعها، وأبلغ في القول حتى أبكى الناس ورقت لقلوبهم، فأتبعه عباد بن العوام، ويزيد بن هارون وهشيم بن بشير، والعلاء بن راشد. فلما قتل إبراهيم انحدر هارون بن سعد إلى البصرة، فبلغنا أنه مات بها حين دخلها رحمه الله ورضي عنه.

وشهد معه العوام بن حوشب يومئذ وهو شيخ كبير، وكان يحمل الراية، وأسامة بن زيد، وكان يقول: رميت في هؤلاء القوم يعني المسوِّدة ثمانية عشر سهماً، ما سرني أني رميت بها أهل بدر مكانهم.

خرج مع إبراهيم أبو العوام القطان واسمه عمران بن داود، وهو من أصحاب الحسن البصري. وهرب عباد بن العوام، فهدمت داره وانقضت جموعه ولم يزل متوارياً حتى مات أبو جعفر. وانضم إليه عبد الواحد بن زياد وأخذ بلدة فهرب واليهما وخلف في بيت مالها سبعين ألف درهم فأخذها عبد الواحد، فكانت أول ما قدم به على إبراهيم.

وبَيَّضَ معه أي لبس البياض ضد سواد العباسيين، أيوب بن سليمان وهو محدث راو، روى عنه الواسطيون وسليمان بن أبي شيخ.

وكان أبو حنيفة يجهر في أمر إبراهيم جهراً شديداً ويفتي الناس بالخروج معه. حتى خاف تلميذه من المنصور فقال له: والله ما أنت بمنته عن هذا حتى نؤتى فتوضع في أعناقنا الحبال.. سمعت أبا حنيفة ورجلان يستفتيانه في الخروج مع إبراهيم وهو يقول: أخرجنا.. ما يقعدكم؟! هي بدر الصغرى.

وقال له أبو إسحاق الفزاري: ما اتقيتَ الله حيث أفتيت أخى بالخروج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن حتى قتل! فقال: قُتِلَ أخيك حيث قُتِلَ، يعدل قتله لو قتل يوم بدر، وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة!

قال له: ما منعك أنت من ذلك؟! قال: ودائع للناس كانت عندي.

وجاءت امرأة إلى أبي حنيفة أيام إبراهيم فقالت: إن ابني يريد هذا الرجل وأنا أمنعه فقال: لا تمنعيه. وكتب أبو حنيفة إلى إبراهيم يشير عليه أن يقصد الكوفة ليعينه الزيدية وقال له: إئتها سرّاً فإن من هاهنا من شيعتكم يُبَيِّتُونَ أبا جعفر فيقتلونه أو يأخذون برقبته فيأتونك به! وكتب أبو حنيفة إلى إبراهيم بن عبد الله لما توجه إلى عيسى بن موسى: إذا أظفرك الله بعيسى وأصحابه فلا تسر فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل، لم يقتل المنهزم ولم يأخذ الأموال ولم يتبع مدبراً ولم يذفف على جريح، لأن القوم لم يكن لهم فئة، ولكن سر فيهم بسيرته يوم صفين فإنه سبى الذرية وذفف على الجريح وقسم الغنيمة، لأن أهل الشام كانت لهم فئة، وكانوا في بلادهم. فظفر أبو جعفر بكتابه فسيره وبعث إليه فأشخصه، وسقاه شربة فمات منها ودفن ببغداد. دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى الطعام فأكل معه ثم استسقى فسقى شربة عسل مجدوحة وكانت مسمومة فمات من غد، ودفن في بغداد في المقابر المعروفة بمقابر الخيزران. (بايع أبو حنيفة المنصور وكان معه سنوات، ثم قتله)!

وخرج معه عبد ربه بن يزيد وكان شيخاً كبيراً أبيض الرأس واللحية. وخرج معه نصر

بن ظريف فأصابت يده جراحة فعطلتها، ثم انهزم لما قتل إبراهيم فاستخفى. وشهد معه من آل سلمة بن المحبق: عبد الحميد بن سنان بن سلمة بن المحبق، والحكم بن موسى بن سلمة، وعمران بن شبيب بن سلمة. رأيت مسلم بن سعيد والأصبغ بن زيد مع هارون بن سعد، عليهما سيفان أيام إبراهيم بن عبد الله بواسط.

كان هشام بن حسان يذكر أبا جعفر فيقول: اللهم أهلك أبا الدوانيق! سمعت الأعمش يقول أيام إبراهيم: ما يقعدكم؟ أما إني لو كنت بصيراً لخرجت! قتل إبراهيم وأنا بالكوفة فأتيت الأعمش بعد قتله فقال: أها هنا أحد تنكرونه؟ قلنا: لا، قال: فإن كان هاهنا أحد تنكرونه فأخرجوه إلى نار الله! ثم قال: أما والله لو أصبح أهل الكوفة على مثل ما أرى، لسرنا حتى ننزل بعقوته يعني أبا جعفر! فإذا قال لي: ما جاء بك يا أعمش؟ قلت: جئت لأبيد خضراءك أو تبيد خضرائي كما فعلت بابن رسول الله! لما قتل إبراهيم بن عبد الله قال سفیان الثوري: ما أظن الصلاة تقبل إلا أن الصلاة خير من تركها. وأما المفضل الضبي فكان أكثر إقامة إبراهيم عنده حتى خرج، فكان لا يزال يدس ويحتال لكل من أمكنه أن يحوزه إلى مذهبه.

خرج مع إبراهيم أبو خالد الأحمر، وأبو داود الطهوي، ومعاذ بن نصر العنبري. وأبو محمد البريدي المؤدب، وجنادة بن سويد وكان قائد ثلاث مائة. وخرج معه هشيم وقتل معه ابنه معاوية، والأزرق بن تمة الصريمي وكان متقلداً سيفين وكان من أصحاب عمرو بن عبيد. وخرج معه من أصحاب سفیان مؤمل وحنبص وقتل معه صاحبان كانا لسفیان الثوري كانا من خاصته.

وكان خالد بن عبد الله الواسطي من أهل السنة والجماعة، خرج الناس مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن غيره، فإنه لزم بيته..

وتقدم أن مالك بن أنس أفتى بالخروج مع محمد أخ إبراهيم بن عبد الله.

أقول: يدل ذلك هذا على أن الأمة كانت بعد بني أمية تريد بني علي وفاطمة عليهما السلام، وأن عامة فقهاءها وشخصياتها حتى الذين كانوا يصانعون بني أمية كانوا بقلوبهم وسيوفهم مع بني علي عليه السلام ضد بني العباس!



انتصر إبراهيم، فتهياً المنصور للهرب وهو يقول: أين قول صادقهم!؟

(أحصى ديوان إبراهيم من أهل البصرة مائة ألف). (مقاتل الطالبين/٢٥٣، وغيره).
قال المنصور: (إن إبراهيم قد عرف وعورة جانبي وصعوبة ناحيتي وخشونة قرني، وإنما جراه على المسير إلى من البصرة اجتماع هذه الكور المطلة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية! وقد رميت كل كورة بحجرها وكل ناحية بسهمها، ووجهت إليهم الشهم النجد الميمون المظفر عيسى بن موسى، في كثرة من العدد والعدة). (الطبري: ٦/٢٥٦).
(كنت وصيفاً أيام حرب محمد أقوم على رأس المنصور بالمذبة، فرأيت له لما كثف أمر إبراهيم وغلظ أقام على مصلى نيفاً وخمسين ليلة ينام عليه ويجلس عليه، وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبها وما تحت لحيته منها فما غير الجبة ولا هجر المصلى حتى فتح الله عليه، إلا أنه كان إذا ظهر للناس علا الجبة بالسواد وقعد على فراشه، فإذا بطنَ (داخل قصره) عاد إلى هيئته، قال: فأتته ريسانة (قوادة الخليفة) في تلك الأيام وقد أهدت له امرأتان من المدينة، إحداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله، والأخرى أم الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد بن أبي العيص، فلم ينظر إليهما فقالت: يا أمير المؤمنين إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما وساءت ظنونهما، لما ظهر من جفائك لهما! فنهرها وقال: ليست هذه الأيام من أيام النساء! لاسبيل لي إليهما حتى أعلم رأس إبراهيم لي أم رأسي لإبراهيم!
وذكر أن محمداً وجعفرأبني سليمان(عمه والي البصرة) كتبوا إلى أبي جعفر يعلمانه بعد خروجهما من البصرة الخبر في قطعة جراب ولم يقدر على شيء يكتبان فيه غير ذلك! فلما وصل الكتاب إليه فرأى قطعة جراب بيد الرسول قال: خلع والله أهل البصرة مع إبراهيم!). (الطبري: ٦/٢٥٥).

(وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كثيرة من أفناء الناس أكثر من جماعة عيسى بن موسى، فالتقوا بباخري وهى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً وانهمز حميد بن قحطبة، وكان على مقدمة عيسى بن موسى، وانهمز الناس معه فعرض لهم عيسى بن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه ومروا منهزمين، وأقبل حميد بن قحطبة منهزماً فقال له عيسى بن موسى: يا حميد الله الله والطاعة! فقال: لا طاعة في الهزيمة! ومر الناس كلهم حتى لم يبق منهم أحد. (الطبري: ٦/٢٦٠).

(ووصل أوائل المنهزمين من عسكر المنصور إلى الكوفة، فتهيأ المنصور للهرب وأعدَّ النجائب ليذهب إلى الري، فيقال: إن نوبخت المنجم دخل عليه فقال: الظفر لك وسيقتل إبراهيم فلم يقبل منه.. فبات طائر اللب فلما كان الصباح أتى برأس إبراهيم! فتمثل بيت معمر البارقي (تاريخ الذهبي: ٤٢/٩):

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ).

وقال الطبري (٦/٢٣٠): (لما التقوا هزم عيسى وأصحابه هزيمة قبيحة، حتى دخل أوائلهم الكوفة، وأمر أبو جعفر بأعداد الإبل والدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها.. حتى جعل يقول: ويلك يا ربيع! فكيف ولم ينلها أبناؤنا! فأين إمارة الصبيان؟). يقصد بقوله لحاجبه الربيع (المتشيع): أين قول إمامك جعفر الصادق وأبيه عليه السلام بأن الحسينين لا ينالون الخلافة، وستكون لنا حتى ينالها صبياننا؟

(لما اتصل بالمنصور انهزام عسكره وهو بالكوفة اضطرب اضطراباً شديداً وجعل يقول: فأين قول صادقهم؟ أين لعب الغلمان والصبيان؟ ثم جاءه بعد ذلك خبر الظفر، وجيء برأس إبراهيم فوضعه في طشت بين يديه والحسن بن زيد بن الحسن بن علي عليه السلام واقف على رأسه عليه السواد فخنقته العبرة والتفت إليه المنصور وقال: أتعرف رأس من هذا؟ فقال: نعم:

فتى كان تحميه من الضيم نفسه وينجيه من دار الهوان اجتنابها

فقال المنصور: صدقت ولكن أراد رأسي فكان رأسه أهون عليّ. ولوددت أنه فاء إلى

طاعتي). (عمدة الطالب/ ١١٠).

(سألت أبا صلابة: كيف قتل إبراهيم؟ قال: إني لأنظر إليه واقفاً على دابة محمد بن يزيد، ينظر إلى أصحاب عيسى وقد ولوا ومنحوه أكتافهم ونكص عيسى برايته القهقري وأصحابه يقتلونهم، وعلى إبراهيم قباء زرد، فأذاه الحر فحل أزرار القباء فشال الزرد حتى سال على يديه وحسر عن لبتة، فأتته نشابة عائرة فأصابت لبتة! فرأيته اعتنق فرسه وكر راجعاً وأطافت به الزيدية). (مقاتل الطالبين/ ٢٣١).

(فلما أصبح يوم الثلاثاء أمر برأس إبراهيم فنصب بالسوق، فرأيته منصوباً مخضوباً بالحناء، فخرجت ومنادي أبي جعفر ينادي: هذا رأس الفاسق ابن الفاسق فرأيت رأس إبراهيم في سفظ أحمر في منديل أبيض، قد غلف بالغالية فنظرت إلى وجه رجل سائل الخدين خفيف العارضين أقنى، قد أثر السجود بجبهته وأنفه وشخص ابن أبي الكرام برأسه إلى مصر). (مقاتل الطالبين/ ٢٣٢).

سهم عاثر لزيد بن علي، وسهم عاثر لابنه يحيى، وسهم عاثر لإبراهيم!

في عمدة الطالب/ ١١٠: (واهنزم عسكر عيسى بن موسى، فيحكى أن إبراهيم نادى: لا يتبعن أحد منهنزماً.. ورفع إبراهيم البرقع عن وجهه فجاءه سهم عاثر فوق على جبهته فقال: الحمد لله، أردنا أمراً وأراد الله غيره أنزلوني).

(وجاء سهم بينهم فأصاب إبراهيم فسقط، وأسندته بشير الرحال إلى صدره حتى مات إبراهيم وهو في حجره، وقتل بشير وإبراهيم على تلك الحال في حجره، وهو يقول: وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا). (الطبري: ٦/ ٢٣٠).

وقال الطبري(٦/ ٢٦١): (وجعلوا يقتتلون يومهم ذلك، إلى أن جاء سهم عاثر لا يدرى من رمى به، فوقع في حلق إبراهيم بن عبد الله فنحره، فتنحى عن موقفه وقال أنزلوني فأنزلوه عن مركبه وهو يقول: وكان أمر الله قدراً مقدوراً. أردنا أمراً وأراد الله غيره! فأنزل إلى الأرض وهو مشخن واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمون ويقاتلون دونه ورأى حميد بن

قحطبة اجتماعهم فأنكرهم، فقال لأصحابه: شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم وتعلموا ما اجتمعوا عليه! فشدوا عليهم فقاتلوهم أشد القتال حتى أفرجهم عن إبراهيم وخلصوا إليه فحزوا رأسه، فأتوا به عيسى بن موسى فأراه ابن أبي الكرام الجعفري فقال: نعم هذا رأسه، فنزل عيسى إلى الأرض فسجد وبعث برأسه إلى أبي جعفر المنصور. وكان قتله يوم الإثنين خمس ليال بقين من ذي القعدة سنة ١٤٥، وكان يوم قتل ابن ثمان وأربعين سنة، ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام).

أقول: ذكرنا أن المفهوم من أحاديث الإمام الباقر والصادق عليهما السلام أن الله تعالى أراد أن يحفظ كرامة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام فلا تنجح ثورات غيرهم من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام. لذلك قد كان القدر الإلهي ينتظر أن يلوح النصر لإبراهيم ليختم حياته. وكان المنصور وإبراهيم يعرفان ذلك جيداً، ولذلك كان المنصور يتعجب من هزيمته ويقول أين قول صادقهم؟ أما إبراهيم عليه السلام فقال: أردنا شيئاً وأراد الله غيره!

كان إبراهيم فارساً شجاعاً ملتزماً بقيم، بعكس العباسيين والأمويين وبالعكس أخيه!

(إن محمداً وإبراهيم كانا عند أبيهما، فوردت إبل لمحمد فيها ناقة شرود ولا يرد رأسها شيء فجعل إبراهيم يحد النظر إليها فقال له محمد: كأن نفسك تحدثك أنك رادها؟ قال: نعم، قال: فإن فعلت فهي لك، فوثب إبراهيم فجعل يتغير لها ويتستر بالإبل، حتى إذا أمكنته جاءها وأخذ بذنبها، فاحتملته وأدبرت تمخض بذنبها حتى غاب عن عين أبيه، فأقبل أبوه على محمد وقال له: قد عرضت أخاك للهلكة.

فمكث هويماً ثم أقبل مشتملاً بإزاره حتى وقف عليها. فقال له محمد: كيف رأيت؟ زعمت أنك رادها وحابسها. قال: فألقى ذنبها وقد انقطع في يده فقال: ما أعذر من جاء بهذا). (مقاتل الطالبيين/ ١١٠).

وكان المنصور من أول خلفائه يبحث عن إبراهيم وأخيه محمد، فسمع يوماً بأن إبراهيم دخل الموصل فذهب إليها يبحث عنه!

قال الذهبي في تاريخه (٣٦/٩): (وقد جرت لإبراهيم أمور في اختفائه، وربما وقع به بعض الأعوان فيصطنعه ويطلقه لما يعلم من جبروت أبي جعفر.. وعن إبراهيم قال: اضطرني الطلب بالموصل حتى جلست على موائد أبي جعفر! وكان قد قدمها يطلبني فتحيرت، ولفظتني الأرض فجعلت لا أجد مساعاً، ووضع عليّ الطلب والأرصاد، ودعا يوماً الناس إلى غدائه فدخلت في الناس وأكلت ثم خرجت، وقد كف الطلب)!

(أناه قوم من الدهجانية أصحاب الضياع فقالوا: يا ابن رسول الله إنا قوم لسنا من العرب وليس لأحد علينا عقد ولا ولاء، وقد أتيناك بهال فاستعن به. فقال: من كان عنده مال فليعن به أخاه، فأما أن أخذه فلا، ثم قال: هل هي إلا سيرة علي بن أبي طالب أو النار! وقبض أنصاره على عامل للمنصور وقالوا له: (هات ما معك من مال الظلمة. قال: وأدخلوني إلى إبراهيم فاستحلفني فحلفت فخلني سبيلي.. أخذ حميد بن القاسم عاملاً كان لأبي جعفر فقال له المغيرة: إدفعه إليّ قال: وما تصنع به؟ قال: أعذبه. قال: لا حاجة لي في مال لا يؤخذ إلا بالعذاب). (مقاتل الطالبين/٢٢٢).

وخالف إبراهيم فتوى أبي حنيفة له: (لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم رايات إبراهيم في آثارهم فنادى منادي إبراهيم: ألا لا تتبعوا مدبراً). (الطبري: ٦/٢٦٢). وقال له أحد قاداته: (فدعني أبيتة فوالله لأشتتن جموعه، فقال: إني أكره القتل! فقلت: تريد الملك وتكره القتل!) (الطبري: ٦/٢٥٦).

واقترح عليه أبو حنيفة في رسالته، وأحد قاداته أن يذهب سرّاً إلى الكوفة ويجمع أنصاره وبياعت أتباع المنصور: (فقال: لا نأمن أن تحبيك منهم طائفة فتطأ خيل المنصور الصغير والكبير، فتكون قد تعرضت لمأثم! فقلت: خرجت لقتال المنصور وأنت تتوقى قتل الصغير والكبير؟! أليس قد كان رسول الله يوجه السرية فتقاتل فيكون في ذلك نحو ما كرهت؟! فقال: أولئك مشركون، وهؤلاء أهل قبلتنا). (تاريخ الذهبي: ٩/٣٩)

عن عبد الله بن جعفر المدني قال: (خرجنا مع إبراهيم إلى باخمرى فلما عسكرنا أتانا ليلة

من الليالي فقال: إنطلق بنا نظوف في عسكرنا، قال: فسمع أصوات طنابير وغناء فرجع..
وقال: ما أطمع في نصر عسكر فيه مثل هذا!) . (الطبري: ٢٥٧/٦)
(...فإننا معشر ربعة أصحاب بيات، فدعني أبيت أصحاب عيسى بياتاً؟ قال: إني أكره
البيات.) (الطبري: ٢٥٨/٦)

أرسل المنصور رأس إبراهيم الى أبيه ثم قتله والمحوسين معه!

قبل أن يرسل المنصور برأس إبراهيم الى الشيعة في مصر ليرهبهم! أرسله الى أبيه وأقاربه في
سجنه! (فوجه به المنصور مع الربيع إليهم، فوضع الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلي، فقال له
إدريس أخوه: أسرع في صلاتك يا أبا محمد، فالتفت إليه وأخذ الرأس فوضعه في حجره، وقال
له: أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم، والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم: الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ
وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ... ثم التفت إلى الربيع فقال: قل لصاحبك: قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك
أيام، والملتقى القيامة. قال الربيع: فما رأيت المنصور قط أشد انكساراً منه في الوقت الذي بلغته
الرسالة!) (مروج الذهب ٣/٣٠٠، وتذكرة ابن حمدون ٤/٢٥٦، ووافي الصفدي: ٣/٢٤٣).

وفي المستطرف (٢/٥٩٦): (فكان ذلك فالأعلى المنصور، ولم ير بعد ذلك اليوم راحة).

هذا، وقد تقدمت مطاردة المنصور للمهدي الحسنى وأخيه إبراهيم، وحبس أبيهما مع جماعة
من الحسينيين، وقد قتل بعضهم وحبس الباقيين ثلاث سنين، ثم قتلهم، وقتل غيرهم من
الحسينيين والحسينيين. وشمل انتقامه كل أنصار إبراهيم في حملة وحشية وفي طليعتهم أهل
البصرة! (فكتب إلى سلم بن قتيبة عامله بالبصرة يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم بن
عبد الله بن الحسن وعقر نخلهم، فكتب إليه: بأيها أبدأ بالدور أم بالنخل يا أمير المؤمنين؟
فكتب إليه: لو قلت لك بالنخل لكتبت إليّ بماذا أبدأ بالشهريز أم بالبرني! وعزله وولى محمد
بن سليمان). (شرح النهج: ١٦/١٣).

(فلما قتل إبراهيم، هرب أهل البصرة بجزراً وبراً واستخفى الناس، وقتل معه بشير الرحال
الأمير، وجماعة كثيرة). (تاريخ الذهبي: ٩/٤٢).

وسع المنصور انتقامه فاضطهد كل أبناء علي وفاطمة عليهما السلام!

في مقاتل الطالبين/٢٣٣: (حدثنا جعفر بن محمد عليه السلام من فيه إلى أذني قال: لما قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن باخرى، حُسِرنا عن المدينة، ولم يُترك فيها منا محتلم، حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً، نتوقع القتل! ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال: أين هؤلاء العلوية؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى. قال: فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد، فلما صرت بين يديه قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟ قلت: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: أنت الذي يجيى إليك هذا الخراج؟ قلت: إليك يجيى يا أمير المؤمنين الخراج. قال: أتدرون لم دعوتكم؟ قلت: لا. قال: أردت أن أهدم رباعكم وأروع قلوبكم وأعقر نخلكم، وأترككم بالسراة لا يقربكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق فإنهم لكم مفسدة! فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن سليمان أعطي فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف ظُلم فغفر، وأنت من ذلك النسل! قال: فتبسم وقال: أعد عليّ فأعدت، فقال: مثلك فليكن زعيم القوم وقد عفوت عنكم ووهبت لكم جرم أهل البصرة، حدثني الحديث الذي حدثتني عن أبيك عن آبائه عن رسول الله. قلت: حدثني أبي عن آبائه عن علي عن رسول الله ﷺ: صلة الرحم تعمّر الديار وتطيل الأعمار وإن كانوا كفاراً. فقال: ليس هذا. فقلت: حدثني أبي عن آبائه عن علي عن رسول الله ﷺ: قال: الأرحام معلقة بالعرش تنادي: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني. قال: ليس هذا. فقلت: حدثني أبي عن آبائه عن علي عن رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يقول: أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته. قال: ليس هذا الحديث. قلت: حدثني أبي عن آبائه عن علي عن رسول الله ﷺ أن ملكاً من الملوك في الأرض كان بقي من عمره ثلاث سنين، فوصل رحمه فجعلها الله ثلاثين سنة. فقال: هذا الحديث أردت! أي البلاد أحب إليك؟ فوالله لأصلن رحمي إليكم. قلنا: المدينة، فسر حنا إلى المدينة وكفى الله مؤنته). أقول: معناه أن المنصور أَسْرَ جميع أبناء علي وفاطمة عليهما السلام حتى الصبيان وجاء بهم إلى الكوفة.

ويدل سؤاله للإمام الصادق عليه السلام: أنت تعلم الغيب وأنت يجيى اليك الخراج؟ على تجبره وتنمره ونسيانه جميل الإمام وأبيه الباقر عليه السلام بإخباره بأنه سيملك وأنه سيقتل المهدي الحسني الذي كان يأخذ بركابه ويقول: هذا مهدينا أهل البيت! وسيقتل أخاه إبراهيم! ويدل طلبه لحديث النبي صلى الله عليه وآله عن صلة الرحم، أنه يريد النفع المادي له بطول عمره، والإمام عليه السلام يعرف ذلك، لكنه أراد أن يتم عليه الحجة فتلا عليه أحاديث أخرى قبل ما أراده، في صلة الرحم لعله يخفف طغيانه!

كان إبراهيم محبوباً من آل علي عليه السلام

وصف أبو الفرج إحدى خطب إبراهيم في البصرة فقال/ ٢٢٤: (فكان الناس يعجبون من كلامه هذا وهو يريد ما يريد. قال: ثم رفع صوته وقال: اللهم إنك ذاكر اليوم آباءً بأبنائهم وأبناءً بأبائهم فاذكرنا عندك بمحمد صلى الله عليه وآله. اللهم وحافظ الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء إحفظ ذرية محمد نبيك صلى الله عليه وآله. قال: فارتج المصلى بالبكاء).

ونكتفي من قصائد رثائه صلى الله عليه وآله الكثيرة بأبيات من قصيدة غالب بن عثمان الهمداني:

وقتلُ باخري الذي	نادى فأسمع كل شاهد
قاد الجنود إلى الجنود	تُزحف الأسد الحوارد
فدعا لدين محمد	ودعوا إلى دين ابن صائد
فرماهم بلبان أبلق	سابق للخيل سائد
بالسيف يفري مصلتاً	هاماتهم بأشد ساعد
فأتيح سهم قاصد	لفؤاده يمين جاحد
فهوى صريعاً للجبين	وليس مخلوق بخالد
نفسى فداؤك من صريع	غير مهمود الوسائد
وفدتك نفسي من غريب	الدار في القوم الأبعاد
فأولئك الشهداء والصبر	الكرام لدى الشدائد

ونجار يثرب والأباطح حيث معتلج العقائد
أقوت منازل ذي طوى فبطاح مكة فالمشاهد
أمسّت بلاقع من بني الحسن بن فاطمة الأراشد

تفرقت بقية الحسينيين بعد مقتل إبراهيم في العالم!

قال القاضي النعمان في شرح الأخبار (٣/ ٣٣١): (وكان إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قد شهد مع الحسين بن علي فخ، فلما كان من الأمر ما كان أخرجه مولى له يقال له: راشد، مختفياً حتى سار به إلى مصر، ثم أخرجه منها حتى سار إلى المغرب فأظهره وعرفه أهل البلاد من البربر فأجابوه وتولوه، فلم يزل فيهم أمره يقوى ويزيد إلى أن بلغ ذلك الرشيد فوجه إليه مولى كان يسمى المهدي يقال له: شماخ، وكان شيخاً مجرباً محكماً، وأمره بأن يحتال عليه ويقتله، فخرج شماخ حتى صار إلى المغرب وتوصل إلى إدريس بعلم الطب، وليس في موضعه طبيب فقربه وأنس به أنساً شديداً، ثم شكاً إليه علته فصنع له دواء وجعل فيه سما فسقاه إياه، ومات وهرب شماخ فلم يُقدر عليه وصار إلى الرشيد فأخبره وأجازه وأحسن إليه!

وخلف إدريس حملاً بأُم ولد، فولدت ولداً سمي إدريس وبلغ وضبط الأمر، وولد له فسماه محمد، فتناسلوا وكثروا. وهم في المغرب).

أقول: لما ثار محمد وإبراهيم أرسلوا مجموعة رسل من إخوتها وآلها، إلى مناطق العالم الإسلامي، الشام ومصر وفلسطين واليمن وفارس وخراسان وطبرستان، وغيرها، وكان لكل واحد منهم نشاط وقصة.

وبعد قتل محمد وإبراهيم لم يهدأ للحسينيين بال، فواصلوا ثوراتهم، وتلاقوا مع الزبيديين والحسينيين من غير الأئمة عليهم السلام. وما زال منهم حكام إلى عصرنا في المغرب والأردن، بينما

انتهى حكم العباسيين!



الفصل الثامن

الهوية الشخصية للمنصور الدوانيقي!

سمى نفسه المنصور وسماه أبوه عبد الله وسمته أمه مقلاص!

في تاريخ بغداد (١/ ٨٧) والطبري (٦/ ٢٣٧) لما أراد المنصور أن يبني بغداد: (فراه رهاب كان هناك وهو يقدرُ بناءها فقال: لا تتم! فبلغه فأتاه فقال: نعم، نجد في كتبنا أن الذي بينها ملك يقال له مقلاص! قال أبو جعفر: كانت والله أمي تلقبني في صغري مقلاصاً!)

ومقلاص سارق مشهور يسرق النوق السَّمان! (تاريخ الذهبي: ٩/ ٣٣، والنهاية: ١٠/ ١٠٨).

وسماه أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في خطبته عن بني العباس قال عليه السلام: (وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل والفرات، فلو رأيتموها مشيدة بالحص والآجر مزخرفة بالذهب والفضة واللازورد المستسقى والمرموم والرخام وأبواب العجاج والأبنوس.. وتوالت ملوك بني الشيبان (أي الشيطان) أربعة وعشرون ملكاً على عدد سني الملك، فيهم السفاح والمقلاص والجموح والحدوع والمظفر والمؤنث والنطار والكبش والكيسر والمهتور والعيار الخ..). (كفاية الأثر / ٢١٣، والمناقب: ٢ / ١٠٨).

وسماه الناس الدوانيقي!

سماه الناس الدوانيقي وأبا الدوانق بسبب بُخله المفرط حتى بالدانق! والدانق فارسي معرَّب (دانه) أي حبة، وهو جزء الدرهم، والدرهم ستة دوانق، والدانق = ٢٥، ٠ غرام، والدينار لاتيني معرَّب. (هامش النهاية: ٩/ ٢١، عن النقود العربية للكرمي/ ٢٣).

قال في تاريخ الخلفاء/ ٢٠٥، ونهاية الإرب/ ٧٦٩، وغرر الخصائص/ ٢٧٩: (كان يلقب أبا الدوانيق، لقب

بذلك لأنه لما بنى مدينة بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصناع فيقول لهذا: أنت نمت القائلة ولهذا: لم تبكر! ولهذا: انصرفت قبل أن تكمل اليوم، فيسقط لهذا دانقاً ولهذا دانقين فلا يكاد يعطي لأحد أجره كاملة! ويحكى عنه أنه قال لطباخيه: لكم ثلاث وعليكم اثنان. لكم الرؤوس والأكارع والجلود، وعليكم الحطب والتوابل. ومن حكاياته الدالة على شدة بخله: دخل المؤمل بن أميل على المهدي بالري وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه المنصور فامتدحه بأبيات. فأعطاه عشرين ألف درهم فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو بمدينة السلام بغداد فكتب إلى المهدي يلومه على هذا العطاء ويقول له: إنما كان ينبغي لك أن تعطي الشاعر إذا أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم، وأمر كاتبه أن يوجه إليه بالشاعر فطلب فلم يوجد. فأمر بإرصاده فمسك. قال: أنشدني ما قلت فيه، فأنشدته القصيدة فقال: والله لقد أحسنت، ولكنها لا تساوي عشرين ألفاً! يا ربيع خذ منه المال وأعطه منه أربعة آلاف درهم ففعل! وأشرف يوماً على الصيد فرأى صائداً اصطاد سمكة عظيمة فقال لبعض مواليه: أخرج إلى المتسبب فمره أن يوكل بالصيد من يدور معه من حيث لا يشعر، فإذا باع السمكة قبض على مشتريها وصار به إلينا، ففعل المتسبب ما أمر به فلقي الصياد رجلاً نصرانياً فابتاع منه السمكة بثلاثي درهم، فلما صارت السمكة في يد النصراني وذهب بها قبض عليه الأعوان وأتى به المتسبب وأدخله على المنصور فقال له: من أنت؟ قال: رجل نصراني. قال: بكم ابتعت هذه السمكة؟ قال: بثلاثي درهم، قال: وكم عيالك؟ قال: ليس لي عيال. قال: وأنت يمكنك أن تشتري مثل هذه السمكة بمثل هذا الثمن! كم عندك من المال؟ قال: ما عندي شيء. فقال للمتسبب: خذه إليك فإن أقر بجميع ما عنده وإلا فمُثل به! فأقر بعشرة آلاف درهم! قال: كلا إنها أكثر، فأقر بثلاثين ألف درهم، وأحل دمه إن وقف له على أكثر منها، قال له من أين جمعتها؟ قال: وأنا آمن يا أمير المؤمنين؟ قال له: وأنت آمن على نفسك إن صدقت. قال: كنت جاراً لأبي أيوب فولاني جهنمة، بعض نواحي الأهواز فأصبت هذا المال. فقال المنصور: الله أكبر، هذا مالنا اختتته! وأمر المتسبب بحمل المال وإطلاق الرجل!

وفي تاريخ الذهبي (٣٦ / ٩) أبغضه أهل البصرة لبخله وعسفه.

وفي النهاية (١٠٨ / ١٠): بانيها يقال له مقلاص، وذو الدوانيق لبخله.

وسماه أهل البيت عليهم السلام بجبار بني العباس

روينا بسند صحيح (الكافي: ٢١٠ / ٨) أن داود بن علي بن عبد الله بن العباس كان في مسجد النبي صلى الله عليه وآله ومعه الدوانيقي ف قيل لهم: هذا محمد بن علي جالس، فقام إليه داود بن علي وسليمان بن خالد، وقعد أبو الدوانيق مكانه حتى سلموا على أبي جعفر، فقال لهم أبو جعفر: ما منع جباركم من أن يأتيني؟ فعدّروه عنده فقال: أما والله لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك ما بين قطريها! الخ.)! ورواه المنصور نفسه (دلائل الإمامة للطبري الشيعي / ٢١٩): (عن الأعمش قال: قال لي المنصور يعني أبا جعفر الدوانيقي: كنت هارباً من بني أمية أنا وأخي أبو العباس فمررنا بمسجد المدينة ومحمد بن علي الباقر جالس، فقال لرجل إلى جانبه: كأني بهذا الأمر وقد صار إلى هذين! فأتى الرجل فبشرنا به فملنا إليه وقلنا: يا ابن رسول الله ما الذي قلت؟ فقال: هذا الأمر صائر إليكم عن قريب، ولكنكم تسيئون إلى ذريتي وعترتي فالويل لكم، عن قريب. فما مضت الأيام حتى ملك أخي وملكته).

وسرق الدوانيقي لقب المنصور من ألقاب المهدي الموعود عليه السلام

من ألقاب المهدي الموعود عليه السلام السفاح، لأن الله تعالى أمره بإنهاء الظلم على الأرض وسفح دماء الطغاة، ومن ألقابه المنصور لأنه ولي دم الإمام الحسين عليه السلام ودماء الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، لقوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا.

قال حمران بن أعين: إنه سأل الإمام الباقر عليه السلام: (يا ابن رسول الله زعم ولد الحسن عليه السلام أن القائم منهم وأنهم أصحاب الأمر، ويزعم ولد ابن الحنفية مثل ذلك فقال: نحن والله أصحاب الأمر

وفينا القائم ومنا السفاح والمنصور وقد قال الله: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطاناً، نحن أولياء الحسين بن علي عليهما السلام وعلى دينه). (العايشي: ٢/٢٩١).

وقد افتري العباسيون أن المهدي منهم وأنه يسلم الراية الى عيسى عليه السلام! وشهد نقاد الحديث بكذب روايتهم (واستوفياه في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام في تحريف البشارة النبوية).

وبطل هذا الإفتراء المنصور فقد سمي أخاه أول ملوكهم بالسفاح وسمى نفسه المنصور وسمى ابنه المهدي، وأشهد القضاة والرواة على أن أحاديث المهدي النبوية تنطبق على ابنه وأنه الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً!

وقد احتج المنصور بمقولته ليعزل عيسى بن موسى العباسي الذي نصبه أخوه السفاح ولي عهده، وقد هدده المنصور وأذله حتى خلع نفسه! وعقد مجلساً لإعلان أن ابنه هو المهدي الموعود!

ولم يملأ مهدي العباسيين حتى بيته قسطاً وعدلاً، فكان بيت خمر وغناء ورقص، وصارت ابنته عليّة المغنية مضرب المثل! وفاحت رائحتهم حتى شهد هارون بكذب ادعاء جده وأبيه، كما كان ابن المنصور الأكبر جعفر يسخر من وصف أخيه بالمهدي!

بل كان المهدي يشكك بنسب أبيه ونسب إخوته! قال له أعرابي: (إني هجين! قال: ليس يضرك ذلك، فإخوة أمير المؤمنين وولده، أكثرهم هُجُن!)! (تاريخ الذهبي: ١٠/٤٤٢).

أم المنصور الرقاصة وتأثيرها في شخصيته

هو عبد الله بن محمد، بن علي، بن عبد الله، بن عباس. كان أسمر نحيفاً طويلاً، خفيف العارضين، ولد بالحُمَيْمة في الأردن سنة ٩٥ هـ. وتولى الخلافة سنة ٣٦، وعمره ٤١ سنة، وتوفي سنة ١٥٨ وعمره ٦٤ سنة. وأمه سلامة فارسية من إيدج من ولائد البصرة. رآها أبوه في حانوت أو غيره فاشتراها وأخذها إلى الحميمة في الأردن فولدت له المنصور! (الطبري: ٦/٣٠٨).

وكان المنصور يعرف في أسرته بابن سلامة، ففي مقاتل الطالبيين/١٧٩، قال عنه عمه عبد الله: (إن البخل قد قتل ابن سلامة، فمروه فليخرج الأموال).

ومعنى أنها من ولائد البصرة، أن أمها كانت أمة مملوكة فحملت بها وولدتها في البصرة، ولم يذكروا من أبوها ويظهر أنها كانت رقاصة من بنات الهوى بالبصرة وقد وصفها أبو مسلم الزانية: (بعث المنصور يقطين بن موسى إلى أبي مسلم بعد هزيمة عبد الله بن علي، ليحصي ما كان في عسكره، فقال أبو مسلم: أفعَلها ابن سلامة الفاعلة، لا يُكني (أي وصفها صراحةً بالزانية) فكتب إليه: إني قد وليتك الشام ومصر فهما أفضل من خراسان...) (البلاذري: ٤/٢٠٢).

وفي ربيع الأبرار (٣/١٥٦): (أَبِي المنصور ببشير الرحال ومطر الوراق مكبلين وهما من كبار فقهاء السنة) وقد كانا خرجا مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فقال لبشير: أنت القائل: أجد في قلبي غمًا لا يذهب إلا برد عدل أو حرٌّ سنان؟ قال: نعم. قال: فوالله لأذيقنك حرَّ سنان يشيب منه رأسك. قال: إذن أصبر صبراً يذل به سلطانك! فقطعت يده فما قَطَّبَ ولا تَحَلَّل! وقال لمطر: يا ابن الزانية! قال: إنك تعلم أنها خيرٌ من سلامة! قال: يا أحمق! قال: ذاك من باع آخرته بديناه! فرمى به من سطح فمات) وكلامه شهادة!

وأكثر منه صراحة شهادة الإمام الصادق عليه السلام التي رواها أبو الصلاح الحلبي رحمته الله في تقريب المعارف/ ٢٤٨، فقال: كان الإمام الصادق عليه السلام إذا ذكر المنصور (زناه). وصفه بابن الزنا! كما أن قاعدة: الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لا يقتلهم أبناء حلال تدل على حال سلامة!

ففي علل الشرائع (١/٥٨) أن الإمام الصادق عليه السلام سئل عن قوله تعالى: وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّي أُقْتَلُ مُوسَى وَلِيَدْعُرَبَّهُ.. فقيل له: من كان يمنعه؟ قال: منعه أنه كان لِرَشْدَةٍ، لأن الأنبياء والحجج عليهم السلام لا يقتلهم إلا أولاد زنا! وقد قتل المنصور الإمام الصادق عليه السلام.

وزعمت سلامة أن ابنها أسدٌ تسجد له الأسود! قالت: (لما حملت بابني أبي جعفر رأيت كأن أسداً خرج من فرجي فأقعى وزار و ضرب بذنبه، فرأيت الأسد تقبل من كل ناحية إليه فكلما انتهى أسد منها سجد له). (تاريخ دمشق: ٣٢/٣٠٤، و: ٦٩/٢٣١، والنهاية: ١٠/١٣٠).

نشأ المنصور مع أمه الفارسية في البصرة وإيذج

لم يذكر أحد للمنصور خالاً ولا خالة، ولا شيئاً عن عائلة أمه سلامة. وقد اشتراها علي بن

عبد الله وذهب بها الى الحميمة، فولدت المنصور، ورجعت به غلاماً فعاشت مع طفلها ما بين البصرة وإيذج، لذلك كانت لغته الأم الفارسية، والعربية لغته الخالة. ولما كبر عمل جابي خراج بلبيدة إيذج عند والي الأهواز الشيعي سليمان بن حبيب بن المهلب، وسرق الخراج فسجنه سليمان وصادر ماله، وأراد أن يهتكه أي يركبه على حمار بالمقلوب وينادي عليه في الأسواق، فتوسط له كاتبه المورياني ففعا عنه وسجنه! ولما صار المنصور خليفة قتل سليمان المذكور، وجعل المورياني وزيره، ثم غضب عليه وقتله هو وكل أقاربه سنة ١٥٣! قال في وفيات الأعيان (٢/٤١٠): (كان المنصور قبل الخلافة ينوب عن سليمان المذكور في بعض كور فارس فاتمه بأنه احتجن المال لنفسه، فصر به بالسياط ضرباً شديداً وأغرمه المال، فلما ولي الخلافة ضرب عنقه. وكان سليمان قد عزم على هتكه عقيب ضربه فخلصه منه كاتبه أبو أيوب المذكور، فاعتدها المنصور له واستوزره، ثم إنه فسدت نيته فيه ونسبه إلى أخذ الأموال وهم أن يوقع به، فتناول ذلك فكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به، ثم يخرج سالماً فليل إنه كان معه شئ من الدهن قد عمل فيه سحر، فكان يدهن به حاجبيه إذا دخل على المنصور، فسار في العامة دهن أبي أيوب).

(وسير الذهبي: ٧/٢٣، و/٨٣، وتاريخه: ٩/٦٧٥، ووافي الصفدي: ١٥/٢٣١، و/٩/١٢١، وشرح النهج: ١٥/٢٣٨، واللباب: ٣/٢٦٨، والكامل: ٥/٦١٢).

تعرف في سجن الأهواز على نوبخت المنجم!

ونوبخت المذكور هو جد آل نوبخت، العائلة التي عرفت فيما بعد في بغداد وكان مجوسياً وأسلم، ثم صاروا شيعة ونبغ منهم علماء كبار، وكان منهم ولي الله أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، السفير الثالث للإمام المهدي صلوات الله عليه. وروي أنه أباه قمي وأمه نوبختية فنسب الى أخواله.

وقد حكى جدهم علي قصة لقاء أبيه نوبخت بالمنصور في سجن الأهواز فقال كما في تاريخ بغداد (١٠/٥٦) وتاريخ دمشق (٣٢/٥٣): (كان جدنا نوبخت على دين المجوسية، وكان في علم النجوم

نهاية، وكان محبوساً بسجن الأهواز فقال: رأيت أبا جعفر المنصور وقد أدخل السجن فرأيت من هيئته وجلالته وسيباه وحسن وجهه وبنائه، ما لم أراه لأحد قط! فصرت من موضعي إليه فقلت: يا سيدي ليس وجهك من وجوه أهل هذه البلاد، فقال: أجل يا مجوسي، قلت: فمن أي بلاد أنت؟ فقال: من أهل المدينة، فقلت: أي مدينة؟ فقال: من مدينة رسول الله ﷺ، فقلت: وحق الشمس والقمر إنك لمن ولد صاحب المدينة! قال: لا، ولكني من عرب المدينة. قال: فلم أزل أتقرب إليه وأخدمه حتى سألته عن كنيته؟ فقال: كنيتي أبو جعفر فقلت: أبشر فو حق المجوسية لتملكن جميع ما في هذه البلدة حتى تملك فارس وخراسان والجال! فقال لي: وما يدريك يا مجوسي؟ قلت: هو كما أقول فاذا كرت لي هذه البشري فقال: إن قضى شئ فسوف يكون. قلت قد قضاه الله من السماء فطب نفساً وطلبت دواة فوجدتها فكتب لي: بسم الله الرحمن الرحيم، يا نوبخت إذا فتح الله على المسلمين وكفاهم مؤونة الظالمين ورد الحق إلى أهله، لم نغفل ما يجب من حق خدمتك إيانا. وكتب أبو جعفر. قال نوبخت: فلما ولي الخلافة صرت إليه فأخرجت الكتاب فقال: أنا له ذاكر ولك متوقع، فالحمد لله الذي صدق وعده وحق الظن ورد الأمر إلى أهله فأسلم نوبخت، وكان منجماً لأبي جعفر ومولى).

لم يكن لبني عباس بيت في المدينة فكانوا ضيوفاً على الحسينيين!

فقد انتقل جده علي بن عبد الله بن عباس إلى دمشق ثم نفي إلى الأردن، وعاش مع أبنائه وأحفاده هناك، فيبدو أنهم كانوا يأتون إلى المدينة ضيوفاً. وقد اشتهر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه أخبرهم بأنهم سيملكون ففي حديث: (فقال لهم أبو جعفر: ما منع جباركم من أن يأتيني؟ فعذروه عنده فقال: أما والله لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك ما بين قطريها!). (الكافي: ٨/ ٢١٠).

ولما أطلق الباقر عليه السلام هذا الكلام كان المنصور في نحو العشرين لأنه ولد سنة ٩٥، ويكون عمر أخيه السفاح نحو عشر سنين! وهذا يوجب الظن بأن نوبخت المنجم بلغه إخبار الإمام الباقر عليه السلام. وكذا إخبار نوبخت للمنصور، بأن إبراهيم الحسيني سيقتل وأنه سيتتصر،

فقد أخبر به الإمام الباقر عليه السلام قبل أكثر من عشرين سنة، فبلغ نوبخت.

لماذا هرب المنصور في زمن الأمويين ؟

زعم المنصور أنه كان متخفياً هارباً في عصر بني أمية وأنه كان في قرى الشام يتعيش من التقرب الى الشيعة برواية فضائل علي والعتره عليهم السلام، كما في حديثه المطول مع الأعمش عليه السلام، كما زعم أنه هرب مع أخيه الصغير السفاح ابن العشر سنوات! وأنه هرب الى الموصل وعمل مع الملاحين في النهر وتزوج بامرأة وتركها حاملاً، كما في حديث قتله لوزيره المورياني! مع أنه لا يوجد سبب سياسي لهروب أحد من الهاشميين قبل ثورة زيد بن علي سنة ١٢١، فلا بد أن يكون سبب هروبه مالياً كما ثبت أنه سرق من الخراج في الأهواز وسجن! لعله هرب من السجن وكان مطلوباً لعمال بني أمية بسببه!
وقد حكى للأعمش قصته في ذلك، وتأتي في فصل إبادة بني علي.

قلد المنصور معاوية وتبنى مذهب القدرية وجعل فعله فعل الله!

قال في خطبته في الحج: (أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته، وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه!
قد جعلني الله عليه قفلاً، إذا شاء أن يفتحنى لأعطيائكم وقسم فيئكم وأرزاقكم فتحنى، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني). (الطبري: ٦/٣٣١).

وفي متشابه القرآن لابن شهر آشوب (١/١٢٣): (أول من أظهر الجبر في هذه الأمة معاوية! ذلك أنه خطب فقال: يا أهل الشام أنا خازن من خزان ربي، أعطي من أعطاه الله، وأمنع من منعه الله بالكتاب والسنة، فقام أبو ذر عليه السلام وقال: كذبت! والله إنك لتعطي من منعه الله بالكتاب والسنة، وتمنع من أعطاه الله).

تفرعن المنصور وفرح بمن ادعوا له الألوهية!

قال المقرئ في النزاع والتخاصم / ١٣٥: (تزيا بزى الأكاسرة.. وأحدث تقبيل الأرض بين يديه!

وتحجّب عن الرعية وترفّع عليهم. حتى أن الربيع حاجبه ضرب رجلاً سمّت المنصور عند العطسة (قال له: يرحمك الله) فلما شكّا ذلك إلى المنصور قال: أصاب الرجل السنة وأخطأ الأدب!) فالأدب مع الخليفة والسكوت بين يديه برأيه مقدم على سنة النبي ﷺ!

وبلغ من جبروته أن أفتع شياطينه الرعاع فادعوا له الألوهية وكان يبرره بأن ذلك أفضل من أن يعصوه!

قال الطبري (١٤٧/٦): (والراوندية من أهل خراسان على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم يقولون فيما زعم بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نبيك وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور! وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل! قال: وأتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون: هذا قصر ربنا فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين، فغضب أصحابهم وقالوا: علام حبسوا؟ وأمر المنصور ألا يجتمعوا. عن أبي بكر الهذلي قال: إني لواقف بباب أمير المؤمنين، إذ طلع فقال رجل إلى جانبي: هذا رب العزة، هذا الذي يطعمنا ويسقينا! فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلت وخلي وجهه فقلت له: سمعت اليوم عجباً وحدثته! فنكت في الأرض وقال: يا هذلي يدخلهم الله النار في طاعتنا ويعذبهم أحب إليّ من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا). فأصل الأمور عند هذا الفرعون طاعة أوامره ورغباته! وكل شيء من أجل ذلك حلال، حتى الكفر بالله تعالى، وحتى عبادته هو مكان الله تعالى! وانقسم الراوندية فئات عديدة، وأصلهم محوس أتباع سبناذ الذي ثار على المنصور انتقاماً لأبي مسلم فهزمهم جيش المنصور وفرقهم. (الأخبار الطوال/ ٣٨٤). ثم تطوروا فقالوا: إن العباس أفضل الصحابة وقد أوصى له النبي ﷺ! (فتح الباري: ١٣/١٨٧، وشرح مسلم للنووي: ١٥/١٤٨).

وقال في شرح النهج (٨٧/٩): (وأما الراوندية فإنهم خصصوها بالعباس وولده من بين بطون قريش كلها، وهذا القول الذي ظهر في أيام المنصور والمهدي!) وذكر ابن خلدون أنهم يقولون بالوصية للعباس ويتبرؤون من أبي بكر وعمر وعثمان.





الفصل التاسع

المنصور الدوانيقي المتعطش للدماء!

المنصور داهية مدمن لسفك للدماء!

أدمن المنصور على سفك الدماء! ويصعب إحصاء من قتلهم علناً أو بالسم، وبأفانيه في طرق القتل. وقد سجل المؤرخون أسماء الكثيرين، ولعل من لم يسموهم أكثر! والقتل كله مبعوض منفور، إلا ما أوجبه الله تعالى كالذي قال عنه: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ. لكن أسوأ أنواعه ما كان بانتقام ووحشية، أو كان حسداً لشخص أنعم الله عليه بنعمة ولم ينعمها على القاتل، أو كان خيانة لمن أجرى الله نعمته على يد القاتل حتى لا يبقى حياً ويُعَيَّرَ القاتل فيه! أو كان غدراً وغيلةً، أو كان إسرافاً في القتل من غير (حاجة) كقتل من أساء إساءة صغيرة جزاؤها العفو أو إساءة مثلها.

فإذا أردت أن تعرف شخصية إنسان فانظر الى سلوكه في خصومة من يخاصم! فإن وجدته يرى أن لخصمه حقاً في الحياة والتعبير عن رأيه، ويؤمن بحدود لحقه ويقف عندها، فهو إنسان طبيعي وإلا فهو مريض، لا يقف عند حد إلا مجبراً بالقوة! وعندما تقرأ حياة المنصور تجده ضيق الصدر، لا يتسع قلبه لمن خالفه، بل يشحن نفسه بالبغضاء والانتقام بعمد وإصرار ضد من خالفه ويعتبر مخالفته له كفراً وعداوة وحرماً، وأن عليه أن يواجهه ويقمعه ويقتله!

فقد خطب وهو أخذ بقائم سيفه فقال: (أيها الناس إن بكم داءً هذا دواؤه، وأنا زعيم لكم بشفائه، فليعتبر عبد قبل أن يُعتبر به فإنها بعد الوعيد الإيقاع!) (العقد الفريد/ ٨٨٣).

القتل عند المنصور ليس مشكلة بل يحل المشكلة!

يبدو أن أول ما يفكر فيه المنصور عندما يواجه مشكلة: أن يقتل من يتصور العقدة فيه! فقد قتل كل من يمنعه من الوصول الى الخلافة. وكان مسيطراً في خلافة أخيه فقد وثق به السفاح وبسط يده، والمرجح عندي أنه سم أخاه السفاح وكان سليماً وعمره ٣٦ سنة ثم بكى عليه وزعم أنه كتب له كتاباً بأنه وليّ عهده!
وقتل أعمامه، وكل من يخالف انتقال الحكم الى أولاده، وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله أعطاه الخلافة في المنام له ولأولاده حتى ينزل المسيح عليه السلام!

قتل المنصور كل قادة الثورة الذين أوصلوهم الى الحكم

قتل أبا سلمة الخلال:

لما حضرت الوفاة بكير بن ماهان مهندس ثورة العباسيين أواخر سنة ١٢٧، أوصى بقيادة الحركة الى صهره زوج ابنته أبي سلمة الخلال، فأدار أبو سلمة وهو مختلف بالكوفة نشاط أبي مسلم، وكان أكفأ بالإدارة من بكير فأجاد العمل سياسياً وعسكرياً، يقود الثورة ويبعث بأوامره الى أبي مسلم وغيره، حتى دخل الجيش الخراساني العراق، فخرج أبو سلمة الى العلن، وحرر الكوفة من بني أمية بخطة ذكية.

في هذه المرحلة أراد أبو سلمة أن يجعل الخلافة شورى بين العلويين الحسينيين والحسينيين والعباسيين، بدل حصرها بالعباسيين، فحبس العباسيين الذين وصلوا الى الكوفة وأخفى خبرهم، وراسل الإمام الصادق عليه السلام وعبد الله بن الحسن المثنى، يطلب مجيئهم الى الكوفة ليبايعهم بالخلافة لأنهم هم الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله والشعار الذي رفعته الثورة. فلم يقبل الإمام الصادق عليه السلام وأحرق كتابه! واطلع العباسيون وبعض أنصارهم على خطة أبي سلمة، فأحبطوها وبايعوا السفاح بالخلافة، وعين السفاح أبا سلمة وزيره، لكنه خطط هو وأخوه المنصور لقتله، وراسلوا أبا مسلم فوافق!

قال البلاذري في أنساب الأشراف(٤/١٥٦): (فكتب أبو العباس إلى أبي مسلم يُعلمه الذي كان من تدبيره في صرف الأمر عنه، ونكث بيعة الإمام فكتب أبو مسلم يشير بقتله فكتب إليه: أنت أولى بالحكم فيه فابعث من يقتله، فوجه مرار بن أنس الضبي فلقبه ليلاً فأنزله عن دابته ثم ضرب عنقه. وكان بقاء أبي سلمة في الدولة ثلاثة أشهر).

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد(٢/١٨١): (أبو سلمة الخلال، واسمه حفص بن سليمان، يدعى وزير آل محمد، وكان أبو مسلم يُدعى أمين آل محمد. فقتل أبو العباس أبا سلمة الخلال واتهمه بحب بني فاطمة وأنه كان يُحطّب في جبالهم! وقتل أبو جعفر أبا مسلم).

ويا حاطباً في غير حبلك تحطّب!

تقدم أن الإمام الصادق عليه السلام لما جاءه رسول أبي سلمة: (فقال له: وما أنا وأبو سلمة وأبو سلمة شيعة لغيري! قال: إني رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت. فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: عرّف صاحبك بما رأيت! ثم أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميث بن زيد رضي الله عنه:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطّب.

وصدق الإمام عليه السلام فقد كان أبو سلمة يحتطّب ويضع حطبه في حبل المنصور، وسرعان ما أحرقه المنصور بحطبه، ودبر قتله بيد مأموره القائد الثاني للثورة أبي مسلم! ومن يومها دخل المنصور تاريخ الدولة العباسية مهندساً ومنفذاً لأحداثها لمدة سبع وعشرين سنة حتى هلك سنة ١٥٨، أي بعد قتله الإمام الصادق عليه السلام بعشر سنين! وقتل القائد الداهية أبا مسلم الخراساني:

أخّر المنصور الداهية قتل أبي مسلم، ليستفيد منه في معركته مع عمه عبد الله بن علي، لأنه متميز في القيادة وتحقيق النصر في المعارك!

واستطاع بدائه أن يقنعه بقيادة الجيش لحرب عمه، فقام أبو مسلم بالمهمة على أحسن وجه، وانتصر وكتب إلى المنصور يبشره بالنصر وهزيمة عمه عبد الله ومعه عمه عبد

الصمد، فبادره المنصور بإرسال شخص ليحصي غنائم الحرب ويتسلمها!
فغضب أبو مسلم وتوجه مباشرة من حران إلى حلوان قاصداً خراسان! كان ذلك في أوائل
جمادى الآخرة سنة ١٣٧، وعاش بعدها إلى أواخر شعبان من تلك السنة.
وسافر المنصور من الأنبار إلى المدائن وأقام فيها ليدير معركته مع أبي مسلم، وامتألت هذه
الشهور الثلاثة بالمراسلات بينهما، واستعمل المنصور أنواع الحيل لإقناعه بالمجيء إلى المدائن
لللقاء، فلم تنفع وتحرك أبو مسلم من حلوان نحو الري، لكن جبار بن عباس استطاع
أخيراً أن يجبر العفرية إلى قصره، ويسبه ويشتمه، ثم يقطعه إرباً إرباً!
ثم أرسل إلى معسكره من ينثر عليهم الذهب، حتى إذا تراحموا على جمعه، ألقى إليهم
برأس قائدهم أبي مسلم! (فقتله.. وذلك يوم الأربعاء لأربع بقين من شعبان سنة سبع
وثلاثين ومائة). (تاريخ دمشق: ٤١٨/٥).

وقد تضمنت رسائل المنصور وأبي مسلم حقائق كثيرة تكشف محتوى شخصيتهما وهدفهما
الرخيص وطغيانهما معاً! كما تكشف عن ذلة أبي مسلم، تطبيقاً للحديث الشريف: من
أعان ظالماً سلطه الله عليه.



وقتل أعمامه ومن معهم وابن المقفع الأديب!

انتدب السفاح عمه عبد الله بن علي بن العباس لقتال الخليفة مروان الحمار في الشام
ومصر، فشرط عليه إن انتصرت عليه فلي الخلافة من بعدك. فهو ولي عهد السفاح بنصه،
لكن السفاح خان عمه وهو يفتح له مصر، فعين ولي عهده عيسى بن موسى بن علي،
وكان المنصور مسيطراً في خلافة أخيه فقد وثق به السفاح وبسط يده.

والمرجح عندي أنه سم أخاه السفاح وكان سليماً وعمره ٣٦ سنة ثم بكى عليه وزعم أنه
كتب له كتاباً بأنه وليّ عهده والخليفة بعده.

ولما رجع عبد الله بن علي من فتح الشام ومصر وجد أن المنصور صار الخليفة المسيطر،

فقرر أن يدخل بجيشه الى العاصمة ويطالب بحقه في ولاية عهد السفاح!
ومن جهته قرر المنصور أن يقاتل عمه ويقتله! وأقنع أبا مسلم بقيادة جيشه لقتاله! فأحسن إدارة جيشه وهزم عبد الله فهرب الى أخيه والي البصرة.

وقد لخص ابن خلدون القصة التي امتدت بضع عشرة سنة، فقال في تاريخه (٣/ ١٨٥): (كان عبد الله بن علي بعد هزيمته أمام أبي مسلم، لحق بالبصرة ونزل على أخيه سليمان، ثم إن المنصور عزل سليمان سنة تسع وثلاثين، فاختمى عبد الله وأصحابه، فكتب المنصور إلى سليمان وأخيه عيسى بأمان عبد الله وقواده ومواليه وإشخاصهم إلى المنصور معها فشحصوا. ولما قدما عليه فأذن لهما فأعلماه بحضور عبد الله واستأذناه له، فشغلها بالحديث وأمر بحبسه في مكان قد هيئ له في القصر، فلما خرج سليمان وعيسى لم يجدا عبد الله، فعلم أنه قد حبس، وأن ذمتها قد أخفرت! فرجعا إلى المنصور فحبسا عنه! ووزع أصحاب عبد الله بين الحبس والقتل، وبعث ببعضهم إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان، فقتلهم بها!

ولم يزل عبد الله محبوساً حتى عهد المنصور إلى المهدي سنة تسع وأربعين وأمر موسى بن عيسى فجعله بعد المهدي، ودفح إليه عبد الله وأمره بقتله، وخرج حاجاً.

وسارَّ عيسى كاتبه يونس بن فروة في قتل عبد الله بن علي فقال: لا تفعل فإنه يقتلك به وإن طلبه منك فلا ترده إليه سراً! فلما قفل المنصور من الحج دس على أعمامه من يجرضهم على الشفاعة في أخيهم عبد الله فشفعهم وقال لعيسى: جئنا به فقال: قتلته كما أمرتني! فأنكر المنصور وقال: خذوه بأخيكم فخرجوا به ليقتلوه حتى اجتمع الناس واشتهر الأمر فجاء به، وقال: هو ذا حي سويٌّ! فجعله المنصور في بيت أساسه ملح، وأجرى عليه الماء فسقط ومات).

قال الطبري (٦/ ١٤٥) يصف خيانة المنصور العلنية بأعمامه: (ونهب أبو جعفر من مجلسه، فقال لسليمان وعيسى: سارعا بعبد الله. فلما خرجا افتقدا عبد الله من المجلس الذي كان فيه، فعلم أنه قد حبس.. وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحاب عبد الله بن علي من عواتقهم وحبسوا، وقد كان خفاف بن منصور (قائد عباسي تميمي) حذرهم ذلك وندم على

مجئيه وقال لهم: إن أنتم أطعتموني شددنا شدة واحدة على أبي جعفر، فوالله لا يحول بيننا وبينه حائل حتى نأتي على نفسه، ونشد على هذه الأبواب مصلتين سيوفنا، ولا يعرض لنا عارض إلا قتلناه، حتى نخرج وننجو بأنفسنا فعصوه.

فلما أخذت السيوف وأمر بحبسهم جعل خفاف يضرب في لحيته ويتفل في وجوه أصحابه! ثم أمر أبو جعفر بقتل بعضهم بحضرته، وبعث بالبقية إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان، فقتلهم بها).

وضرب في لحيته: أخرج صوتاً من فمه ووضع يده على لحيته، للسخرية من نفسه، أو غيره.

وقد روى المؤرخون أن الخليفة التقي المجاهد حامي حمى الدين ومؤسس مذاهب المسلمين أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قد نكث بعهده ونقض أمانه، وخفر ذمة عميه عيسى وسليمان، بعد أن حلف لهما بالأيمان المغلظة، فجاءوا له بأخيها عبد الله فحبسه بحيلة، وطردهما مع حاميتيهما، ثم استعمل عمه المحبوس للمساومة والحيلة مع ابن عمه موسى ولي عهد السفاح ليعزله مع أن أخاه السفاح نص عليه معه في عهده لهما!

وفي نهاية ابن كثير (١٠/١١١): (استدعى عيسى بن موسى وقال له: إن هؤلاء شفَعُوا في عبد الله بن علي وقد أجبتهم إلى ذلك فسلمه إليهم. فقال عيسى: وأين عبد الله؟ ذاك قتلته منذ أمرتني. فقال المنصور: لم أمرك بذلك وجحد ذلك وأن يكون تقدم إليه منه أمره في ذلك، فأحضر عيسى الكتب التي كتبها إليه المنصور مرة بعد مرة في ذلك فأنكر أن يكون أراد ذلك وصمم على الإنكار، وصمم عيسى بن موسى أنه قد قتله، فأمر المنصور عند ذلك بقتل عيسى بن موسى قصاصاً بعبد الله! فخرج به بنو هاشم ليقتلوه فلما جاؤوا بالسيف قال: ردوني إلى الخليفة فردوه إليه فقال له: إن عمك حاضر ولم أقتله، فقال: هلمَّ به! فأحضره فسقط في يد الخليفة وأمر بسجنه بدار جدرانها مبنية على ملح، فلما كان من الليل أرسل على جدرانها الماء فسقط عليه البناء فهلك! ثم أمر بقتل بعضهم بحضرته وبعث الباقيين إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها).

تفنن في قتل ابن المقفع وفي تبرئة قاتله!

ابن المقفع عالم أجاد اللغات الثقافية المهمة في عصره، وألف كتباً في الأدب والحكمة، وترجم كتباً في الفلسفة والطب، اشتهر منها كتاب كليله ودمنه. ونسب في شبابه الى الزندقة، ثم أسلم، وكان كاتباً عند والي البصرة عم المنصور. (وفيات الأعيان: ٢/ ١٥١).

وكان له أصدقاء زنادقة كابن أبي العوجاء، وأبي شاعر الديصاني، وعبد الملك البصري، وابن طالوت، وابن الأعمى، لكنه كان مميزاً عليهم وأسلم على يد الإمام الصادق عليه السلام. ففي الكافي (١/ ٧٤) أن ابن المقفع كان مع أصدقائه في المسجد الحرام فقال: (ترون هذا الخلق؟ وأوماً بيده إلى موضع الطواف، ما منهم أحد أوجب له إسم الانسانية إلا ذلك الشيخ الجالس يعني أبا عبد الله جعفر بن محمد، فأما الباقر فرعاع وبهائم!

فقال له ابن أبي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الإسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال: لأني رأيت عنده ما لم أره عندهم! فقال له ابن أبي العوجاء: لا بد من اختبار ما قلت فيه منه. قال: فقال ابن المقفع: لا تفعل فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك، فقال: ليس ذارأيك ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحل الذي وصفت!

فقال ابن المقفع: أما إذا توهمت عليّ هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلل ولا تشي عنانك إلى استرسال فيسلمك إلى عقاب وسمه مالك أو عليك. قال: فقام ابن أبي العوجاء وبقيت أنا وابن المقفع جالسين فلما رجع إلينا ابن أبي العوجاء قال: ويلك يا ابن المقفع، ما هذا ببشر! وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهراً، ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا! فقال له: وكيف ذلك؟ قال: جلست إليه فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون، يعني أهل الطواف، فقد سلموا وعطبتهم، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون، فقد استويتهم وهم. فقلت له: يرحمك الله وأي شيء نقول وأي شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلا واحداً! فقال: وكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدينون بأن في السماء إلهاً وأنها

عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد! قال: فاغتمتها منه فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان، ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الايمان به؟ فقال لي: ويلك وكيف احتجبت عنك من أراك قدرته في نفسك: نشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبك بعد بغضك، وبغضك بعد حبك، وعزمك بعد أناتك وأناتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك. وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك.. وما زال يعدد علي قدرته التي هي في نفسي، التي لا أدفعها، حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه).

ويدل على إسلام ابن المقفع أيضاً، أنهم اتهموا والي البصرة بقتله واقتادوه إلى المنصور ليقتص منه، فلم ينكر ذلك أحد! فلو كان غير مسلم لما طلبوا القصاص به. وقد اشتهر ابن المقفع بتهوره فقد سئل الخليل: (كيف رأيت عبد الله؟ قال: ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ قال: ما رأيت مثله، وعقله أكثر من علمه). (أمالي المرتضى: ١/٩٤). وصدق الخليل، فقد أهلك ابن المقفع نفسه بسوء تقديره!

قال ابن خلكان في الوفيات (١٥٢/٢): (وهرب عبد الله بن علي إلى أخويه سليمان وعيسى، واستتر عندهما خوفاً على نفسه من المنصور، فتوسط له عند المنصور ليرضى عنه ولا يؤاخذه بما جرى منه، فقبل شفاعتهما وافقوا على أن يكتب له أمان من المنصور.. فلما أتيا البصرة قالوا لعبد الله بن المقفع أكتبه أنت وبالغ في التأكيد كي لا يقتله المنصور. وقد ذكرت أن ابن المقفع كان كاتباً لعيسى بن علي فكتب ابن المقفع الأمان وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله: ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق، ودوابه حبس (وقف) وعبيده

أحرار، والمسلمون في حل من بيعته!

وكان ابن المقفع يتنوق في الشروط، فلما وقف عليه المنصور عظم ذلك عليه وقال: من كتب هذا؟ فقالوا له: رجل يقال له عبد الله بن المقفع يكتب لأعمامك، فكتب إلى سفيان المهلبى متولي البصرة المقدم ذكره يأمره بقتله! وكان سفيان شديد الحنق عليه فاستأذن ابن المقفع يوماً على سفيان فأخر إذنه حتى خرج من كان عنده، ثم أذن له فدخل فعدل به إلى حجرة فقتله فيها! قال المدائني: لما دخل ابن المقفع على سفيان قال له: أتذكر ما كنت تقول في أمي؟ فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي. فقال: أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد! وأمر بتنور فُسجّر ثم أمر بابن المقفع فقطعت أطرافه عضواً عضواً وهو يلقىها في التنور وهو ينظر! حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنور وقال: ليس عليّ في المثلة بك حرج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس!

وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل إنه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها، فخاصمها إلى المنصور وأحضره إليه مقيداً وحضر اليهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج، فأقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور: أنا أنظر في هذا الأمر. ثم قال لهم: أرأيتم إن قتل سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت، وأشار إلى باب خلفه وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم، أقتلكم بسفيان؟! فرجعوا كلهم عن الشهادة، وعلموا أن قتله كان برضا المنصور).

أقول: صدق ابن المقفع في تشدده في نصر أمان المنصور، لأن المنصور كغيره من العباسيين لا يُفنون بعهد ولا ذمة! وقد كتب مهدي الحسينيين للمنصور: (فأي الأمانات تعطيني: أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله بن علي، أم أمان أبي مسلم!) وقد طالت قصة عمه عبد الله سنين، حتى وقع في مخالفه!

قال ابن خلدون (٣/ ١٨٥): (كان عبد الله بن علي بعد هزيمته أمام أبي مسلم، لحق بالبصرة ونزل على أخيه سليمان، ثم إن المنصور عزل سليمان سنة تسع وثلاثين فاختمى عبد الله وأصحابه، فكتب المنصور إلى سليمان وأخيه عيسى بأمان عبد الله وقواده ومواليه، وإشخاصهم إلى

المنصور معها، فشخصوا.

ولما قدما عليه فأذن لهما فأعلماه بحضور عبد الله واستأذناه له، فشغلها بالحديث، وأمر بحبسه في مكان قد هياه له في القصر، فلما خرج سليمان وعيسى لم يجدا عبد الله، فعلما أنه قد حبس وأن ذمتها قد أخفرت! فرجعا إلى المنصور فحبسا عنه!
وتوزع أصحاب عبد الله بين الحبس والقتل، وبعث ببعضهم إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها..الخ!

أقول: كل بني علي بن عبد الله بن العباس سفاكون للدماء، ارتكبوا مجازر تدل على أنهم لا دين لهم ولا قيم عائلية ولا إنسانية! واشتهرت مجزرة عبد الله بن علي في جيشه حيث قتل منهم ألوفاً خوفاً من أن لا يقاتلوا معه جيش المنصور!
وقد صدق أبو حنيفة في وصف المنصور باللص المتغلب! وهو لص سفاكٌ للدماء بالمكر والحيلة والخيانة! والأعجب منه محبوه الذين يعدونه من أمجاد هذا الدين وأمته!
وهكذا أمر المنصور واليه المهلبى الوحشي بقتل ابن المقفع، ثم خلصه من القصاص بحيلة شيطانية، وأذهب دم مسلم هدرًا! كل ذلك لأنه لم يعجبه نص أمان كتبه!
إنه يكفي الباحث أن يتأمل في قتل ابن المقفع، وعبد الله بن علي عم المنصور وبقية أعمامه، ليعرف أنه لا يوجد عند المنصور لا تقوى ولا دين ولا قيم عائلية ولا إنسانية، وأن أبا حنيفة كان صادقاً عندما وصفه باللص المتغلب على الخلافة! فقد افتتح عصرهم بالقتل بالمكر والحيلة والخيانة، الذي نصفه اليوم بالعصر الزاهي، ونعده من أمجاد هذا الدين وهذه الأمة!



قرر المنصور الدوانيقي إبادة كل بني علي عليه السلام

أسس المنصور سياسة المجازر فيهم حتى أوقفها المأمون!

رأى المنصور أن القتل المفرد لا يشبع شهيته فلا بد من إبادة كل أبناء علي وفاطمة عليهما السلام!

وقد بدأ بقتل مهدي الحسينيين محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى وأنصاره، وكان يأخذ بركابه! قال عمير بن الفضل الخثعمي: رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار أبيه، وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود، وأبو جعفر ينتظره، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب ثم سوى ثيابه على السرج ومضى محمد! فقلت وكنت حيثنأ لا أعرف محمداً: من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه؟ قال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، مهدينا أهل البيت). (مقاتل الطالبين/ ١٦١).

وأصعب معركة خاضها المنصور كانت مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى، الذي سيطر على البصرة ومحيطها، وقاد جيشاً من سبعين ألف مقاتل، وهزم جيش المنصور ووصل إلى مشارف مقره في الكوفة، وتهيأ المنصور للفرار لكن شاء الله تعالى أن يصيب إبراهيم سهم عابر فقتله وانهمز جيش إبراهيم، فكان انتصار المنصور حظاً وقدرًا.

واستكمل المنصور تقتيل الحسينيين فلم يبق منهم إلا الشريد. وأمعن في قتل الحسينيين، لكن بقية الغصة عنده سيدهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام!

قال محمد بن الإسكندري: (كنت من خواص المنصور أبي جعفر الدوانيقي، وكنت أقول بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فدخلت يوماً على أبي جعفر وإذا هو يفرك يديه ويتنفس تنفساً بارداً، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه الفكرة؟ فقال: يا محمد إني قتل من ذرية فاطمة بنت رسول الله ألفاً أو يزيدون، وقد تركت سيدهم! فقلت له: ومن ذلك

يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذلك جعفر بن محمد!) (الثاقب في المناقب/ ٢٠٨ و عيون المعجزات/ ٨٠)

قال المفيد عليه السلام في الإرشاد (١/٣١١): (ومن آيات الله تعالى في أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يُمنَ أحد في ولده وذريته بما مني عليه السلام في ذريته، وذلك أنه لم يعرف خوف شمل جماعة من ولد نبي ولا إمام ولا ملك زمان ولا بر ولا فاجر، كالخوف الذي شمل ذرية أمير المؤمنين عليه السلام ولا لحق أحداً من القتل والطرْد عن الديار والأوطان والإخافة والإرهاب ما لحق ذرية أمير المؤمنين عليه السلام وولده، ولم يجر على طائفة من الناس من ضروب النكال ما جرى عليهم من ذلك، فقتلوا بالفتك والغيلة والإحتيال وبني على كثير منهم وهم أحياء البنيان، وعذبوا بالجوع والعطش حتى ذهبت أنفسهم. وأحوجهم ذلك إلى التمزق في البلاد ومفارقة الديار والأهل والأوطان، وكتمان نسبهم عن أكثر الناس. وبلغ بهم الخوف إلى الإستخفاء من أحبائهم فضلاً عن الأعداء، وبلغ هربهم من أوطانهم إلى أقصى الشرق والغرب والمواقع النائية في العمران، وزهد في معرفتهم أكثر الناس ورغبوا عن تقريبيهم والإختلاط بهم، مخافة على أنفسهم وذرائعهم من جبابرة الزمان).

وقال أحمد حسين يعقوب في نظرية عدالة الصحابة / ١٣٦: (قال مشافهةً للإمام الصادق: لأقتلنك ولأقتلن أهلك حتى لا أبقى على الأرض منكم قامة سيف، ولأضربن المدينة حتى لا أترك فيها جداراً قائماً. ويقول الطبري في تاريخه: إن المنصور هذا ترك خزانة رؤوس ميراثاً لولده المهدي كلها من العلويين، وقد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه ومن بينها رؤوس شيوخ وشبان وأطفال! والمنصور هو الذي كان يضع العلويين في الأسطوانات ويسمرهم في الحيطان كما ذكر اليعقوبي في تاريخه ويتركهم يموتون في المطبق جوعاً وتقتلهم الروائح الكريهة، حتى لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لإزالة الضرورة. وكان يموت أحدهم ويترك حتى يبلى من غير دفن ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم أحياء وهم في أغلالهم).

واصل المنصور سياسة بني أمية في ابادَة فضائل أهل البيت عليهم السلام

وكما قرر المنصور إبادَة جميع بني علي عليه السلام، كذلك قرر إبادَة أحاديثهم وفضائلهم. روى الخوارزمي في مناقب علي عليه السلام / ٢٨٤ والصدوق في أماليه / ٥٢١، وغيرهما: (حدثنا جرير بن عبد

الحميد، عن الأعمش، وسياق الحديث لمندل بن علي العنزي عن الأعمش قال: بعث إلي أبو جعفر الدوانيقي في جوف الليل أن أجب. قال: فبقيت متفكراً فيما بيني وبين نفسي وقلت: ما بعث إلي أمير المؤمنين في هذه الساعة إلا ليسألني عن فضائل علي عليه السلام ولعلي إن أخبرته قتلني. قال: فكتبت وصيتي ولبست كفني ودخلت عليه فقال: أدن، فدنوت وعنده عمرو بن عبيد، فلما رأيته طابت نفسي شيئاً ثم قال: أدن فدنوت حتى كادت تمس ركبتي ركبته قال: فوجد مني رائحة الحنوط فقال: والله لتصدقني أو لأصلبناك. قلت: ما حاجتك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما شأنك متحنطاً؟ قلت: أتاني رسولك في جوف الليل أن أجب فقلت: عسى أن يكون أمير المؤمنين بعث إلي في هذه الساعة ليسألني عن فضائل علي عليه السلام فلعلي إن أخبرته قتلني فكتبت وصيتي ولبست كفني! قال: وكان متكئاً فاستوى قاعداً فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، سألتك بالله يا سليمان كم حديثاً تروي في فضائل علي؟ قال: فقلت: يسيراً يا أمير المؤمنين. قال: كم؟ قلت: عشرة آلاف حديث وما زاد. فقال: يا سليمان والله لأحدثك بحديث في فضائل علي عليه السلام تنسى كل حديث سمعته، قال: قلت: حدثني يا أمير المؤمنين. قال: نعم، كنت هارباً من بني أمية وكنت أتردد في البلدان، فأتقرب إلى الناس بفضائل علي، وكانوا يطعموني ويزودوني حتى وردت بلاد الشام، وإني لفي كساء خلق ما علي غيره، فسمعت الإقامة وأنا جائع فدخلت المسجد لأصلي وفي نفسي أن أكلم الناس في عشاء يعشوني، فلما سلم الإمام دخل المسجد صبيان فالتفت الإمام إليهما وقال: مرحباً بكما، ومرحباً بمن إسمكما على إسمهما، فكان إلى جنبي شاب فقلت: يا شاب، ما الصبيان من الشيخ؟ قال: هو جدكما وليس بالمدينة أحد يجب عليك غير هذا الشيخ، فلذلك سمى أحدهما الحسن والآخر الحسين، فقمتم فرحاً فقلت للشيخ: هل لك في حديث أقر به عينك؟ قال: إن أقررت عيني أقررت عينك. قال: فقلت: حدثني والدي، عن أبيه، عن جده قال: كنا قعوداً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءت فاطمة عليها السلام تبكي، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا أبا، خرج الحسن والحسين، فما أدري أين

باتا؟ فقال لها النبي ﷺ: يا فاطمة، لا تبكي فالله الذي خلقهما هو ألطف بهما منك. ورفع النبي ﷺ يده إلى السماء فقال: اللهم إن كانا أخذنا براً أو بحراً فاحفظهما وسلمهما، فنزل جبرئيل عليه السلام من السماء فقال: يا محمد، إن الله يقرؤك السلام وهو يقول: لا تحزن ولا تغتم لهما، فإنهما فاضلان في الدنيا، فاضلان في الآخرة وأبوهما أفضل منهما، هما نائمان في حظيرة بني النجار، وقد وكل الله بهما ملكاً.

قال: فقام النبي ﷺ فرحاً ومعه أصحابه حتى أتوا حظيرة بني النجار، فإذا هم بالحسن معانقاً للحسين عليه السلام، وإذا الملك الموكل بهما قد افترش أحد جناحيه تحتها وغطاهما بالآخر، قال فمكث النبي ﷺ يقبلهما حتى انتبها فلما استيقظا حمل النبي ﷺ الحسن، وحمل جبرئيل الحسين فخرج من الحظيرة وهو يقول: والله لأشرفنكما كما شرفكما الله عز وجل. فقال له أبو بكر: ناولني أحد الصبيين أخفف عنك. فقال: يا أبا بكر، نعم الحاملان، ونعم الراكبان، وأبوهما أفضل منهما.

فخرج حتى أتى باب المسجد فقال: يا بلال هلمّ عليّ بالناس، فنادى منادي رسول الله في المدينة، فاجتمع الناس عند رسول الله ﷺ في المسجد، فقام على قدميه، فقال: يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، فإن جدتهما محمد، وجدتهما خديجة بنت خويلد.

يا معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟ فقالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، فإن أباهما عليّ يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وأمهما فاطمة بنت رسول الله.

يا معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، فإن عمهما جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة مع الملائكة، وعمتها أم هانئ بنت أبي طالب.

يا معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، فإن خالهما القاسم بن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله، ثم قال بيده هكذا يحشرنا الله.

ثم قال: اللهم إنك تعلم أن الحسن في الجنة، والحسين في الجنة، وجدهما في الجنة، وجدتهما في الجنة، وأبهما في الجنة، وأمهما في الجنة، وعمهما في الجنة، وعمتهما في الجنة، وخالهما في الجنة، وخالتهما في الجنة، اللهم إنك تعلم أن من يجبهما في الجنة، ومن يبغضهما في النار.

قال: فلما قلت ذلك للشيخ قال: من أنت يا فتى؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: أعربي أنت أم مولى؟ قال: قلت: بل عربي. قال: فأنت تحدث بهذا الحديث وأنت في هذا الكساء! فكساني خلعتة وحملي على بغلته فبعتهما بمائة دينار فقال: يا شاب، أقررت عيني، فوالله لأقرن عينك ولأرشدنك إلى شاب يقر عينك اليوم، قال: فقلت: أرشدني. قال: لي أخوان، أحدهما إمام، والآخر مؤذن، أما الإمام فإنه يحب علياً عليه السلام منذ خرج من بطن أمه، وأما المؤذن فإنه يبغض علياً عليه السلام منذ خرج من بطن أمه.

قال: قلت: أرشدني، فأخذ بيدي حتى أتى باب الإمام، فإذا أنا برجل قد خرج إلي، فقال: أما البغلة والكسوة فأعرفهما، والله ما كان فلان يحملك ويكسوك إلا أنك تحب الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، فحدثني بحديث في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام قال فقلت: أخبرني أبي، عن أبيه، عن جده، قال: كنا قعوداً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءت فاطمة عليها السلام تبكي بكاء شديداً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك، يا فاطمة؟ قالت: يا أبا عيرتني نساء قريش وقلن: إن أباك زوجك من معدم لا مال له. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: لا تبكي، فوالله ما زوجتك حتى زوجك الله من فوق عرشه، وأشهد بذلك جبرئيل وميكائيل، وإن الله عز وجل اطلع على أهل الدنيا فاختر من الخلائق أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع الثانية فاختر من الخلائق علياً، فزوجك إياه، واتخذة وصياً، فعلي أشجع الناس قلباً، وأحلم الناس حلماً، وأسمح الناس كفاً، وأقدم الناس سلماً، وأعلم الناس علماً، والحسن والحسين ابناه، وهما سيدا شباب أهل الجنة، واسمهما في التوراة شبر وشبير لكرامتهما على الله عز وجل.

يا فاطمة لا تبكين، فوالله انه إذا كان يوم القيامة يكسى أبوك حلتين، وعلي حلتين، ولواء الحمد بيدي، فأنا وله علياً لكرامته على الله عز وجل.

يا فاطمة لا تبكين، فإني إذا دعيت إلى رب العالمين يجيء علي معي، وإذا شفعتني الله عز وجل شفح علياً معي. يا فاطمة لا تبكين، إذا كان يوم القيامة ينادي مناد في أهوال ذلك اليوم: يا محمد نعم الجد جدك إبراهيم خليل الرحمن، ونعم الأخ أخوك علي.

يا فاطمة، علي يعينني على مفاتيح الجنة وشيعته هم الفائزون يوم القيامة غداً في الجنة. فلما قلت ذلك قال: يا بني ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: أعربي أنت أم مولى؟ قلت: بل عربي. قال: فكساني ثلاثين ثوباً، وأعطاني عشرة آلاف درهم. ثم قال: يا شاب، قد أقررت عيني، ولي إليك حاجة. قلت: قضيت إن شاء الله.

قال: فإذا كان غداً فأت مسجد آل فلان كما ترى أخي المبعوض عليه السلام. قال: فطالت علي تلك الليلة فلما أصبحت أتيت المسجد الذي وصف لي فقممت في الصف، فإذا إلى جانبي شاب متعمم، فذهب ليركع فسقطت عما مته، فنظرت في وجهه، فإذا رأسه رأس خنزير، ووجهه وجه خنزير، فوالله ما علمت ما تكلمت به في صلاتي حتى سلم الإمام فقلت: يا ويحك ما الذي أرى بك؟ فبكى وقال لي: أنظر إلى هذه الدار فنظرت فقال لي: أدخل. فدخلت، فقال لي: كنت مؤذناً لآل فلان، كلما أصبحت لعنت علياً ألف مرة بين الأذان والإقامة، وكلما كان يوم الجمعة لعنته أربعة آلاف مرة فخرجت من منزلي فأتيت داري، فاتكأت على هذا الدكان الذي ترى، فرأيت في منامي كأنني بالجنة وفيها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فرحين، ورأيت كأن النبي عن يمينه الحسن، وعن يساره الحسين، ومعه كأس فقال: يا حسن إسقني فسقاه، ثم قال: إسق الجماعة فشربوا، ثم رأيت كأنه قال: إسق المتكئ على هذا الدكان. فقال له الحسن عليه السلام: يا جد، أتأمرني أن أسقي هذا وهو يلعن والدي في كل يوم ألف مرة بين الأذان والإقامة، وقد لعنه في هذا اليوم أربعة آلاف مرة بين الأذان والإقامة!

فأتاني النبي ﷺ فقال لي: مالك عليك لعنة الله تلعن علياً، وعلي مني، وتشتم علياً، وعلي مني، فرأيت أنه كأنه تغل في وجهي وضربني برجله وقال: قم غير الله ما بك من نعمة. فانتهبت من نومي فإذا رأسي رأس خنزير ووجهي وجه خنزير.

قال الأعمش: ثم قال لي أبو جعفر أمير المؤمنين: أهدان الحديثان في يدك؟ فقلت: لا.

فقال: يا سليمان حب علي إيمان، وبغضه نفاق، والله لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق. قال: قلت: الأمان يا أمير المؤمنين؟ قال: لك الأمان. قلت: فما تقول في قاتل الحسين عليه السلام؟ قال: إلى النار وفي النار. قلت: وكذلك من يقتل ولد رسول الله ﷺ إلى النار وفي النار. قال: الملك عقيم يا سليمان أخرج فحدث الناس بفضائل علي بن أبي طالب بكل ما شئت، ولا تكتم منه حرفاً!

أقول: والمنصور يكذب! فقد أوصى مالك بن أنس أن لا يكتب في الموطأ أي حديث عن علي عليه السلام، ولم يسمح للأعمش ولا غيره بالحديث في فضائل علي عليه السلام بل كان يعاقبهم وربما يقتلهم!

الأعمش يتحدى المنصور فيقتله!

أجمع العلماء على اختلاف مذاهبهم على توثيق سليمان بن مهران الأعمش رحمه الله وكان من أهل طبرستان، يمتاز بقوة العقيدة والبصيرة، وقوة الشخصية، وكان محدثاً حافظاً للقرآن والحديث، وإمام الحديث المتفق عليه في الكوفة بعد جابر الجعفي، يقصده الطلبة والفقهاء للتعلم عليه وأخذ الحديث والقرآن منه.

وكان من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام الخاصين، وكان لا يصانع ولا يضارع، ولا يحترم أبا حنيفة وابن شبرمة وابن أبي ليلى وأمثالهم من الضعاف، الذين مشوا مع موجة بني أمية، ثم مع موجة الحسينيين، ثم رضخوا لموجة العباسيين.

سمعت الفضل بن موسى يقول: (دخلت أنا وأبو حنيفة على الأعمش نعوذ به فقال له أبو حنيفة: لولا الثقل عليك لزدت في عيادتك أو لعدت أكثر مما أعودك، فقال له الأعمش: والله إنك لثقل عليّ وأنت في بيتك فكيف إذا دخلت عليّ!) (ابن شاهين/١٢٠).

قال أبو داود صاحب السنن: (سمعت أحمد بن يونس قال: مات الأعمش وأنا ابن أربع عشرة سنة، ورأيت أبا حنيفة رجلاً قبيح الوجه). (سؤالات الأجرى: ١/١٩٢).

(كان أبو حنيفة خزازاً وكان الأعمش صيرفياً). (كامل ابن عدي: ٧/٩).

كان المنصور يحقد على الأعمش لعدم خضوعه له كما خضع غيره من الحفاظ والفقهاء! بل كان الأعمش يتحداه ويروي فضائل علي عليه السلام حتى في مجلسه! فقد اختار يوماً مجلسه العام: (دخل الأعمش على المنصور وهو جالس للمظالم فلما بصر به قال له: يا سليمان تصدّر؟ قال: أنا صدّرٌ حيث جلستُ! ثم قال: حدثني الصادق قال: حدثني الباقر قال: حدثني السجاد قال: حدثني الشهيد أبو عبد الله قال: حدثني أبي وهو الوصي علي بن أبي طالب قال: حدثني النبي صلى الله عليه وآله قال: أتاني جبرئيل أنفأ فقال: تختموا بالعقيق فإنه أول حجر شهد لله بالوحدانية ولمحمد بالنبوة ولعلي بالوصية ولولده بالإمامة ولشيعته بالجنة! قال: فاستدار الناس بوجوههم نحوه فقبل له: تذكر قوماً فتعلم من لا نعلم! فقال: الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والسجاد علي بن الحسين، والشهيد الحسين بن علي، والوصي وهو التقي علي بن أبي طالب). (العمدة/٣٧٨، والطرائف/١٣٤، عن ابن المغازلي)

ولم تذكر الرواية ردة فعل المنصور، لكن لا بد أنه حرّق الإرم على الأعمش، كيف يدبر قتله!

والمرجح عندي أنه سخر أبا حنيفة لمنع الأعمش من رواية فضائل علي عليه السلام وقد روت مصادر السنة والشيعنة بسند صحيح، أن الأعمش عليه السلام تحدى في ختام حياته أبا حنيفة والمخالفين لأهل البيت عليهم السلام!

ورواها الطوسي في الأمالي/٦٢٨: (بسنده عن شريك بن عبد الله القاضي قال: حضرت الأعمش في علته التي قبض فيها فيينا أنا عنده إذ دخل عليه ابن شبرمة وابن أبي ليلى وأبو حنيفة، فسألوه عن حاله فذكر ضعفاً شديداً وذكر ما يتخوف من خطيئاته وأدركته رنة فبكى، فأقبل عليه أبو حنيفة فقال: يا أبا محمد إتق الله وانظر لنفسك، فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقد كنت تحدث في علي بن أبي طالب بأحاديث، لو رجعت عنها كان خيراً لك. قال

الأعمش: مثل ماذا يا نعمان؟ قال: مثل حديث عباية: أنا قسيم النار. قال: أو لمثلي تقول هذا يا يهودي! أقعدوني سندوني أقعدوني: حدثني والذي إليه مصيري موسى بن طريف، ولم أر أسدياً كان خيراً منه قال: سمعت عباية بن ربعي إمام الحبي قال: سمعت علياً أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنا قسيم النار، أقول هذا وليي دعيه وهذا عدوي خذيه. وحدثني أبو المتوكل الناجي في إمرة الحجاج وكان يشتم علياً عليه السلام شتماً مقدعاً يعني الحجاج عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يأمر الله عز وجل فأقعد أنا وعلي على الصراط، ويقال لنا: أدخلنا الجنة من آمن بي وأحبكم، وأدخلنا النار من كفر بي وأبغضكم. قال أبو سعيد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما آمن بالله من لم يؤمن بي، ولم يؤمن بي من لم يتول علياً وتلى: *الْقِيَامَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ*. قال: فجعل أبو حنيفة إزاره على رأسه وقال: قوموا بنا لا يحيؤنا أبو محمد بأطم من هذا. قال الحسن بن سعيد: قال لي شريك بن عبد الله: فما أمسى يعني الأعمش حتى فارق الدنيا رحمته الله.

وقد وصف الأعمش أبا حنيفة بأنه يهودي، لأن مبغض علي والعترة يحشر يهودياً! (قال جابر بن عبد الله الأنصاري: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فسمعته وهو يقول: أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً! فقلت: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، احتجر بذلك من سفك دمه، وأن يؤدى الجزية عن يد وهم صاغرون). (مجمع الزوائد ٩/ ١٧٢) وأحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٦٦١) وشواهد التنزيل (١/ ٤٩) بأسانيد، وفيها عندهم حسنٌ على الأقل).

ويدل على أن أبا حنيفة كان مكلفاً من المنصور أنه عاش مع الأعمش عمراً من زمن بني أمية إلى ثورات العلويين وحكم العباسيين فلم يتكلم معه في ذلك إلا في زمن المنصور!

أوصى الدوانيقي ابنه أن يتابع سياسة إبادة عترة النبي صلى الله عليه وآله

روى الطبري (٦/ ٣٤٣): (لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي، وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزان، وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأيمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، ولا تطلع عليها

أحداً إلا المهدي ولا هي إلا أن يصح عندها موته فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معها ثالث حتى يفتحها الخزانة!

فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته، فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة، فتح الباب ومعه ربطة فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبين وفي آذانهم رقع فيها أنسابهم! وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة! فلما رأى ذلك ارتاع لما رأى، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان). والأزج غرفة مخروطة الشكل، فيها جماجم العلويين! (الصحيح: ١/٢٩٨).

ويظهر أنهم شخصيات أو أسر، ذنبهم أن المنصور بحساباته خشي منهم في المستقبل أن يخالفوا ابنه المهدي فيتكلموا ضده أو يثوروا عليه! وأنه قتلهم في سجنه ولم يُسلم جثثهم لذويهم! واحتفظ بهم نموذجاً لولده ليركز في نفسه عداوتهم له وخطرهم عليه، وضرورة استمراره في سياسة أبيه في إبادتهم!

أما كتابته لنسب كل واحد منهم في رقعة، فهو بذلك يقول لابنه لا تخف من النسب وأنهم أبناء النبي صلى الله عليه وآله وذريته من فاطمة وعلي عليهما السلام!

ومعنى تعليق الرقعة كل واحد في آذانهم: في عظم الجمجمة مكان آذانهم!

كان يرى أن ثورة الخراسانيين قضت على المشروع الأموي وبقي المشروع العلوي بفرعيه: الحسيني الطامح للحكم، وقد أبادهم فلم يبق منهم إلا الشريد.

والفرع الحسيني الذي يعتقد بإمامة اثني عشر إماماً بعد النبي صلى الله عليه وآله وقد أمعن المنصور فيهم تقتيلاً وكان يرى أن خطته ناقصة حتى يقتل سيدهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام!

ولم يكمل إبادتهم فأوصى ابنه (المهدي) وصية مشددة بأن يواصل خطته! فلم يطعه ابنه!



زعم المنصور أن العباسيين هم عترة النبي ﷺ وورثته

زعم المنصور أن العباسيين هم أصحاب الحق في الخلافة والحكم بعد النبي ﷺ وهم الورثة الوحيدون للنبي ﷺ. وأعلن نفسه الوارث الوحيد للعباس وأن الحكم في ذريته دون غيره الى يوم القيامة! وفي نفس الوقت قام بقتل إخوته، وأعمامه، وأبنائهم، أو بإخضاعهم، وأعد ابنه محمداً وسماه المهدي. وجعل مستنده في ذلك مناماً رآه، وبرأيي أنه ادعاه كذباً، فزعم أن النبي ﷺ عقد له لواءً أسود، وأوصاه بأتمته وقال له: (خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة)! وأمر المنصور المسلمين أن يكتبوا هذا المنام المقدس العظيم بالذهب ويعلقوه في أعناق صبيانهم! وأطاعه علماء الخلافة فرووه وصححووا سنده وقبلوه فصار نصاً نبوياً! وروته ثلاثة مصادر مهمة عندهم على أنه حديث نبوي بسند صحيح: تاريخ بغداد (٨٥/١) وتاريخ دمشق (٣٠١/٣٢) ونهاية ابن كثير (١٠/١٢٩) ونصه الكامل: (عن محمد بن إبراهيم الإمام قال: قال المنصور يوماً ونحن جلوس عنده: أتذكرون رؤيا كنت رأيتها ونحن بالشرارة؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين ما نذكرها فغضب من ذلك وقال: كان ينبغي لكم أن تثبتوها في ألواح الذهب وتعلقوها في أعناق الصبيان! فقال عيسى بن علي: إن كنا قصرنا في ذلك فنستغفر الله يا أمير المؤمنين، فليحدثنا أمير المؤمنين بها! قال: نعم: رأيت كأني في المسجد الحرام وكأن رسول الله ﷺ في الكعبة وبابها مفتوح والدرجة موضوعة وما أفقد أحداً من الهاشميين ولا من القرشيين إذا منادٍ ينادي: أين عبد الله؟ فقام أخي أبي العباس يتخطى الناس حتى صار على الدرجة فأخذ بيده فأدخل البيت، فما لبث أن خرج علينا ومعه قناة عليها لواء قدر أربع أذرع أو أرجح، فرجع حتى خرج من باب المسجد. ثم نودي أين عبد الله؟ فقامت أنا وعبد الله بن علي نستبق حتى صرنا إلى الدرجة فجلس وأخذ بيدي فأصعدت فأدخلت الكعبة وإذا رسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال، فعقد لي وأوصاني بأتمته وعممني فكان كورها ثلاثة وعشرين كوراً، وقال: خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة). وتتعجب من علمائهم كيف قبلوا هذا المنام والكلام وهو يلغي أبا بكر وعمر وعثمان!

لأن رسول الله صلى الله عليه وآله اختار العباس وذريته حكاماً على الأمة، وأن حكمهم سيبقى الى يوم القيامة! فعلى المسلمين أن يشكروا الله على هذه النعمة العظيمة، ويكتبوا منامه على ألواح الذهب ويعلقوه في أعناق صبيانهم، ويدرسوه في المدارس والمساجد!
 إن عقدة المنصور هي عبادة الذات! فهو لا يقنع حتى يعطي لنفسه قداسة النبي صلى الله عليه وآله ويعطي ذريته قداسة العترة عليهم السلام ويقول إن خلافته ربانية!
 ثم لما سطا على الخلافة عمل بكل حيلة حتى عزل ابن أخيه عن ولاية العهد، ونصب ابنه، وزعم أنه المهدي الموعود الذي يملأ الأرض عدلاً!
 وقد كشف الله كذبه فلم يملأ ابنه (المهدي) الأرض عدلاً، ولا ملأ بيته ثم انتهى حكم ذريته قبل يوم القيامة، والحمد لله.

وأضاف المنصور مستنداً آخر لنظريته، أن العباس الوارث الوحيد للنبي صلى الله عليه وآله! فكتب في رسالته الى مهدي الحسينين: (ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي غيره، فكان وراثته من عمومته.. فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة، إلا والعباس وارثه ومورثه)! (الطبري: ٦/١٩٩).

ثم ناقض المنصور نفسه فأعلن توليه لأبي بكر وعمر

لما رأى المنصور أن عامة الصوفية، وكبار الرواة وفقهاء السنة، كأبي حنيفة، ومالك وسفيان الثوري، بايعوا الحسينيين وأفتوا لهم بأن بيعة المنصور باطلة لأنها بيعة إكراه، وأن إبراهيم استطاع أن يجند بهؤلاء من البصرة وما حولها سبعين ألفاً وكاد أن يحقق النصر على المنصور بهم، عرف أن سبب إجماع الجمهور على الحسينيين، أنهم غيروا مذهبهم وتبنوا إمامة أبي بكر وعمر والترضي عليهما، فقرر هو أن يغير مذهبه!

وقد بدأ بهذا التغيير عبد الله بن الحسن المثنى فقد كان يُسأل عن الشيخين فيقول: (أمنا فاطمة صديقة ابنة نبي مرسل، ماتت وهي غضبي على قوم فنحن غضاب لغضبها). (شرح النهج: ٦/٤٩). ثم غيّر رأيه واستعمل ورقة أبي بكر وعمر، لجمع الناس ضد المنصور فصار

يقول: (والله لا يقبل الله توبة عبد تبرأ من أبي بكر وعمر، وإنما ليعرضان على قلبي فأدعو الله لهما، أتقرب به إلى الله عز وجل). (تاريخ دمشق: ٢٧ / ٣٧٣).

روى علي بن سعيد: (كنت جالسا عند أبي عبد الله عليه السلام... فقال رجل من أصحابنا: جعلت فداك إن عبد الله بن الحسن يقول: ما لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا! فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد كلام: أما تعجبون من عبد الله يزعم أن أباه علياً عليه السلام لم يكن إماماً، ويقول إنه ليس عندنا علم! وصدق والله ما عنده علم، ولكن والله وأهوى بيده إلى صدره إن عندنا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ودرعه! وعندنا والله مصحف فاطمة عليها السلام ما فيه آية من كتاب الله، وإنه لمن إماء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده، والجفر، وما يدرون ما هو). (بصائر الدرجات: ١٧٣).

فاعتبر المنصور أن سبب نجاح آل الحسن إعلانهم تولي أبي بكر وعمر، فقرر تغيير مذهبه وأمر أن يذكر أبو بكر وعمر في خطبة الجمعة ويترضى عليهما.

قال العلامة في منهاج الكرامة/ ٦٩: (ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنها بدعة، وأن النبي صلى الله عليه وآله قال: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فإن مصيرها إلى النار، وقال صلى الله عليه وآله: من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو ردٌّ عليه! ولو ردُّوا عنها كرهته نفوسهم ونفرت قلوبهم، كذكر الخلفاء في خطبتهم، مع أنه بالإجماع لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله ولا في زمن أحد من الصحابة والتابعين، ولا في زمن بني أمية، ولا في صدر ولاية العباسيين، بل هو شئ أحدثه المنصور لما وقع بينه وبين العلوية فقال: والله لأرغمن أنفي وأنوفهم، وأرفعن عليهم بني تيم وعدي، وذكر الصحابة في خطبته، واستمرت هذه البدعة إلى هذا الزمان)!

كما أمر الفقهاء أن يفتوا به: (قال مالك: قال لي المنصور: من أفضل الناس بعد رسول الله؟ فقلت: أبو بكر وعمر. فقال: أصبت! وذلك رأي أمير المؤمنين). (نهاية ابن كثير: ١٠ / ١٣٠).

وقوله: لأرغمن أنفي وأنوف بني علي، معناه: عليّ وعلى أعدائي يارب! فهدفه الأهم أن يواجه ثورات العلويين، حتى لو ناقض بذلك نفسه، ونقض مذهب بني العباس!

أطاع فقهاء المذاهب المنصور وزادوا عليه!

قال ابن تيمية في الصارم المسلول (٣/ ١٠٦١): (وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة. قال محمد بن يوسف الفريابي وسئل عن شتم أبا بكر قال: كافر. قيل: فيصلى عليه؟ قال: لا. وسأله كيف يصنع به وهو يقول لا إله الا الله؟ قال: لا تمسوه بأيديكم، إدفوه بالخشب حتى تواروه في حفرته). (وقال أحمد: أهل البدع لا يعادون إن مرضوا، ولا يشهد جنازتهم إن ماتوا. وهذا قول مالك). (المغني: ٢/ ٤١٩). وأهل البدع مادة قانونية مبهمه، يطبقها الحاكم والقاضي كما يرغب! فقد أمر المتوكل بضرب شخص شتم أبا بكر ألف سوط! و(لما ضرب ترك في الشمس حتى مات، ثم رمى به في دجلة). (الطبري: ٧/ ٣٧٥).

ومع أن أبا حنيفة نادر الرواية، فقد روى أن أبا بكر كان معه ملك يرد عنه الشتم! (تاريخ بغداد: ٥/ ٢٨٠، ومجمع الزوائد: ٨/ ١٨٩، وصحيفة الألباني: ٥/ ٢٣٠).

كان المنصور يتصور أنه يستطيع أن يصنع التاريخ ويصوغ عقائد الناس كما يريد، وكان يرى أن لأبي بكر وعمر محبين كثيراً في الحجاز، وقد كسبهم أعداؤه الحسنيون بالترضي عنهما، فيجب أن يكسبهم هو. لذا أمر بالترضي عنهما في خطبة الجمعة، وتأديب من ينتقدهما! وأفتى صاحبه بذلك. قال هشام بن عمار: (سمعت مالك بن أنس يقول: من سب أبا بكر وعمر جلد ومن سب عائشة قتل). (المحلى: ١١/ ٤١٥).

وتملق اليه الفقهاء وزادوا عليه، فصار ديناً يدان به رغم مخالفة بعض الخلفاء وفئة من المسلمين، فقد روى أبو سليمان الناجي عن المهدي العباسي قال: (جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صلوات لهم وهو ولي عهد، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش، فجاء السيد الحميري فرفع إلى الربيع حاجب المنصور رقعة محتومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه فأوصلها، فإذا فيها:

قل لابن عباس سمِّي محمد
لا تعطين بني عدي درهما

احرم بني تيم بن مرة إنهم
إن تعطهم لا يشكروا لك
ولئن منعتهم لقد بدأوكم
منعوا تراث محمد أعمامه
وتأمروا من غير أن يستخلفوا
لم يشكروا لمحمد أنعامه
والله من عليهم بمحمد
ثم انبروا لوصيه ووليه

شر البرية آخرأ ومقدما
نعمة ويكافؤك بأن تذم وتشتنا
بالمع إذ ملكوا وكانوا أظلما
وابنيه وابنته عديلة مربيا
وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
أفيشكرون لغيره إن أنعمأ!؟
وهذاهم وكسا الجنوب وأطعما
بالمنكرات فجرعوه العلقما

قال: فرمى بها إلى أبي عبيد الله معاوية بن يسار الكاتب للمهدي ثم قال: إقطع العطاء فقطعه وانصرف الناس، ودخل السيد إليه فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ولم يعطهم شيئا). (الطرائف/ ٢٩، والأغاني: ٧/ ٢٦٣، ومواقف الشيعة: ٢/ ٣٩٠).

المنصور يضطهد أهل الكوفة بحجة أبي بكر وعمر

كان بنو العباس يذمون أهل الكوفة لأنهم يوالون آل علي عليه السلام ولا يوالون آل عباس! قال البلاذري (٤/ ٣٦٩): (فلما قتل إبراهيم بن عبد الله وبعث عيسى بن موسى برأسه، أمر المنصور أن يطاف به بالكوفة، ثم خطب المنصور بالكوفة فقال: يا أهل الكوفة عليكم لعنة الله وعلى بلد أتم فيه، للعجب لبني أمية وصبرهم عليكم كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ويسبوا ذراريكم ويخربوا منازلكم، سبئية خشبية، قائل يقول (عن جيش إبراهيم): جاءت الملائكة وقائل يقول: جاء جبريل وهو يقول: أقدم حيزوم، ثم عمدتم إلى أهل هذا البيت وطاعتهم حسنة فأفسدتموهم وانغلتموهم فالحمد لله الذي جعل دائرة السوء عليكم، أما والله يا أهل المدرة الخبيثة لئن بقيت لكم لأذلكم).

وخطابه في أهل الكوفة سنة ١٤٥ نفس خطاب الوالي الأموي لهم سنة ١٢٢، أي قبل بضع وعشرين سنة فقط! فقد خطب الوالي الأموي بعد مقتل زيد عليه السلام فقال: (يا أهل المدرة الخبيثة والله ما يقع لي

بالشنان ولا تقرن بي الصعبة، لقد هممت أن أخرب بلدكم، وأن أحربكم بأموالكم، والله ما أظلت منبري إلا لأسمعكم عليه ما تكرهون، فإنكم أهل بغى وخلاف. ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم، ولو فعل لقتلت مقاتلتكم وسييت ذريتكم! إن يحيى بن زيد ليتنقل في حجال نسائككم كما كان أبوه يفعل!

وما فيكم مطيع إلا حكيم بن شريك المحاربي، ووالله لو ظفرت بيحياكم لعرقت خصيتيه كما عرقت خصيتي أبيه). (أنساب الأشراف: ٢/٥٨ و: ١/٤٠٤ / والطبري: ٦/٣٣٣).

وشتم المنصور أهل الكوفة بقوله (سبئية خشية) وهو شتم أموي، لأن الشيعة قالوا: لكل نبي وصي ووصي نبينا عليه السلام علي وأبناؤه عليهم السلام، فنسب الأمويون هذه المقولة الى عبدالله بن سبأ اليهودي المغالي الذي قتله علي عليه السلام! أما الخشبية فساهم بها الأمويون عندما أرسلهم المختار لتخليص محمد بن الحنفية وبني هاشم، حيث سجنهم ابن الزبير وأعطاهم مهلة ليبايعوه أو يقتلهم، فأوصاهم المختار أن يحفظوا حرمة الحرم ولا يدخلوه بالسلاح، فدخلوا وهم يحملون عصي الخشب فسموهم الخشبية! وقد وثقنا ذلك في المجلد الرابع وقلنا إنه منقبة للمختار.

والذي يهمنا هنا أن المنصور تبنى تعظيم أبي بكر وعمر ليرغم أنوف بني علي وأنفه كما قال، لأن حركات بني هاشم قامت على إعلان ظلم قريش لهم والبراءة من بني أمية وبني تيم وعدي! وأذكر أني قرأت في شرح النهج لابن أبي الحديد، ثم لم أجده، أن رجلاً شفع الى المنصور في إطلاق أحد أقاربه من السجن، فأجابه المنصور بأن المسجون ينال من الشيخين، فقال له الرجل متعجباً: وي وهل بايعناكم إلا على البراءة منها!

وفي هذه المرحلة نشط المنصور لقمع أهل الكوفة بحجة براءتهم من أبي بكر وعمر، وظهرت على لسانه تعابير الرافضة والسبئية والخشبية وبقية منظومة الشتم الأموية، ومعها عقوباتها المقررة! وجند لذلك من استطاع من الرواة والفقهاء!

ومن جندهم أبو حنيفة حيث أرسله المنصور الى المدينة ليحاج الإمام الصادق عليه السلام ويطلب منه أن يكتب لأهل الكوفة أن (لا يشتموا) أبا بكر وعمر!

وقد وصف أبو حنيفة مهمته مع الإمام عليه السلام فقال: (فصرت إلى بابه واستأذنت عليه فحجبتني! وجاء قوم من أهل الكوفة فاستأذنوا عليه فأذن لهم فدخلت معهم! فلما صرت عنده قلت له: يا ابن رسول الله لو أرسلت إلى أهل الكوفة فنهيتهم عن أن يشتموا أصحاب محمد فإني تركت بها أكثر من عشرة آلاف يشتمونهم! فقال: لا يقبلون مني. فقلت: ومن لا يقبل منك وأنت ابن رسول الله؟ فقال: أنت أول من لا يقبل مني! دخلت داري بغير إذني وجلست بغير أمري وتكلمت بغير رأيي!

وقد بلغني أنك تقول بالقياس! قلت: نعم أقول. قال: ويحك يا نعمان، أول من قاس إبليس حين أمره الله تعالى بالسجود لآدم فقال: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. أيما أكبر يا نعمان القتل أم الزنا؟ قلت: القتل. قال: فلم جعل الله تعالى في القتل شاهدين وفي الزنا أربعة؟ أَيْنَقَّاسُ لَكَ هَذَا؟ قلت: لا. قال: فأيا أكبر الصلاة أم الصيام؟ قلت: الصلاة. قال: فلم وجب على الحائض أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ أَيْنَقَّاسُ لَكَ هَذَا؟ قلت: لا.

قال: فأيا أضعف المرأة أم الرجل؟ قلت: المرأة. قال: فلم جعل الله في الميراث للرجل سهمين وللمرأة سهماً؟ أَيْنَقَّاسُ لَكَ هَذَا؟ قلت: لا. قال: فيم حَكَمَ اللهُ تعالى فيمن سرق الدراهم القطع، وإذا قطع الرجل يدرجل فعليه ديتهما خمسة آلاف درهم؟ أَيْنَقَّاسُ لَكَ هَذَا؟ قلت: لا... إلخ.). (دعائم الإسلام للقاضي المغربي: ١/ ٩١، وإحقاق الحق للشهيد نور الله التستري/ ٣٣٥، والإمام جعفر الصادق للدكتور عبد الحلیم الجندي/ ١٧٩).

ويدل هذا الحديث على أن أهل الكوفة كانوا يتبرؤون من بني أمية وتيم وعدي! وأن أبا حنيفة صار أداة بيد المنصور! وكان الإمام الصادق عليه السلام واعياً لدوره فلم يأذن له، وتخلص من طلبه، ثم هاجمه بأنه ينشر قاعدةً تخرب فقه الإسلام!



وصارت فتوى المنصور ركناً من دين الإسلام!

صارت فتوى عقوبة من لا يقدر الشيخين ديناً يدان به، وتصدى علماء السلطة فنظروا لها وشرعوها! وقد قرؤوا مناقشة الخليفة المأمون وهو ابن المنصور، لكنهم أعرضوا عنها وعن أمثالها مع قوتها.

قال اليعقوبي (٢/٤٦٨): (كان بشر بن الوليد الكندي قاضي المأمون ببغداد قد ضرب رجلاً قُرف بأنه شتم أبا بكر وعمر وأطافه على جمل، فلما قدم المأمون أحضر الفقهاء فقال: إني قد نظرت في قضيتك يا بشر، فوجدتك قد أخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ثم أقبل على الفقهاء فقال: أفيكم من وقف على هذا؟ قالوا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال:

يا بشر! بم أقت الحد على هذا الرجل؟ قال: بشتم أبي بكر وعمر.

قال: حضرك خصوصه؟ قال: لا! قال: فوكلوك؟ قال: لا!

قال: فللحاكم أن يقيم حد القرعة بغير حضور خصم؟ قال: لا!

قال: وكنت تأمن أن يهب بعض القوم حصته فيبطل الحد؟ قال: لا!

قال: فأمهما كافرتان أو مسلمتان؟ قال: بل كافرتان. قال: فيقام في الكافرة حد المسلمة؟ قال: لا!

قال: فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحق، أفشهد عندك شاهداً عدل؟ قال: قد زكي أحدهما. قال: فيقام الحد بغير شاهدين عدلين؟

قال: لا! قال: ثم أقت الحد في رمضان، فالحدود تقام في شهر رمضان؟ قال: لا!

قال: ثم جلده وهو قائم، فالمحدود يقام؟ قال: لا!

ثم شبخته بين العقابين فالمحدود يشيح؟ قال: لا!

قال: ثم جلده عرياناً، فالمحدود يعرّى؟ قال: لا!

قال: ثم حملته على جمل فأطفته، فالمحدود يطاف به؟ قال: لا!

قال: ثم حبسته بعد أن أقت عليه الحد، فالمحدود يجبس بعد الحد؟

قال: لا! قال: لا يراني الله أبوء بإثمك وأشارك في جرمك!

خذوا عنه ثيابه وأحضروا المحدود ليأخذ حقه منه! فقال من حضر من الفقهاء: الحمد لله الذي جعلك عاملاً بحقوقه عارفاً بأحكامه! تقول الحق وتعمل به، وتأمّر بالعدل وتؤدّب من رغب عنه إن هذا يا أمير المؤمنين حاكم اجتهد برأيه فأخطأ، فلا تفضح به الحكام وتمتلك به القضاء. فأمر به فحبس في داره! وناقش في شرعية فتوى المنصور علماء معاصرون كالسيد بدر الدين الحوثي في رسائله/٣، وجاء بأمثلة من صحيح البخاري يعتبرون مثلها سباً وشتماً وقيمون عليه الحد بالجلد أو القتل، كروايته من أغضب فاطمة فقد أغضبني، فتساءل الحوثي فهل نرى البخاري قد سب أبا بكر من أجل روايته المذكورتين، أو لروايته أن أبا سفيان كان بخيلاً؟ أو أن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبي ﷺ هما حفصة وعائشة؟).

وقد انتقد الدكتور حسن المالكي في كتابه الصحبة والصحابة/٦٠، استثناءهم من يلعن علياً عليه السلام ويشتمه من العقوبة! وقال: (ثم القول بالأجر لمن سب أحد هؤلاء لم يقله النبي (ص) لخالد بن الوليد لما سب عبد الرحمن بن عوف، مع أنه لم يصدر هذا السب من خالد إلا مرة واحدة لخصومة آتية، بعكس الذي سنه معاوية وابنه وبنو مروان، فقد استمر طيلة حكم بني أمية، وعلى كل منبر من منابر الإسلام وفي كل خطبة جمعة!

فليت شعري لو سئل النبي (ص) هل سيقول: إن هؤلاء مأجورون أجراً واحداً؟ أم سيقول: من سب علياً فقد سبني! اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!

وقال المالكي في صفحة/١٢١: (والغريب أن بعضهم كابن تيمية سأل الله يورد مثل هذه النصوص العامة ويعتبرون القادح في الصحابة قادحاً في الكتاب والسنة، ويقصدون بالصحابة غالباً المتأخرين منهم كمعاوية وعمر وأمثالهم، بينما يسكتون عن طعن النواصب في علي بن أبي طالب ولعنهم له! والدليل على ذلك أنهم يذمون الرافضة ولا يذمون النواصب! وهذا سطو على فضائل السابقين وجعلها في اللاحقين!)

وقد بحثنا تعصبهم في كتاب: ألف سؤال (٢/٤٧١) وكيف عمموا حكم سب النبي ﷺ الى بعض الصحابة واستثنوا علياً عليه السلام! مع أن النبي خص علياً دون الصحابة بقوله: (من سب علياً

فقد سبني). وقد اتفقوا على صحته، كما في صحيحة الألباني رقم (٣٣٣٢).

لكنهم يريدون تقديس رؤساء بطون قريش ولا يحبون علياً والعترة عليه السلام من بني هاشم!
وما زال المتحجرون في عصرنا يتشبثون بمرسوم المنصور وفتواه، وقد أضفوا إليها عثمان، وشددوا
على استثناء علي عليه السلام! بل جعلوا سب الصحابة أداة لقتل من يريدون! فيكفي في البلد الفلاني
العصري جداً! أن يتهم شويخ منهم زوراً وعدواناً مسلماً بأنه سب الصحابة فتأخذه الشرطة
ويحكم عليه القاضي بالقتل! بل أفتوا بالعمليات الإنتحارية لقتل جمهور الشيعة وسموها جهاداً
في سبيل الله، وعبؤوا أبناءهم لتفجير أنفسهم في مساجد الشيعة ومشاهدتهم، بحجة أنهم يسبون
الصحابة! وقد بحثنا مرسوم المنصور هذا في كتاب: كيف رد الشيعة غزو المغول.





الفصل العاشر

المنصور الدوانقيي عمر بن الخطاب الثاني

المسلمون مقلدون لهما في نظام الحكم والعقائد والفقهاء!

المنصور الدوانقيي أكثر الخلفاء تأثيراً في دين جمهور المسلمين، بعد عمر بن الخطاب! لأنه أسس المذاهب، وفرض الإسلام العباسي في الفقه والعقائد، فقبله علماء المذاهب ودرّسوه لتلاميذهم والمسلمين، ومشى عليه جمهور المسلمين الى يومنا هذا! كما أفرط في فرض نظام حكم فردي قمعي، فورّثه من بعده للحكومات الى يومنا هذا. ومن السهل عليك أن تضع يدك على بصمات عمر بن الخطاب، والمنصور الدوانقيي! فهما اللذان صاغا الإسلام بعد النبي ﷺ بصياغة (جديدة) في نظام حكمه وعقائده وأصاغا الفقه والسنة وما يحرم تدوينه منها وما يباح، وحتى نظام الأخلاق والأسرة! صاغا ذلك بما ترضاه قبائل قريش، ويبتعد برأيهم عن مبالغة النبي ﷺ في مدح بني هاشم وذم بطون قريش! فكان نظام حكم دولة البطون البعيد عن مدح بني هاشم! وقد أيد آراءهما وأطاع أوامرهما علماء المذاهب في عصرهما وفيما بعده، الى يومنا هذا.

معنى قولهم إن الإمام الصادق عليه السلام أبو المذاهب الإسلامية

قالوا إنه لقب احترام واعترافاً بأنه أستاذ أئمة المذاهب لأنه أستاذ مالك وأبي حنيفة، وهما أستاذ الشافعي وابن حنبل. وهذا صحيح، لكنه يكشف عن حقيقة صادمة، وهي أن المذاهب لم تكن موجودة قبل الإمام الصادق عليه السلام المتوفى منتصف القرن الثاني. فالسؤال: على أي مذهب كان المسلمون لمدة قرن ونصف قبل تأسيس هذه المذاهب؟ ثم

لماذا أسسها المنصور الدوانيقي ؟

والجواب: أن المسلمين كانوا يرجعون الى أهل البيت عليهم السلام لمعرفة أحكام الشريعة، وبعضهم يرجع الى الخليفة ومن حوله من علماء السلطة، فأراد الخليفة أن يسقط مرجعية أهل

البيت عليهم السلام، وينصب للناس مرجعاً ويجبرهم على اتباعه بالسيف!

أراد مرجعية مطيعة لأن أهل البيت عليهم السلام لا يطيعونه، فأسس له مذهباً كما يريد!

وقد روى الجميع أن المنصور استحضر مالك بن أنس واسترضاه بعدما كان واليه في المدينة

حبسه وجلده، لأنه أفتى بالخروج على المنصور مع مهدي الحسينيين!

فقال له المنصور: (يا أبا عبد الله إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك، وإني قد

شغلتنى الخلافة فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به، تجنب فيه رخص ابن عباس، وشدائد

ابن عمر، ووطئه للناس توطئة. قال مالك: فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ!) (مقدمة ابن

خلدون/١٨، وتاريخه: ١٧/١، وسير الذهبي: ١١١/٨).

لاحظ دهاء المنصور وتضخيمه لنفسه ومالك بن أنس، وطاعة مالك المطلقة للخليفة!

قال مالك: (فقلت له: إن أهل العراق لا يرضون علمنا! فقال أبو جعفر: يُضربُ عليه

عامَّتْهُم بالسيف، وتقطع عليه ظهورهم بالسياط!) (ترتيب المدارك لعياض/١٢٤).

فأهل العراق هم ثقل المسلمين لا يرضون علم مالك لأنهم يتمسكون بعلم العترة عليهم السلام!

والحل عند المنصور هو السيف والسوط، لفرض مذهبه على المسلمين!

(وقد شرط المنصور على مالك أن لا يروي في كتابه عن علي!) (مستدرک الوسائل: ٢٠/١) فكاد ألا تجد في

الموطأ رواية عن علي عليه السلام!

وفي تلك الفترة كان للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام مكانة عظيمة في الأمة، فهما الوارثان لأجداد

أهل البيت النبوي، علي، والحسن، والحسين، وزين العابدين عليهم السلام، ولهم موقعٌ خاصٌ في

نفوس الحسينيين والعباسيين، فهم بنو عمهم الذين كان آباؤهم أتباعاً لآبائهم الذين أسسوا

الثورة على الأمويين، وفي عصرهم جدد زيد بن علي فتح باب الثورة المسلحة على الدولة

الأموية الهرمة، حيث ثار في الكوفة واستشهد سنة ١٢٢.

في هذا الجو بدأ المنصور بتأسيس مذاهب لمواجهة أهل البيت عليهم السلام! وتابعه أولاده، فهي مذاهب حكومية تأسيساً ورعايةً.

ومن طرائف تأسيس المذاهب أنه لما أعلن المنصور تحريم الفتوى على كل أحد في المدينة إلا مالك، كان ربيعة الرأي أستاذ مالك في المدينة أيضاً، وكان مالك يدرس عنده ويجلس في داره التي وسعها الخليفة، وربيعه ينام على حصير المسجد!

قال بكر بن عبدالله الصنعاني (تاريخ بغداد: ٤٢٣/٨): (أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن، فكنا نستزيده حديث ربيعة، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة هو نائم في ذاك الطاق! فأتينا ربيعة فأنبهناه فقلنا له: أنت ربيعة بن أبي عبد الرحمن؟ قال: بلى، قلنا: ربيعة بن فروخ؟ قال: بلى، قلنا: ربيعة الرأي؟ قال: بلى. قلنا: هذا الذي يحدث عنك مالك بن أنس؟ قال: بلى، قلنا له: كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك؟ قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خيرٌ من حِمل علم)!



تصور المنصور أنه بقتل الإمام الصادق عليه السلام ينهي مرجعية أهل البيت عليهم السلام ويكون هو الذي يعين للمسلمين مرجعية عقائدهم وفقههم! ويُجبرهم عليه بالسيف، فأحضر مالك بن أنس وهو فارسي مولى بني أصبح اليميين، وأمره أن يؤلف كتاباً سهلاً موطاً، ليفرضه على الناس ويحرم غيره! قال لمالك: (والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثن به إلى الآفاق فلا حملنهم عليه). (سير الذهبية: ٦١/٨).

قال مالك: (فقلت له: إن أهل العراق لا يرضون علمنا! قال: يُضربُ عليه عامتهم بالسيف وتقطع عليه ظهورهم بالسياط)!. (ترتيب المدارك لعياض: ١٢٤).

أقول: يعترف أئمة المذاهب بأن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أبُ المذاهب الفقهية وأستاذ أئمتها، ويروون تعظيمهم له عليه السلام علماً وفقهاً وتقوى!

قال مالك: (مارأت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وورعاً، وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً وإما قائماً وإما ذاكراً. وكان من عظماء البلاد، وأكابر الزهاد الذين يخشون ربهم، وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله اخضر مرةً واصفر أخرى حتى لينكره من لا يعرفه). (المناقب: ٣/٣٩٦).

وقال مالك أيضاً: اختلفتُ إلى جعفر بن محمد زماناً وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصل، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا على طهارة. وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله. ولقد حججت معه سنة فلما أتى الشجرة أحرم فكلما أراد أن يهمل كاد يغشى عليه فقلت له: لا بد لك من ذلك، وكان يكرمني وينسب إلي، فقال: يا ابن أبي عامر إني أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك فيقول: لا لبيك ولا سعديك! ولقد أحرم جده علي بن حسين فلما أراد أن يقول اللهم لبيك أو قالها، غشي عليه وسقط عن ناقته) (التمهيد: ٢/٦٧).

ولو سألت مالكا: ما دامت هذه عقيدتك في أستاذك، فلماذا أسست مذهباً ضده، ولماذا لم ترو عنه في كتابك الموطأ إلا خمسة أحاديث؟! فجوابه: إن المنصور العباسي أمره بذلك، والمأمور معذور!

وكذلك حال أبي حنيفة فقد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لما أقدمته المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهى له مسائلك الشداد، فهيات له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه فأوماً إليّ فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة. فقال: نعم أعرفه. ثم التفت إليّ فقال: ألق على أبي عبد الله من مسائلك، فجعلت ألقى عليه ويحيني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أخل منها بشيء! ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس! (المناقب: ٣/٣٧٨، وتهذيب الكمال: ٥/٧٩، وسير الزهبي: ٦/٢٥٨).

ولو سألت أبا حنيفة: ما دامت هذه عقيدتك في أستاذك، فلماذا أسست مذهباً ضده، وخالفت فقهه؟
فجوابه: هكذا أمرني المنصور والمأمور معذور!

وقال الذهبي في سيره (٢٥٧/٦): (عن عمرو بن أبي المقدم قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين! رأيتُه واقفاً عند الجمرة يقول: سلوني، سلوني!
وعن صالح بن أبي الأسود: سمعت جعفر بن محمد يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي!)
وقال ابن أبي الحديد: (أما أصحاب أبي حنيفة فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فهو تلميذ تلميذ أبي حنيفة، وأما ابن حنبل فهو تلميذ الشافعي. وأبو حنيفة قرأ على جعفر الصادق، وعلمه ينتهي إلى علم جده علي عليه السلام).

كيف كان المنصور يدجن علماء المذاهب

قال ابن حيان في أخبار القضاة (٣/١٤٢): (قال ابن أبي ليلى: تغديت عند أبي جعفر وقد ولاني الفتيا، فأتى بصحفة مصببة فيها مثال رأس، فقال لي: خذ أيها الرجل من هذا، فجعلت أضرب بيدي إلى الشيء فإذا وضعته في فمي لم أحتج إلى مضغه يسيل! فلما فرغنا جعل يلحق بيده الصحيفة ويلحسها فقال: يا محمد تدري ما تأكل؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين! قال هذا مخ الثيتان معقود بالسكر الطبرزد! تدري بكم تقوم الصحيفة؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين! قال: بثلاث مائة وبضعة عشر درهم! فلما خرج ابن أبي ليلى من عنده رفع رأسه إليّ فقال: يا ربيع لقد أكل الشيخ عندنا أكلة لا يفلح بعدها أبداً).

أقول: يقصد المنصور أن هذا القاضي ما دام أكل هذه الأكلة فقد عشقها وأدمن عليها، وسيبيع دينه من أجلها، ويكون مطيعاً للمنصور فلا يفلح بعد اليوم أبداً!

والإناء المصبب: المطعم بذهب أو فضة. وكان الأكلة مخ طائر معين لارتفاع ثمن الطبق منه فهو يعادل في عصرنا عشرة آلاف دولار! فثمن الخروف الجيد يومها خمسة دراهم أو أربعة (أسد الغابة: ٣/٣٤١) وثمان الأرنب ربع درهم (الجامع لابن عبد البر: ٢/١٠٤). وربما كان في هذا الطبق مادة

مخدرة توجب الإعتياد! ولعله من أكالات ملوك الفرس والروم، ورثها خليفة المسلمين!

كيف دجن المنصور أبا حنيفة!؟

قال ابن عبد البر في الإنتقاء/ ١٥٩: (إن أبا حنيفة هرب من بيعة المنصور وجماعة من الفقهاء قال أبو حنيفة: لي فيهم أسوة. فخرج مع أولئك الفقهاء فلما دخلوا على المنصور أقبل على أبي حنيفة وحده من بينهم فقال له: أنت صاحب حيل، فالله شاهد عليك أنك بايعتني صادقاً من قلبك؟ قال: الله يشهد عليّ حتى تقوم الساعة! فقال: حسبك.

فلما خرج أبو حنيفة قال له أصحابه: حكمت على نفسك بيعته حتى تقوم الساعة! قال: إنما عنيت حتى تقوم الساعة من مجلسك إلى بول أو غائط أو حاجة حتى يقوم من مجلسه ذلك)!

ولكن حيل المنصور أقوى من حيل أبي حنيفة، فكان يكلفه بمهام صعبة تخدم هدفه، فقد كلفه مثلاً بأن يهيم أربعين مسألة صعبة ويمتحن بها الإمام الصادق بحضوره لعله يغلبه! وكلفه أن يذهب إليه في المدينة ويطلب منه أن ينهى شيعته في الكوفة عن التعرض لأبي بكر وعمر! وكلفه أن ينهى الأعمش عن رواية فضائل علي عليه السلام.

وقد بلغ المنصور تسمية أبي حنيفة له باللص المتغلب على الخلافة، ثم قوله: (لو أراد المنصور وأشياعه بناء مسجد وأرادوني على عد أجره لما فعلت). (تفسير الكشاف/ ١/ ٣٠٩).

فأراد أن يذله ويجعله يكذب نفسه فأصر عليه أن يكون مسؤول عد الأجر في بناء بغداد! ولما استكمل المنصور الجبار غرضه من أبي حنيفة جاء وقت الإنتقام منه فحبسه وقتله! فقد أخذ منه البيعة فاخضعه أو كلفه بمهمات.. فلم يبق إلا قتله أذعاه إلى الطعام فأكل معه ثم سقاه شربة عسل مجدوحة وكانت مسمومة فمات من غد، ودفن في بغداد في المقابر المعروفة بمقابر الخيزران). (مقاتل الطالبيين/ ٢٣٥، وتاريخ بغداد: ١٣ / ٣٢٩).





الفصل الحادي عشر

كيف أدار الإمام الصادق عليه السلام جماعة الشيعة

تكونت جماعة شيعة علي في عهد النبي صلى الله عليه وآله

كان عمار بن ياسر والمقداد وسلمان وأبوذر وحذيفة وآخرون، يعرفون زمن النبي صلى الله عليه وآله بأصحاب علي، وسماههم النبي صلى الله عليه وآله (شيعة علي) واستمر إسمهم هذا الى يومنا هذا. قال السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٧٩): (وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: هو أنت وشيعتك، تأتون يوم القيامة راضين مرضيين. وفي رواية: أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب تُدعون غُرّاً مجلّين).

ومعنى غرّاً مجلّين: لكم علامة مميزة يوم القيامة، وأصلها من تميز الخيل فالفرس الأغر: الذي له غرة بياض بين عينيه. والمججل: الذي له طوق بياض فوق حوافره. فالشيعة يوم القيامة يميزون بنورهم كما تتميز الخيل الغراء باللون الأبيض. وفي أمالي الصدوق/٦٥٧: (يا علي، أنت وشيعتك على الحوض، تَسْقُونَ من أحببتهم).

رعى الأنمة عليه السلام جماعة الشيعة فتطورت

جرت على جماعة الشيعة بعد النبي صلى الله عليه وآله تطورات كثيرة، فقد نقص عددهم في أيام السقيفة حتى كانوا بضعة نفر، ثم تكاثروا، ثم برزوا في حروب الردة وحروب الفتوحات فقادوا أكثر الحروب. ثم تكاثروا في نقمة الأمة على بني أمية لما سلبهم عثمان على أموال المسلمين ومقدراتهم، وهتفوا مع الهاتفين: ما لها غيرك يا أبا الحسن! وبايعوا علياً عليه السلام والتفوا حوله،

وحاربوا معه الناكثين في البصرة والقاسطين في صفين، والمارقين الخوارج في النهروان. ولما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بايعوا الإمام الحسن عليه السلام مع بقية المسلمين. ثم انحسروا وقلوا بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية. وحدث فيهم في زمن الإمام الحسين عليه السلام نقص في الكمية لكنهم تطوروا في النوعية فوصل أكثر من سبعين منهم الى قمة الإخلاص لله والولاء للحسين عليه السلام فقال فيهم عشية عاشوراء: أما إني لا أعرف أصحاباً أوفى من أصحابي. وبعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام نقصوا فكانوا مع الإمام زين العابدين عليه السلام بضعة نفر فقط. ثم تكاثروا رغم سياسة بني أمية في تقتيلهم، ورسخ الإمام زين العابدين عليه السلام عقيدتهم، وارتباطهم بالله تعالى! ثم جاء الإمام الباقر عليه السلام فجلس في المسجد النبوي وفي بيته وفجر علم النبي صلى الله عليه وآله وأوضح معالم التشيع، وربى جيلاً من العلماء والرواة ونشر بهم سنة النبي صلى الله عليه وآله.

لماذا سمي الشيعة بالجعفرية؟

السبب في تسميتنا بالجعفرية من زمن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه هو الذي أعطى لجماعة الشيعة شكل طائفة مكتملة المعالم، مميزة بفكرها وثقافتها وسلوكها، كما سنبينه. ففي الكافي (٧٧/٢): (عن حنان بن سدير قال: قال أبو الصباح الكناني لأبي عبد الله عليه السلام: ما نلقى من الناس فيك؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: وما الذي تلقى من الناس في؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول: جعفري خبيث! فقال عليه السلام: يعيركم الناس بي؟ فقال له أبو الصباح: نعم. قال: فقال: ما أقل والله من يتبع جعفرًا منكم، إنها أصحابي من اشتد ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، فهو لاء أصحابي). نلاحظ أن الإمام عليه السلام تحمل سوء أدب أبي الصباح ولم يجبهه لسنه ومكانته في الشيعة، فهو من أصحاب الباقر عليه السلام فيبين الصادق عليه السلام قاعدة من يستحقون التسمية بالجعفرية. وفي رجال الطوسي/١٥٦: (إبراهيم بن نعيم العبدي أبو الصباح الكناني، من عبد القيس،

ونسب إلى بني كنانة، لأنه نزل فيهم).

وفي رواية الكشي (٢/٥٢٥): (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نعيّر بالكوفة فيقال لنا: جعفرية! قال: فغضب أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: إن أصحاب جعفر منكم لقليل، إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه، وعمل لخالفه).

أكد الأئمة عليهم السلام والإمام الصادق عليه السلام خاصة على مواصفات الشيعي

في صفات الشيعة/ ٤٤، قال الصادق عليه السلام: (شيعتنا أهل الورع والاجتهاد وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم ويحجون البيت، ويحبتون كل محرم).

وقال المظفر في عقائد الإمامية/ ١١٠: ولأبي عبد الله عليه السلام كلمات في هذا الباب نقتطف منها ما يلي:

(إنما شيعة جعفر من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالفه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه. فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر.. إنا لانعد الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع أمرنا متبعاً ومريداً. ألا وإن من اتباع أمرنا الورع فتزينوا به يرحمكم الله).

ضمن الأئمة عليهم السلام الجنة للشيعة بضمن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

في الكافي (٨/٢١٢) بسنده عن عمرو بن أبي المقدم قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: خرجت أنا وأبي حتى إذا كنا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة فسلم عليهم ثم قال: إني والله لأحب ريجكم وأرواحكم، فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد، واعلموا أن ولايتنا لاتنال إلا بالورع والاجتهاد، ومن أئتم منكم بعبد فليعمل بعمله.

أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون، والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة.

قد ضمننا لكم الجنة بضمن الله عز وجل وضمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله ما على درجة الجنة أكثر أرواحاً منكم، فتنافسوا في فضائل الدرجات، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات. كل

مؤمنة حوراء عيناء، وكل مؤمن صديق. ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: يا قنبر أبشر وبشر واستبشر، فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على أمته ساخط إلا الشيعة. ألا وإن لكل شئ عزاً وعز الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شئ ذروة وذروة الإسلام الشيعة.

ألا وإن لكل شئ شرفاً وشرف الإسلام الشيعة.

ألا وإن لكل شئ سيداً وسيد المجالس مجالس الشيعة.

ألا وإن لكل شئ إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة.

والله لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشباً أبداً. والله لو لا ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم، ولا أصابوا الطيبات، ما لهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب. كل ناصب وإن تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية: **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً**. فكل ناصب مجتهد فعمله هباء.

شيعتنا ينطقون بنور الله عز وجل، ومن خالفهم ينطقون بتفلفت (بدون روية ولا مستند). والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلا أصعد الله عز وجل روحه إلى السماء فيبارك عليها، فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنته وفي ظل عرشه، وإن كان أجلها متأخراً بعث بها مع أمته من الملائكة ليردوها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه، والله إن حاجكم وعماركم لخاصة الله عز وجل، وإن فقراءكم لأهل الغنى، وإن أغنياءكم لأهل القناعة، وإنكم كلكم لأهل دعوته وأهل إجابته.

ألا وإن لكل شئ جوهرًا وجوهر ولد آدم محمد صلى الله عليه وآله ونحن وشيعتنا بعدنا، حبذا شيعتنا ما أقرهم من عرش الله عز وجل وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة. والله لولا أن يتعاضم الناس ذلك، أو يدخلهم زهو، لسلمت عليهم الملائكة قبلاً. والله ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائماً إلا وله بكل حرف مائة حسنة، ولا قرأ في صلاته جالساً إلا وله بكل حرف خمسون حسنة، ولا في غير الصلاة إلا وله بكل حرف عشر حسنة. وإن للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن ممن

خالفه. أنتم والله على فرسكم نيام لكم أجر المجاهدين. وأنتم والله في صلاتكم لكم أجر الصائين في سبيله، أنتم والله الذين قال الله عز وجل: **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**. إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس وعينان في القلب. والخلائق كلهم كذلك، إلا أن الله عز وجل فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم!

وروى في الخصال / ٤١١، عن محمد بن مسلم الثقفي قال: قلت للصادق عليه السلام: (جعلت فداك مالنا نشهد على من خالفنا بالكفر وبالنار، ولا نشهد لأنفسنا ولأصحابنا أنهم في الجنة؟ قال: من ضعفكم! إن لم يكن فيكم شيء من الكبائر فاشهدوا أنكم في الجنة، قلت: فأى شيء الكبائر جعلت فداك؟ قال: أكبر الكبائر الشرك، وعقوق الوالدين، والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، والربا بعد البيعة، وقتل المؤمن، فقلت له: الزنا والسرقه فقال: ليسا من ذلك).

فالموبقات السبع أكبر الكبائر التي هي الشرط في كلام الأئمة عليهم السلام، وفي قوله تعالى: **إِنْ تَجْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**.

وقد نصت عليها روايات فيها الصحيح والحسن والموثق وهي ناظرة الى موضوعنا، وأخرج بعضها من الكبائر كالزنا والسرقه.

ففي روضة المتقين (٢٦١ / ٩): (في الصحيح عن الحسن بن محبوب: كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر كم هي وما هي؟ فكتب: الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً. والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف). وفي الجواهر (٣١٢ / ١٣) ملخصاً من بحث مفصل.

رعى الإمام الصادق عليه السلام جماعة الشيعة وأغناهم فقهاً وعقدياً

قاد الإمام الصادق عليه السلام جماعة الشيعة بعد أبيه لمدة أربع وثلاثين سنة في ظروف صعبة معقدة، حتى أرسى سفينتهم كجماعة مستقلة، مستغنية بفقها وعقائدها عن غيرها، ومميزة

عن العباسيين والحسينيين. وقد كتبنا في سيرة الإمام الباقر عليه السلام ما يلي:
 كان الإمام الصادق تلميذ أبيه عليه السلام ووصيه على جيل تلاميذه النابغين الذين ملؤوا الأمصار،
 فهم أوسع جيل من التلاميذ بعد النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام. قال عليه السلام: (لما حضرت أبي الوفاة
 قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً، قلت: جعلت فداك والله لأدعنهم والرجل منهم
 يكون في المصر فلا يسأل أحداً!) (الكافي: ١/٣٠٦).

وقد وفي الإمام عليه السلام بوعده، ففي المدة التي عاشها بعد أبيه عليه السلام، أثرى جيل تلاميذ أبيه
 وأضاف لهم جيلاً، خاصة في الستين اللتين أقامهما في الكوفة في خلافة السفاح. وقد ألف
 ابن عقدة رحمه الله كتاباً في الرواة عنه عليه السلام وما رواه كل منهم فبلغوا أربعة آلاف طالب وعالم!
 وكان الصادق يفتخر بأصحاب أبيه عليه السلام: (قال ربيعة الرأي لأبي عبد الله عليه السلام: ما هؤلاء الإخوة
 الذين يأتونك من العراق، ولم أر في أصحابك خيراً منهم ولا أهياً؟ قال عليه السلام: أولئك
 أصحاب أبي، يعني وُلد أعين). (رجال الكشي: ١/٣٨٣).

وقد أبادت السلطة أحاديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من عترته عليه السلام، وطاردت رواياتهم وصارت
 مؤلفاتهم، ومع ذلك وصلتنا ثروة مهمة!
 وقد أجمعت الطائفة على جلاله أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليه السلام فقالوا: أفقه الأولين
 ستة: زرارة ومعروف بن حربوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد
 بن مسلم الطائفي. وأفقه الستة: زرارة.

وسبعة نفر من أصحاب الصادق عليه السلام: جميل بن دراج، وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن
 بكير، وحماد بن عيسى، وحماد بن عثمان، وأبان بن عثمان).

وكان الصادق عليه السلام يحب تلاميذه، ويشكو من السلطة الأموية والعباسية ويقول لهم: (ليتني وإياكم
 بالطائف أحدثكم وتؤنسوني، وأضمن لهم ألا نخرج عليهم أبداً). (رجال الكشي: ٢/٦٥٢).

ويحث على طلب العلم: (إعرفوا منازل شيعتنا عندنا على قدر روايتهم عنا وفهمهم منا...
 وخبر تدريره خير من ألف خبر ترويه). (غيبة النعماني/٢٩).

وبين فضل علماء الشيعة: (علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب. ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محيينا، وذلك يدفع عن أبادانهم). (الإحتجاج: ٨/١).

توجيهات الإمام الصادق عليه السلام في البناء الداخلي للطائفة

قَوَّى الإمام عليه السلام الوضع الداخلي للشيعة بأساليب، وكان جمهورهم في الكوفة، فأكد على بنية الأسرة، وحقوق الوالدين، والأرحام، والإخوان، وعامة المؤمنين. وحمل الرواة مئات الأحاديث في الأحكام الشرعية، والحث على مكارم الأخلاق: من التواصل، والتناصر، والتكافل، والتراحم، والإنفاق.

ومن الأمثلة أنه قال للمفضل بن عمر وهو أحد رؤساء الشيعة في الكوفة: (أوصيك بست خصال تبلغهن شيعتي. قلت: وما هن يا سيدي؟ قال عليه السلام: أداء الأمانة إلى من ائتمنك، وأن ترضى لأخيك ما ترضى لنفسك. واعلم أن للأمور أواخر فاحذر العواقب، وأن للأمور بغتات فكن على حذر. وإياك ومرتقى جبل سهل إذا كان المنحدر وعراً. ولا تعدن أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه). (تحف العقول: ٣٦٧).

رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى الشيعة

قال إسماعيل بن جابر (الكافي: ٢/٨): (إن أبا عبد الله الصادق عليه السلام كتب هذه الرسالة إلى أصحابه وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها، فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها. وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فاسألوا ربكم العافية وعليكم بالدعة، والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمعاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم وإياكم ومماظتهم، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم

وخالطموهم ونازعتموهم الكلام، فإنه لا بد لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم الكلام، بالتقية التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم، فإذا ابتليتم بذلك منهم فإنهم سيؤذونكم وتعرفون في وجوههم المنكر).

التقية ومدارة المخالفين

ولولا أن الله تعالى يدفعهم عنكم لسطوا بكم، وما في صدورهم من العداوة والبغضاء أكثر مما يبدو لكم، مجالسكم ومجالسهم واحدة وأرواحكم وأرواحهم مختلفة لا تأتلف، لا تحبونهم أبداً ولا يحبونكم، غير أن الله تعالى أكرمكم بالحق وبصر كموه ولم يجعلهم من أهله! فتجاملونهم وتصبرون عليهم، وهم لا مجالمة لهم ولا صبر لهم على شيء، وحيلهم وسواس بعضهم إلى بعض، فإن أعداء الله إن استطاعوا صدوكم عن الحق فيعصمكم الله من ذلك. فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير.

إحفظوا ألسنتكم عن الحرام

وإياكم أن تزلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والإثم والعدوان، فإنكم إن كفتم ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان خيراً لكم عند ربكم من أن تزلقوا ألسنتكم به فإن زلق اللسان فيما يكره الله وما ينهى عنه مُرَدَّاةٌ (مهلكة) للعبد عند الله، ومقت من الله وصم وعمى وبكم يورثه الله إياه يوم القيامة! فتصيروا كما قال الله: صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ. يعني لا ينطقون. وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ.

وإياكم وما نهاكم الله عنه أن تركبوه، وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه، وأكثروا من التهليل والتقديس والتسييح والثناء على الله والتضرع إليه، والرغبة فيما عنده من الخير، الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه أحد، فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلوداً في النار من مات عليها ولم يتب إلى الله ولم ينزع عنها.

أكثرُوا من الدعاء

وعليكم بالدعاء، فإن المسلمين لم يدركوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إليه والتضرع إلى الله والمسألة، فارغبوا فيما رغبكم الله فيه، وأجيبوا الله إلى ما دعاكم إليه، لتفلحوا، وتنجوا من عذاب الله.

إتقوا ما حرم الله عليكم

وإياكم أن تشره أنفسكم إلى شيء مما حرم الله عليكم، فإنه من انتهك ما حرم الله عليه هاهنا في الدنيا حال الله بينه وبين الجنة ونعيمها ولذتها وكرامتها، القائمة الدائمة لأهل الجنة أبد الأبد. واعلموا أنه بئس الحظ الخطر لمن خاطر الله بترك طاعة الله وركوب معصيته، فاختار أن ينتهك محارم الله في لذات دنياً منقطعة زائلة عن أهلها، على خلود نعيم في الجنة ولذاتها وكرامة أهلها! ويل لأولئك ما أحيب حظهم وأخسر كرتهم، وأسوأ حالهم عند ربهم يوم القيامة. إستجروا الله أن يجيركم في مثالمهم أبداً، وأن يبتليكم بما ابتلاهم به. ولا قوة لنا ولكم إلا به.

تحملوا ممن خالفكم

فاتقوا الله أيتها العصابة الناجية إن أتم الله لكم ما أعطاكم، فإنه لا يتم الأمر حتى يدخل عليكم مثل الذي دخل على الصالحين قبلكم، وحتى تبتلوا في أنفسكم وأمواكم، وحتى تسمعوا من أعداء الله أذى كثيراً، فتصبروا وتعركوا بجنوبكم، وحتى يستذلوكم ويغضوكم، وحتى يحملوا عليكم الضيم، فتحملوا منهم، تلمسون بذلك وجه الله والدار الآخرة، وحتى تكظمو الغيظ الشديد في الأذى في الله عز وجل يجترمونه إليكم، وحتى يكذبوكم بالحق ويعادوكم فيه، ويغضوكم عليه، فتصبروا على ذلك منهم، ومصداق ذلك كله في كتاب الله الذي أنزله جبرئيل عليه السلام على نبيكم صلى الله عليه وآله وقد سمعتم قول الله عز وجل لنبيكم صلى الله عليه وآله: **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ**. ثم قال: **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا**. فقد كذب نبي الله والرسول من قبله وأوذوا مع التكذيب بالحق.

فإن سرهم أمر الله فيهم الذي خلقهم له في أصل الخلق من الكفر الذي سبق في علم الله أن يخلقهم له، من الذين ساءهم الله في كتابه في قوله: **وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَتَدْبِرُوا هَذَا** وواعقلوه ولا تجهلوه، فإنه من يجهل هذا وأشباهه مما افترض الله عليه في كتابه، مما أمر الله به ونهى عنه، ترك دين الله وركب معاصيه، فاستوجب سخط الله، فأكبه الله على وجهه في النار.

تأخذون دينكم منا بعلم ويأخذ غيركم بهواه

أيتها العصابة المرحومة المفلحة: إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير، واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقائيس، قد أنزل الله القرآن، وجعل فيه تبيان كل شيء، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً.

لايسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه، أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقائيس، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعهم عندهم، كرامة من الله أكرمهم بها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم، أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه، وإلى جميع سبل الحق.

وهم الذين لايرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم، إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق تحت الأظلة! فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعهم عندهم وأمر بسؤالهم، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقائيسهم، حتى دخلهم الشيطان لأنهم جعلوا أهل الإيمان في علم القرآن عند الله كافرين، وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتى جعلوا ما أحل الله في كثير من الأمر حراماً، وجعلوا ما حرم الله في كثير من الأمر حلالاً، فذلك أصل ثمرة أهوائهم!

وقد عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله قبل موته فقالوا: نحن بعد ما قبض الله عز وجل رسوله يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأى الناس بعدما قبض الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله وبعد

عهده الذي عهدته إلينا وأمرنا به! مخالفةً لله ولرسوله ﷺ!
فما أحد أجراً على الله ولا أئين ضلالة ممن أخذ بذلك، وزعم أن ذلك يسعه.
والله إن الله على خلقه أن يطيعوه ويتبعوا أمره في حياة محمد ﷺ وبعد موته!
هل يستطيع أولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحداً ممن أسلم مع محمد ﷺ أخذ بقوله ورأيه
ومقائيسه؟ فإن قال نعم، فقد كذب على الله وضل ضلالاً بعيداً، وإن قال لا، لم يكن لأحد
أن يأخذ برأيه وهواه ومقائيسه، فقد أقر بالحجة على نفسه.
وهو ممن يزعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض رسول الله ﷺ، وقد قال الله وقوله الحق: وَمَا
مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ
اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ.

وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويتبع أمره في حياة محمد وبعد أن قبض الله محمدًا ﷺ. وكما لم يكن
لأحد من الناس مع محمد ﷺ أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه خلافاً لأمر محمد ﷺ، فكذلك
لم يكن لأحد من الناس بعد محمد ﷺ أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه).

أتركوا رفع أيديكم في الصلاة لأنه مستحب يميزكم عن غيركم

وقال عليه السلام: دعوا رفع أيديكم في الصلاة إلا مرة واحدة حين تفتتح الصلاة، فإن الناس قد
شهروكم بذلك، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.
وقال عليه السلام: أكثروا من أن تدعوا الله فإن الله يحب من عباده المؤمنين أن يدعوه، وقد وعد
الله عباده المؤمنين بالإستجابة والله مصير دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم به في
الجنة، فأكثروا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، فإن الله أمر بكثرة
الذكر له، والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين.

واعلموا أن الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلا ذكره بخير، فأعطوا الله من أنفسكم الإجتهد
في طاعته، فإن الله لا يدرك شئ من الخير عنده إلا بطاعته، واجتناب محارمه التي حرم الله في ظاهر
القرآن وباطنه، فإن الله تبارك وتعالى قال في كتابه وقوله الحق: وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ. واعلموا أن

ما أمر الله به أن تجتنبوه فقد حرّمه .

أقول: تختلف صلواتنا عن صلاة المذاهب الأخرى بأن فيها تكبيرات نرفع فيها اليدين: قبل الركوع وقبل السجود، وعند رفع الرأس من السجود وعند الهوي للسجدة الثانية.. وهذا يجعل الشيعي المصلي مع غيره معروفاً بأنه يكبر كثيراً ويرفع يديه في الصلاة. فأمرهم الإمام الصادق عليه السلام أن يكبروا بدون رفع اليدين حتى لا يشكل عليهم الآخرون، وحتى لا يعرفوا. وهذا يدلنا على حساسية أتباع المذاهب من كل عمل يختلف عما تعلموه، خاصة في الصلاة والوضوء!

إحذروا أهواءكم وآراءكم

واتبعوا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وستته فخذوا بها ولا تتبعوا أهواءكم وآراءكم ففضلوا، فإن أضل الناس عند الله من اتبع هواه ورأيه بغير هدى من الله، وأحسنوا إلى أنفسكم ما استطعتم، فإن أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها.

جاملوا الآخرين وداروهم ولا تسبوا رموزهم

وجاملوا الناس ولا تحملوهم على رقابكم، تجمعوا مع ذلك طاعة ربكم. وإياكم وسب أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدواً بغير علم. وقد ينبغي لكم أن تعلموا حد سبهم لله كيف هو؟ إنه من سب أولياء الله فقد سب الله، ومن أظلم عند الله ممن استسب لله ولأولياء الله فمهلاً مهلاً فاتبعوا أمر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إتبعوا سنة نبيكم وعترته صلى الله عليه وآله

وقال عليه السلام: أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم: عليكم بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وستته وآثار الأئمة الهداة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده وستتهم، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى ومن ترك ذلك ورغب عنه ضل لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم وقد قال أبونا رسول الله صلى الله عليه وآله: المداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وإن قل أرضى الله وأنفع عنده في العاقبة من الإجتهد في البدع واتباع الأهواء! ألا إن اتباع الأهواء واتباع البدع بغير

هدى من الله ضلالاً، وكل ضلالة بدعة وكل بدعة في النار. ولن ينال شئ من الخير عند الله إلا بطاعته والصبر والرضا).

لا يؤمن عبد حتى يرضى عن الله

واعلموا أنه لن يؤمن عبد من عبده حتى يرضى عن الله فيما صنع الله إليه وصنع به على ما أحب وكره. ولن يصنع الله بمن صبر ورضي عن الله إلا ما هو أهله، وهو خير له مما أحب وكره، وعليكم بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين، كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم وإياكم.

حق المساكين على المؤمن

وعليكم بحب المساكين المسلمين فإنه من حقرهم وتكبر عليهم فقد زل عن دين الله والله له حافر ماقت وقد قال أبو نارسول الله ﷺ: أمرني ربي بحب المساكين المسلمين، واعلموا أن من حقر أحداً من المسلمين ألقى الله عليه المقت منه والمحقرة حتى يمقتة الناس، والله له أشد مقتاً، فاتقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين، فإن لهم عليكم حقاً أن تجوهم، فإن الله أمر رسوله ﷺ بحبهم فمن لم يحب من أمر الله بحبه فقد عصى الله ورسوله، ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات وهو من الغاوين.

التحذير من آفة التكبر والحسد

وإياكم والعظمة والكبر فإن الكبر رداء الله عز وجل فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة، وإياكم أن يبغى بعضكم على بعض فإنها ليست من خصال الصالحين، فإنه من بغى صير الله بغيه على نفسه، وصارت نصرة الله لمن بغى عليه. ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله، وإياكم أن يحسد بعضكم بعضاً فإن الكفر أصله الحسد، وإياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم فيدعو الله عليكم، ويستجاب له فيكم، فإن أبانارسول الله ﷺ كان يقول: إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة.

معوونة المسلم واجبة

وَلْيُعْنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَإِنَّا بَنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: إِن مَعُونَةَ الْمُسْلِمِ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَعَتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَإِيَّاكُمْ وَإِعْسَارَ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَعْسُرُوهُ بِالشَّيْءِ يَكُونُ لَكُمْ قَبْلَهُ وَهُوَ مَعْسَرٌ، فَإِنَّا بَنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَعْسِرَ مُسْلِمًا وَمَنْ أَنْظَرَ مَعْسِرًا أَظْلَمَهُ اللَّهُ بِظُلْمِ يَوْمٍ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.

التحذير من حبس حقوق الله الزكاة والخمس

وَإِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْعَصَابَةُ الْمَرْحُومَةُ الْمَفْضَلَةُ عَلَيَّ مِنْ سِوَاهَا وَحَبْسَ حَقُوقِ اللَّهِ قَبْلَكُمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَسَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ عَجَلَ حَقُوقَ اللَّهِ قَبْلَهُ كَانَ اللَّهُ أَقْدَرَ عَلَى التَّعْجِيلِ لَهُ إِلَى مِضَاعِفَةِ الْخَيْرِ فِي الْعَاجِلِ وَالْأَجَلِ، وَإِنَّهُ مَنْ أَخَّرَ حَقُوقَ اللَّهِ قَبْلَهُ كَانَ اللَّهُ أَقْدَرَ عَلَى تَأْخِيرِ رِزْقِهِ. وَمَنْ حَبَسَ اللَّهُ رِزْقَهُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْزُقَ نَفْسَهُ، فَأَدُوا إِلَى اللَّهِ حَقَّ مَا رَزَقَكُمْ يَطِيبُ اللَّهُ لَكُمْ بَقِيَّتَهُ، وَيَنْجِزْ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنْ مِضَاعِفَتِهِ لَكُمْ الْأَضْعَافَ الْكَثِيرَةَ، الَّتِي لَا يَعْلَمُ عِدْدَهَا، وَلَا كُنْهَ فَضْلُهَا إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

التحذير من إشهار خواص الإمام عليه السلام عند الأعداء!

وَقَالَ ﷺ: اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْعَصَابَةُ وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْكُمْ مُحْرَجُ الْإِمَامِ! فَإِن مَحْرَجَ الْإِمَامَ هُوَ الَّذِي يَسْعَى بِأَهْلِ الصَّلَاحِ مِنْ أَتْبَاعِ الْإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ لِفَضْلِهِ، الصَّابِرِينَ عَلَى أَدَاءِ حَقِّهِ، الْعَارِفِينَ لِحُرْمَتِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ نَزْلِ بَذَلِكَ الْمَنْزِلِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَهُوَ مُحْرَجُ الْإِمَامِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ أَحْرَجَ الْإِمَامَ إِلَى أَنْ يَلْعَنَ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ أَتْبَاعِهِ، الْمُسْلِمِينَ لِفَضْلِهِ الصَّابِرِينَ عَلَى أَدَاءِ حَقِّهِ، الْعَارِفِينَ بِحُرْمَتِهِ، فَإِذَا لَعَنَهُمْ لِإِحْرَاجِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، صَارَتْ لَعْنَتُهُ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَصَارَتْ اللَّعْنَةُ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ وَرَسُولِهِ عَلَى أَوْلِيائِكَ. وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْعَصَابَةُ أَنَّ السَّنَةَ مِنَ اللَّهِ قَدْ جَرَتْ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِ.

(وكان زرارة رضي الله عنه مثلاً لخاصة الإمام الذين اضطر الى إعلان البراءة منهم لدفع القتل عنهم).

يجب تولى جماعة الشيعة

وقال عليه السلام: من سره أن يلقي الله وهو مؤمن حقاً حقاً، فليتول الله ورسوله والذين آمنوا وليبرأ إلى الله من عدوهم، ويسلم لما انتهى إليه من فضلهم، لأن فضلهم لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك، ألم تسمعوا ما ذكر الله من فضل أتباع الأئمة الهداة وهم المؤمنون قال: فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. فهذا وجه من وجوه فضل أتباع الأئمة فكيف بهم وفضلهم. ومن سره أن يتم الله له إيمانه حتى يكون مؤمناً حقاً حقاً فليف الله بشروطه التي اشترطها على المؤمنين، فإنه قد اشترط مع ولايته وولاية رسوله وولاية أئمة المؤمنين إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإقراض الله قرضاً حسناً واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فلم يبق شيء مما حرم الله إلا وقد دخل في جملة قوله، فمن دان الله فيما بينه وبين الله مخلصاً لم يرخص لنفسه في ترك شيء من هذا، فهو عند الله في حزبه الغالبيين وهو من المؤمنين حقاً.

لا يقبل الله إلا ممن انتهى عن الحرام

وإياكم والإصرار على شيء مما حرم الله في ظهر القرآن وبطنه وقد قال الله تعالى: وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. (إلى هنا رواية القاسم بن الربيع) يعنى المؤمنين قبلكم إذا نسوا شيئاً مما اشترط الله في كتابه عرفوا أنهم قد عصوا الله في تركهم ذلك الشيء فاستغفروا ولم يعودوا إلى تركه، فذلك معنى قول الله: ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون.

واعلموا أنه إنما أمر ونهى ليطاع فيما أمر به ولينتهى عما نهى عنه فمن اتبع أمره فقد أطاعه، وقد أدرك كل شيء من الخير عنده، ومن لم ينته عما نهى الله عنه فقد عصاه فإن مات على معصيته أكبه الله على وجهه في النار. واعلموا أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك من خلقه كلهم إلا طاعتهم له، فاجتهدوا في طاعة

الله، إن سركم أن تكونوا مؤمنين حقاً حقاً ولا قوة إلا بالله.

لا إسلام بدون التسليم لله تعالى

وقال عليه السلام: وعليكم بطاعة ربكم ما استطعتم فإن الله ربكم. واعلموا أن الإسلام هو التسليم والتسليم هو الإسلام. فمن سلم (الله) فقد أسلم، ومن لم يسلم فلا إسلام له! ومن سره أن يبلغ إلى نفسه في الإحسان فليطع الله، فإنه من أطاع الله فقد أبلغ إلى نفسه في الإحسان. وإياكم ومعاصي الله أن تركبوها، فإنه من انتهك معاصي الله فركبها، فقد أبلغ في الإساءة إلى نفسه، وليس بين الإحسان والإساءة منزلة، فلاهل الإحسان عند ربهم الجنة، ولأهل الإساءة عند ربهم النار، فاعملوا بطاعة الله واجتنبوا معاصيه، واعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك، فمن سره أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضى عنه، واعلموا أن أحداً من خلق الله لم يصب رضا الله إلا بطاعته وطاعة رسوله وطاعة ولاة أمره من آل محمد صلوات الله عليهم، ولم ينكر لهم فضلاً عظم أو صغراً. ومعصيتهم من معصية الله. واعلموا أن المنكرين هم المكذبون، وأن المكذبين هم المنافقون، وأن الله عز وجل قال للمنافقين وقوله الحق: **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً.** ولا يفرق أحد منكم ألقى الله قلبه طاعته وخشيته، من أحد من الناس ممن أخرج الله من صفته الحق، ولم يجعله من أهلها، فإن من لم يجعل الله من أهل صفته الحق فأولئك هم شياطين الإنس والجن، وإن لشياطين الإنس حيلةً ومكرًا وخدائع، ووسوسةً بعضهم إلى بعض، يريدون إن استطاعوا أن يردوا أهل الحق عما أكرمهم الله به من النظر في دين الله، الذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله إرادة أن يستوي أعداء الله وأهل الحق في الشك والإنكار والتكذيب فيكونون سواءً كما وصف الله تعالى في كتابه من قوله: **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً.** ثم نهى الله أهل النصر بالحق أن يتخذوا من أعداء الله ولياً ولا نصيراً، فلا يهولنكم ولا يردنكم عن النصر بالحق الذي خصكم الله به من حيلة شياطين الإنس ومكرهم من أموركم. تدفعون أنتم السيئة بالتي هي أحسن فيما بينكم وبينهم، تلتمسون بذلك وجه ربكم بطاعته وهم لا خير عندهم).

أهمية الإعتقاد بصفات الله تعالى

لا يحل لكم أن تظهروهم على أصول دين الله، فإنهم إن سمعوا منكم فيه شيئاً عادوكم عليه ورفعوه عليكم، وجهدوا على هلاككم، واستقبلوكم بما تكرهون، ولم يكن لكم النصفة منهم في دول الفجّار، فاعرفوا منزلتكم فيما بينكم وبين أهل الباطل، لأن الله لم يجعل أهل الحق عنده بمنزلة أهل الباطل. ألم يعرفوا وجه قول الله في كتابه إذ يقول: **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ.**

أكرموا أنفسكم عن أهل الباطل، ولا تجعلوا الله تبارك وتعالى، وله المثل الأعلى، وإمامكم ودينكم الذي تدينون به عرضةً لأهل الباطل، فتغضبوا الله عليكم فتهلكوا، فمهلاً مهلاً يا أهل الصلاح، لا تتركوا أمر الله وأمر من أمركم بطاعته، فيغير الله ما بكم من نعمة، أحبوا في الله من وصف صفتكم، وأبغضوا في الله من خالفكم، وابدلوا مودتكم ونصيحتكم لمن وصف صفتكم، ولا تبتذلوها لمن رغب عن صفتكم وعاداكم عليها وبغاكم الغوائل. هذا أدبنا أدب الله فخذوا به، وتفهموه واعقلوه، ولا تنبذوه وراء ظهوركم، ما وافق هداكم أخذتم به، وما وافق هواكم طرحتموه ولم تأخذوا به!

التحذير من التجبر والتحكم في الناس

وإياكم والتجبر على الله واعلموا أن عبداً لم يتبل بالتجبر على الله إلا تجبر على دين الله، فاستقيموا لله ولا ترتدوا على أعقابكم فتقلبوا خاسرين، أجارنا الله وإياكم من التجبر على الله ولا قوة لنا ولكم إلا بالله.

امتحن الله الخلق في عالم الذر أو عالم الظلال

وقال عليه السلام: إن العبد إذا كان خلقه الله في الأصل أصل الخلق مؤمناً لم يمت حتى يكره الله إليه الشر ويباعده عنه. ومن كره الله إليه الشر وباعده عنه عافاه الله من الكبر أن يدخله والجبرية فلانت عريكته وحسن خلقه، وطلق وجهه وصار عليه وقار الإسلام، وسكينته

وتخشعه، وورع عن محارم الله، واجتنب مساخطه، ورزقه الله مودة الناس ومجالمتهم، وترك مقاطعة الناس والخصومات، ولم يكن منها ولا من أهلها في شئ. وإن العبد إذا كان الله خلقه في الأصل أصل الخلق كافراً لم يمت حتى يجب إليه الشر ويقربه منه! فإذا حب إليه الشر وقربه منه ابتلي بالكبر والجبرية، فقسى قلبه وساء خلقه وغلظ وجهه، وظهر فحشه وقل حياؤه، وكشف الله ستره، وركب المحارم فلم ينزع عنها، وركب معاصي الله وأبغض طاعته وأهلها، فبَعَدَ ما بين حال المؤمن وحال الكافر.

صَبْرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْبَلَاءِ فِي الدُّنْيَا

سلوا الله العافية واطلبوها إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله، صَبْرُوا النفس على البلاء في الدنيا، فإن تتابع البلاء فيها والشدة في طاعة الله وولايته وولاية من أمر بولايته، خير عاقبة عند الله في الآخرة من ملك الدنيا، وإن طال تتابع نعيمها وزهرتها وغضارة عيشها في معصية الله وولاية من نهى الله عن ولايته وطاعته، فإن الله أمر بولاية الأئمة الذين سماهم الله في كتابه في قوله: **وَجَعَلْنَاهُمْ** أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، وهم الذين أمر الله بولايتهم وطاعتهم. والذين نهى الله عن ولايتهم وطاعتهم، وهم أئمة الضلالة الذين قضى الله أن يكون لهم دول في الدنيا على أولياء الله الأئمة من آل محمد، يعملون في دولتهم بمعصية الله ومعصية رسوله صلى الله عليه وآله، ليحق عليهم كلمة العذاب.

وليتم أن تكونوا مع نبي الله محمد صلى الله عليه وآله والرسول من قبله، فتدبروا ما قص الله عليكم في كتابه مما ابتلى به أنبياءه وأتباعهم المؤمنين، ثم سلوا الله أن يعطيكم الصبر على البلاء، في السراء والضراء، والشدة والرخاء، مثل الذي أعطاهم.

وإياكم ومماظة أهل الباطل، وعليكم بهدي الصالحين ووقارهم وسكيتهم، وحلمهم وتخشعهم وورعهم عن محارم الله، وصدقهم ووفائهم، واجتهادهم لله في العمل بطاعته فإنكم إن لم تفعلوا ذلك لم تنزلوا عند ربكم منزلة الصالحين قبلكم.

واعلموا أن الله إذا أراد بعبد خيراً أشرح صدره للإسلام، فإذا أعطاه ذلك أنطق لسانه بالحق وعقد قلبه عليه، فعمل به. فإذا جمع الله له ذلك تم له إسلامه، وكان عند الله إن مات على

ذلك الحال من المسلمين حقاً.

وإذا لم يرد الله بعبد خيراً وكله إلى نفسه وكان صدره ضيقاً حرجاً، فإن جرى على لسانه حق لم يعقد قلبه عليه، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به، فإذا اجتمع ذلك عليه حتى يموت وهو على تلك الحال، كان عند الله من المنافقين، وصار ما جرى على لسانه من الحق الذي لم يعطه الله أن يعقد قلبه عليه، ولم يعطه العمل به، حجةً عليه يوم القيامة. فاتقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للإسلام، وأن يجعل ألسنتكم تنطق بالحق حتى يتوفاكم وأنتم على ذلك، وأن يجعل منقلبكم منقلب الصالحين قبلكم ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رب العالمين.

من أراد حسن العاقبة فليتبِع أهل البيت عليهم السلام

ومن سره أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يسمع قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. والله لا يطيع الله عبد أبداً إلا أدخل الله عليه في طاعته اتباعنا. ولا والله لا يتبعنا عبد أبداً إلا أحبه الله. ولا والله لا يدع أحد اتباعنا أبداً إلا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحد أبداً إلا عصى الله. ومن مات عاصياً لله أخزاه الله وأكبه على وجهه في النار. والحمد لله رب العالمين).



فهرس مواضيع ربي بها الصادق عليه السلام شيعته

أجاد الشيخ محمد حسين المظفر رحمته الله اختار في الجزء الثاني من كتابه: الإمام الصادق عليه السلام نماذج من توجيهاته ووصاياهِ لشيئته، الذين عاصروه ومن بعدهم. ونحن نورد فهرس ما ذكره المظفر رحمته الله:

وصيته لابنه الكاظم عليه السلام.

وصيته لأصحابه.

وصيته لعبد الله بن جندب.

وصيته للنجاشي.

ومن وصاياه لشييعته.

وصية لمؤمن الطاق.

وصيته لحمران.

وصيته للمفضل بن عمر.

وصيته لجميل.

وصيته للمعلى.

وصيته لسفيان الثوري.

وصيته لعنوان البصري.

من ثمين وصاياه.

كلامه ؑ في العشرة.

الاستباق إلى الخيرات.

التفقه في الدين.

النعم وشكرها.

حسن الصحبة.

الصحبة في السفر.

حسن الجوار.

قبول النصح.

المشاورة.

الإكثار من الإخوان.

الإغضاء مع الإخوان.

حقوق الإخوان.

مواساة الإخوان.

البر بالإخوان.

صدق الحديث وأداء الأمانة.



الأعمال السبعة التي قام بها الإمام الصادق عليه السلام

مضافاً الى جهوده في بناء الشيعة مع أبيه الباقر عليه السلام وبعده، قام الإمام الصادق عليه السلام بهذه الأعمال في بناء الشيعة وجعلهم طائفة مستقلة متميزة على غيرهم:

١- فقد منعهم من الإنخراط في ثورات ومشاريع حكم يراها فاشلة أو شخصية لا تكون نتيجتها تحقيق عدالة، بل استبدال ظالم بظالم، ونوع من الظلم بنوع آخر.

٢- ثم منعهم من التحاكم في محاكم الدولة، وسمى قضاتها حكام الجور، ونصب فيهم قضاة من الفقهاء الكفوئين.

٣- ثم علمهم أن يختارواهم قاضي تحكيم من عدول المؤمنين ذوي الخبرة الكافية في الحكم، وجعل حكم قاضي التحكيم نافذاً كالقاضي الجامع للشرائط.

٤- ثم عزز الإمام الصادق عليه السلام نظام الوكلاء وكان أحياناً ينصب رؤساء للشيعة.

٥- واستفاد من مالية الخمس لمساعدة المحتاجين من بني هاشم وغيرهم.

٦- واستفاد من حساسية السلطة وأتباعها من الفروقات الصغيرة خاصة في الوضوء والصلاة، فأمر الشيعة بأمرين لينقسموا قسمين فيحسبهم عدوهم جماعتين أو مذهبين، في وقت الصلاة أو شكل الوضوء، وذلك للحفاظ عليهم.

٧- حث الشيعة على الدعاء والزيارة وعلمهم الكثير منها، فصارت لهم ثقافة مميزة، فصرت ترى الشيعي يدعو ربه على مدار يومه وأسبوعه وستته، بما علمه إياه الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وصار ذلك علامة للشيعة كالجهر بالبسملة في صلواتهم، والتختم باليمين، وإن كانوا في

نظر مخالفيتهم فرقاً متعددة، لوجود فروقات بينهم. وفيما يلي تفصيل هذه الأعمال السبعة:

العمل الأول: نهاهم عن الانخراط في ثورة فاشلة أو ثائرين غير موثوقين

وتقدم ذلك في الفصل السادس. وكتبنا تحت عنوان: الإمام الصادق عليه السلام يؤمن بالثورة لكنه لا يثق بأكثر الثوار! يعتقد الإمام عليه السلام أن الثورة تحتاج إلى رجال خاصين يستطيعون أن يقيموا العدل، وإلا كانت استبدال نوع من الظلم بنوع آخر من الظلم، واستبدال ظالم قديم بظالم جديد. إنه موقف يشبه موقف جده الإمام زين العابدين عليه السلام عندما عرض عليه المختار وابن الأشتر البيعة وتولي قيادة دولة العراق وإيران، فرفض!

مع أنها دولة قامت على المطالبة بثور أبيه الإمام الحسين عليه السلام!

روى في الكافي (١٩/٥): (عن عبد الملك بن عمرو قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: فإن الزيدية يقولون ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلا أنه لا يرى الجهاد! فقال: أنا لا أراه! بل والله إني لأراه، ولكنني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم).

وفي الكافي (٢٤٢/٢): (باب في قلة عدد المؤمنين. عن سدير الصيرفي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: والله ما يسعك القعود! فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، والله لو كان لأمير المؤمنين عليه السلام مالك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيمم ولا عدي!

فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف!

قلت: نعم ومائتي ألف! قال: مائتي ألف! قلت: نعم ونصف الدنيا!

قال: فسكت عني ثم قال: يخفُّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع؟ قلت: نعم، فأمر بحمار وبغل أن يُسرَّجا فبادرت فركبت الحمار فقال: يا سدير أترى أن تؤثري بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبل! قال: الحمار أرفق بي، فنزلت فركب الحمار وركبت البغل.

فمضينا فحانت الصلاة فقال: يا سدير إنزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها، فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداء فقال: والله يا

سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود! ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة، عطف على الجداء فعددها فإذا هي سبعة عشر!

فالإمام الصادق عليه السلام يقول أنا أو من بوجوب الخروج على السلطان الجائر، ووجوب إقامة دولة العدل. لكن هذا يحتاج إلى (كوادر) لهم صفات خاصة من القوة والنزاهة والكفاءة والإخلاص والثبات. فإن لم يكن لك أصحاب من هذا النوع، فإنك ستعجز عن إقامة العدل وتطبيق أحكام الله تعالى. وسيعمل أصحابك لمنافعهم الشخصية ولا يطيعونك، ويسخرون الدولة إلى أغراضهم، فتكون معهم غريباً تأمر فلا تطاع، وإن أمرتهم بأمر على خلاف هواهم لا ينفذونه ويكذبون عليك، أو يتآمرون عليك ليعدوك أو يقتلوك، ويأتوا برئيس يطيعهم!

وكان الإمام عليه السلام يهدئ حماسة شباب الشيعة بأساليب بليغة

ففي الكافي (٨/ ٢٦٤) بسند صحيح عن عيص بن القاسم قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وانظروا لأنفسكم، فوالله إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرج به ويبيع بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها.

والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها، ثم كانت الأخرى باقية فعمل على ما قد استبان لها! ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة، فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم. إن أتاكم آتٍ منا فانظروا على أي شيء تخرجون ولا تقولوا خرج زيد فإن زيدا عليه السلام كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ولو ظهر لوفى بها دعاكم إليه.

إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه. فالخارج منا اليوم إلى أي شيء يدعوكم؟ إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام؟ فنحن نشهدكم أننا لسنا نرضى به، وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد، وهو إذا كانت الرايات والألوية أجدر أن لا يسمع منا!

إلا مع من اجتمعت بنو فاطمة معه فوالله ما صاحبكم إلا من اجتمعوا عليه، إذا كان رجب

فأقبلوا على اسم الله عز وجل وإن أحببتهم أن تتأخروا إلى شعبان فلا ضير، وإن أحببتهم أن تصوموا في أهاليكم فعمل ذلك أن يكون أقوى لكم. وكفاكم بالسفياني علامة). وفي المسألة تفاصيل، وقد تقدم بعضها في الفصل السادس.

العمل الثاني: أسس الصادق عليه السلام الإستقلال القضائي للشيعة

أمر الإمام الصادق عليه السلام الشيعة أن يكونوا مستقلين عن السلطة قضائياً، فنصب فيهم قضاة، وأمرهم أن يرجعوا اليهم في نزاعاتهم، وأن يقبلوا بقضائهم. ونهاهم نهياً مشدداً أن يتقاضوا إلى قضاة الجور، فيحرم على الشيعي أن يشتكي إلى حاكم الجور، ويجب على الخصمين أن يرجعوا إلى حاكم شرع منصوب من الإمام الصادق عليه السلام، وأن يقبلوا بحكمه. فصرت ترى الشيعة المتدينين إلى عصرنا يأبون الشكاية في المحاكم (الشرعية) التابعة لمذاهب أخرى، أو المحاكم (المدنية) التابعة للدولة العلمانية، ويتحاكمون عند العالم الذي يسمونه (حاكم الشرع).

بل نهاهم الأئمة عليهم السلام حتى عن علاقة الصداقة مع قضاة الجور!

قال محمد بن مسلم الثقفي، وهو من كبار أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام (الكافي: ٧/ ٤١٠): (مرَّ بي أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام وأنا جالس عند قاض بالمدينة. فدخلت عليه من الغد فقال لي: ما مجلس رأيك فيه أمس؟ قال: قلت له: جعلت فداك إن هذا القاضي لي مكرم، فربما جلست إليه. فقال لي: وما يؤمنك أن تنزل اللعنة فتعم من في المجلس؟) ومقصوده عليه السلام أن يقطع الشيعة محاكم الجور وقضاةها!

وطبيعي أن تكون للسلطة ردة فعل لهذا الموقف السلبي من مؤسساتها ومن الفقه الذي تبناه، لكنها لا تطبق لها الإدانة من لا يرجع إليها، لأن المتنازعين يملكان حرية حل مشكلاتهم بالتراضي أو بتحكيم من يريدون. وقد عملت السلطة لتكون محاكمها الوحيدة، فكانت النتيجة: أن بعض الشيعة قاطعوا محاكم الجور، والبعض يشتكي أو يُشتكى عليه فيها، فيضطر إلى الترافع فيها.

لكن هذا التعدد في مرجعية القضاء يعتبر مكسباً لمذهب التشيع مقابل السلطة.

العمل الثالث: أجاز لهم اختيار قاضي التحكيم

أمرهم الإمام الصادق عليه السلام إذا لم يريدوا الترافع عند الفقيه الجامع للشرط الذي نصبه قاضياً، أن يختاروا من عدول المؤمنين شخصاً متفهماً عاقلاً ويتراضوا بالتحاكم عنده، وهذا يسمى قاضي تحكيم ولا يشترط فيه درجة الفقاهة، بل شرطه العدالة وأن يرضى به الطرفان، فيقضي بينهما ويجب عليهما تنفيذ حكمه.

وبهذا انفرد الفقه الشيعي عن بقية المذاهب في باب القضاء. والتراضي بقاضي التحكيم في رأي أكثرية فقهاءنا عقد ملزم لأطرافه يجب الإلتزام بنتيجته.

من أحاديث نصب القاضي الشرعي والنهي عن التحاكم الى قضاة الجور

أفاض فقهاؤنا في أحكام حرمة الرجوع الى قضاة الجور، وفي شروط القاضي وأحكام قاضي التحكيم. ومستندهم أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وقد أورد عدداً منها في الكافي (٧/٤٠٦)، منها:

١- عن أبي خديجة قال: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضائنا فاجعلوه بينكم، فإني قد جعلته قاضياً، فتحاكموا إليه).

٢- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيما رجل كان بينه وبين أخ له ممارسة في حق، فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه وبينه فأبى إلا أن يرافعه إلى هؤلاء، كان بمنزلة الذين قال الله عز وجل: **الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا.**

٣- عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل في كتابه: **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.** فقال: يا أبا بصير إن الله عز وجل قد علم أن في الأمة حكماً يجوزون. أما إنه لم يعن حكماً أهل العدل، ولكنه عنى حكماً أهل الجور.

يا أبا محمد إنه لو كان لك على رجل حق فدعوته إلى حكام أهل العدل فأبى عليك إلا أن يرافعك إلى حكام أهل الجور ليقضوا له، لكان ممن حاكم إلى الطاغوت، وهو قول الله عز وجل: **الْمَرْتَرِ إِلَى الَّذِينَ يُزْعِمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ..**

٤ - عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحل ذلك؟ فقال: من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً، لأنه أخذ بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قلت: كيف يصنعان؟ قال: أنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرماننا وعرف أحكامنا، فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه، فإنما بحكم الله قد استخف وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله).

أقول: أصل المسألة: أن القضاء في فقه أهل البيت عليهم السلام إنما هو لنبي أو وصي نبي عليه السلام، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينصب أحداً قاضياً إلا علياً عليه السلام لما أرسله إلى اليمن، وقد كذبوا عليه بأنه أرسل معاذاً قاضياً، بينما أرسله جابياً لا قاضياً. لما أفلس وأراد أصحاب دينه أن يتخذوه عبداً!

وحق القضاء بين الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأوصيائه الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ومن ينصبونه، وقد نصبوا الفقيه العادل قاضياً وشددوا في شروطه العلمية والعملية.

وأجازوا نصب قاضي التحكيم وهو عقد بين المتخاصمين بأن يقبلوا حكم من تراضوا عليه، وقد أمضى الإمام الصادق عليه السلام حكمه، وأمر بقبوله.

فالحاكم الشرعي عندنا: هو نبينا صلى الله عليه وسلم والأئمة عليهم السلام، والفقيه الجامع للشروط ويحكم بالنيابة، وقاضي التحكيم ويحكم بتراضي الأطراف وإمضاء حكمه شرعاً.

قال الإمام الصادق عليه السلام (الكافي: ٧/٤٠٦): (إتقوا الحكومة فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء، العادل في المسلمين، لنبي أو وصي نبي).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح القاضي: (يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي

أو شقي! واشترط عليه أن لا ينفذ قضاءً حتى يعرضه عليه).
وتفصيل ذلك في كتاب القضاء من الفقه، وهو بابٌ واسع.

العمل الرابع: نَصَبُ الأئمة عليهم السلام وكلاء، وربما نصبوا رؤساء على الشيعة

امتاز الشيعة بنظام الوكلاء للأئمة عليهم السلام. وفي الظروف الشديدة كان الوكلاء غير معلنين، ومن زمن الإمام الباقر عليه السلام يعني أواخر القرن الأول، بدأ إعلان الوكلاء خاصة في الكوفة وعامة العراق وإيران.

وكانت مهمة الوكيل أن يبلغ الشيعة أوامر الإمام عليه السلام ويعلمهم الفقه ومعالم الدين، ويستلم منهم الأخماس ويوصلها الى الإمام عليه السلام. وكان لنظام الوكلاء تأثير في استقلال الشيعة، وتوحيدهم كطائفة لها مرجعيتها وفقهها وسلوكياتها، وأكثر ما كانت حساسية السلطة من جمع الأخماس والحقوق الشرعية للإمام عليه السلام، وكان الوكلاء المليون يواجهون ذلك بالتخفي، واستعمال أساليب تبييض الأموال بالأعمال التجارية.

أما نصب الرؤساء على الطائفة، فكان الإمام الصادق عليه السلام يتحفظ في نصب أحد رؤساء على شيعته في الكوفة، حتى لو كان يثق به ويحبه كالمفضل بن عمر، لأنه يخشى أن لا يطيعه بعض الشيعة، فيسبب ذلك انقسامهم!

قال الكشي في رجاله (٢/٢٢٠): (عن ابن أبي عمير بإسناده أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث، خرجوا إلى أبي عبد الله عليه السلام فقالوا: أقم لنا رجلاً نفرع إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام. قال: لا تحتاجون إلى ذلك، متى ما احتاج أحدكم عرج إليّ، وسمع مني وينصرف، فقالوا: لا بد. فقال: قد أقمتم عليكم المفضل، إسمعوا منه واقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعليّ إلا الحق. فلم يأت عليه كثير شئ (أي مدة) حتى شنعوا عليه وعلى أصحابه، وقالوا: أصحابه لا يصلون ويشربون النبيذ، وهم أصحاب الحمام، ويقطعون الطريق، والمفضل يقربهم ويدنيهم)!

ولم يأبه الإمام الصادق عليه السلام بتهمهم وكلامهم، ويظهر أنهم أثروا على كبار الفقهاء والرواة

فكتبوا الى الإمام عليه السلام يطلبون (إصلاح المفضل) أو تغييره، فكشف لهم الإمام عليه السلام خطأ رأيهم بأسلوب مبتكر.

روى الكشي في رجاله (٢/٦١٩): (عن محمد بن سنان أن عدة من أهل الكوفة كتبوا إلى الصادق عليه السلام فقالوا: إن المفضل يجالس الشطار، وأصحاب الحمام، وقوماً يشربون الشراب، فينبغي أن تكتب إليه وتأمره ألا يجالسهم، فكتب إلى المفضل كتاباً وختمه ودفعه إليهم وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد المفضل. فجاؤوا بالكتاب إلى المفضل، منهم زرارة، وعبد الله بن بكير، ومحمد بن مسلم، وأبو بصير، وحجر بن زائدة، ودفعوا الكتاب إلى المفضل ففكه وقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: إشتَرِ كذا وكذا، واشترِ كذا، ولم يذكر قليلاً ولا كثيراً مما قالوا فيه!

فلما قرأ الكتاب دفعه إلى زرارة، ودفعه زرارة إلى محمد بن مسلم، حتى أرى الكتاب إلى الكل فقال المفضل: ما تقولون؟ قالوا: هذا مال عظيم حتى ننظر ونجمع ونحمل إليك لم تدرك الأنزال بعد. وأرادوا الإنصراف فقال المفضل: حتى تتغدوا عندي فحبسهم لغدائه، ووجه المفضل إلى أصحابه الذين سعوا بهم، فجاؤوا فقرأ عليهم كتاب أبي عبد الله عليه السلام، وحبس المفضل هؤلاء ليتغدوا عنده، فرجع الفتيان وحمل كل واحد منهم على قدر قوته ألفاً وألفين وأقل وأكثر، فأحضروا ألفي دينار وعشرة آلاف درهم قبل أن يفرغ هؤلاء من الغداء! فقال لهم المفضل: تأمروني أن أطرد هؤلاء من عندي، تظنون أن الله تعالى يحتاج إلى صلاتكم وصومكم!).

أقول: معنى قول هؤلاء الفقهاء للمفضل: لم تدرك الأنزال، أي المواسم كموسم التمر والحنطة وغيرها، ليعطينا الناس زكاتها وخمسها فنعطيك.

وفي رواية أن الإمام عليه السلام طلب من المفضل أن يشتري بستاناً كبيراً يكون وارده لحل المشكلات بين المتنازعين الشيعة! وكتب له: إن لم يقم الفقهاء بذلك، فادع أصحابك الفتيان الذين يزدرونهم وبلغهم برسالتى لينهضوا بالأمر! فدعاهم المفضل وحرك نخوتهم، فنهضوا بالأمر!

يقول بذلك لكبار الفقهاء لاتستهينوا بأصحاب الشهامة والنخوة الذين جمعهم المفضل حوله،
ووسعوا صدوركم للغيارى من هذه الأمة ولو كان عندهم بعض المعاصي. وهو بذلك يعلمهم
درساً في الإدارة وخدمة الناس!

العمل الخامس: دور فريضة الخمس في خدمة الطائفة

أجمع المسلمون على أن الله تعالى حرم الصدقات على بني هاشم وشرع لهم الخمس بقوله تعالى:
وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، إِنْ كُنْتُمْ
آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. قال زيد بن أرقم كما في
صحيح مسلم (٣/ ١٢٣): (أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل
عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم).

وقال البيضاوي في تفسيره (٣/ ٦٠ و١٠٩): (أي: إن كنتم آمنتُم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس
لهؤلاء فسلموه إليهم، واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية).

أي هؤلاء بني هاشم الذين حققوا لكم النصر في بدر، فأسسوا لكم دولة وأمة!
وقد حسدتهم قبائل قريش لأن هذا تمييز لبني هاشم عليهم.

وحسدهم اليهود وكانوا يحثون قريشاً على أخذ الخمس منهم وإفقارهم، فأخذوه منهم!

روى السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٨٦) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: (سألت علياً فقلت: يا
أمير المؤمنين أخبرني كيف كان صنع أبي بكر وعمر في الخمس نصيبكم؟ فقال: أما أبو
بكر فلم تكن في ولايته أخماس، وأما عمر فلم يزل يدفعه إلي في كل خمس حتى كان خمس
السوس وجند نيسابور فقال وأنا عنده: هذا نصيبكم أهل البيت من الخمس، وقد أخل
بعض المسلمين واشتدت حاجتهم؟ فقلت: نعم، فوثب العباس بن عبد المطلب فقال:
لاتعرض في الذي لنا. فقلت: ألسنا أحق من أرفق المسلمين؟ فوالله ما أقبضناه عمر، ولا
قدرت عليه في ولاية عثمان).

قال المحقق الحلي في المعبر (٢/ ٦٢٣): (والغنيمة اسم للفائدة وكما يتناول هذا اللفظ غنيمة دار

الحرب بإطلاقة يتناول غيرها من الفوائد، ويدل على ذلك من طريق أهل البيت عليهم السلام روايات منها رواية محمد بن الحسن الأشعري قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبي جعفر الثاني أخبرني الخمس على جميع ما يستفيد الرجل من قليل وكثير من جميع الضروب وعلى الضياع؟ فكتب بخطه: الخمس بعد المؤنة).

فالخمس في فقهننا لا يختص بغنائم الحرب بل يشمل كل فائدة، أي ما يفضل للشخص بعد مصارفه، وما يوفره فيجب أن يعطي خمسه.

والإمام ثم المرجع ولي الخمس يصرفه في مستحقه من بني هاشم وحاجات الشيعة الضرورية.

وقد ناقشني في لندن بعض الدكاترة في تشريع الخمس لبني هاشم، ولم يقتنعوا بالدليل الشرعي من القرآن والسنة. فقلت لهم: حسناً، لو أن مجلس العموم البريطاني تبنى تشريعاً بأن يعطى أولاد آينشتين مساكن مجانية وتكون جامعاتهم مجانية، لأنه يؤمل أن ينبغ منهم نابغون، فهل يكون هذا القانون رجعيّاً وطبقياً؟ قال: لا، فقلت لهم: هذا هو الخمس، فسكتوا!

وقلت لهم: أعطوني أسرة أعطت للحضارة الإنسانية أكثر من أسرة بني هاشم أو مثلها، فلماذا تستكثرون أن يكون في الإسلام تشريع بنفقة المحتاجين منهم؟!

العمل السادس: تعمد الصادق عليه السلام إيجاد التعدد في الشيعة!

وقد صرح عليه السلام بأنه تعمد أن يجعلهم جماعات متعددة بفروقات بينهم، حتى لا يبادوا، فإذا استأصل عدوهم جماعة بقيت الجماعة الأخرى.

ويؤكد هذه الحقيقة علماء الاجتماع فيقولون إن التعدد في أي جماعة من عوامل بقائها وعدم استئصالها. فالتعدد داخل الطائفة ضرورة ونعمة حتى يظهر الإمام المهدي عليه السلام.

قال الصادق عليه السلام: (أنا أوقعت الاختلاف بينكم كي لا تعرفوا فتؤخذوا) (الجواهر: ٦٣/٧).

فقد وجه عليه السلام الشيعة في بعض المناطق بأن يصلوا الظهر والعصر في وقتين مختلفين عمداً ليكون بينهم اختلاف، فلا يكشفهم أعداؤهم فيأخذوهم!

وفي الكافي (٣ / ٢٧٦) والإستبصار (١ / ٢٥٧): (سأله إنسان وأنا حاضر فقال: ربما دخلت المسجد

وبعض أصحابنا يصلون العصر وبعضهم يصلون الظهر! فقال: أنا أمرتهم بهذا! لو صلوا على وقت واحد عرفوا فأخذ برقابهم).

وفي علل الشرائع (٢/٣٩٥): (عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن مسألة فأجابني قال: ثم جاء رجل فسأله عنها فاجابه بخلاف ما أجابني ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتك قدما يسألان فأجبت كل واحد منها بغير ما أجبته به الآخر! قال: فقال: يا زرارة إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لقصدمكم الناس ولكان أقل لبئانا وبقائكم! قال: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسننة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين قال: فسكت فأعدت عليه ثلاث مرات فأجابني بمثل أبيه عليه السلام.

عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال: اختلاف أصحابي لكم رحمة... أنا فعلت ذلك بكم لو اجتمعتم على أمر واحد لأخذ برقابكم).

أقول: ما جرى مع علي بن يقطين عند هارون، يدل على حساسية السلطة من أهل البيت عليهم السلام حتى في الصلاة والوضوء. فقد غير علماء السلطة وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وأدخلوا فيه غسل القدمين، وتطويق الأذنين، كما يفعل اليهود والصابئة. وفرضوه على المسلمين وعمته الدولة الأموية، ثم تبناه العباسيون. وبقي أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على وضوء النبي صلى الله عليه وآله!

وكان علي بن يقطين رضي الله عنه كبير الوزراء في بلاط هارون محاطاً بحساده من البرامكة وبعض أقاربه وكانوات يحصون عليه أنفاسه، فكتب إلى الإمام الكاظم عليه السلام يسأله كيف يتوضأ؟ فكتب إليه: فهتمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء، والذي أمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً، وتحلل لحيتك، وتمسح رأسك كله، وبه تمسح ظاهر أذنيك وباطنهما، وتغسل رجلك إلى الكعبين ثلاثاً، ولا تحالف ذلك إلى غيره!

فلما وصل الكتاب إلى علي تعجب مما رسم له فيه ثم قال: مولاي أعلم بما قال وأنا ممثّل

أمره، فكان يعمل في وضوئه على هذه، وسُعي به إلى الرشيد بالرّفض (أنه رافضي) فقال: قد كثر القول عندي في رفضه، فأمتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه، فلما دخل وقت الصلاة وقف الرشيد وراء حائط الحجرة بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو، فدعا بالماء وتوضأ على ما أمره الإمام فلم يملك الرشيد نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه، ثم ناداه: كذب يا علي من زعم أنك من الرفضة!

وصلحت حاله عنده، وورد كتاب أبي الحسن عليه السلام ابتداءً: من الآن يا علي بن يقطين توضأ كما أمرك الله، وذكر وصفه، فقد زال ما يخاف عليك: إغسل وجهك مرة فريضة والأخرى إسباغاً، واغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح مقدم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك). (مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٤٠٧، وإعلام الوري: ٢ / ٢٢).

وقال السيد السيستاني في الرافد/ ٢٨: (ومن أسباب الكتمان التقية بأنواعها، وهي التقية من السلطة الحاكمة أو من المذهب المشهور عند الجمهور أو من التيارات الفكرية المناوئة، واستعمال الإمام للتقية تارة بالقاء بالإختلاف بين الشيعة حتى لا يطمع فيهم أعداؤهم، نتيجة لاختلافهم، كما ورد في الروايات).

ومن أمثلة الإختلاف والتعدد النافع في عصرنا: أنه اشتهرت الحوزة العلمية بقم برأيهم ثبوت ولاية الفقيه، وأن له حق الحكم، وأن الحوزة العلمية في النجف لا يقبلون بذلك ويقولون: الفقيه له القضاء والإفتاء والأمر الحسبية، وليس له الحكم. ففرح الغربيون بأن الشيعة العراقيين يختلفون عن الشيعة الإيرانيين، فساعدوهم على التخلص من صدام، ثم ندموا لما عرفوا أنهم طائفة واحدة!

العمل السابع: أغنى الشيعة بالأدعية والزيارات!

الحمد لله على ثروة الأدعية والزيارات التي وصلت إلينا من أئمة العترة النبوية صلوات الله عليهم، وأنها سلمت من غارات أعدائنا لإتلاف كتبنا وحرقتها!

ففي هذه الثروة معالم العقيدة الإسلامية، ومعالم تاريخ الإسلام، وسيرة نبينا وآله عليهم السلام.

وإذا نظرت في مصادر الأدعية عندنا مثل مصباح المتهجد للشيخ الطوسي، وكامل الزيارات

..... الفصل الحادي عشر: كيف أدار الإمام الصادق عليه السلام جماعة الشيعة ٣٤٧

لجعفر بن قولويه، ومهج الدعوات لابن طاووس، تجد نصفها أو أكثر مما رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام. وهذا يدل على أنه عليه السلام كان يعيش في فرائضه ونوافله الإبتهال والتضرع بين يدي ربه عز وجل، وزيارة جده صلى الله عليه وآله وأبائه ومخاطبتهم عليهم السلام. وبذلك نشر الإمام الصادق عليه السلام الأدعية والزيارات بين الشيعة، فتميزوا بها والحمد لله.
وسنذكر نماذج منها في فصل عبادته عليه السلام.





الفصل الثاني عشر

عبادة الإمام الصادق عليه السلام وكراماته

شهد الجميع بكثرة عبادته عليه السلام وكراماته

قال أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (٣/ ١٩٢): (ومنهم الإمام الناطق، ذو الزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع وأثر العزلة والخشوع، ونهى عن الرئاسة والجموع).

وقال مالك بن أنس إمام المذهب: (ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد، فضلاً وعلماً وورعاً، وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً وإما قائماً وإما ذاكراً. وكان من عظماء البلاد، وأكابر الزهاد الذين يخشون ربهم. ولقد حججت معه سنة فلما أتى الشجرة أحرم، فكلما أراد أن يهمل كاد يغشى عليه فقلت له: لا بد لك من ذلك، وكان يكرمني وينسبط إليّ فقال: يا ابن أبي عامر إني أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك! ولقد أحرم جده علي بن حسين فلما أراد أن يقول: اللهم لبيك أو قالها، عُشِيَ عليه وسقط عن ناقته). (التمهيد لابن عبد البر ٢/ ٦٧، والمناقب ٣/ ٣٩٦).

وقال محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول/ ٤٤٦: (هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد، الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً..).

ولما أطل عنوان البصري على الإمام الصادق عليه السلام في الأسئلة، قال له: (قم عني فقد نصحت لك، ولا تفسد عليّ وردي، فإني امرؤٌ ضنينٌ بنفسي). (بحار الأنوار: ١/ ٢٢٤).

يقصد بوردي: برنامج عبادتي الذي أنا ملتزم به، وضمنين بنفسي: حريص على وقتي لأضيع وقتي!

وروى ابن حمزة الفقيه في الثاقب في المناقب / ٢٠٨: (قال محمد بن الأسقنطري (الإسكندري): كنت من خواص المنصور أبي جعفر الدوانقيي وكنت أقول بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فدخلت يوماً على أبي جعفر الدوانقيي وإذا هو يفرك يديه ويتنفس تنفساً بارداً، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه الفكرة؟ فقال: يا محمد إني قتلت من ذرية فاطمة بنت رسول الله ألفاً أو يزيدون وقد تركت سيدهم المشار إليه! فقلت له: ومن ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذلك جعفر بن محمد. فقلت له: إن جعفر بن محمد رجل قد أنحلته العبادة واشتغل بالله عما سواه وعما في أيدي الملوك. فقال: يا محمد قد علمت بأنك تقول بإمامته، والله إنه لإمام هذا الخلق كلهم، ولكن الملك عقيم، وآليت على نفسي أن لا أمسي أو أفرغ منه.

قال محمد: فوالله لقد أظلم عليّ البيت (الغرفة) من شدة الغم، ثم دعا المنصور بالموائد فأكل وشرب ثلاثة أرطال، ثم أمر الحاجب أن يخرج كل من في المجلس ولم يبق إلا أنا وهو، ثم دعا بسيف له وقال له: ويحك يا سيف! فقال له: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: إذا أنا أحضرت جعفر بن محمد وجاريتيه الحديث وقلعت القلنسوة عن رأسي فاضرب عنقه. فقال: نعم يا أمير المؤمنين. قال محمد: فضاقت عليّ الأرض برحبها، فلحقت السيف فقلت له سرّاً: ويلك تقتل جعفر بن محمد ويكون خصمك رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال السيف: والله لأفعلن ذلك، فقلت: وما الذي تفعل؟ قال: إذا حضر أبو عبد الله وشغله أبو جعفر الدوانقيي بالكلام وأخذ قلنسوته عن رأسه، ضربت عنق أبي جعفر الدوانقيي! ولم أبال بما قد صرت إليه ولا ما يكون من أمري...). إلى آخره وقد تقدم. (عيون المعجزات / ٨٠)

وفي الكافي (٢٢٨/١) عن الفضل بن عمر قال: (أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن عليه فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه فقلت: أصلحك الله أتيناك نريد الإذن عليك فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية فتوهمنا أنه بالسريانية ثم بكيت فبكينا لبكائك، فقال:

نعم ذكرت إلياس النبي عليه السلام وكان من عباد أنبياء بني إسرائيل فقلت كما كان يقول في سجوده، ثم اندفع فيه بالسريانية، فلا والله ما رأينا قسماً ولا جاثليقاً أفصح لهجة منه به، ثم فسر له بالعربية فقال: كان يقول في سجوده: أترك معذبي وقد أظمأت لك هو اجري، أترك معذبي وقد عفرت لك في التراب وجهي، أترك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي، أترك معذبي وقد أسهرت لك ليلي؟

قال: فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك فاني غير معذبك، قال: فقال: إن قلت لا أعذبك ثم عذبتني فماذا، ألتست عبدك وأنت ربي؟ قال: فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك، فإني غير معذبك، إني إذا وعدت وعداً وفيت به).

وكانت هذه سيرة الإمام الصادق عليه السلام من حادثة سنه، فقد روى في الكافي (٢/٨٦): (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرَّ بي أبي وأنا بالطواف، وأنا حدِّثُ وقد اجتهدت في العبادة، فرآني وأنا أتصابُّ عرقاً، فقال لي: يا جعفر يا بني إن الله إذا أحب عبداً أدخله الجنة، ورضي عنه باليسير). أما كراماته ومعجزاته عليه السلام فتبلغ المئات، وقد تضمن الكتاب عدداً منها، وكان بعضها في سيرته عليه السلام مع المنصور العباسي وغيره.

قال الشعرائي في لوائح الأنوار: (كان إذا احتاج إلى شيء قال: ياربنا أنا أحتاج إلى كذا، فما يستتم دعاءه إلا وذلك الشيء بجنبه). (جامع كرامات الأولياء للبيهقي: ٢ / ٤).

وقال ابن الصباغ في الفصول المهمة (٢/٩١٣): (وأما مناقبه فتكاد تفوت من عد الحاسب، ويحير في أنواعها فهم اليقظ الكاتب، وقد نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر بالمغرب الذي يتوارثه بنو عبد المؤمن بن علي هو من كلامه).

وفي الكافي (١/٤٧٤) قال أبو بصير: (كان لي جار يتبع السلطان، فأصاب مالا فأعد قياناً وكان يجمع الجمع ويشرب المسكر ويؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرة فلم ينته، فلما أن ألححت عليه قال لي: يا هذا أنا رجل مبتلى وأنت رجل معافي، فلو عرضتني لصاحبك رجوت أن ينقذني الله بك، فوقع ذلك في قلبي فلما صرت إلى أبي عبد الله عليه السلام ذكرت له حاله فقال لي:

إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك فقل له: يقول لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنة.

فلما رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن أتى فاحتبسته عندي حتى خلى منزلي، ثم قلت له: يا هذا إني ذكرت لك لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك فقل له: يقول لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنة! قال: فبكى ثم قال لي: الله لقد قال لك أبو عبد الله هذا؟ قال: فحلفت له أنه قد قال لي ما قلت، فقال لي: حسبك ومضى. فلما كان بعد أيام بعث إلي فدعاني فإذا هو خلف داره عريان، فقال لي: يا أبا بصير، لا والله ما بقي في منزلي شيء إلا وقد أخرجته، وأنا كما ترى! قال: فمضيت إلى إخواننا فجمعت له ما كسوته به، ثم لم تأت عليه إلا أيام يسيرة حتى بعث إليّ إني عليل فأتني، فجعلت أختلف إليه وأعجله حتى نزل به الموت، فكنت عنده جالساً وهو يجود بنفسه، فغشي عليه غشية ثم أفاق فقال لي: يا أبا بصير قد وفي صاحبك لنا، ثم قبض عليه السلام! فلما حججت أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاستأذنت عليه فلما دخلت قال لي ابتداء من داخل البيت وإحدى رجلي في الصحن والأخرى في دهليز داره: يا أبا بصير قد وفينا لصاحبك! أقول: كفى به مقاماً للإمام عليه السلام عند ربه عز وجل أنه يضمن عليه الجنة، ويجبر بما يكون من أمر ذلك المؤمن التائب من ذنوبه!

وقال محمد أبو زهرة في الإمام الصادق / ٨١، في وصف أخلاقه العالية: (كان سمحاً كريماً لا يقابل الإساءة بمثلها، بل يقابلها بالتي هي أحسن عملاً بقوله تعالى: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وكان يقول: إذا بلغك عن أخيك شيء يسوءك فلا تغتم فإن كنت كما يقول القائل كانت عقوبة قد عجلت، وإن كنت على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها. وكان رفيقاً مع كل من يعامله من عشراء وخدم، ويروى في ذلك أنه بعث غلاماً له في حاجة فأبطأ، فخرج يبحث عنه فوجده نائماً فجلس عند رأسه وأخذ يروح له حتى انتبه فقال له: ما ذلك لك تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا النهار. بل إن التسامح والرفق ليبلغ به أن يدعو الله بغفران الإساءة لمن يسئ إليه).

اشتهر عند السنة دعاؤه دفع شر المنصور!

وقد أعجبهم هذا الدعاء الذي رد شر المنصور الدوانيقي وعزمه على قتله مرات عديدة، فكان إذا تتم بشفتيه تنقلب حالة المنصور من الغضب الشديد الى الترحيب بالإمام والإعتذار عن إحضاره إياه! وقد حرصوا على هذا الدعاء للإستفادة الدنيوية منه! (كالذهبي في سيره (٢٦٦/٦) والمزي في تهذيب الكمال (٩٥/٥)، والعقد الفريد: ٥/١٥٩).

وقد فرح به الربيع حاجب المنصور لما أعطاه إياه الإمام الصادق عليه السلام، قال: فكتبته في رق وجعلته في حمائل سيفي. فوالله ما هبت المنصور بعدها). (مهج الدعوات/١٨٦).

وفي رواية أنه دفع عنه أمر المنصور بقتله أكثر من مرة! وأول الدعاء: (اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفي بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك علي ولا تهلكني وأنت رجائي. رب كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لها عندك صبري، فيما من قل عند نعمته شكري فلم يجرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني.. وآخره: يا وهاب أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا، وشكر العافية).

وقد استوفينا أدعيته عليه السلام لدفع شر المنصور الدوانيقي في الفصل الثالث.

أدعية وصلوات علمها الإمام الصادق عليه السلام للشيعة

دعاء الحجاب من الأعداء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا. وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاعًا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ نُفُورًا. اللهم إني أسألك بالإسم الذي به تحيي وتميت، وترزق وتعطي وتمنع، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم من أرادنا بسوء من جميع خلقك فأعِم عينا عينه، واصمُم عنا سمعه، واشغل عنا قلبه، واغلل عنا يده، واصرف عنا كيده، وخذه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن تحته ومن فوقه. يا ذا الجلال والإكرام). (مهج الدعوات/٢١٥).

دعاءه عليه السلام في الصباح:

(بسم الله الرحمن الرحيم، أصبحت بالله ممتنعاً، وبعزته محتجباً، وبأسماائه عائداً، من شر الشيطان والسلطان ومن شر كل ذاتية ربي أخذ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مستقيم. فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. فسكفكفهم الله وهو السميع العليم. فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين. إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحدٍ من بعده إنه كان حليماً غفوراً.

الحمد لله الذي أذهب بالليل بقدرته، وجاء بالنهار برحمته، خلقاً جديداً، ونحن في عافية منه، بمنه وجوده وكرمه. مرحباً بالحافظين، وتلفتت عن يمينك وتقول: حياكما الله من كاتبين، وتلفتت عن شمالك وتقول: أكتبنا رحمك الله: بسم الله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، على ذلك أحياء وعلية أموت، وعليه أبعث إن شاء الله، إقرأ محمدًا ﷺ مني السلام، أصبحت في جوار الله الذي لا يضام وفي كنف الله الذي لا يرام، وفي سلطانه الذي لا يستطاع، وفي ذمة الله التي لا تخفر، وفي عز الله الذي لا يقهر، وفي حرم الله المنيع، وفي ودائع الله التي لا تضيع، ومن أصبح لله جاراً فهو آمن محفوظ، أصبحت والملك والملكوت والعظمة والجبروت والجلال والإكرام والنقض والإبرام والعزة والسلطان والحجة والبرهان والكبرياء والربوبية والقدرة والهيبة والمنعة والسطوة والرفقة والرحمة والعمو والعافية والسلامة والطول والآلاء والفضل والنعماء والنور والضياء والأمن وخزائن الدنيا والآخرة.. الله رب العالمين، الواحد القهار الملك الجبار العزيز الغفار. أصبحت لا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو معه إلهاً، ولا أتخذ من دونه ولياً ولا نصيراً، إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً. الله الله الله ربي حقاً لا أشرك به شيئاً، الله أعز وأكبر مما أخاف وأحذر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم إني أدعوك لهم لا يفرجه غيرك، ولرحمة لاتنال إلا بك، ولحاجة لا يقضيها إلا أنت، اللهم كما كان من شأنك ما أردتني به من ذكرك، وألهمتني به من شكرك ودعائك، فليكن

من شأنك الإجابة لي فيما دعوتك، والنجاة فيما فرغت إليك منه وإن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني وتسعني لأنها وسعت كل شيء، وأنا شيء فلتسعني رحمتك يا مولاي! اللهم إني أسألك باسمك الذي به تقوم السماء، وبه تقوم الأرض وبه تفرق بين الحق والباطل، وبه تجمع بين المتفرق، وبه تفرق بين المجتمع، وبه أحصيت عدد الرمال وزنة الجبال وكيل البحار، أن تصلي على محمد وآله وأن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، إنك على كل شيء قدير). (مصباح التهجد/ ٢٣٠، ملخصاً).

صلاة أمير المؤمنين عليه السلام لقضاء الحاجات:

روي عنه عليه السلام (مصباح التهجد/ ٢٩٢): (من صلى منكم أربع ركعات: صلاة أمير المؤمنين عليه السلام، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وقضيت حوائجه. يقرأ في كل ركعة الحمد مرة، وخمسين مرة قل هو الله أحد).

وروي عنه عليه السلام (مصباح التهجد/ ٣٣٧): (صلاة للحاجة علمها أبان بن تغلب قال: إذا كانت لك حاجة فصم الأربعاء والخميس والجمعة، وصل ركعتين عند زوال الشمس تحت السماء، وقل: اللهم إني حللت بساحتك لمعرفتي بوحدانيتك، وأنه لا قادر على خلقه غيرك، وقد علمت أن كلما تظاهرت نعمك عليّ اشتدت فاقتي إليك.

وقد طرقتني من همّ كذا وكذا ما أنت أعلم به مني، وأنت تكشفه لأنك عالم غير معلم واسع غير متكلف، فأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فنسفت، وعلى السماء فانشقت، وعلى النجوم فانتشرت، وعلى الأرض فسطحت، وبالإسم الذي جعلته عند محمد صلواتك ورحمتك عليه وعلى آله، وجعلته عند علي والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة عليه السلام، أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تقضي لي حاجتي وتيسر لي عسيرها، وتفتح لي قفلها وتكفيني همها، فإن فعلت فلك الحمد، وإن لم تفعل فلك الحمد، غير جائر في حكمك، ولا متهم في قضائك، ولا حائف في عدلك. ثم تسجد وتقول: اللهم إن يونس بن متى عبدك ورسولك دعاك في بطن الحوت فاستجبت

له وفرجت عنه، فاستجب لي كما استجبت له وفرج عني كما فرجت عنه. ثم تضع خدك الأيمن على الأرض وتقول: يا حسنَ البلاء عندي يا كريمَ العفو عني، يا من لاغنى لشيء عنه، يا من لا بد لكل شيء منه، يا من مصير كل شيء إليه، يا من رزق كل شيء عليه! تولني ولا تولني شرار خلقك، وكما خلقتني فلا تضيعني.

ثم تضع خدك الأيسر، وتقول: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً. عشر مرات. وتعود إلى السجود وتقول: اللهم أنت لها ولكل عظمة، وأنت لهذه الأمور التي قد أحاطت بي واكتفتني، فاكفنيها وخلصني منها، إنك على كل شيء قدير).

الصيام لطلب الحاجة:

روى عنه عليه السلام (مصباح المتجهد/٤٢٣): (قال: من دهمه أمر من سلطان أو من عدو حاسد، فليصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وليدع عشية الجمعة ليلة السبت وليقل في دعائه: أي رباه، أي سيده، أي سنده، أي أملاه، أي رجاياه، أي عماده، أي كهفاه، أي حصناه، أي حُرزاه، أي فخراه.. بك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت، وبابك قرعت، وبفنائك نزلت، وبجبلك اعتصمت، وبك استغثت، وبك أعوذ، وبك ألوذ، وعليك أتوكل، وإليك ألبأ وأعتصم، وبك أستجير في جميع أموري، وأنت غياثي وعمادي، وأنت عصمتي ورجائي، وأنت الله ربي لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك عملت سوءً وظلمت نفسي، فصل على محمد وآل محمد واغفر لي وارحمني وخذ بيدي وأنقذني، وقني واكفني واكلائي وارعني، في ليالي ونهاري وإمساكي وإصباحي، ومقامي وسفري، يا أجود الأجودين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أعدل الفاصلين، ويا إله الأولين والآخرين، ويا مالك يوم الدين، ويا أرحم الراحمين، يا حي يا قيوم، يا حي لا يموت، يا حي لا إله إلا أنت. بمحمد يا الله، بعلي يا الله، بفاطمة يا الله، بالحسن يا الله، بالحسين يا الله، بعلي يا الله، بمحمد يا الله! صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

قال الحسن بن محبوب: فعرضته على أبي الحسن الرضا عليه السلام فزادني فيه: بجعفر يا الله، بموسى يا الله، بعلي

يا الله، بمحمد يا الله، بعلي يا الله، بالحسن يا الله، بحجتك ثم خليفتك في بلادك يا الله! صل على محمد وآل محمد وخذ بناصية من أخافه (وتسميه باسمه) وذل لي صعبه، وسهل لي قياده، ورد عني نافرة قلبه، وارزقني خيره، واصرف عني شره، فإني بك اللهم أعوذ وألوذ، وبك أثق، وعليك أعتد وأتوكل، فصل على محمد وآل محمد واصرفه عني، فإنك غياث المستغيثين، وجار المستجيرين، ولجأ اللاجئين، وأرحم الراحمين).

الدعاء في الطواف:

روى عنه عليه السلام (مصباح المتهدد/ ٦٨٢): (دعاء في حال الطواف: اللهم إني إليك فقير وإني خائف مستجير، فلا تبدل إسمي، ولا تغير جسمي. فإذا انتهيت إلى مؤخر الكعبة وهو المستجار دون الركن اليماني بقليل، في الشوط السابع، فابسط يدك على الأرض وألصق خدك وبطنك بالبيت، ثم قل: اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار. وأقر لربك بما عملت من الذنوب، فإنه روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: ليس من عبد يقر لربه بذنوبه في هذا المكان إلا غفر له.

ثم تقول: اللهم من قبلك الروح والفرج والعافية. اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لي، واغفر لي ما اطلعت عليه مني وخفي على خلقك. ثم استقبل الركن اليماني والركن الذي فيه الحجر واختم به، واختر لنفسك من الدعاء ما أردت، واستجر من النار).

يوم المبعث أشرف الأعياد:

روى في (مصباح المتهدد/ ٨٢٠): (عن الحسين بن راشد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: غير هذه الأعياد شيء؟ قال: نعم، أشرفها وأكملها اليوم الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قلت: فأأي يوم هو؟ قال: إن الأيام تدور وهو يوم السبت لسبع وعشرين من رجب قال: قلت: فما نفع فيه؟ قال: تصوم وتكثر الصلاة على محمد وآله عليهم السلام).

فضل الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله:

روى في كامل الزيارات/ ٥٩، عن مرازم قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصلاة في مسجد

رسول الله ﷺ فقال: قال رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة في غيره، وصلاة في المسجد الحرام تعدل ألف صلاة في مسجدي. ثم قال: إن الله فضل مكة وجعل بعضها أفضل من بعض، فقال: **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ**، وقال: إن الله فضل أقواماً وأمر باتباعهم وأمر بمودتهم). يقصد آية طاعة أولي الأمر، وآية المودة في القربى.

فضل الصلاة في مسجد الكوفة والسهلة:

في كامل الزيارات/ ٧٢ عن هارون بن خارجة قال: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أتصلي الصلاة كلها في مسجد الكوفة؟ قلت: لا، قال: أما لو كنت بحضرته لرجوت أن لا تفوتني فيه صلاة، قال: وتدرى ما فضله؟ قلت: لا، قال: ما من عبد صالح ولا نبي إلا وقد صلى في مسجد كوفان، حتى أن رسول الله ﷺ لما أسري به قال له جبرئيل عليه السلام: أتدرى أين أنت؟ مقابل مسجد كوفان فقال: إستمأذن ربك حتى أهبط فأصلي فيه، فاستأذن فأذن له فهبط فصلى فيه ركعتين. وإن الصلاة المكتوبة فيه تعدل بألف صلاة، وإن النافلة فيه تعدل بخمس مائة صلاة، وإن مقدمه لروضة من رياض الجنة، وإن ميمته روضة من رياض الجنة، وإن ميسرته روضة من رياض الجنة، وإن مؤخره روضة من رياض الجنة، وإن الجلوس فيه بغير صلاة ولا ذكر لعبادة، ولو علم الناس ما فيه لأتوه ولو حبواً).

عن خالد القلاني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (صلاة في مسجد الكوفة بألف صلاة).

في كامل الزيارات/ ٧٣ قال الصادق عليه السلام: (مكة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي، الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، والمدينة حرم الله وحرم رسوله ﷺ وحرم علي أمير المؤمنين عليه السلام، الصلاة فيها بعشرة آلاف صلاة والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم، والكوفة حرم الله وحرم رسوله ﷺ وحرم أمير المؤمنين علي عليه السلام، الصلاة في مسجدها بألف صلاة. وقال عليه السلام: حد مسجد السهلة الروحاء).

والروحاء هنا ليست روحاء مكة المشهورة، بل روحاء الكوفة، وهي فوق الكوفة من جهة كربلاء.

قال الطبري (٢٠/٦): (فسار إليه ابن هبيرة على الفرات حتى انتهى إلى عين التمر ثم سار

فلقى المثنى بالروحاء.. فوافى الكوفة).

وقال الدكتور حسن الحكيم (المفصل في تاريخ النجف الأشرف ١/١٦): (وذكر المستشرق (ماسنيون) في رحلته: أن الحيرة الروحاء تبعد عن الكوفة بثلاث أميال).

وفي كامل الزيارات/ ٧٥ قال الصادق عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: (يا أبا حمزة هل شهدت عمي ليلة خرج؟ قال: نعم، قال: فهل صلى في مسجد سهيل؟ قال: وأين مسجد سهيل لعلك تعني مسجد السهلة؟ قال: نعم، قال: أما إنه لو صلى فيه ركعتين ثم استجار الله لأجاره سنة. فقال له أبو حمزة: بأبي أنت وأمي هذا مسجد السهلة؟ قال: نعم فيه بيت إبراهيم الذي كان يخرج منه إلى العمالق، وفيه بيت إدريس الذي كان يخيط فيه، وفيه مناخ الراكب، وفيه صخرة خضراء فيها صورة جميع النبيين، وتحت الصخرة الطينة التي خلق الله عز وجل منها النبيين، وفيه المعراج، وهو الفاروق الأعظم موضع منه، وهو عمر الناس، وهو من كوفان، وفيه ينفخ في الصور، واليه المحشر يحشر من جانبه سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، أولئك الذين أفلج الله حججهم وضاعف نعمهم، فإنهم المستبقون الفائزون القانتون، يجبون أن يدرؤوا عن أنفسهم المفخر، ويجلون بعدل الله عن لقاءه، وأسرعوا في الطاعة فعملوا وعلموا أن الله بما يعملون بصير، ليس عليهم حساب ولا عذاب. يذهب الضغن يطهر المؤمنين، ومن وسطه سار جبل الأهواز، وقد أتى عليه زمان وهو معمور).

وفي الكافي (٨/ ٢٧٩): (عن الفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالكوفة أيام قدم على أبي العباس (السفاح) فلما انتهينا إلى الكناسة قال: ها هنا صلب عمي زيد عليه السلام ثم مضى حتى انتهى إلى طاق الزياتين وهو آخر السراجين، فنزل وقال: إنزل فإن هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأول، الذي خطه آدم عليه السلام، وأنا أكره أن أدخله راكباً. قال: قلت: فمن غيرَه عن خطته؟ قال: أما أول ذلك الطوفان في زمن نوح عليه السلام، ثم غيره أصحاب كسرى ونعمان، ثم غيرَه بعد زياد بن أبي سفيان.

فقلت: وكانت الكوفة ومسجدها في زمن نوح عليه السلام؟ فقال لي: نعم يا مفضل، وكان منزل نوح

وقومه في قرية على منزل من الفرات مما يلي غربي الكوفة، قال: وكان نوح عليه السلام رجلاً نجاراً فجعله الله عز وجل نبياً وانتجبه، ونوح أول من عمل سفينة تجري على ظهر الماء قال: ولبت نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل فيهبؤون به ويسخرون منه، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا. فأوحى الله عز وجل إلى نوح: أن اصنع سفينة وأوسعها وعجل عملها، فعمل نوح سفينة في مسجد الكوفة بيده، فأتى بالخشب من بعد حتى فرغ منها. قال المفضل: ثم انقطع حديث أبي عبد الله عليه السلام عند زوال الشمس فقام فصلي الظهر والعصر ثم انصرف من المسجد، فالتفت عن يساره وأشار بيده إلى موضع دار الدارين وهو موضع دار ابن حكيم وذلك فرات اليوم، فقال لي: يا مفضل، ها هنا نصبت أصنام قوم نوح عليه السلام: يغوث ويعوق ونسراً. ثم مضى حتى ركب دابته فقلت: جعلت فداك في كم عمل نوح سفينته حتى فرغ منها؟ قال: في دورين، قلت: وكم الدورين؟ قال: ثمانين سنة. قلت: وإن العامة يقولون: عملها في خمس مائة عام، فقال: كلا كيف والله يقول: وَوَحْيِنَا، قال: قلت: فأخبرني عن قول الله عز وجل: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ، فأين كان موضعه وكيف كان؟ فقال: التنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد. فقلت له: فإن ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم. ثم قلت له: وكان بدء خروج الماء من ذلك التنور؟ فقال: نعم إن الله عز وجل أحب أن يرى قوم نوح آية، ثم إن الله تبارك وتعالى أرسل عليهم المطر يفيض فيضاً، وفاض الفرات فيضاً، والعيون كلهن فيضاً، فغرقهم الله عز ذكره، وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة.

فقلت له: كم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء وخرجوا منها؟ فقال: لبثوا فيها سبعة أيام ولياليها وطافت بالبيت أسبوعاً، ثم استوت على الجودي، وهو فرات الكوفة. فقلت له: إن مسجد الكوفة قديم؟ فقال: نعم، وهو مصلى الأنبياء عليهم السلام ولقد صلى فيه رسول الله ﷺ حين أسري به إلى السماء، فقال له جبرئيل: يا محمد هذا مسجد أبيك آدم ومصلى الأنبياء عليهم السلام فانزل فصل فيه فنزل فصل فيه.)

وفي كامل الزيارات / ٨٠ عن إسماعيل بن زيد مولى عبد الله بن يحيى الكاهلي: قال الصادق عليه السلام: (جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في مسجد الكوفة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه السلام، جعلت فداك إني أردت المسجد الأقصى فأردت أن أسلم عليك وأودعك، فقال: أي شيء أردت بذلك؟ فقال: الفضل جعلت فداك. قال: فبع راحلتك وكل زادك وصل في هذا المسجد، فإن الصلاة المكتوبة فيه حجة مبرورة، والنافلة عمرة مبرورة، والبركة منه على اثني عشر ميلاً، يمينه يمن ويساره مكر، وفي وسطه عين من دهن، وعين من لبن، وعين من ماء شرباً للمؤمنين، وعين من ماء طهراً للمؤمنين، منه سارت سفينة نوح، وكان فيه نسر ويعوث ويعوق، وصلّى فيه سبعون نبياً وسبعون وصياً أنا أحدهم، وقال بيده في صدره. ما دعا فيه مكروب بمسألة في حاجة من الحوائج، إلا أجابه الله وفرج عنه كربه).

أقول: قال الله تعالى: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ.** فأكد أن ارتباط المسلمين بالمسجد الأقصى وفلسطين ارتباط عقائدي استراتيجي.

أما الإرتباط العبادي فهو بالمسجد الحرام ومشاهد النبي صلى الله عليه وآله والعترة، فتلقى الدين منهم، والتقدیس بالدرجة الأولى لشخصياتهم ومشاهدتهم.

فضل ليلة النصف من شعبان :

روى في مصباح المتجهد / (٨٣١): (أن أباه الباقر عليه السلام سئل عن فضل ليلة النصف من شعبان فقال: هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، فيها يمنح الله العباد فضله ويغفر لهم بمنه، فاجتهدوا في القربة إلى الله تعالى فيها، فإنها ليلة إلى الله عز وجل على نفسه لا يرد سائلاً فيها ما لم يسأل الله معصية وإنها الليلة التي جعلها الله لنا أهل البيت بإزاء ما جعل ليلة القدر لتبيين صلى الله عليه وآله، فاجتهدوا في الدعاء والثناء على الله فإنه من سبح الله تعالى فيها مائة مرة، وحمده مائة مرة وكبره مائة مرة، غفر الله له ما سلف من معاصيه وقضى له حوائج الدنيا والآخرة ما التمسه وما علم حاجته إليه وإن لم يلتمسه، منةً وتفضلاً على عباده. قال أبو يحيى: فقلت

لسيدنا الصادق عليه السلام: وأي شئ أفضل الأدعية؟ فقال: إذا أنت صليت عشاء الآخرة فصل ركعتين تقرأ في الأولى الحمد مرة، وسورة الجحد وهي: قل يا أيها الكافرون، واقرأ في الركعة الثانية الحمد، وسورة التوحيد وهي: قل هو الله أحد، فإذا سلمت قلت: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة، والله أكبر أربعاً وثلاثين مرة، ثم قل: يا من إليه ملجأ العباد في المهمات وإليه يفزع الخلق في الملمات يا عالم الجهر والخفيات! ويا من لا تخفى عليه خواطر الأوهام وتصرف الخطرات، يا رب الخلائق والبريات، يا من بيده ملكوت الأرضين والسموات، أنت الله لا إله إلا أنت، أمت إليك بلا إله إلا أنت، فبلا إله إلا أنت اجعلني في هذه الليلة ممن نظرت إليه فرحمته وسمعت دعاءه فأجبتة وعلمت استقالته فأقلته وتجاوزت عن سالف خطيئته وعظيم جريرته فقد استجرت بك من ذنوبي ولجأت إليك في ستر عيوبي.

اللهم فجد عليّ بكرمك وفضلك واحطط خطاياي بحلمك وعفوك، وتغمدني في هذه الليلة بسابغ كرامتك، واجعلني فيها من أوليائك الذين اجتبتهم لطاعتك، واخترتهم لعبادتك، وجعلتهم خالصتك وصفوتك.

اللهم اجعلني ممن سعد جده وتوفر من الخيرات حظه، واجعلني ممن سلم فنعم وفاز فغنم، واكفني شر ما أسلفت، واعصمني من الإزياد في معصيتك، وحبب إلي طاعتك وما يقربني منك ويزلفني عندك، سيدي إليك يلجأ الهارب ومنك يلتمس الطالب وعلى كرمك يعول المستقيل التائب، أدبت عبادك بالتكرم وأنت أكرم الأكرمين وأمرت بالعفو عبادك وأنت الغفور الرحيم. اللهم فلا تحرمني ما رجوت من كرمك ولا تؤيسني من سابغ نعمك ولا تحييني من جزيل قسمك في هذه الليلة لأهل طاعتك، واجعلني في جنة من شرار بريتك.. ثم تسجد وتقول عشرين مرة يا رب، يا الله سبع مرات، لا حول ولا قوة إلا بالله سبع مرات، ما شاء الله عشر مرات، لا قوة إلا بالله عشر مرات، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وآله وتسال الله حاجتك، فوالله لو سألت بها بعدد القطر لبلغك الله عز وجل إياها بكرمه وفضله).

زيارات علمها الإمام الصادق عليه السلام للشيعة

زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

١- روى في كامل الزيارات/ ٣٩، عن الصادق عليه السلام قال: (قال الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما جزاء من زارك؟ فقال: يا بني من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة حتى أخلصه من ذنوبه).

٢- روى في كامل الزيارات/ ٤٣، عن أبي بكر الحضرمي قال: (أمرني أبو عبد الله الصادق عليه السلام أن أكثر الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما استطعت وقال: إنك لا تقدر عليه كلما شئت. وقال لي: تأتي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقلت: نعم، فقال: أما إنه يسمعك من قريب، ويبلغه عنك إذا كنت نائياً).

وقال عامر بن عبد الله: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني زدت جمالي دينارين أو ثلاث على أن يمر بي إلى المدينة. فقال: قد أحسنت ما أيسر هذا، تأتي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسلم عليه، أما إنه يسمعك من قريب، ويبلغه عنك من بعيد).

٣- روى في كامل الزيارات/ ٤٨، عن معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها، أو حين تريد أن تدخلها، ثم تأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم تقوم عند الأستوانة المقدمة من جانب القبر الأيمن عند رأس القبر، وأنت مستقبل القبلة ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر ومنكبك الأيمن مما يلي المنبر، فإنه موضع رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أنك رسول الله، وأنت محمد بن عبد الله.

وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، ونصحت لأمتك، وجاهدت في سبيل الله، وعبدت الله حتى أتاك اليقين، وأديت الذي عليك من الحق، وأنت قد رؤفت بالمؤمنين وغلظت على الكافرين، فبلغ الله بك أفضل شرف محل المكرمين. الحمد

لله الذي استنقذنا بك من الشرك والضلالة.

اللهم اجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقربين، وعبادك الصالحين، وأنبيائك المرسلين، وأهل السماوات والأرضين، ومن سبح لك يا رب العالمين من الأولين والآخرين، على محمد عبدك ورسولك، ونبيك وأمينك، ونجيك وحبيبك، وصفيك وخاصتك، وصفوتك وخيرتك من خلقك. اللهم وأعطه الدرجة والوسيلة من الجنة وابعثه مقاماً محموداً يغطه به الأولون والآخرون.

اللهم إنك قلت: **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.** وإني أتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي، وإني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة محمد عليه السلام. يا محمد إني أتوجه بك إلى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي.

وإن كانت لك حاجة فاجعل قبر النبي عليه السلام خلف كتفيك واستقبل القبلة، وارفع يديك، وسل حاجتك، فإنه أحرى أن تقضى إن شاء الله.

إذا فرغت من الدعاء عند القبر فأت المنبر وامسحه بيدك وخذ برماتيه، وهما السفلاوان، وامسح وجهك وعينيك به، وقم عنده فاحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك فإن رسول الله عليه السلام قال: ما بين منبري وقبري روضة من رياض الجنة، وإن منبري على ترعة من ترع الجنة، وقوائم المنبر رتب في الجنة. والترعة هي الباب الصغير).

٤- في كامل الزيارات/ ٥٣، عن محمد بن مسعود قال: (رأيت أبا عبد الله عليه السلام انتهى إلى قبر رسول الله عليه السلام فوضع يده عليه وقال: أسأل الله الذي اجتباك واختارك وهداك وهدى بك، أن يصلي عليك. ثم قال: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

زيارة المشاهد في المدينة:

في كامل الزيارات/ ٦٤ و٦٦، قال الصادق عليه السلام: (لاتدع إتيان المشاهد كلها).

قال رسول الله عليه السلام: (من أتى مسجدي مسجد قبا فصلى فيه ركعتين رجع بعمرة).

وفي الكافي (٤/ ٥٦٠) وكامل الزيارات/ ٦٨: (عن عقبه بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام

أنا نأتي المساجد التي حول المدينة فبأيها أبدء؟ فقال: إبدأ بقباء فصل فيه وأكثر فإنه أول مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ في هذه العرصة، ثم أتت مشربة أم إبراهيم فصل فيها وهي مسكن رسول الله ﷺ ومصلاه. ثم تأتي مسجد الفضيخ فتصلي فيه فقد صلى فيه نبيك. فإذا قضيت هذا الجانب، أتيت جانب أحد فبدأت بالمسجد الذي دون الحرة فصليت فيه، ثم مررت بقبر حمزة بن عبد المطلب فسلمت عليه، ثم مررت بقبور الشهداء فقامت عندهم فقلت: السلام عليكم يا أهل الديار، أنتم لنا فرط وإنا بكم لاحقون. ثم أتى المسجد الذي كان في المكان الواسع إلى جنب الجبل عن يمينك حين تدخل أحداً، فتصلي فيه فعنده خرج النبي ﷺ إلى أحد حين لقي المشركين، فلم يبرحوا حتى حضرت الصلاة فصلى فيه. ثم مرَّ أيضاً حتى ترجع فتصلي عند قبور الشهداء ما كتب الله لك، ثم امض على وجهك حتى تأتي مسجد الأحزاب فتصلي فيه وتدعو الله فيه، فإن رسول الله ﷺ دعا فيه يوم الأحزاب وقال: يا صريخ المكرويين ويا مجيب المضطرين، ويا مغيث المهمومين إكشف همي وكربي وغمي، فقد ترى حالي وحال أصحابي).

وداع قبر النبي ﷺ:

في كامل الزيارات/ ٦٨ عن معاوية بن عمار قال: (قال الصادق عليه السلام: إذا أردت أن تخرج من المدينة فاغتسل، ثم أت قبر النبي ﷺ بعدما تفرغ من حوائجك، فودعه واصنع مثلاً صنعت عند دخولك وقل: اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيك، فإن توفيتني قبل ذلك فإني أشهد في مماتي على ما شهدت عليه في حياتي أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك. تقول: صلى الله عليك، السلام عليك لا جعله الله آخر تسليمي عليك).

فضل زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام:

في كامل الزيارات/ ٩٠: (قال الفضل بن عمر: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: إني أشتاق إلى الغري، قال: فما شوقك إليه؟ قلت له: إني أحب أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فهل

تعرف فضل زيارته؟ قلت: لا يا ابن رسول الله فعرفني ذلك، قال: إذا أردت زيارة أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم أنك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام، قلت: إن آدم هبط بسرنديب في مطلع الشمس وزعموا أن عظامه في بيت الله الحرام فكيف صارت عظامه بالكوفة؟ قال: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً، فطاف بالبيت كما أوحى الله إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبته فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم، فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله تعالى أن يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدتها، ففيها قال الله للأرض: إبلعي ماءك، فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدتها وتفرق الجمع الذي كان مع نوح في السفينة، فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغري. وهو قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليماً، وقدس عليه عيسى تقديساً، واتخذ عليه إبراهيم خليلاً، واتخذ عليه محمداً حبيباً، وجعله للنبيين مسكناً، والله ما سكن فيه أحد بعد أبويه الطاهرين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين عليه السلام.

فإذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنك زائر الآباء الأولين ومحمداً عليه السلام خاتم النبيين وعلياً سيد الوصيين، فإن زائرته تفتح له أبواب السماء عند دعوته، فلا تكن عن الخير نواماً.

أقول: يسأل هنا: إن الأرض لا تأكل أبدان الأنبياء عليهم السلام فلماذا رفع بدن آدم عليه السلام إلى السماء وبقيت عظامه؟ كما يسأل عن الفرق بين بدن نوح وجسم علي عليه السلام؟ ويسأل عن حديث أمر الله موسى عليه السلام أن أخرج عظام يوسف من مصر، فأخرجه وكان في صندوق ممرم بشاطئ النيل. فما هو الفرق بين الجسم والجسد والبدن، وكيف عبر بعظام يوسف، وكان منحنياً على مذهب المصريين؟ والجواب: أن العرب تستعمل العظام بمعنى البدن، لكن يبقى التفريق بين البدن والجسم والجسد. فمن المؤكد وجود فروق لا نعلمها، لأن الأئمة عليهم السلام لا يستعملون ذلك جزافاً. ولم أجد فيه شيئاً معقولاً، ولا وصلت إليه.

فضل ماء الفرات:

في كامل الزيارات/ ١١١، قال الصادق عليه السلام: (نهران مؤمنان ونهران كافران، نهران كافران نهر بلخ ودجلة، والمؤمنان نيل مصر والفرات، فحنكوا أولادكم بهاء الفرات. ما أحد يشرب من ماء الفرات ويحنك به إذا ولد إلا أحبنا، لأن الفرات نهر مؤمن).

فضل زيارة الحسين عليه السلام:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (كامل الزيارات/ ١٢٨): (إن جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام يلعب بين يديه، فأخبره أن أمته ستقتله، قال: فجنز رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ألا أريك التربة التي يقتل فيها؟ قال: فحسب ما بين مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المكان الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتى التقت القطعتان فأخذ منها ودحيت في أسرع من طرفة عين، فخرج وهو يقول: طوبى لك من تربة وطوبى لمن يقتل حولك. قال: وكذلك صنع صاحب سليمان، تكلم باسم الله الأعظم فحسب ما بين سرير سليمان وبين العرش من سهولة الأرض وحزونها، حتى التقت القطعتان فاجتر العرش، قال سليمان: يخيل إلي أنه خرج من تحت سريري. قال: ودحيت في أسرع من طرفة العين).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (كامل الزيارات/ ١٢٩): (إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في بيت أم سلمة وعنده جبرئيل عليه السلام، فدخل عليه الحسين عليه السلام، فقال له جبرئيل: إن أمتك تقتل ابنك هذا، ألا أريك من تربة الأرض التي يقتل فيها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم، فأهوى جبرئيل عليه السلام بيده وقبض قبضة منها فأراها النبي صلى الله عليه وآله).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (كامل الزيارات/ ١٧٥): (زوروا الحسين عليه السلام ولو كل سنة، فإن كل من أتاه عارفاً بحقه غير جاحد، لم يكن له عوض غير الجنة، ورزق رزقاً واسعاً، وأتاه الله بفرج عاجل. إن الله وكل بقبر الحسين بن علي عليه السلام أربعة آلاف ملك يبكونه ويشيعون من زاره إلى أهله، فإن مرض عادوه وإن مات شهدوا جنازته بالإستغفار له والترحم).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (كامل الزيارات/ ٢٤١): (يا ابن بكير إن الله اختار من بقاع الأرض ستة: البيت الحرام، والحرم، ومقابر الأنبياء، ومقابر الأوصياء، ومقاتل الشهداء، والمساجد التي يذكر فيها اسم الله، يا ابن بكير هل تدري ما لمن زار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام إذ جهله الجاهل، ما من صباح إلا وعلى قبره هاتف من الملائكة ينادي: يا طالب الخير أقبل إلى خالصة الله ترحل بالكرامة وتأمين الندامة)

قال حريز: قلت للإمام الصادق عليه السلام: (كامل الزيارات/ ١٧٨): (جعلت فداك ما أقل بقاؤكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة هذا الخلق إليكم، فقال: إن لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدته، فإذا انقضى ما فيها مما أمر به عرف أن أجله قد حضر، وأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه وأخبره بما له عند الله.

وإن الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أعطيها وفسر له ما يأتي وما يبقى، وبقي منها أشياء لم تنقض فخرج إلى القتال، فكانت تلك الأمور التي بقيت أن الملائكة سألت الله في نصرته فأذن لهم، فمكثت تستعد للقتال وتأهبت لذلك حتى قتل، فنزلت الملائكة وقد انقطعت مدته وقتل عليه السلام فقالت الملائكة: يا رب أذنت لنا بالإنحذار وأذنت لنا في نصرته فانحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم: أن الزموا قبته حتى ترونه وقد خرج فانصروه، وابتكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وأنكم خصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة حزناً وجزعاً على ما فاتهم من نصرته الحسين عليه السلام، فإذا خرج عليه السلام يكونون أنصاره).

وفي كامل الزيارات/ ٢٢٤: (عن داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه ينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت الحرام ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تطلع الشمس. ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فيسلمون عليه، ثم

يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (كامل الزيارات/١٦٢): (إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام، فإنه فيه مأجور).

عَلَمُ الشَّيْخَةِ إِقَامَةُ مَجَالِسِ التَّعْزِيَةِ بِالحُسَيْنِ عليه السلام:

قال أبوهارون المكفوف (كامل الزيارات/٢٠٨): (قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته فبكى فقال: أنشدني كما تشدون يعني بالرقعة، قال: فأنشدته:
أمر على جدت الحسين فقل لأعظمه الزكية...

قال: فبكى ثم قال: زدني، قال: فأنشدته القصيدة الأخرى:

يا مريم قومي فاندبي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببيكاك..

قال: فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت قال لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشرًا كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت لها الجنة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله، ولم يرض له بدون الجنة).

أقول: القصيدة المذكورة في ديوان السيد الحميري/٢٢٦، وهي كاملة:

أمر على جدت الحسين وقل لأعظمه الزكيه
يا أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبة رويّه
ما لذ عيش بعد رضك بالجياد الأعوجيه
قبر تضمن طيباً آباؤه خير البريه
آباؤه أهل الريا سة والخلافة والوصيه

والخير والشيم المهذب
 فإذا مررت بقبره
 وابك المطهر للمطهر
 كبكاء معولة غدت
 والعن صدى عمر بن سعد
 شمر بن جوشن الذي
 جعلوا ابن بنت نبيهم
 لم يدعهم لقتاله
 لما دعوه لكي تحك
 أولاد أخت من مشى
 فعصاهم وأبت له
 فعدوا له بالسابغا
 والبيض واليلب اليا
 وهم ألوف وهو في
 فلقوه في خلف لأح
 مستيقنين بأنهم
 يا عين فابكي ما حيي
 لا عذر في ترك البكا

بته المطيبة الرضيه
 فأطل به وقف المطية
 والمطهرة الزكويه
 يوماً بواحدھا المنيه
 د والملمع بالنقيه
 طاحت به نفس شقيه
 غرضاً كما ترمى الدرّيه (الهدف)
 إلا الجعالة والعطيه
 م فيه أولاد البغيه
 مرحاً وأخبتهم سجيّه
 نفس معززة أيه
 ت عليهم والمشرفيه
 ني والطوال السمهره
 سبعين نفسا هاشميه
 مد مقبلين من الثنيه
 سيقوا لأسباب المنيه
 ت على ذوي الذمم الوفيه
 ء دمأ وأنت به حربيه

وفي كامل الزيارات/ ٢٠٩ و ٢١١ و ٢١٤: (لكل شئ ثواب (يعني مقدر) إلا الدمعة فينا).

وقال أبو عمارة المنشد: (ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرئي متبسماً في ذلك اليوم إلى الليل، وكان يقول: الحسين عليه السلام عبرة كل مؤمن. قال لي: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته، فبكي، ثم أنشدته فبكي، ثم أنشدته فبكي.

وعن عبد الله بن غالب قال: أنشدته مرثية الحسين عليه السلام، فلما انتهيت إلى هذا الموضع:

لبلية تسقو حسيناً بمسقاة الثرى غير التراب

فصاحت باكية من وراء الستر: واأبتاه!

وفي كامل الزيارات/٢٠٣: (عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي. قال لي: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم. قال: فتجزع؟ قلت: إي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها.

قال: ثم استعبر واستعبرت معه فقال: الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة وخصنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إن الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر، وما رقات دموع الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خده فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرها حتى لا يوجد لها حر، وإن الموجد قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، وإن الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه حتى أنه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه. يا مسمع من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً، ولم يستق بعدها أبداً، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل، أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأصفى من الدمع، وأذكى من العنبر، يخرج من تسنيم ويمر بأنهار الجنان، يجري على رضراض الدر

والياقوت، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام، قدحانه من الذهب والفضة وألوان الجوهر، يفوح في وجه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه: يا ليتني تركت هاهنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلاً.

أما إنك يا كردين ممن تروى منه، وما من عين بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وسقت منه من أحبنا، وإن الشارب منه ليعطى من اللذة والطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه من هو دونه في حبنا، وإن على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصا من عوسج يحطم بها أعداءنا، فيقول الرجل منهم: إني أشهد الشهادتين فيقول: إنطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك! فيقول: يتبرأ مني إمامي الذي تذكره، فيقول: إرجع إلى ورائك فقل للذي كنت تتولاه وتقدمه على الخلق، فاسأله إذا كان خير الخلق عندك أن يشفع لك، فإن خير الخلق حقيق أن لا يرد إذا شفع!

فيقول: إني أهلك عطشاً! فيقول له: زادك الله ظمأً، وزادك الله عطشاً!

قلت: جعلت فداك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره فقال: ورع عن أشياء قبيحة وكف عن شتمنا أهل البيت إذا ذكرنا، وترك أشياء اجترأ عليها غيره، وليس ذلك لحبنا ولا هوى منه لنا، ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه ولما قد شغل نفسه به عن ذكر الناس، فأما قلبه فمنافق ودينه النصب باتباع أهل النصب وولاية الماضين، وتقديمه لهما على كل أحد).

وشجعهم على زيارة الأربعين للحسين عليه السلام:

روى الشيخ الطوسي في مصباح المتجهد/٧٨٨: (عن صفوان قال: قال لي مولاي الصادق صلوات الله عليه في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار، وتقول: السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجييه، السلام على صفي الله وابن صفيه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات.

اللهم إني أشهد أنه وليك وابن وليك وصفيك وابن صفيك الفائز بكرامتك أكرمه بالشهادة

وحيوته بالسعادة واجتنيته بطيب الولادة وجعلته سيدا من السادة وقائدا من القادة وذائدا من الذادة وأعطيته مواريث الأنبياء وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء، فأعذر في الدعاء ومنح النصح وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة، وقد توازر عليه من غرته الدنيا وباع حظه بالأرذل الأدنى وشري آخرته بالثمن الأوكس وتغطرس وتردى في هواه وأسخطك وأسخط نبيك وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق وحملة الأوزار المستوجبين للنار، فجاهدهم فيك صابراً محتسباً، حتى سفك في طاعتك دمه واستبيح حريمه. اللهم فالعنهم لعناً وبيلاً وعذبهم عذاباً أليماً، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن سيد الأوصياء. أشهد أنك أمين الله وابن أمينه، عشت سعيداً ومضيت حميداً، ومت فقيداً مظلوماً شهيداً، وأشهد أن الله منجز ما وعدك، ومهلك من خذلك، ومعذب من قتلك، وأشهد أنك وفيت بعهد الله وجاهدت في سبيله حتى أتاك اليقين، فلعن الله من قتلك، ولعن الله من ظلمك، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به. اللهم إني أشهدك أني ولي لمن والاه وعدو لمن عاداه، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخحة والأرحام الطاهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك المدلهيات من ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المسلمين ومعقل المؤمنين، وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى، والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا، وأشهد أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرايع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبيكم سلم، وأمري لأمركم متبع، ونصرتي لكم معدة، حتى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لامع عدوكم، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وأجسامكم، وشاهدكم وغائبكم، وظاهركم وباطنكم). ثم تصلي ركعتين وتدعو بها أحببت وتنصرف.



دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوار الحسين عليه السلام:

قال معاوية بن وهب (كامل الزيارات/ ٢٢٨): (استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقيل لي: أدخل فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربه وهو يقول: اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، إغفر لي ولإخواني، وزوار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللهم إني أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس، حتى توافيهم من الحوض يوم العطش. فما زال يدعو وهو ساجد بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو أن هذا الدعاء الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله عز وجل، لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنيت أني كنت زرتة ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته. ثم قال: يا معاوية ولم تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك لم أدر أن الأمر يبلغ هذا كله! فقال: يا معاوية من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض).



حدود قبر الحسين عليه السلام وتربته:

قال ابن سنان (الكامل/٢٢٢): قال الصادق عليه السلام: (قبر الحسين عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً، روضة من رياض الجنة، وفيه معراج الملائكة إلى السماء، وليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو يسأل الله أن يزوره، ففوج يهبط وفوج يصعد).
أقول: هذا بيان للقبر الذي هو مصعد الملائكة. أما تربة الحسين عليه السلام التي فيها الشفاء، فقال عنها الإمام الصادق عليه السلام (كامل الزيارات/٤٧٢): (حريم قبر الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ في فرسخ في فرسخ).
ونلاحظ أن فقهاءنا عملوا بالاحتياط فضيقوا الدائرة لأن الأصل حرمة أكل التراب والطين، إلا اليسير الذي تعلم أنه من طين قبر الحسين عليه السلام، والقدر المتيقن منه ما كان من القبر أو قريباً منه، ليصدق عليه عرفاً أنه طين القبر، أما غيره فيبقى على الحرمة. وقد أفتوا بذلك رغم وجود روايات عبرت بطين الحائر، ورواية جعلته إلى فرسخ من كل جهة، والفرسخ خمسة كيلومتر ونصف تقريباً. راجع فصل مسائل في التربة الشريفة من كتابنا الجديد في الحسين عليه السلام.

الدعاء ليلة عرفة ويومها:

في الكافي (٤/٤٦٧) عن هارون بن خارجه قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في آخر كلامه حين أفاض: اللهم إني أعوذ بك أن أظلم، أو أظلم، أو أقطع رحماً، أو أؤذي جاراً).
وروى ابن طاووس في الإقبال (٢/٧٣) عن الصفار: (قال علي بن داود: رأيت أبا عبد الله الصادق عليه السلام في الموقف أخذاً بلحيته ومجامع ثوبه، وهو يقول بإصبعه اليمنى منكس الرأس: هذه رمتي بما جنيت!).

وقال ابن طاووس في الإقبال (٢/٥٠): (عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من دعا به في ليلة عرفة أو ليالي الجمع غفر الله له، والدعاء هو: اللهم يا شاهد كل نجوى، وموضع كل شكوى، وعالم كل خفية، ومنتهى كل حاجة، يا مبتدئنا بالنعم على العباد، يا كريم العفو يا حسن التجاوز يا جواد، يا من لا يوارى منه ليل داج، ولا بحر

عجاج، ولا سماء ذات أبراج، ولا ظلم ذات أرتاج، يا من الظلمة عنده ضياء. أسألك بنور وجهك الكريم الذي تجليت به للجبل فجعلته دكاً، وخر موسى صعقاً، وباسمك الذي رفعت به السماوات بلا عمد، وسطحت به الأرض على وجه ماء جمده.. الخ.

وروى في الإقبال (٧٢/٢): عن كتاب تهذيب الأحكام، عن مولانا الصادق صلوات الله عليه، قال: قال رسول الله ﷺ لعلى عليه السلام: ألا أعلمك دعاء يوم عرفة، وهو دعاء من كان قبلي من الأنبياء؟ قال: تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شئ قدير.. الخ)

دعوة الى دراسة الأدعية والزيارات عند الشيعة

الأدعية والزيارات عندنا ثروة علمية كبيرة وغنية. وهي ثقافة يعيشها المتدينون ويتداولونها، ويتأثرون بها في عقيدتهم وسلوكهم اليومي.

ولم تُستوف بالدراسة قديماً ولا حديثاً. نعم ألف علماءنا بعض الكتب والرسائل في شرح الزيارة الجامعة، وشرح دعاء كميل، وشرح بعض أدعية الصحيفة السجادية، لكنها جميعاً لم تصل الى المستوى المطلوب في التحليل المتعمق.

نحتاج الى دراسة أدبية بلاغية لأهم الأدعية والزيارات:

فالأديب يبهره المستوى العالي في أدعية الشيعة وزياراتهم، لأنها ماثورة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام، وهم أعمق من عرف الله تعالى، وأفصح من نطق بالضاد.

وببهره بلاغة معانيها الى حد الإعجاز، والنسيج العربي الجميل في مفرداتها وفقراتها.

تأمل قوله في زيارة الحسين عليه السلام:

(بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! لقد عظمت الرزية، وجلت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض، فلعن الله أمة أسرجت وأجملت وتبيأت لقتالك).

وقوله في زيارة أنصار الحسين عليه السلام:

(السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله، بأبي أنتم وأمي، طبتم وطابت الأرض التي فيها

دفتنم، وفزتم فوزاً عظيماً. فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم).

وقوله في الزيارة الجامعة للأئمة عليهم السلام:

(السلام على أولياء الله وأصفيائه، السلام على أمناء الله وأحبابه، السلام على أنصار الله وخلفائه، السلام على محال معرفة الله، السلام على مساكن ذكر الله، السلام على مظاهر أمر الله ونهيه، السلام على الدعاة إلى الله، السلام على المستقرين في مرضاة الله، السلام على المخلصين في طاعة الله، السلام على الأدلاء على الله).

وتأمل في قوله في دعاء السحر:

(يا غفار بنورك اهتدينا، وبفضلك استغنينا، وبنعمتك أصبحنا وأمسينا، ذنوبنا بين يديك، نستغفرك اللهم منها ونتوب إليك، تتحبب إلينا بالنعيم، ونعارضك بالذنوب، خيرك إلينا نازل، وشرنا إليك صاعد، ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح، فلا يمنحك ذلك أن تحوطنا بنعمك، وتتفضل علينا بالآثك، فسبحانك ما أحلمك وأعظمك وأكرمك، مبدئاً ومعيداً، تقدست أسماؤك، وجل ثناؤك، وكرمت صنائعك وفعالك).

أو قوله في الدعاء بعد صلاة الليل:

(اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان، الممتنع بغير جنود ولا أعوان، والعز الباقي على مر الدهور وحوالي الأعوام، ومواضي الأزمان والأيام، عز سلطانك عزاً لا حد له بأولية، ولا منتهى له بأخرية، واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين. ضلت فيك الصفات، وتفسخت دونك النعوت، وحاترت في كبريائك لطائف الأوهام. كذلك أنت الله لا إله إلا أنت، الأول في أوليتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول! وأنا العبد الضعيف عملاً، الجسيم أملاً).

تجد أنك بذلك تنسى محيطك، وتنتقل إلى عالم وآفاق لشخصيات ربانية، وهيمنة الله تعالى وفعالياته، وتعامله الحي مع العالم، ومعك شخصياً! فلا تملك إلا أن تقرأ النص بتعقل وخشوع، وتعيد قراءته مثني وثلاث.. ولا مجال لأن نفيض في فقرة من ذلك، فهي مشهد البلغاء ومصلى الأدباء!

ونحتاج الى دراسة عقائدية للأدعية والزيارات:

فقد تضمنت فقرات الزيارة المتقدمة ولاية أهل بيت النبي ﷺ والبراءة من أعدائهم، والإعتقاد بأن الشهداء منهم ومن أنصارهم مخلصون في الرضوان والنعيم.

وتتضمن موقف المتدين وأنه يتمنى أن يكون مع أنصار الحسين عليه السلام ليقاتل ويستشهد ويفوز بالشهادة كما فازوا. وهذا إعدادٌ له للتضحية إذا وجدت معركة مشابهة.

أما فقرات دعاء السحر (يا غفار بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا..). فتصور عطاء الله تعالى ورحمته وحنانه على عباده، وفي المقابل نسيان العباد وعدم شكرهم وارتكاب المعاصي.. ومع ذلك يواصل الله عز وجل عطاءه ورحمته!

أما هـ الفقرات من الدعاء بعد صلاة الليل فهي أوجٌ في تنزيه الله تعالى وتوحيده: (عزَّ سلطانك عزاً لاحد له بأولية، ولا منتهى له بأخرية، واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين. ضلت فيك الصفات، وتفسخت دونك النعوت، وحارت في كبريائك لطائف الأوهام..)!

وهو الدعاء الثاني والثلاثون من أدعية الصحيفة السجادية.. وتعايره فريدة يعرف قيمتها العلماء الباحثون عن ذات الله تعالى وصفاته، ويجنون رؤوسهم لها ويخشعون!

لاحظ قوله عليه السلام في الألوهية: واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده!

وقوله عليه السلام في توحيد الذات: ضلت فيك الصفات، وتفسخت دونك النعوت!

وقوله عليه السلام في التعظيم والتنزيه: وحارت في كبريائك لطائف الأوهام!



إن الأدعية والزيارات المروية عندنا تتضمن دورة عقائدية كاملة، في وجود الله عز وجل، وأنواع صفاته، وتنزيه ذاته، وتعليم عبادته، والإخلاص له والتعامل معه.

وتتضمن أهم ما يحتاجه الناس من الإعتقاد في النبوة في أصلها وضرورتها، وفي صفات النبي الذي يختاره الله تعالى، ومهاتمه، وعصمته الشاملة في تبليغ رسالته، وفي سلوكه الشخصي، وعصمته عما

ينافي الأخلاق والمروءة. وفي واجبات الناس تجاهه، من تصديق معجزاته وقبول ما يبلغه عن ربه، وقبول ما يأمر به هو مما خوله ربه عز وجل: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

وفي توقيره وحفظ حرمة والتأدب في مخاطبته والتعامل معه، وحفظ حرمة بعد وفاته في إطاعة وصيته، وإطاعة من نصبه وصياً على أمته. وزيارة قبره الشريف، والتبرك به، والتوسل والإستشفاع به.

وتتضمن أهم معالم عقيدة الشيعة في الإمامة وضرورتها بعد كل رسول، وأن الإمام لا يكون اختياره برأي الناس وهوامهم، بل لابد فيه من النص من الرسول صلى الله عليه وآله. وقد تضمنت الأدعية والزيارات أنواع نصوص النبي صلى الله عليه وآله على علي والحسين والأئمة من ذرية الحسين عليه السلام. بل كانت توثيقاً مميزاً لها أحياناً.

كما تضمنت مقام الأئمة الإثني عشر من عترة النبي صلى الله عليه وآله وفضائلهم، وما فرضه الله على الأمة لهم من حقوق، وأهمها المودة والطاعة، وتلقي الدين منهم وقبول علمهم لأنه من علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وتوقيرهم واحترامهم أحياءً وأمواتاً، وزيارة قبورهم، والصلاة عند قبورهم لكن باتجاه القبلة، والتبرك والتوسل والإستشفاع بهم.

كما تتضمن الأدعية والزيارات ترسيخ الإيمان بالآخرة والحشر والحساب، ومسؤولية الإنسان عن أعماله، والجزاء الإلهي عليها بالثواب والعقاب، والعدل الإلهي المطلق في محاسبة العباد، وجزاء الأخيار بالخلود في نعيم الجنة، وعقاب الفجار بالخلود في النار لأنهم كفار متكبرون ظالمون للناس، ولوردوا الى الحياة في الدنيا لعادوا لما نهوا عنه.

كما تتضمن الكثير من الأحكام الشرعية، فنحتاج الى دراستها دراسة فقهية، وطبيعي أن يكون من يقوم بالدراسة الفقهية فقيهاً، وأن يرجع المكلف فيها الى مرجع تقليده.

كما تتضمن الأدعية والزيارات دلالات كبيرة روحانية، وأخلاقية، واجتماعية، فلها تأثيرات عميقة على حياة الشيعة، وقد نتج عنها تجمعات أسبوعية صارت من معالم المجتمع الشيعي

كدعاء كميل، وتجمعات كبيرة مليونية كزيارة الأربعين، والتي تستحق دراسة مستقلة، في نصها وفي نصوص الدعوة إليها، وفي تطبيق الشيعة لها عبر العصور من عصر الإمام الصادق عليه السلام إلى يومنا.

أغنانا الله عن أدعية الحشوية وتحريفاتهم!

التأمل في ثروتنا في الأدعية يلاحظ وجود الحشو في بعض الأدعية، والتحريف في بعض الزيارات. وقد أغنانا الله تعالى بالأدعية والزيارات القطعية فهي الميزان للباقي. أغنانا الله بأدعية الصحيفة السجادية، ودعاء كميل أو دعاء الإفتتاح، ودعاء أبي حمزة الثمالي،.. وعشرات الأدعية المتنوعة التي رواها كبار علمائنا في كتبهم المعتبرة. والتي تغنيك بلاغتها الخاصة وعلو متنها عن السند.

نموذجان من تحريف الأدعية!

الأول: ما وقع في تحريف المناجاة الخمسة عشر المنسوبة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام والتي أحقوها بنسخة الصحيفة السجادية وطبعوها معها! مع أن السند الصحيح في مقدمة الصحيفة نص على أن عدد أدعيتها خمس وسبعون، وأنه سقط منها واحد وعشرون، وحُفظ أربع وخمسون. فالمناجاة الخمسة عشر لا سند لها.

يضاف إليه ما كتبناه في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام (جواهر التاريخ: ٤/ ٢٥٠) أن الله تعالى فرض الصلاة على النبي وآله على المسلمين في صلاتهم، وأنها وسيلة لقبول صلاتهم ودعائهم ولذا جعلها الإمام عليه السلام مطالعاً لفقرات أدعيته في صحيفته السجادية.

ولهذا لا يمكننا نسبة المناجاة الخمسة عشر إليه عليه السلام بصيغتها الفعلية، لأنها بلاسند أولاً ولخلوها من الصلاة على النبي وآله ﷺ ولو مرة واحدة.

ويجتمل أن تكون هذه المناجاة بالأصل من أدعيته عليه السلام فأخذها بعض الصوفية وحذفوا منها الصلاة على النبي وآله ﷺ، وأضافوا لها فقرات من تعابيرهم وعقائدهم لم تعهد في أدعية

الإمام عليه السلام، ولا في أدعية أهل البيت عليهم السلام.

لذلك إن أردت أن تقرأها فعليك أن تضيف إليها الصلاة على النبي وآله في أماكنها المناسبة، وأن تحذف الفقرات التي أضافها الصوفية التي تنافي عقائدنا.

مثل قولهم في مناجاة المفتقرين: (وغلتي لا يبردها إلا وصلك، ولو عتي لا يطفئها إلا لقاءك وشوقي إليك لا يبيله إلا النظر إلى وجهك).

وقولهم في مناجاة العارفين: (إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون ومن حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون، وشرائع المصافاة يردون).

وقولهم في مناجاة الذاكرين: (وَعَدَبَ فِي معين المعاملة شربهم، وطاب في مجلس الأانس سرهم، وأمن في موطن المخافة سرهم).

وقولهم في مناجاة المحبين: (الهي فاجعلنا ممن اصطفتيه لقربك وولايتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقاءك، ورضيته بقضائك، ومنحته بالنظر إلى وجهك).

وأنا قد أقرأ بعضها فأضيف فيها الصلاة على النبي وآله عليهم السلام وأتجاوز هذه الفقرات التي لا ينسجم ظاهرها مع عقيدتنا. بل أضيف الصلاة على النبي وآله عليهم السلام إلى دعاء رجب خشية أن تكون سقطت من النساخ فأقول: يا من أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند كل شر، يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحننا منه ورحمة (صل على محمد وآل محمد) وأعطني بمسألتني إياك جميع خير الدنيا والآخرة.. الخ.

معنى فتواهم: (لا بقصد الورود بل برجاء المطلوبة)

تجد في الرسائل العملية للمراجع: يجوز ذلك برجاء المطلوبة لا بقصد الورود في الشريعة بل بقصد الفعل منك دون أن تنسبه إلى المعصوم عليه السلام وتقول هو مستحب في الشريعة، ومعناه:

إغتسل هذا الغسل من عندك. إقرأ هذا الدعاء من عندك بإسمك كدعاء تُشْرؤه أنت وتقرؤه بين يدي ربك، واقراء العبارة التي تحب أن تضيفها الى الزيارة من عندك وإسمك ومن إنشائك، لأنها لم تثبت عندي فلا أفتي بها! ومعنى رجاء المطلوبة: على أمل أن يكون هذا العمل مطلوباً لله تعالى.

ويضيف السيد الخوئي قلبي وغيره لا تعمل هذا العمل اعتماداً على قاعدة التسامح في أدلة السنن، فإنها لم تثبت عندي. أي أنهم يتبرؤون من نسبة هذا العمل للشريعة الإسلامية بأي شكل! ويقولون لك: لا تنسبه لنا، ولا تنسبه الى المعصوم عليه السلام ولا تنسبه الى شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله. بل إنوه عملاً شخصياً، وهو حلال لأنه لم يرد فيه نهي!

سئل الميرزا جواد التبريزي (الأنوار الإلهية/ ١٢٧): (هل يجوز إضافة بعض العبارات إلى زيارة المعصوم مثلاً (من مكاني) عند قراءة هذا المقطع (قاصداً إلى حرمك)؟ فأجاب: لا بأس بإضافة بعض العبارات لا بقصد الورود والنسبة للمعصوم عليه السلام بل بقصد الإنشاء).

وسئل السيد الخوئي (صراط النجاة: ٣٠٦/٥): (أي الأدعية والزيارات التالية ثابتة وصحيحة في نظركم: كميل، الإفتاح، أبو حمزة الثمالي، المناجاة الخمسة عشر، الزيارة الجامعة؟ فأجاب: جميع هذه الأدعية والزيارات مما يصح الإتيان به [لا] بقصد الورود).

وقد أضفنا كلمة لا بين معقوفين لأننا شككنا في نص الفتوى، والمنسجم مع فتاواه قلبي وإن لم تكن موجودة فمعناه أنه يفتي بصحة دعاء كميل، والإفتاح، وأبي حمزة الثمالي، والمناجاة الخمسة عشر، والزيارة الجامعة، لا لوجود سندها الصحيح، بل لعلو متنها واستفاضتها الذي يغني عن السند.

هكذا اقرأ المناجاة الخمسة عشر

وقد حذفنا منها العبارات المتقدمة التي فيها إشكال، وأضفنا لها الصلاة على النبي وآله عليهم السلام.

المناجاة الأولى: مناجاة التائبين

إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلتي، وجللني التباعد منك لباس مسكنتي، وأمات قلبي

عظيم جنايتي، فأحيه بتوبة منك يا أملي وبغيتي، ويا سؤلي ومنيتي، فوعزتك ما أجد لذنوبي سواك غافراً، ولا أرى لكسري غيرك جابراً، وقد خضعت بالإجابة إليك، وعلوت بالإستكانة لديك، فإن طردتني من بابك فبمن ألوذ؟ وإن رددتني عن جنابك فبمن أعوذ؟ فوا أسفاه من خجلتي وافتضاحي، ووالهفاه من سوء عملي واجتراحي. أسألك يا غافر الذنب الكبير، ويا جابر العظم الكسير، أن تهب لي موبقات الجرائر، وتستتر علي فاضحات السرائر، ولا تحليني في مشهد القيامة من برد عفوك وغفرك، ولا تُعزني من جميل صفحك وسترك. إلهي [صلِّ على محمد وآل محمد] وظلل على ذنوبي غمام رحمتك، وأرسل على عيوي سحاب رأفتك. إلهي هل يرجع العبد الأبق إلا إلى مولاه أم هل يجيره من سخطه أحد سواه؟ إلهي إن كان الندم على الذنب توبة، فإني وعزتك من النادمين، وإن كان الاستغفار من الخطيئة حطة، فإني لك من المستغفرين، لك العتبي حتى ترضى.

إلهي بقدرتك علي تب علي، وبحلمك عني اعف عني، وبعلمك بي ارفق بي. إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سميته التوبة، فقلت: تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا. فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه؟

إلهي إن كان قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك. إلهي ما أنا بأول من عصاك فتبت عليه، وتعرض بمعروفك، فجدت عليه، يا مجيب المضطر، يا كاشف الضر، يا عظيم البر، يا عليماً بما في السر، يا جميل الستر استشفعت بجودك وكرمك إليك، وتوسلت بحنانك وترحمك لديك، [فصلِّ على محمد وآل محمد] واستجب دعائي، ولا تخيب فيك رجائي وتقبل توبتي وكفر خطيئتي، بمنك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة الثانية: مناجاة الشاكرين

إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسها الشر تجزع، وإن مسها الخير تمنع، مبالغة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة

والسهو، تسرع بي إلى الحوبة، وتسوفني بالتوبة.

إلهي أشكو إليك عدواً يضلني، وشيطاناً يغويني، قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضدني الهوى، ويزين لي حب الدنيا، ويجول بيني وبين الطاعة والزلفى. إلهي إليك أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلباً، وبالرين والطبع متلبساً. وعيناً عن البكاء من خوفك جامدة، وإلى ما تسرها طامحة.

إلهي لا حول ولا قوة إلا بقدرتك، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلا بعصمتك، فأسألك ببلاغة حكمتك، ونفاذ مشيتك [أن تصلي على محمد وآل محمد و] أن لا تجعلني لغير جودك متعرضاً، ولا تصيرني للفتن غرضاً، وكن لي على الأعداء ناصراً، وعلى المخازي والعيوب ساتراً، ومن البلاء واقياً، وعن المعاصي عاصماً، برأفتك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة الثالثة: مناجاة الخائفين

إلهي أتراك بعد الإيمان بك تعذبني، أم بعد حبي إياك تبعدني، أم مع رجائي لرحمتك وصفحك تحرمني، أم مع استجارتي بعفوك تسلمني، حاشا لوجهك الكريم أن تخيبي. ليت شعري أللشقاء ولدتني أمي، أم للعناء ربنتي؟ فليتها لم تلدني ولم تربني، وليتني علمت أمن أهل السعادة جعلتني، وبقربك وجوارك خصصتني، فتقر بذلك عيني، وتطمئن له نفسي. إلهي هل تسود وجوهاً خرت ساجدة لعظمتك، أو تخرس ألسنة نطقت بالثناء على مجدك وجلالتك، أو تطبع على قلوب انطوت على محبتك، أو تصمُّ أسماً تلذذت بسماع ذكرك، أو تغل أكفاً رفعتها الآمال إليك رجاء رأفتك، أو تعاقب أبداناً عملت بطاعتك حتى نحلتم في مجاهدتك، أو تعذب أرجلاً سعت في عبادتك.

إلهي [صل على محمد وآل محمد و] لا تغلق على موحدك أبواب رحمتك، ولا تحجب مشتاقك عن النظر إلى جميل رؤيتك.

إلهي نفس أعزتها بتوحيديك، كيف تذلها بمهانة هجرانك، وضميرٌ انعقد على مودتك كيف تحرقه بحرارة نيرانك. إلهي [صل على محمد وآل محمد و] أجرني من أليم غضبك وعظيم

سخطك، يا حنان يا منان، يا رحيم يا رحمن، يا جبار يا قهار، يا غفار يا ستار نجني برحمتك من عذاب النار، وفضيحة العار، إذا امتاز الأخيار من الأشرار، وحالت الأحوال، وهالت الأحوال وقرب المحسنون، وبعد المسيؤون، ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

المناجاة الرابعة: مناجاة الراجين

يا من إذا سأله عبد أعطاه، وإذا أمل ما عنده بلغه مناه، وإذا أقبل عليه قربه وأدناه، وإذا جاهره بالعصيان ستر على ذنبه وغطاه، وإذا توكل عليه أحسبه وكفاه.

إلهي من الذي نزل بك ملتمساً قراك فما قرينته؟ ومن الذي أناخ ببابك مرتجياً نذاك فما أوليته؟ أيجسن أن أرجع عن بابك بالخيبة مصروفاً، ولست أعرف سواك مولى بالإحسان موصوفاً؟ كيف أرجو غيرك والخير كله بيدك؟ وكيف أوئل سواك والخلق والأمر لك؟ أأقطع رجائي منك وقد أوليتني ما لم أسأله من فضلك؟ أم تفقرني إلى مثلي وأنا أعتصم بحبلك. يا من سعد برحمته القاصدون، ولم يشق بنقمته المستغفرون، كيف أنساك ولم تنزل ذاكري؟ وكيف أهو عنك وأنت مراقبي؟ إلهي بذيل كرمك أعلقت يدي، ولنيل عطايك بسطت أجلي، فـ[صل على محمد وآل محمد و]أخلصني بخالصة توحيدك، واجعلني من صفوة عبيدك، يا من كل هارب إليه يلتجئ، وكل طالب إياه يرتجئ، يا خير مرجو، ويا أكرم مدعو، ويا من لا يرد سائله، ولا يخيب آمله، يا من بابه مفتوح لداعيه، وحجابه مرفوع لراجيه، أسألك بكرمك [أن تصلي على محمد وآل محمد و] أن تمن علي من عطائك بما تقر به عيني، ومن رجائك بما تطمئن به نفسي، ومن اليقين بما تهون به علي مصيبات الدنيا وتجلبو به عن بصيرتي غشوات العمى برحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة الخامسة: مناجاة الراغبين

إلهي إن كان قل زادي في المسير إليك، فلقد حسن ظني بالتوكل عليك، وإن كان جرمي قد أخافني من عقوبتك، فإن رجائي قد أشعرتني بالأمن من نعمتك، وإن كان ذنبي قد عرضني لعقابك، فقد آذنتني حسن ثقتي بثوابك، وإن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقائك، فقد

نبهتني المعرفة بكرمك وآلائك، وإن أوحش ما بيني وبينك فرط العصيان والطغيان، فقد
آنسني بشرى الغفران والرضوان.

أسألك بسبحات وجهك وبأنوار قدسك، وأبتهل إليك بعواطف رحمتك ولطائف برك،
[أن تصلي على محمد وآل محمد و] أن تحقق ظني بما أومله من جزيل إكرامك، وجميل إنعامك
في القربى منك والزلفى لديك، وها أنا متعرض لنفحات روحك وعطفك، ومنتجع غيث
جودك ولطفك، فازر من سخطك إلى رضاك، هارب منك إليك، راج أحسن ما لديك،
معول على مواهبك، مفتقر إلى رعايتك.

إلهي ما بدأت به من فضلك فـ[صل على محمد وآل محمد و] تممه، وما وهبت لي من كرمك فلا
تسلبه، وما سترته عليّ بحلمك فلا تهتكه، وما علمته من قبيح فعلي فاغفره.

إلهي استشفعت بك إليك، واستجرت بك منك، أتيتك طامعاً في إحسانك، راغباً في
امتنانك، مستسقياً وابل طولك، مستمطراً غمام فضلك، طالباً مرضاتك، قاصداً جنابك،
وارداً شريعة رفقك، ملتمساً سني الخيرات من عندك، مريداً وجهك، طارقاً بابك، مستكيناً
لعظمتك وجلالك فـ[صل على محمد وآل محمد و] افعل بي ما أنت أهله من المغفرة والرحمة،
ولا تفعل بي ما أنا أهله من العذاب والنقمة برحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة السادسة: مناجاة الشاكرين

إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك، وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك،
وشغلني عن ذكر محامدك ترادف عوائدك، وأعياني عن نشر عوارفك توالي أياديك، وهذا
مقام من اعترف بسبوغ النعماء، وقابلها بالتقصير، وشهد على نفسه بالإهمال والتضييع،
وأنت الرؤوف الرحيم البر الكريم، الذي لا يُحَيَّب قاصديه، ولا يطرد عن فوائده آمليه،
بساحتك تحط رحال الراجين، وبعرصتك تقف آمال المسترفدين فـ[صل على محمد وآل محمد
و] لا تقابل آمالنا بالتخييب والإياس.

إلهي تصاغر عند تعاضم آلائك شكري، وتضاءل في جنب إكرامك إياي ثنائي ونشري.

جللتني نعمك من أنوار الإيمان حُللاً، وضربت عليّ لطائف برك من العز كِللاً، وقلدتني منك قلائد لا تحل، وطوقتني أطواقاً لا تفل، فألاؤك جمّة، ضعف لساني عن إحصائها، ونعمائوك كثيرة قصر فهمي عن إدراكها فضلاً عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر، وشكري إياك يفتقر إلى شكر، فكلما قلت: لك الحمد، وجب عليّ لذلك أن أقول: لك الحمد. إلهي فكما غديتنا بلطفك، وربيتنا بصنعك، فد [صلّ على محمد وآل محمد] تم علينا سوابغ النعم، وادفع عنا مكاره النقم، وآتنا من حظوظ الدارين أرفعها وأجلها عاجلاً وأجلاً، ولك الحمد على حسن بلائك وسبوغ نعمائك حمداً يوافق رضاك، ويمتري العظيم من برك ونداك، يا عظيم يا كريم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة السابعة: مناجاة المطيعين لله

اللهم [صلّ على محمد وآل محمد] ألهمنا طاعتك وجنبنا معصيتك، ويسر لنا بلوغ ما نتمنى من ابتغاء رضوانك، وأحللنا بحبوحه جنانك، واقشع عن بصائرنا سحاب الإرتياب، واكشف عن قلوبنا أغشية المرية والحجاب، وأزهق الباطل عن ضمائرنا، وأثبت الحق في سرائرنا، فإن الشكوك والظنون لواقع الفتن، ومكدرة لصفو المنائح والمنن.

اللهم احملنا في سفن نجاتك، ومتعنا بلذيد مناجاتك، وأوردنا حياض حبك، وأدقنا حلاوة ودك وقربك، واجعل جهادنا فيك، وهمنا في طاعتك، وأخلص نياتنا في معاملتك، فإننا بك ولك، ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت. إلهي [صلّ على محمد وآل محمد] اجعلني من المصطفين الأخيار، وألحقني بالصالحين الأبرار، السابقين إلى المكرمات، المسارعين إلى الخيرات، العاملين للباقيات الصالحات، الساعين إلى رفيع الدرجات، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير برحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة الثامنة: مناجاة المريدين

سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله! وما أوضح الحق عند من هديته سبيله! إلهي فاسلك بنا سبل الوصول إليك، وسيرنا في أقرب الطرق للوفود عليك، قرب علينا

البعيد، وسهل علينا العسير الشديد، وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإياك في الليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون، الذين صفت لهم المشارب، وبلغتهم الرغائب، وأنجحت لهم المطالب، وقضيت لهم من فضلك المآرب، وملاأت لهم ضمائرهم من حبك ورويتهم من صافي شربك، فبك إلى لذيتك مناجاتك وصلوا، فيا من هو على المقبلين عليه مقبل، وبالعطف عليهم عائد مفضل، وبالغافلين عن ذكره رحيم رؤوف، وبجذبهم إلى بابه ودود عطوف، أسألك أن تجعلني من أوفرهم منك حظاً، وأعلاهم عندك منزلاً، وأجزلهم من ودك قسماً، وأفضلهم في معرفتك نصيباً، فقد انقطعت إليك همتي، وانصرفت نحوك رغبتني، فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي،، ورضاك بغيتني، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك روعي وراحتي، وعندك دواء علتي، وشفاء غلتي، وبرد لوعتي، وكشف كربتي فد[صل على محمد وآل محمد و] كن أنيسي في وحشتي، ومقيل عثرتي، وغافر زلتي، وقابل توبتي، ومجيب دعوتي، وولي عصمتي، ومغني فاقتي، ولا تقطعني عنك، ولا تبعدني منك يا نعيمي وجنتي، ويا دنياي وآخرتي، يا أرحم الراحمين.

المناجاة التاسعة: مناجاة المحبين

إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً؟ ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً؟ إلهي فد[صل على محمد وآل محمد و] اجعلنا ممن اصطفتيه لقربك وولايتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقاءك، ورَضَّيته بقضائك، وبوآته مقعد الصدق في جوارك، وخصصته بمعرفتك، وأهلته لعبادتك، وفرغت فؤاده لحبك، ورغبته فيما عندك، وألهمته ذكرك، وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيرته من صالحي بريتك، واخترته لمناجاتك، وقطعت عنه كل شيء يقطعه عنك. اللهم [صل على محمد وآل محمد و] اجعلنا ممن دأبهم الإرتياح إليك والحنين، ودهرهم الزفرة والأنين، جباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة في خدمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك، وقلوبهم متعلقة بمحبتك،

وأفتدتهم منخلعة من مهابتك.

يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، يا منى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين
أسألك حبك وحب من يحبك، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك، وأن تجعلك أحب إلي
مما سواك، وأن تجعل حبي إياك قائداً إلى رضوانك، وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك [فصل
على محمد وآل محمد] ولا تصرف عني وجهك، واجعلني من أهل الإسعاد والخطوة عندك،
يا مجيب، يا أرحم الراحمين.

المناجاة العاشرة: مناجاة المتوسلين

إلهي ليس لي وسيلة إليك إلا عواطف رأفتك، ولا لي ذريعة إليك إلا عوارف رحمتك،
وشفاعة نبيك نبي الرحمة، ومنقذ الأمة من الغمة فد [صل على محمد وآل محمد] اجعلهما
لي سبباً إلى نيل غفرانك، وصيرهما لي وصلة إلى الفوز برضوانك، وقد حل رجائي بحرم
كرمك، وخط طمعي بفناء جودك، فحقق فيك أملي، واختم بالخير عملي، واجعلني من
صفوتك الذين أحللتهم بحبوحة جنتك، وبوأتهم دار كرامتك، وأورثتهم منازل الصدق في
جوارك. يا من لا يفد الوافدون على أكرم منه، ولا يجد القاصدون أرحم منه، يا خير من
خلا به وحيد، ويا أعطف من أوى إليه طريد، إلى سعة عفوك مددت يدي، وبذيل كرمك
أعلقت كفي فد [صل على محمد وآله محمد] لا تولني الحرمان، ولا تبتلني بالخيبة والخسران،
يا سميع الدعاء، يا أرحم الراحمين.

المناجاة الحادية عشرة: مناجاة المفتقرين

إلهي كسري لا يجبره إلا لطفك وحنانك، وفقري لا يغنيه إلا عطفك وإحسانك، وروعتي
لا يسكنها إلا أمانك، وذلي لا يعزها إلا سلطانك، وأمني لا يبلغنيها إلا فضلك، وخلتي
لا يسدها إلا طولك، وحاجتي لا يقضيها غيرك، وكربي لا يفرجه سوى رحمتك، وضري لا
يكشفه غير رأفتك، وغلتي لا يبردها إلا وصلك، ولوعتي لا يطفئها إلا لقاءك، وقراري
لا يقر دون دنوي منك، وهفتي لا يردها إلا روحك، وسقمي لا يشفيه إلا طبك، وغمي لا

يزيله لإقربك، وجرحي لا يبرئه إلا صفحك، ورين قلبي لا يجلوه إلا عفوك، ووسواس صدري لا يزيحه إلا أمرك، فيا منتهى أمل الآملين، ويا غاية سؤال السائلين، ويا أقصى طلبه الطالبين، ويا أعلى رغبة الراغبين، ويا ولي الصالحين، ويا أمان الخائفين، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا ذخّر المعدمين، ويا كنز البائسين، ويا غياث المستغيثين، ويا قاضي حوائج الفقراء والمساكين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، لك تخضعي وسؤالي، وإليك تضرعي وابتهالي، أسألك [أن تصليّ على محمد وآل محمد] وأن تنيلني من روح رضوانك، وتديم علي نعم امتنانك، وها أنا بباب كرمك واقف، ولنفحات برك متعرض، وبحبلك الشديد معتصم، وبعروتك الوثقى متمسك.

إلهي ارحم عبدك الذليل، ذا اللسان الكليل، والعمل القليل، وامنن عليه بطولك الجزيل، واكنفه تحت ظلك الظليل يا كريم يا جميل، يا أرحم الراحمين.

المناجاة الثانية عشرة: مناجاة العارفين

إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك، ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك.

إلهي فـ[صلّ على محمد وآل محمد] اجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم.

إلهي ما أطيب طعم حبك، وما أعذب شرب قربك فـ[صلّ على محمد وآل محمد] أعذنا من طردك وإبعادك، واجعلنا من أخص عارفيك، وأصلح عبادك، وأصدق طائعيك وأخلص عبادك، يا عظيم يا جليل، يا كريم يا منيل، برحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة الثالثة عشرة: مناجاة الذاكرين

إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزهتك من ذكري إياك، على أن ذكري لك بقدري لا بقدرك، وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أجعل محلاً لتقديسك، ومن أعظم النعم علينا

جريان ذكرك على ألسنتنا، وإذناك لنا بدعائك، وتنزيهك وتسييحك.
إلهي فـ[صلِّ على محمد وآل محمد] وأهملنا ذكرك في الخلاء والملا، والليل والنهار، والإعلان والإسرار، وفي السراء والضراء، وأنسنا بالذكر الخفي، واستعملنا بالعمل الزكي، والسعي المرضي، وجازنا بالميزان الوفي.

إلهي بك هامت القلوب الواهة، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة، فلا تطمئن القلوب إلا بذكرك، أنت المسبح في كل مكان، والمعبود في كل زمان، والموجود في كل أوان، والمدعو بكل لسان، والمعظم في كل جنان.

إلهي أنت قلت وقولك الحق: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. وقلت وقولك الحق: فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ. فأمرتنا بذكرك، ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشریفاً لنا وتفخياً وإعظماً، وهانحن ذاكروك كما أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين، ويا أرحم الراحمين.

المناجاة الرابعة عشرة: مناجاة المعتصمين

اللهم يا ملاذ اللائذين، ويا معاذ العائذين، ويا منجي الهالكين، ويا عاصم البائسين، ويا راحم المساكين، ويا مجيب المضطرين، ويا كنز المفتقرين، ويا جابر المنكسرين، ويا مأوى المنقطعين، ويا ناصر المستضعفين، ويا مجير الخائفين، ويا مغيث المكروبين، ويا حصن اللاجئين، إن لم أعد بعزتك فبمن أعوذ، وإن لم ألد بقدرتك فبمن ألوذ؟

وقد ألبأتني الذنوب إلى التشبث بأذيال عفوك، وأحوجتني الخطايا إلى استفتاح أبواب صفحك، ودعتني الإساءة إلى الإناخة بفناء عزك، ومهلتنى المخافة من نعمتك على التمسك بعروة عطفك، وما حق من اعتصم بحبلك أن يخذل، ولا يليق بمن استجار بعزك أن يسلم أو يهمل. إلهي فـ[صلِّ على محمد وآل محمد] لا تخلنا من حمايتك، ولا تعرنا من رعايتك، وزدنا عن موارد الهلكة، فإننا بعينك وفي كنفك ولك، أسألك بأهل خاصتك من ملائكتك، والصالحين من بريتك [أن تصلي على محمد وآل محمد] أن تجعل علينا واقيةً تنجينا من الهلكات، وتجنبنا من الآفات، وتكفينا من دواهي المصيبات، وأن تنزل علينا من سكينتك، وأن تغشي

وجوهنا بأنوار محبتك، وأن تؤويننا إلى شديد ركنك وأن تحويننا في أكناف عصمتك، برأفتك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة الخامسة عشرة: مناجاة الزاهدين

إلهي أسكنتنا داراً حفرت لنا حفر مكرها، وعلقتنا بأيدي المنيا في حبال غدرها، فأليك نلتجئ من مكائد خدعها، وبك نعتصم من الإغترار بزخارف زينتها، فإنها المهلكة طلابها، المتلفة حلالها، المحشوة بالآفات، المشحونة بالنكبات.

إلهي فـ[صل على محمد وآل محمد و] زهدنا فيها، وسلمنا منها بتوفيقك وعصمتك، وانزع عنا جلايب مخالفتك، وتول أمورنا بحسن كفايتك، وأوفر مزيدنا من سعة رحمتك، وأجمل صلاتنا من فيض مواهبك، واغرس في أفئدتنا أشجار محبتك، وأتم لنا أنوار معرفتك، وأدقنا حلاوة عفوك ولذة مغفرتك، وأقرر أعيننا يوم لقائك برؤيتك، وأخرج حب الدنيا من قلوبنا، كما فعلت بالصالحين من صفوتك، والأبرار من خاصتك، برحمتك يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين.



تحريف بإضافة سطرين في أول دعاء الصباح

والسطران هما: اللهم يا من دلح لسان الصباح بنطق تبلجه، وسرح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه، وأتقن صنع الفلك الدوار في مقادير تبرُّجه وشعشع ضياء الشمس بنور تأججه.

أما باقي الدعاء فهو سليم لكنه مرسل بلا سند! فاقرأه بدون هذين السطرين، وابدأ من قوله: يا من دل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته.. إلى آخر الدعاء).

والإشكال في السطرين أن تعبير دلح لسانه معناه في العربية عض على لسانه ومات! أو كاد أن يموت من خوف، أو ضرب، أو انتهاء عمره!

ولا يمكن أن يستعمله أمير المؤمنين عليه السلام للسان الصباح أي الفجر أو الشمس. ولا يمكن أن يستعمل فعل دلح اللازم متعدياً، وأن الله يدلعه، فكان يجب أن يقول: أدلع!

كما أن بقية التعابير فيه: بنطق تملجه.. بغياب تملجه.. في مقادير تبرُّجه.. بنور تأججه.. كلام مرصوف لم تستعمل كلماتها في معانيها اللغوية الصحيحة، ولم ترد في كلمات أهل البيت عليهم السلام ولا كلام العرب.

بل اخترعها صاحبها، وحملها معاني من خياله. وهذا النوع من الإنشاء تجده عند علماء غير عرب ينشؤون الكلام العربي ويستعملون الكلمات في غير معانيها، ويشتقون مشتقات لا توجد في العربية للمعنى الذي أرادوه. ونلاحظ ذلك بوضوح في إنشآت الميرداماد والملا هادي السبزواري والشيخ علي البروجردي.

ابن باقي القرشي الراوي الوحيد لدعاء الصباح

بعد وفاة الشيخ الطوسي قده بمئتي سنة لخص ابن باقي كتابه: مصباح التهجد باسم (اختيار المصباح) لكنه أضاف له من عنده أدعية ليست فيه، ومنها: إسم دعاء الصباح. قال في الذريعة (١٩٠/٨): (دعاء الصباح المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام على نحو الإرسال المسلم روي كذلك في كتاب اختيار المصباح تأليف السيد علي بن حسين بن حسان بن حسين بن باقي القرشي المؤلف في ٦٥٣).

وقال في سفينة البحار (٣٣٠/٤): (السيد ابن باقي هو علي بن الحسين بن الحسان بن باقي القرشي السيد العالم العابد الزاهد الفقيه الصالح صاحب كتاب (اختيار المصباح) وغيره، ينقل عنه الكفعمي في مصباحه، كان معاصراً للمحقق الحلي كما يظهر من بعض مصنفاته الذي فرغ منه سنة ٦٥٣).

وذكر الشيخ المهريزي والصدراي في: ميراث حديث الشيعة (٣٣٣/١) أكثر من عشرين شرحاً لدعاء الصباح، بالعربية والفارسية.

مناقشة الملا هادي السبزواري في شرحه دعاء الصباح!

قال عليه السلام في مقدمة رسالته في شرح دعاء الصباح: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي مد سير

نوره في المجالي والمواد، من صباح الأزال إلى مساء الأباد، كلمح بالبصر أو هو أقرب عنده، مع أنه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى عدة ومدة وشدة.

تجلى ذاته بذاته لذاته فتردى برداء كبرياء صفاته، ثم تأزر بإزار عظمة صور أسائه وآياته. فسبحانه من عظيم لا يمكن للبشر إحصاء ثنائه، وإن أحصى وأثنى فبإحصائه وإثنائه، فهو كما أثنى على نفسه القديم، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

إن تجلى بأسمائه التنزيهية على ملائكة السموات فأنشأوا يصدحون: يا سبح يا قدوس يا من لا شبيه له ولا نظير! وتجلي بأسمائه التشبيهية على أنفس العجماوات فجعلت تتذكر: يا شهيداً على كل شئى يا سميع يا بصير!

فقد تجلى بجميع أسمائه الحسنى على هيكل التوحيد ومجمع التفريد، المخلع بخلعة: إنا عرضنا، والمكرم بتشريف: ولقد كررنا، فطفق يذكر بلسان وجوده الأتم الأكرم اسمه الأعظم الأفخم، خصوصاً الإنسان الكامل منبع الفضائل والفواضل، ولا سيما المنتخب من المنتخب، محمد سيد العجم والعرب عليه السلام شمس فلك الولاية، ومشاعل أعلام الهداية، ليوث الوغى وغيوث الندى، ووسائط فيض الله تبارك وتعالى في الآخرة والأولى، سيما صاحب الولاية الكبرى العلي العالى الأعلى).

يقول لك (العرفاء) في مثل هذا الكلام: عليك أن تقرأ وتطرب، ولا تفكر ولا تسأل! لأنك إن سألت عن فقرة أو كلمة وحاكمت معناها الذي أراد المتكلم بمعناها الحقيقي المتبادر الظاهر من اللغة، فقد خربت اللوحة التي أراد أن يرسمها الأستاذ!

فما معنى: مد سير نوره في المجالي والمواد؟ وما معنى: المخلع بخلعة: إنا عرضنا؟ تقول: وهل فهمت المعنى الذي يقصده؟ فأقول: نعم، هو يريد أن يقول: إن الله عز وجل تجلى بذاته، فهو واجب الوجود، وعبر عن ذلك بقول: تجلى ذاته بذاته لذاته! وليس لها معنى معقولاً! وتجلي (بأسمائه التنزيهية) لملائكته.

وتجلي (بأسمائه التشبيهية) على مخلوقات الطبيعة.

وتجلى بجميع أسمائه الحسنى على النبي صلى الله عليه وآله الذي سماه هيكل التوحيد وجمع التفريد، ولا نعرف معنى مجمع التفريد. ووصفه بأنه المخلع بخلعة: إنا عرضنا، يقصد الذي خلعت عليه خلعة الوفاء بأية الأمانة في قوله تعالى: **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ..**

نعم هذا مقصوده، لكنه عبر عنه بتعابير عربية لا يفهم العرب ما قصده منها!

والإشكال الأكبر في مستنده في هذا الكلام! فمن أين عرف أنه عز وجل تجلى بكذا وتجلى بكذا الكذا.. من أين نعرف ما تجلى به عز وجل أنه أسماؤه التنزيهية أو أسماؤه التشبيهية، وهل عليه نص؟ كلاب هذا تصور الشيخ هادي عليه السلام. ونحن نحترم رأيه، لكن لا يمكننا أن ندين به بلا دليل.

ثم دخل عليه السلام في شرح دعاء الصباح، فقال: (يامن دلح لسان الصباح بنطق تبلجه): تأويل هذه الفقرة أنه تعالى أخرج لسان صبح الأزل من مطلع مرتبة الظهور والإظهار متنطقاً بالنطق التكويني وكلمة «كن» الوجودية، المنشعبة إلى كلمات عاليات ونازلات لا تنفذ ولا تبيد ولو نفذ البحار، المعربة عما في الضمير المكنون المخزون.

وتبلجه: إشراقه المعنوي القيومي المذكور آنفاً الذي تلاً به ماهيات الأرواح والأشباح واستصبحت بهذا الإصباح، فيكون هذا الصباح موافقاً لصبح الأزل الذي أجاب به صاحب هذا الدعاء عليه آلاف التحية والثناء كميل بن زياد، حين سأله عن الحقيقة بقوله عليه السلام: (نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره) بعد أجوبة أخرى، والحديث مشروح بالتفصيل مشهور بين أهل الحقيقة).

فجعل الصباح بمعنى بدء وجود الطبيعة، ثم استشهد برواية مرسلّة عن كميل بن زياد رضي الله عنه يبدو فيها أثر وضع المتصوفة، نقلها الشهرزوري في شرح حكمة الإشراق / ٤٠٠٢، فقال: (وقوله: يا نور، كل نور حامد لنورك كل نور، يعني من الأنوار المجردة العقلية.

وورد في الأدعية الماثورة: أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك. فنور وجهه هو حقيقة ذاته الصادر عن العرش وما يحويه من العوالم النورية والظلمانية، الذي هو عبارة عن أركان العرش. وما أحسن ما يروى في هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام لما سأله كميل

بن زياد: ما الحقيقة يا أمير المؤمنين؟ فقال: مالك والحقيقة؟ قال: أو لست صاحب
سرك؟ فقال: بلى ولكن يرشح عليك مما يطفح عليّ، فقال: أو مثلك يجيب سائلاً؟ فقال:
لا، الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، فقال: زدني فيه بياناً، فقال: محو الموهوم
مع صحة المعلوم، فقال: زدني فيه بياناً، فقال: جذب الأحادية بصفى التوحيد، فقال: زدني
فيه بياناً، فقال: نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره، فقال: زدني
فيه بياناً، فقال: أطفئ السراج، فقد طلع الصبح!

فإنه لما انتهى في الإخبار عن الحقيقة التي هي ذات نور الأنوار بالتدرج إلى النور المحض
المجرد المشار إليه بقوله: «نور يشرق من صبح الأزل» فيلوح على هياكل أرباب المعرفة
ويتحد بنفوسهم وليس بعد نور ذاته في الظهور والشدة والجلاء نور، فان إلى ربك المنتهى،
لا جرم أمره بإطفاء السراج لطلوع الصبح.

وزعم أنه لم يورد هذه الأشياء ليكون حجة على نور الأنوار والأنوار المجردة كلها أنوار
عقلية شفافة في غاية اللطف لا يمكن أن يعبر عنها بغير العبارة التي نطق بها الحكماء
والأنبياء بها. وإنما نبه على ما ذكره من كلام أفاضل الخلق على ذلك بعد أن ذكر ما فيه من
الكلام البرهاني، والشواهد من الصحف وكلام الحكماء الأقدمين كثير لا يحصى على نورية
عالم العقل وكثرته العظيمة).

وأين الكلام البرهاني في هذه الغوغاء، وأين الدليل على لب كلامه عليه السلام: نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح
على هياكل أرباب المعرفة ويتحد بنفوسهم وأرباب المعرفة هو وأمثاله من العارفين الصوفية.

ودليله: كلام أفاضل الخلق وكلام الحكماء الأقدمين أي فلاسفة اليونان!

ونحن لا شغل لنا بكلام أرباب المعرفة! ولا بأفاضل الخلق الحكماء! فقد أغنانا الله بفضلته عن كلام هؤلاء
الذين خلطهم بالأنبياء وجعلهم من أعظم الخلق!

ونحن ألقينا كلامهم وكلام تلاميذهم أرباب المعرفة في المهملات، ووصلنا إلى رحاب المعصومين عليه السلام

ونورهم، ولا نقبل به بدلاً، ولم يأت السارح بأثارة من معصوم عليه السلام!

أما المجلسي قدس سره فقال: (البحار: ٨٤/٣٤٢): (هذا الدعاء من الأدعية المشهورة، ولم أجده في الكتب المعتمدة إلا في مصباح السيد ابن الباقي رحمة الله عليه، ووجدت منه نسخة قراءة المولى الفاضل مولانا درويش محمد الأصبهاني جد والدي من قبل أمه رحمة الله عليها، على العلامة مروج المذهب نورالدين علي بن عبد العالي الكركي قدس الله روحه فأجازه.. ووجدت في بعض الكتب سنداً آخر له هكذا، قال الشريف يحيى بن القاسم العلوي: ظفرت بسفينة طويلة مكتوب فيها بخط سيدي وجددي أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين، ليث بني غالب، علي بن أبي طالب عليه أفضل التحيات ما هذه صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا دعاء علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يدعو به في كل صباح وهو: اللهم يا من دلح لسان الصباح.. إلى آخره، وكتب في آخره: كتبه علي بن أبي طالب في آخر نهار الخميس حادي عشر ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الهجرة!

أقول: مثل هذا الكلام المرسل لا يكفي لإثبات دعاء الصباح بصيغته المعروفة! ولم يفد المجلسي قدس سره بصحته لكن حاول بحسن ظنه أن يجد توجيهاً لكلمة دلح لسانه ومقادير تبرجه.. ولم يجد!

أدعية وأعمال مجعولة بكاملها

وهي منتشرة بين الناس يزعم أصحابها أنها تنفع لقضاء الحاجات وحل المشكلات، فيأخذها العوام ويطبعونها وينشرونها في الناس، وقد يكون فيها ما يناهز العقائد الصحيحة، فوجب التنبيه إلى أن يكون الدعاء الذي تقرأه مروياً في الكتب المعتمدة.. وليس من وضع الحشوية وترصيفهم.

وأشد من الأدعية الأعمال والصلوات المخترعة لكل مناسبة، التي يشيعها أولئك الكاذبون الذين لا يخافون الله تعالى، أو البسطاء الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً! ولئن سألت بعضهم كيف أفتيت بهذا العمل وما هو مستندك، فجوابه أنه استحسنت ذلك فاخترته! وهذه هي البدعة!

وبعضهم إن سألته من أين أتيت بهذه الصلاة أو هذا الدعاء والعمل؟ يغضب منك ويعتبرك

قليل الإيمان أو ضعيف الإيمان، وكأن قوي الإيمان يجب أن يكون حشوباً يقبل كل ما سمع ولا يسأل عن مصدره، ولا عمّن وثقه وأفتى بها من المراجع!
 إنها حالة سيئة أشبه بالمرض يقع فيها بعض الخطباء والمتدينين، وعليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى ولا يفتوا الناس بما لم يوثقه ويقبله مراجعهم!
 ويتذرع بعضهم بفتوى التسامح بأدلة السنن، وهي لم تثبت عند المراجع كالسيد الخوئي مثلاً، ولو سألته من أين بلغك هذا عن النبي صلى الله عليه وآله لما كان عنده جواب!
 ويتذرع بالعمل برجاء المطلوبية وهو لا يفهم مدلولها ولا حدودها، وإذا قلت له إن المرجع عندما يفتي ويقول لك يمكنك أن تأتي به لكن برجاء المطلوبية، فقد أعلن براءته منه، وحرّم عليك أن تنسبه إلى المعصوم عليه السلام أو إلى الشريعة الإسلامية المقدسة! فهو يقول لك: إن أردت أن تعمله أنت من عندك ومن نفسك، فلا نقول لك إنه حرام، لكن لا تنسبه لي ولا إلى فتوى فقيهه، ولا إلى معصوم عليه السلام، ولا إلى شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله! بل هو من عندك وعلى مسؤوليتك!



كرامات الإمام الصادق عليه السلام ومعجزاته تبلغ مجلداً!

وقد تقدم في فصول سيرته عليه السلام عدد منها، واخترنا هنا اثني عشر نموذجاً:
الأولى: روى محمد بن جرير الطبري الشيعي في نوادر المعجزات / ١٤٢، عن: (محمد بن راشد عن أبيه قال: جاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا بن رسول الله، إن حكيم بن عباس الكلبي ينشد الناس بالكوفة هجاءكم. فقال: هل علمت منه بشيء؟ قال: بلى. فأنشده:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
 وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خبر من علي وأطيب

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده إلى السماء، فقال: اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً من كلابك.
 قال: فخرج حكيم من الكوفة فأدلى فلقية الأسد فأكله.
 فجاء البشير أبا عبد الله عليه السلام وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فخرّ لله ساجداً، وقال:

الحمد لله الذي صدقنا وعده).

الثانية: في نوادر المعجزات للطبري/ ١٤٩ والإختصاص للمفيد/ ٢٤٦: (عن محمد بن سنان قال: وجه المنصور إلى سبعين رجلاً من أهل كابل فدعاهم وقال لهم: ويحكم إنكم تزعمون أنكم ورثتم السحر عن آبائكم أيام موسى عليه السلام وأنكم تفرقون بين المرء وزوجه وإن أبا عبد الله جعفر بن محمد ساحر مثلكم، فاعملوا شيئاً من السحر فإنكم إن أهتموه أعطكم الجائزة العظيمة والمال الجزيل. فقاموا إلى المجلس الذي فيه المنصور وصوروا له سبعين صورة من صور السباع وجلس كل واحد منهم تحت صورته، وجلس المنصور على سريره ووضع إكليله على رأسه. ثم قال لحاجبه: إبعث إلى أبي عبد الله، فقام فدخل إليه فلما أن نظر إليه وإليهم وما قد استعدوا له، رفع يده إلى السماء ثم تكلم بكلام بعضه جهر وبعضه خفي ثم قال: ويلكم أنا الذي أبطل سحركم، ثم نادى برفيع صوته: يا قسورة خذهم. فوثب كل سبع منها على صاحبه وافترسه في مكانه! ووقع المنصور من سريره وهو يقول: يا أبا عبد الله أفلني، فوالله لا عدت إلى مثلها أبداً!

فقال له: قد أقتلك. قال: يا سيدي فرُّد السباع إلى ما كانت. فقال: هيئات، إن أعادت عصا موسى عليه السلام [ما أكلت] فستعود السباع).

الثالثة: في الخرائج (١/ ٢٩٤): (روي عن المفضل بن عمر قال: كنت أمشي مع أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام بمكة إذ مررنا بامرأة بين يديها بقرة ميتة، وهي مع صببية لها تبكيان فقال عليه السلام لها: ما شأنك؟ قالت: كنت أنا وصبياني نعيش من هذه البقرة وقد ماتت، لقد تحيرت في أمري. قال: أفتحبين أن يحييها الله لك؟ قالت: أو تسخر مني مع مصيبتني؟ قال: كلا ما أردت ذلك، ثم دعا بدعاء ثم ركضها برجله وصاح بها، فقامت البقرة مسرعة سوية، فقالت: عيسى بن مريم ورب الكعبة. فدخل الصادق عليه السلام بين الناس، فلم تعرفه المرأة).

الرابعة: في الدر النظيم/ ٦٢٢ لابن حاتم العاملي: (عن قيس بن الربيع قال: حدثنا أبي الربيع قال: دعاني المنصور يوماً وقال: أما ترى ما هو ذا يبلغني عن هذا الحبشي؟ قلت: ومن هو يا سيدي؟

قال: جعفر بن محمد، والله لأستأصلن شأفته. ثم دعا بقائد من قواده فقال له: انطلق إلى المدينة في ألف رجل فاهجم على جعفر بن محمد وخذ رأسه ورأس ابنه موسى بن جعفر! فخرج القائد من ساعته حتى قدم المدينة وأخبر جعفر بن محمد، فأمر فأتيَ بناقتين فأوثقهما على باب البيت، ودعا بأولاده موسى وإسماعيل ومحمد وعبيد الله، فجمعهم وقعد في المحراب وجعل يهمهم. قال أبو نصر: فحدثني سيدي موسى بن جعفر أن القائد هجم عليه فرأيت أبي وقد همهم بالدعاء، فأقبل القائد وكل من كان معه وقال: خذوا رأس هذين القائمين، ففعلوا وانطلقوا إلى المنصور، فلما دخلوا عليه أطلع المنصور في المخلاة التي كان فيها الرأسان، فإذا هما رأسا ناقتين! فقال المنصور: وأي شيء هذا؟! قال: يا سيدي ما كان أسرع من أن دخلت البيت الذي فيه جعفر بن محمد فدار رأسي ولم أنظر ما بين يديّ فرأيت شخصين قائمين خبيلاً إليّ أنهما جعفر بن محمد وموسى ابنه، فأخذت رأسيهما! فقال المنصور: أكنتم عليّ! فقال: ما حدثت به أحداً حتى مات!

قال الربيع: فسألت موسى بن جعفر عليه السلام عن الدعاء فقال: سألت أبي عن الدعاء فقال: هو دعاء الحجاب وهو: بسم الله الرحمن الرحيم: وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا. وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاعًا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا. اللهم إني أسألك بالاسم الذي به تحيي وتميت وترزق وتعطي وتمنع، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم من أرادنا بسوء من جميع خلقك فأعم عنا عينه، واصمم عنا سمعه واشغل عنا قلبه، واغلغل عنا يده، واصرف عنا كيده، وخذه من بين يديه [ومن خلفه] وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه، يا ذا الجلال والإكرام).

الخامسة: قال إبراهيم بن مهزم (بصائر الدرجات/ ٢٦٣): (خرجت من عند أبي عبد الله عليه السلام ليلةً ممسياً فأتيت منزلي بالمدينة وكانت أمي معي، فوقع بيني وبينها كلام فأغلظت لها، فلما أن كان من الغد صليت الغداة وأتيت أبا عبد الله عليه السلام فلما دخلت عليه فقال لي مبتدئاً: يا أبا مهزم، مالك وللوالدة أغلظت في كلامها البارحة، أما علمت أن بطنها منزل قد سكتته، وأن حجرها مهد

قد غمزته، وئديها وعاء قد شربته؟ قال: قلت: بلى، قال: فلا تغلظ لها).

السادسة: روى عبد الرحمن بن سالم عن أبيه قال (المناقب: ٤/٢٢٦): (لما قدم أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي جعفر قال أبو حنيفة لنفر من أصحابه: إنطلقوا بنا إلى إمام الرافضة نسأله عن أشياء نحيرّه فيها فانطلقوا، فلما دخلوا إليه نظر إليه أبو عبد الله عليه السلام فقال: أسألك بالله يا نعمان لما صدقتني. هل قلت لأصحابك: مروا بنا إلى إمام الرافضة فنحيرّه؟! فقال: قد كان ذلك، قال: فاسأل ما شئت.. القصة). ولم يذكر الرواة القصة.

السابعة: روى في الكافي (١/٤٧٥) عن صفوان بن يحيى قال: (قال لي جعفر بن محمد بن الأشعث: أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به، وما كان عندنا منه ذكر ولا معرفة شيء مما عند الناس؟ قال: قلت له: ما ذاك؟ قال: إن أبا جعفر يعني أبا الدوانيق قال لأبي محمد بن الأشعث: يا محمد إبع لي رجلاً له عقل يؤدي عني، فقال له أبي: قد أصبته لك، هذا فلان بن مهاجر خالي. قال: فأتني به، قال: فأتيته بخالي فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر خذ هذا المال وأت المدينة، وأت عبد الله بن الحسن بن الحسن، وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد، فقل لهم: إني رجل غريب من أهل خراسان، وبها شيعة من شيعتكم وجهوا إليكم بهذا المال، وادفع إلى كل واحد منهم على شرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال فقل: إني رسول وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم، فأخذ المال وأتى المدينة فرجع إلى أبي الدوانيق ومحمد بن الأشعث عنده، فقال له أبو الدوانيق: ما وراءك؟ قال: أتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم المال، خلا جعفر بن محمد، فإني أتيته وهو يصلي في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فجلست خلفه وقلت حتى ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه، فعجل وانصرف ثم التفت إلي فقال: يا هذا إتق الله ولا تغر أهل بيت محمد فإنهم قريبوا العهد بدولة بني مروان وكلهم محتاج! فقلت: وما ذاك؟ أصلحك الله قال: فأدنى رأسه مني وأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتى كأنه كان ثالثنا! قال: فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر! أعلم أنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيه محدث، وإن جعفر بن محمد محدثنا اليوم، وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة).

أقول: جعفر بن محمد بن الأشعث من شيعة الصادق عليه السلام ثم الكاظم عليه السلام سراً، وبقي وزير هارون، لأنه نشأ معه كالإخوة، حتى كشفه يحيى البرمكي فعزله هارون وحبس الإمام الكاظم عليه السلام حتى قتله! وهو كوفي أصله من خراسان وليس ابن الأشعث الكندي المعروف.

وقد تشيع سرّاً وبقي مع العباسيين في مناصب كبيرة. روى أبو الفرج في مقاتل الطالبين/ ٣٣٣، بأسانيد متعددة، قالوا: (كان السبب في أخذ موسى بن جعفر أن الرشيد جعل ابنه محمداً (الأمين) في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث، فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك وقال: إن أفضت الخلافة إليه زالت دولتي ودولة ولدي. فاحتال على جعفر بن محمد، وكان يقول بالإمامة حتى داخله وأنس به وأسرَّ إليه، وكان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره ويرفعه إلى الرشيد ويزيد عليه في ذلك بما يقدر في قلبه، ثم قال يوماً لبعض ثقاته: أتعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس بوسع الحال يعرفني ما أحتاج إليه من أخبار موسى بن جعفر؟ فدل على علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، فحمل إليه يحيى بن خالد البرمكي، وكان موسى يأنس إليه ويصله وربما أفضى إليه بأسراره، فلما طلب لي شخص به أحس موسى بذلك، فدعاه فقال: إلى أين يا بن أخي؟ قال: إلى بغداد، قال: وما تصنع؟ قال: عليّ دين وأنا مملق، قال: فأنا أفضي دينك وأفعل بك وأصنع، فلم يلتفت إلى ذلك، فعمل على الخروج فاستدعاه أبو الحسن موسى فقال له: أنت خارج؟ فقال له: نعم لا بد لي من ذلك فقال له: أنظر يا بن أخي واتق الله لا تؤتم أولادي! وأمر له بثلاث مائة دينار وأربعة آلاف درهم. قالوا: فخرج علي بن إسماعيل حتى أتى يحيى بن خالد البرمكي، فتعرف منه خبر موسى بن جعفر، فعرفه إلى الرشيد وزاد فيه، ثم أوصله إلى الرشيد فسأله عن عمه فسعى به إليه، فعرف يحيى جميع خبره وزاد عليه وقال له: إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب وإن له بيوت أموال، وإنه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فساها اليسيرة، وقال له صاحبها وقد أحضره المال: لا آخذ هذا النقد ولا آخذ إلا نقداً كذا وكذا، فأمر بذلك المال فرد وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الذي سأل بعينه، فسمع ذلك

منه الرشيد وأمر له بهائتي ألف درهم نسبت له على بعض النواحي، فاختار كور المشرق ومضت رسله لقبض المال. ودخل هو في بعض الأيام إلى الخلاء فرحر زحرة فخرجت حشوته كلها فسقطت، وجهدوا في ردها فلم يقدرُوا، فوقع لما به وجاءه المال وهو ينزع فقال: وما أصنع به وأنا أموت! وحج الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني أعتذر إليك من شئ أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشمت بين أمتك وسفك دمائها. ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيدته، وأخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطتان هو في إحديهما، ووجه مع كل واحد منهما خيلاً، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة، ليعمي على الناس أمره، وكان موسى في التي مضت إلى البصرة، فأمر الرسول أن يسلمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، وكان على البصرة حينئذ فمضى به فحبسه عنده سنة ثم كتب إلى الرشيد أن خذه مني وسلمه إلى من شئت، وإلا خليت سبيله فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلك، حتى إني لأسمع عليه إذا دعا لعله يدعو علي أو عليك فما أسمعته يدعو إلا لنفسه يسأل الله الرحمة والمغفرة. فوجه من تسلمه منه، وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد، فبقي عنده مدة طويلة، وأراده الرشيد على شئ من أمره فأبى فكتب إليه ليسلمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه وأراد ذلك منه فلم يفعله، وبلغه أنه عنده في رفاهية وسعة ودعة، وهو حينئذ بالرقعة، فأنفذ مسرورا الخادم إلى بغداد على البريد، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى فيعرف خبره. فإن كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد وأمره بامتثاله، وأوصل كتاباً منه إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد. فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك، فأوصل الكتابين إليهما. فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض ركضاً إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهاً دهشاً حتى دخل على العباس فدعا العباس بالسياط

وعقابين، فوجه بذلك إليه السندي، فأمر بالفضل فجرد ثم ضربه مائة سوط. وخرج متغير اللون بخلاف ما دخل، فذهبت قوته فجعل يسلم على الناس يميناً وشمالاً!

الثامنة: في مناقب آل أبي طالب (٣/٣٦٢): (حدث إبراهيم عن أبي حمزة، عن مأمون الرقي قال: كنت عند سيدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن حسن الخراساني فسلم عليه ثم جلس فقال له: يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة، ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال عليه السلام: اجلس يا خراساني رعى الله حقك، ثم قال: يا حنفية أسجري التنور فسجرت حتى صار كالجمره وابتضّ علوه، ثم قال: يا خراساني قم فاجلس في التنور، فقال الخراساني: يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار أقلك الله، قال: قد أقلتك، فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ونعله في سبابته فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال له الصادق: ألقى النعل من يدك واجلس في التنور. قال: فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور، وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها، ثم قال: قم يا خراساني وانظر ما في التنور.

قال: فقامت إليه فرأيته متربعاً فخرج الينا وسلم علينا، فقال الإمام عليه السلام: كم تجد بخراسان مثل هذا؟ فقلت: والله ولا واحداً! فقال عليه السلام: لا والله ولا واحداً! أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت).

أقول: بين الإمام عليه السلام في هذا الحديث شرطاً خاصاً في الأصحاب الذين يحتاج اليهم الذين يخرجون على السلطان مع الإمام من العترة عليهم السلام، وهو أن يؤمنوا بأنه إمام من الله تعالى وينفذوا أمره حتى لو لم يفهموا حكمته، وحتى لو كان فيها هلاكهم في الظاهر!

وهذا شرط أصعب من الأول، وهو ضروري لأن الأحكام الشرعية ومنها وجوب طاعة الإمام عليه السلام، لا يصح أن تقيسها بموازين عقلك بل يجب أن تعبد بها وتنفذها وتقول أطيع ولو لم أفهم وجه الحكمة، لأن الله تعالى حكيم بالمطلق، ومن أوجب عليّ الحكيم طاعته لا بد أن يكون حكيماً!

التاسعة: روى محمد بن جرير الطبري في نوادر المعجزات/ ١٤٤ بسنده عن سليمان بن خالد قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسا إذ دخل آذنه فقال: قوم من أهل البصرة يستأذنون عليك. قال: كم عددهم؟ قال: لا أدري. قال: إذهب فعددهم وأخبرني. قال فلما مضى الغلام قال أبو عبد الله عليه السلام عدة القوم اثنا عشر رجلاً، وإنما أتوا يسألوني عن حرب طلحة والزبير، ودخل آذنه فقال: القوم اثنا عشر رجلاً فأذن لهم فدخلوا إليه فقالوا له: نسألك؟ قال: إسألوا. قالوا: ما تقول في حرب علي وطلحة والزبير وعائشة؟

قال: وما تريدون بذلك؟ قالوا: نريد أن نعلم ذلك. قال: إذا تكفرون يا أهل البصرة! فقالوا: لا نكفر. قال: كان علي مؤمناً مذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله إلى أن قبضه الله إليه، لم يؤمر عليه النبي صلى الله عليه وآله أحداً قط، ولم يكن في سرية إلا كان أميرها. وإن طلحة والزبير أتياه لما قتل عثمان، فبايعاه طائعين غير كارهين، وهما أول من غدر به ونكثا عليه، ونقضا عهده، وهما به المهوم كما هم به من كان مثلهما، وخرجا بعائشة معها يستعطفان بها الناس، وكان من أمرهما وأمرها ما قد بلغكم. قالوا: فإن طلحة والزبير صنعا ما صنعا، فما حال عائشة؟ قال: عائشة عظيم جرمها وعظيم إثمها، ما أهرقت محجمة من دم إلا وإثم ذلك في عنقها وعنق صاحبها!

ولقد عهد النبي صلى الله عليه وآله إليه وقال: لا بد من أن تقاتل الناكثين وهم أهل البصرة والقاسطين وهم أهل الشام، والمارقين وهم أهل النهروان، فقاتلهم علي عليه السلام جميعاً. قال القوم: إن كان هذا قاله النبي لقد دخل القوم جميعاً في أمر عظيم! قال أبو عبد الله عليه السلام: إنكم ستكفرون. قالوا: إنك جئتنا بأمر عظيم لا نحتمله. قال: وما طويت عنكم أكثر، أما إنكم سترجعون إلى أصحابكم وتخبرونهم بما أخبرتكم، فتكفرون أعظم من كفرهم. قال: فلما خرجوا قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا سليمان بن خالد! والله ما يتبع قائمنا من أهل البصرة إلا رجل واحد، لا خير فيهم كلهم قدرية وزنادقة، وهي الكفر بالله).

أقول: يقصد بأهل البصرة الطائفة العثمانية التي كانت في عصره الغالبة في البصرة.

العاشر: في نوادر المعجزات/ ١٤٣ عن سورة بن كليب قال: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا سورة، كيف

حججت العام؟ قال: قلت: استقرضت حاجتي، والله إني لأعلم أن الله سيقضيها عني، وما كان أعظم حاجتي إلا شوقاً إليك بعد المغفرة وإلى حديثك. قال: أما حاجتك فقد قضاه الله من عندي، ثم رفع مصلى تحته، فأخرج ديناراً وعد عشرين ديناراً وقال: هذه حاجتك. وعد عشرين ديناراً وقال: هذه معونة لك، تكفيك حتى تموت. قلت: جعلت فداك أخبرني أن أجلي قد دنا؟

قال: يا سورة أما ترضى أن تكون معنا ومع إخوانك فلان وفلان؟ قلت: نعم. فما لبث إلا بقية الشهر حتى مات).

ظهرت حركة الغلو بالأئمة عليهم السلام في الكوفة

كتبنا في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام (٣/٣٣٥) عن تأليه سبعين نفر من النزط لأمير المؤمنين عليه السلام لما دخل البصرة بعد حرب الجمل، ونهيه إياهم ومعاقبته لهم، ثم ظهرت جماعة عبد الله بن سبأ في الكوفة، ثم جماعة من الفرس في المدائن، وبيننا موقفه الحاسم منهم.

وقلنا: وكان في أعصار الأئمة من ولده عليه السلام مثل ذلك كالغيرة بن سعيد لعنه الله، وكان من أصحاب أبي جعفر الباقر عليه السلام، فاستزله الشيطان فكفر وادعى النبوة، وزعم أنه يحيي الموتى وأن الإمام الباقر عليه السلام إله وقد أرسله رسولاً! تعالى الله رب العالمين.

وتابعه على قوله أصحابه الذين سمو بالمغيرية، وبلغ ذلك الباقر عليه السلام ولم يكن له سلطة كجده علي عليه السلام فيستتيبهم ويقتلهم، فلعن المغيرة وأصحابه وتبرأ منهم، وكتب إلى شيعته يأمرهم بلعنهم والبراءة منهم، ففعلوا، وكانت بينهم مناظرات واحتجاج، واستحل المغيرة وأصحابه المحارم كلها وأباحوها، وانسلخوا من الإسلام جملة!

ثم كان أبو الخطاب في عصر الإمام الصادق عليه السلام وكان من كبار دعائه فاقته بالمغيرة بن سعيد، فكفر وادعى أيضاً النبوة، وزعم أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو الله وأنه أرسله رسولاً! واستحل المحارم كلها ورخص فيها، وكان أصحابه كلما ثقل عليهم أداء فريضة أتوه وقالوا: يا أبا الخطاب خفف علينا في أمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض، واستحلوا

جميع المحارم، وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور، وقال: من عرف الإمام فقد حل له كل شيء، فبلغ أمره الإمام الصادق عليه السلام فلغنه وتبرأ منه، وأرسل إلى أصحابه بلغنه. الخ. أقول: إن ظاهرة تأليه علي والأئمة المعصومين عليهم السلام تدل على تفوقهم عليهم السلام، وأن الناس رأوا منهم معجزات لم يروها من غيرهم، فضاقت عقولهم فألهوهم!

قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: (كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد). (قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوافرين فسمعت منهم وأخذت كتبهم، فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام، وقال لي: إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإننا إن تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة، إنا عن الله وعن رسوله نحدث، ولا نقول قال فلان وفلان فيتناقض كلامنا، إن كلام آخرنا مثل كلام أولنا، وكلام أولنا مصادق لكلام آخرنا، فإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه عليه، وقولوا: أنت أعلم وما جئت به، فإن مع كل قول منا حقيقة وعليه نوراً، فما لا حقيقة معه ولا نور عليه فذلك من قول الشيطان.

وعن يونس، عن هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي، ثم يدفعها إلى أصحابه ويأمرهم أن يثبتوها في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك ما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم).

قال الكشي (٢/ ٤٩١): (قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه: لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق! إن المغيرة كذب

على أبي عليه السلام فسلبه الله الإيمان، وإن قوماً كذبوا عليّ، ما لهم أذاقهم الله حر الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمتنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنما لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون.

ويلهم ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسوله صلى الله عليه وآله في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي صلوات الله عليهم. وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله صلى الله عليه وآله أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً! يأمنون وأفزع، وينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجِل، أتقلقل بين الجبال والبراري. أبرأ إلى الله مما قال في الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه الله. والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألا يقبلوه، فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً! أستعدي الله عليهم وأتبرأ إلى الله منهم. أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً، أو أشد عذابه).





الفصل الثالث عشر

تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام

الإمام الصادق عليه السلام أبو المذاهب وأستاذ أئمتها

يعترف الجميع بأن الإمام الصادق عليه السلام أبو المذاهب الفقهية وأستاذ أئمتها. ويروون تعظيم أئمة المذاهب وعلمائها له. وتقدم بحث دلالة ذلك في الفصل الحادي عشر.

١- قال ابن حجر في الصواعق: (ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان.. روى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك، والسفيانين، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب).

٢- قال الشيخ محمد أبو زهرة: (لا نستطيع في هذه العجالة أن نخوض في فقه الإمام جعفر، فإن أستاذ مالك وأبي حنيفة وسفيان بن عيينة، لا يمكن أن يدرس فقهه في مثل هذه الإمامة). (موسوعة أصحاب الفقهاء: ٢ / ٣٠).

٣- قال ابن أبي الحديد (١٧/١): (أما أصحاب أبي حنيفة فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فهو تلميذ تلميذ أبي حنيفة، وأما ابن حنبل فهو تلميذ الشافعي. وأبو حنيفة قرأ على جعفر الصادق وعلمه ينتهي إلى علم جده علي عليه السلام).

٤- قال الإمام مالك بن أنس: (مارأت عيني أفضل من جعفر بن محمد، فضلا وعلمًا وورعًا وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً، وإما قائماً، وإما ذاكراً. وكان من عظماء البلاد، وأكابر الزهاد الذين ينجشون ربهم، وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله، اخضر مرة واصفر أخرى حتى لينكره من لا يعرفه). (مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٩٦).

وقال مالك أيضاً: (اختلفت إلى جعفر بن محمد زمانا، وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصل، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث عن رسول الله (ص) إلا على طهارة. وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء الزهاد الذين يخشون الله، ولقد حججت معه سنة، فلما أتى الشجرة أحرم فكلما أراد أن يهل كاد يغشى عليه فقلت له: لا بد لك من ذلك، وكان يكرمني وينسب إلي، فقال: يا ابن أبي عامر إني أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك! قال مالك: ولقد أحرم جده علي بن حسين فلما أراد أن يقول اللهم لبيك أو قالها غشي عليه وسقط عن ناقته). (التمهيد لابن عبد البر: ٢/٦٧، وبعضه تهذيب التهذيب: ٢/٨٨).

٥- ترجم الحافظ أبو نعيم إمام الأئمة في حلية الأولياء (٣/١٩٢) للإمام الصادق عليه السلام بتفصيل، وروى موقفه من أبي حنيفة وقياسه. وتقدم ذلك في الفصل الثاني.

٦- قال الإربلي في كشف الغمة (٢/٣٦٧): (قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو علم جم، وعبادة موفورة، وأوراد متواصلة وزهادة بينة، وتلاوة كثيرة، يتتبع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه. رؤيته تذكر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والإقتداء بهداه يورث الجنة، نور قسامته شاهد أنه من سلالة النبوة، وطهارة أفعاله تصدع بأنه من ذرية الرسالة).

نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم، مثل يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السجستاني وغيرهم، وعدوا أخذهم منه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها. إلى أن قال: وأما مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتى أنه من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه).

٧- وقال الإيجي في المواقب (٣/٦٢٨): (وهما سيدا شباب أهل الجنة ثم أولاد أولاده ممن اتفق الأنام على فضلهم على العالمين حتى كان أبو يزيد سقياً في دار جعفر الصادق رضي الله عنه ومعروف الكرخي بواب دار علي بن موسى الرضا).

وشرحه الجرجاني في شرح المواقب (٨/٣٧٢): (وكان معروف الكرخي بواب دار علي بن موسى الرضا، هذا مما لا شبهة في صحته، فإن معروفاً كان صبيماً نصرانياً فأسلم على يد علي بن موسى وكان يخدمه، وأما أبو يزيد فلم يدرك جعفر أبلاً هو متأخر عن معروف، ولكنه كان يستفيض من روحانية جعفر).

٨- عن عمرو بن أبي المقدم قال: (كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين! قد رأيتُه واقفاً عند الجمرة يقول: سلوني، سلوني. وعن صالح بن أبي الأسود سمعت جعفر بن محمد يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي!) (سير الذهبية: ٦/٢٥٧).

قصده الناس في المدينة وازدحم عليه الألوفاً في الكوفة

كان الإمام الصادق معتمد أبيه الباقر عليه السلام ووصيه، وعاش بعده أربعاً وثلاثين سنة. قال المفيد في الإرشاد (٢/١٧٩): (كان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام من بين إخوته خليفة أبيه محمد بن علي ووصيه القائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل، وكان أنبهم ذكراً وأعظمهم قدراً وأجلهم في العامة والخاصة، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل، وكان له عليه السلام من الدلائل الواضحة في إمامته ما بهرت القلوب وأخرست المخالف).

أقول: كان أبوه يعتمد عليه في مهمات أموره، في المدينة وفي سفره إلى الحج، وإلى الشام لما استدعاه الخليفة هشام،

وفي لقاءاته مع مشاربع الثائرين الحسينيين والعباسيين.

وكان أبوه عليه السلام معجباً به: قال سدير الصيرفي: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن من سعادة الرجل أن يكون له الولد يعرف فيه شبه خلقه وخلقته وشأئله، وإني لأعرف من ابني هذا شبه خلقي وخلقي وشأئلي). وقال أبو الصباح الكناني: (نظر أبو جعفر إلى أبي عبد الله عليه السلام يمشي فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عز وجل: **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**). وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إن أبي استودعني ما هناك، فلما حضرته الوفاة قال: أدع لي شهوداً فدعوت له أربعة من قريش، فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر فقال: أكتب: هذا ما أوصى به يعقوب بنيه: **يَا بَنِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ الْوَالِدُ فَارْتَمِئْ إِلَى الْأَرْضِ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**. وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد، وأمره أن يكفنه في برده الذي كان يصلي فيه الجمعة، وأن يعممه بعمامته، وأن يربع قبره ويرفعه أربع أصابع، وأن يحل عنه أطماره عند دفنه، ثم قال للشهود: إنصرفوا رحمكم الله. فقلت له بعد ما انصرفوا: يا أبت ما كان في هذا بأن تشهد عليه. فقال: يا بني كرهت أن تغلب وأن يقال: إنه لم يوص إليه، فأردت أن تكون لك الحجة). (الكافي: ١/٣٠٦، ومناقب آل أبي طالب: ٣/٣٩٨).

أقام الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة سنتين

كان ثقل الشيعة في الكوفة من عهد أمير المؤمنين عليه السلام، ثم التفوا حول الإمام الباقر عليه السلام حتى أنهم كانوا يحيطين به في الحج فسأل رجل هشام بن عبد الملك: من هذا؟ قال: هذا نبي أهل العراق! وكان الكوفيون محبين للعلم ولأهل البيت عليهم السلام، وفيهم علماء ورواة، فاغتمم الإمام الصادق عليه السلام فرصة تحول الخلافة إلى بني العباس في عهد أبي العباس السفاح، وقرر الإقامة في الكوفة لمدة، فسكن الكوفة واتخذ منزلاً في بني عبد القيس وهم بطن من ربيعة متشيع لأهل البيت عليهم السلام، منازلهم في الأحساء والقطيف والبحرين وسكن قسم منهم الكوفة. قال السيد البرقي في تاريخ الكوفة / ٤٦٦: (ولقد بقي عليه السلام في الكوفة سنتين أيام أبي العباس السفاح، فازدلفت إليه الشيعة من كل فج زرافات ووحداناً، تستقي منه العلم، وترتوي من منهله العذب الروي، وتروي عنه الأحاديث في مختلف العلوم، وكان منزله عليه السلام في بني عبد القيس).

قال محمد بن معروف الهلالي: مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمد عليه السلام فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس، فلما كان اليوم الرابع رأني فأذناني، وتفرق الناس عنه ومضى يريد قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فتبعته وكنت أسمع كلامه وأنا معه أمشي.

وقال الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي لابن عيسى القمي: إني أدركت في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد عليه السلام.

ومن أكثر الرواية عنه عليه السلام: أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكري، الجريري مولى جرير بن عباد الكوفي نزيل كندة، المتوفى سنة ١٤١، فإنه روى عنه عليه السلام ٣٠٠٠٠ حديثاً).

ومن أكثر عنه وعن أبيه الإمام الباقر عليه السلام: محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر، السمان، الطائفي، الكوفي، المتوفى سنة ١٥٠، فإنه روى عنهما عليهما السلام ٤٠٠٠٠ حديثاً).

ومنهم: جابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة ١٢٨، فإنه روى عنهما عليهما السلام ٩٠٠٠٠ حديثاً).

امتلاء مسجد الكوفة بالعلماء والطلبة وصارت الكوفة عاصمة علمية

أقام الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة سنتين، يملئ أحاديثه ويحيب على الأسئلة، فالتف المحدثون حوله وكتبوا أحاديثه وبثوها. وقد بلغ عدد تلاميذه الذين أحصاهم ابن عقدة في كتابه أربعة آلاف، أورد أسماءهم وما رواه كل واحد منهم!

فلو كان كتب ترجمة كل واحد وما رواه في صفحة واحدة، لبلغ كتابه أربعة آلاف صفحة، يعني ثمانية مجلدات. ولو كان كتب في الراوي ثلاث صفحات لزداد كتابه عن عشرين مجلداً! وقد أغارت الحكومة العباسية الوحشية على مؤلفات ابن عقدة رحمته الله وأحرقت كتبه، وسرقت بعضها!

قال الطوسي في رجاله/٤٠٩: (روى ابن عقدة جميع كتب أصحابنا ومصنفاتهم، وذكر أصولهم).

ثم أورد عدداً كبيراً منها، ومن ذلك: كتب غريب القرآن لأبان بن تغلب، ومحمد بن السائب الكلبي، وأبي روق عطية بن الحارث جمع عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي. كتاب الفضائل كتاب القراءة كتاب صفين لأبان بن تغلب. كتب المبتدأ والمغازي والوفاة والردة لأبان بن عثمان الأحمر والنوادر لأبان بن محمد

البجلي. وكتاب خطب علي عليه السلام لإبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري. كتاب النوادر لإبراهيم بن عبد الحميد الأسدي. كتاب مبوب في الحلال والحرام لإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام. كتاب إبراهيم بن مهزم الأسدي. كتاب السنن والأحكام والقضايا لأبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله. تفسير القرآن لزياد بن المنذر أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام. كتاب رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد بن طريف الحنظلي. كتاب سويد مولى محمد بن مسلم الخ. (الفهرست للشيخ الطوسي: ٩، ١١، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٢٠٣ و رجال النجاشي: ٦، ١١، ١٤، ٢٠، ٢٢، ١٧٨، ١٩١)

وقد أورد الطوسي في رجاله نحو خمس مئة من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام وثلاثة آلاف ومئتين وأربعاً وعشرين من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام!
وقال العلامة في الخلاصة/ ٣٢٢: (له كتب ذكرناها في كتابنا الكبير (يقصد ابن عقدة) منها كتاب أسماء الرجال الذين رووا عن الصادق عليه السلام أربعة آلاف رجل، وأخرج فيه لكل رجل الحديث الذي رواه).

ولما غضب الخليفة والنواصب على ابن عقدة، أحرقوا كتبه ونهبوا بعضها، ووصل بعضها الى علماء السلطة كالخطيب البغدادي وابن حجر فنقلوا منها!
وقال ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٦١): (وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جداً. وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدنا صحاح وحسان، وقد روينا عن الإمام أحمد قال: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب).

من مرويات ابن عقدة عن الإمام الصادق عليه السلام

روى عن الإمام الصادق عليه السلام في آية: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا. قال: نزلت في القائم وأصحابه). (الغنية للنعماني/ ٢٤٧).

وروى عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إن قائمنا إذا قام استقبل من

جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهال الجاهلية. قلت: وكيف ذاك؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله يحتج عليه به. ثم قال: أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر). (الغيبة للنعماني/٣٠٧).

وروى عن المفضل بن عمر: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إذا أذن الإمام دعا الله باسمه العبراني فأتيحت له صحابته الثلاث مائة والثلاثة عشر قزح كقزح الخريف، فهم أصحاب الألوية، منهم من يفقد من فراشه ليلاً فيصبح بمكة، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه. قلت: جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً؟ قال: الذي يسير في السحاب نهاراً، وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية: أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). (الغيبة للنعماني/٣٢٦).

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إذا خرج القائم عليه السلام خرج من هذا الأمر من كان يرى أنه من أهله! ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر). (الغيبة للنعماني/٣٣٢).

وروى عن المعلی بن خنيس أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: (أيسير القائم إذا قام بخلاف سيرة علي عليه السلام؟ فقال عليه السلام: نعم، وذلك أن علياً سار بالمن والكف لأنه علم أن شيعته سيظهر عليهم من بعده، وإن القائم إذا قام سار فيهم بالسيف والسبي، وذلك أنه يعلم أن شيعته لا يظهر عليهم من بعده أبداً). (الغيبة للنعماني/٢٣٧).

وروى عن أبي بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: (لقائم آل محمد غيبتان أحدهما أطول من الأخرى، فقال: نعم ولا يكون ذلك حتى يختلف سيف بني فلان وتضييق الحلقة، ويظهر السفيناني ويشتد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل يلجؤون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله). (الغيبة للنعماني/١٧٧).

وروى عن أبي بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: (لا بد أن يكون قدام القائم سنة مجوع فيها الناس ويصيبهم خوف شديد من القتل، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، فإن ذلك في كتاب الله لبين، ثم تلا هذه الآية: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ).

(الغيبة للنعماني/ ٢٥٩).

وروى ابن عقدة عدة أحاديث عن الصادق والباقر عليهما السلام يظهر أنها دجت في بعضها، نذكر منها عن أبي بصير، عن الباقر عليه السلام قال: إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه المهردي العظيم تطلع ثلاثة أيام أو سبعة فتوقعوا فرج آل محمد عليهم السلام إن شاء الله عز وجل إن الله عزيز حكيم، ثم قال: الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان، لأن شهر رمضان شهر الله والصيحة فيه هي صيحة جبرائيل إلى هذا الخلق، ثم قال: ينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام فيسمع من المشرق ومن المغرب، لا يبقى راقداً إلا استيقظ، ولا قائماً إلا قعد، ولا قاعداً إلا قام على رجليه فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإن الصوت الأول هو صوت جبرئيل الروح الأمين عليه السلام...

ثم قال عليه السلام: خروج السفيناني واليمني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناوهم، وليس في الرايات راية أهدي من راية اليمني، هي راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليمني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج اليمني فانهض إليه فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم. ثم قال لي: إن ذهب ملك بني فلان كقصع الفخار، وكرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساه عنها فانكسرت، فذهب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابه). (الغيبة للنعماني/ ٢٦٢).

وروى عنه أن ولاية أهل البيت شرط في قبول الأعمال

روى ابن عقدة عن الصادق عليه السلام أنه قال: (ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز وجل من العباد عملاً إلا به؟ فقلت: بلى. فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده والإقرار بما أمر الله والولاية لنا والبراءة من أعدائنا، يعني الأئمة خاصة، والتسليم لهم والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم عليه السلام. ثم قال: إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء. ثم قال: من سره

أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة). (الغيبة للنعماني/٢٠٧).

عصا موسى عليه السلام من الجنة

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (عصا موسى عليه السلام قضيب آس من غرس الجنة، أتاه بها جبرائيل عليه السلام لما توجه لتقاء مدين، وهي وثابت آدم في بحيرة طبرية، ولن يبليا، ولن يتغيرا حتى يخرجهما القائم عليه السلام إذا قام). (الغيبة للنعماني/٢٤٣)

لا تترك قضاء حاجة المؤمن

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: (أيما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة، وهو يقدر على قضائها فمنعه إياها، عيّر الله يوم القيامة تعبيراً شديداً وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضاؤها في يدك، فمنعته إياها زهداً منك في ثوابها، وعزتي لا أنظر إليك اليوم في حاجة معذباً كنت أو مغفوراً لك). (أمالي الطوسي/٩٩).

عمن نكتب من الآلاف المؤلفة من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام؟

ترجمنا في سيرة الإمام الباقر عليه السلام لمجموعة من تلاميذه ومنهم مشترك بينه وبين الإمام الصادق عليه السلام. أما أصحاب الإمام الصادق وتلاميذه الذين لم يحضروا عند أبيه عليه السلام فهم ألوف مؤلفة، واستيفأؤهم يحتاج الى مجلدات.

وقد ألف فيهم الصديق الباحث الفاضل الحاج عبد الحسين شبستري كتاباً من ثلاث مجلدات، زادت صفحاته على ألف وسبع مئة صفحة.

قال في مقدمته: (وأخيراً والله الحمد توصلت إلى معرفة مجموعة كبيرة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام والرواة عنه ومن تشرف ببلقائه بلغوا (٣٧٥٩) شخصاً فدونت أسماءهم مرتبة على حروف المعجم، وذكرت بعض المراجع لترجمة حياتهم في كتاب سميته: الفائق في

أصحاب ورواة الإمام الصادق عليه السلام. ولا أدعي أبداً أني استطعت أن أحصر جميع أصحاب ورواة الإمام الصادق عليه السلام.

الفقهاء الستة من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام

نختار من تلاميذ الصادق عليه السلام الفقهاء الستة الذين أجمعت الطائفة على جلالتهم فقالوا: (أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي. وأفقه الستة: زرارة. وستة نفر من أصحاب الصادق: جميل بن دراج، وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكير، وحماد بن عيسى، وحماد بن عثمان، وأبان بن عثمان). (رجال الكشي: ٢/٦٧٣).

جميل بن دراج النخعي

قال النجاشي في فهرست أسماء مصنفي الشيعة/١٢٦: (قال ابن فضال: أبو محمد (جميل بن دراج) شيخنا ووجه الطائفة، ثقة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام وأخذ عن زرارة. وأخوه نوح بن دراج القاضي كان أيضاً من أصحابنا وكان يخفي أمره، وكان أكبر من نوح وعمي في آخر عمره ومات في أيام الرضا عليه السلام. له كتاب رواه عنه جماعات من الناس وطرقه كثيرة.. وله كتاب اشترك هو ومحمد بن حمران فيه، رواه الحسن بن علي ابن بنت إلياس عنهما. وله كتاب اشترك هو ومرزم بن حكيم فيه). وقال الكشي (٢/٤٧١) قال الفضل بن شاذان: (دخلت على محمد بن أبي عمير وهو ساجد فأطال السجود فلما رفع رأسه وذكر له طول سجوده قال: كيف لو رأيت جميل بن دراج؟ ثم حدثه أنه دخل على جميل بن دراج فوجده ساجداً فأطال السجود جداً فلما رفع رأسه قال محمد بن أبي عمير: أطلت السجود، فقال: لو رأيت معروف بن خربوذ).

وقال الكشي (٢/٥٠٧): (قال جميل بن دراج: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة: محمد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وليث بن البختری المرادي، وزرارة بن أعين).

وقال الكشي (١/٣٤٦): قال جميل بن دراج: ما كنا حول زرارة إلا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم).

وقال الكشي (٢/٥٢٠): (حدثنا محمد بن حسان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يتلو هذه الآية: فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ. ثم أهوى بيده إلينا، ونحن جماعة فينا جميل بن دراج وغيره فقلنا: أجل والله جعلت فداك لا نكفر بها.

قال جميل بن دراج: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا جميل لا تحدث أصحابنا بما لم يجمعوا عليه فيكذبوك. قال محمد بن مسعود: سألت أبا جعفر حمدان بن أحمد الكوفي عن نوح بن دراج؟ فقال: كان من الشيعة وكان قاضي الكوفة فقيل له: لم دخلت في أعمالهم؟ فقال: لم أدخل في أعمال هؤلاء حتى سألت أخي جميلاً يوماً فقلت له: لم لا تحضر المسجد؟ فقال: ليس لي إزار! وقال حمدان: مات جميل عن مائة ألف. (أي انفتح له العمل لأنه أخ القاضي).

وقال حمدان: كان دراج بقالاً وكان نوح مخارجه من الذين يقتتلون في العصبية التي تقع بين المجالس، قال: وكان يكتب الحديث، وكان أبوه يقول: لو ترك القضاء لنوح أي رجل كان ثقة). أي كانت موارده من الصلح في المنازعات التي تقع بين أهل المجالس فكان يحل ويصلح بينهم ويعطونه شيئاً، فهو أشبه بقاضي التحكيم وقد نجح في عمله، فراه أبوه أهلاً للقضاء.

وفي رجال الكشي (٢/٦٧٣): (أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح من هؤلاء وتصديقهم لما يقولون وأقروا لهم بالفقه، من دون أولئك الستة الذين عددناهم وسميناهم، ستة نفر: جميل بن دراج وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكير، وحماد بن عيسى، وحماد بن عثمان، وأبان بن عثمان. قالوا: وزعم أبو إسحاق الفقيه يعني ثعلبة بن ميمون: أن أفته هؤلاء جميل بن دراج، وهم أحداث أصحاب أبي عبد الله عليه السلام).

وقال السيد الخوئي (٥/١٢٢): (وقع جميل بن دراج في إسناد كثير من الروايات تبلغ خمس مائة وسبعين مورداً. فقد روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن الأول عليه السلام. ورواياته عن المعصوم تبلغ مائتين وتسعة وثلاثين مورداً.

وروى عن أبي أسامة، وأبي بصير، وأبي حمزة، وأبي العباس، وأبي الوليد، وابن بكير، وابن الطيار، وأبان بن تغلب، وإسماعيل بن جابر الجعفي.. الخ).

عبد الله بن مسكان العنزي

قال النجاشي في فهرست أسماء مصنفي الشيعة/ ٢١٤: (عبد الله بن مسكان أبو محمد مولى عَنزَةَ، ثقة عين، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وقيل: إنه روى عن أبي عبد الله عليه السلام وليس بثبت. له كتب منها: كتاب في الإمامة، وكتاب في الحلال والحرام، وأكثره عن محمد بن علي الحلبي. أخبرنا أبو عبد الله القزويني قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى قال: حدثنا أبي عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عنه. وأخبرنا أحمد بن محمد المستنشق قال: مات في أيام أبي الحسن عليه السلام قبل الحادثة). أي قبل قتل الكاظم عليه السلام.

وقال الشيخ الطوسي في الفهرست/ ١٦٨: (عبد الله بن مسكان، ثقة. له كتاب، رويناه بالإسناد الأول عن ابن أبي عمير وصفوان جميعاً عنه).

وقال العلامة في الخلاصة/ ١٩٤: (عبد الله بن مسكان بالميم المضمومة، والسين الساكنة المهملة والنون بعد الألف، أبو محمد، مولى عنزة، ثقة عين، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام. قال النجاشي: روي أنه لم يسمع من الصادق عليه السلام إلا حديث: من أدرك المشعر فقد أدرك الحج. قال: وكان من أروى أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، وزعم أبو النضر محمد بن مسعود أن ابن مسكان كان لا يدخل على أبي عبد الله عليه السلام شفقةً أن لا يوفيه حق إجلاله، وكان يسمع من أصحابه، ويأبى أن يدخل عليه إجلالاً له وإعظماً!).

وقال السيد الخوئي (٣٤٧/١١): (قال الشيخ في النسخة المخطوطة: عبد الله بن مسكان ثقة، له كتاب، رويناه بالإسناد الأول عن ابن أبي عمير وصفوان جميعاً عنه. وأراد بالإسناد الأول: جماعة، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم، ويعقوب بن زيد، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن ابن أبي عمير... وعده في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، وعده البرقي أيضاً من أصحاب

الصادق عليه السلام. وعده الشيخ المفيد في رسالته العددية من الفقهاء الأعلام، والرؤساء المأخوذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام، الذين لا يطعن عليهم ولا طريق لدم واحد منهم.. ابن مسكان كان رجلاً موسراً، وكان يتلقى أصحابه إذا قدموا فيأخذ ما عندهم.. وروى ابن عقدة، عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عمر بن يزيد وعلي بن أسباط جميعاً قالوا: قال لنا عثمان بن عيسى الرؤاسي: حدثني زياد القندي وابن مسكان، قالوا: كنا عند أبي إبراهيم عليه السلام إذ قال: يدخل عليكم الساعة خير أهل الأرض فدخل أبو الحسن الرضاء عليه السلام وهو صبي فقلنا: خير أهل الأرض؟ ثم دنا فضمه إليه فقبله وقال: يا بني تدري ما قال ذان؟ قال: نعم يا سيدي، هذان يشكان في، قال علي بن أسباط: فحدثت بهذا الحديث الحسن بن محبوب فقال: بتر الحديث، لا، ولكن حدثني علي بن رئاب أن أبا إبراهيم عليه السلام قال لهما: إن جحدتماه حقه أو خنتماه فعليكما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، يا زياد لا تنجب أنت وأصحابك أبداً..!

وتابع السيد الخوئي: أقول: الرواية كما نقلت أو لا دالة على ذم ابن مسكان، وعلى أنه من الواقعة كزياد القندي، ولكن الحسن بن محبوب كذب ذلك وذكر ما ذكر، والذي يمكن أن يقال إن قول أبي إبراهيم عليه السلام: (إن جحدتماه حقه) كان من القضايا الفرضية، وكان المقصود بذلك ردع زياد القندي عما سوف يرتكبه بعد ذلك، ولأجل ذلك خصه بالخطاب وقال: يا زياد لا تنجب أنت وأصحابك أبداً، ولم يشرك ابن مسكان في ذلك. ومما يؤكد ذلك أن ابن مسكان لم يبق إلى زمان إمامة الرضاء عليه السلام على ما شهد به النجاشي ولم يذكر أحد إدراكه لزمان الرضاء عليه السلام. بقي هنا أمور: في الخلاصة: قال النجاشي: وقيل إنه (عبد الله بن مسكان) روى عن أبي عبد الله عليه السلام وليس بثبت، وقال النجاشي: روي أنه لم يسمع من الصادق عليه السلام إلا حديث: من أدرك المشعر فقد أدرك الحج، قال: وكان من أروى أصحاب أبي عبد الله عليه السلام. أقول: إن كلمة النجاشي الثانية في عبارة الخلاصة محرفة، والصحيح هو الكشي والتحرير من النساخ، أو من سهو القلم، والله العالم.

أقول: روايات ابن مسكان عن الصادق عليه السلام في الكتب الأربعة كثيرة تبلغ خمسة وثلاثين مورداً والإلتزام بالإرسال في جميع ذلك كما ترى! على أنه صرح في بعض هذه الروايات بأنه سأل أبا عبد الله أو أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام فكيف يمكن حملها على الإرسال؟

الثالث: أن الشيخ ذكر في باب تفصيل أحكام النكاح من التهذيب: الجزء ٧، الحديث ١٠٨٠، وفي الجزء ٣، باب تحليل المتعة من الاستبصار: الحديث ٥٠٨، عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان علي عليه السلام يقول: لولا ما سبقني إليه بنو (ابن) الخطاب ما زنى إلا شقي.

وتابع السيد الخوئي: أقول: المذكور في الكافي: الجزء ٥، كتاب النكاح ٣، أبواب المتعة ٩٤، الحديث ٢، هكذا: عن ابن مسكان، عن عبد الله بن سليمان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام ... الحديث. ويشهد لصحة ما في الكافي أن الكشي عد عبد الله بن مسكان من أحداث أصحاب أبي عبد الله عليه السلام. وطريق الصدوق إليه: أبوه ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما عن محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان وهو كوفي من موالي عنزة ويقال: إنه من موالي عجل. والطريق كطريق الشيخ إليه صحيح. وقد سها قلم الأردبيلي رحمته الله فقال: إن طريقه إليه مجهول في المشيخة وذلك فإن الشيخ لم يذكر طريقه إليه في المشيخة. ثم أورد إحصاء ما رواه ابن مسكان فقال: وقع بهذا العنوان في كثير من الروايات تبلغ مائتين وتسعة وسبعين مورداً... إلى آخر كلام السيد الخوئي رحمته الله.

عبد الله بن بكير بن أعين

قال النجاشي/ ٢٢٢: (عبد الله بن بكير بن أعين بن سنسن أبو علي الشيباني، مولا هم، روى عن أبي عبد الله عليه السلام. وإخوته عبد الحميد والجهم وعمر وعبد الأعلى، روى عبد الحميد عن أبي الحسن موسى عليه السلام وولد عبد الحميد محمد والحسين وعلي رووا الحديث. له كتاب كثير الرواة، أخبرناه أحمد بن عبد الواحد، عن علي بن حبشي، عن حميد عن أحمد بن الحسن البصري، عن عبد الله بن جبلة، عن عبد الله بن بكير به).

قال العلامة في خلاصة الأقوال/١٩٥: (قال الشيخ الطوسي: إنه فطحي المذهب إلا أنه ثقة. وقال الكشي: قال محمد بن مسعود: عبد الله بن بكير وجماعة من الفطحية هم فقهاء أصحابنا، وذكر جماعة منهم عمار الساباطي وعلي بن أسباط وبنو الحسن بن علي بن فضال علي وأخواه. وقال في موضع آخر: إن عبد الله بن بكير ممن اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه وأقروا له بالفقه، فأنا أعتمد على روايته وإن كان مذهبه فاسداً).

وقال السيد الخوئي (١١/١٢٩): (قال الشيخ: عبد الله بن بكير فطحي المذهب إلا أنه ثقة.. وعده في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام. وعده البرقي من أصحاب الصادق عليه السلام. وعده المفيد في رسالته العددية من الفقهاء الأعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام الذين لا يطعن عليهم ولا طريق إلى ذم واحد منهم.

روى عن بعض أصحابنا عن الصادق عليه السلام، وروى عنه ابن فضال. كامل الزيارات: الباب ١٦، في ما نزل به جبرئيل عليه السلام في الحسين بن علي عليه السلام الحديث ٥.

روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى عنه الحسن بن علي بن فضال. تفسير القمي: سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: **وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**. وقال الكشي (١٨٩): عبد الله بن بكير بن أعين: قال محمد بن مسعود: عبد الله بن بكير وجماعة من الفطحية هم فقهاء أصحابنا منهم: ابن فضال يعني الحسن بن علي وعمار الساباطي، وعلي بن أسباط، وبنو الحسن بن علي بن فضال علي وأخواه، ويونس بن يعقوب، ومعاوية بن حكيم، وعد عدة من أجلة الفقهاء العلماء. إنتهى. وعده ممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم على ما تقدم في أبان بن عثمان. وقال الشيخ في كتاب العدة ص ٥٦: عملت الطائفة بأخبار الفطحية كعبد الله بن بكير وغيره.

حماد بن عيسى الجهني

قال النجاشي في فهرست أسماء مصنفى الشيعة/١٤٢: (حماد بن عيسى أبو محمد الجهني مولى، وقيل: عربي، أصله الكوفة وسكن البصرة. وقيل: إنه روى عن أبي عبد الله عليه السلام عشرين حديثاً وأبي الحسن والرضا عليه السلام. ومات في حياة أبي جعفر الثاني عليه السلام ولم يحفظ عنه رواية عن الرضا ولا

عن أبي جعفر عليه السلام، وكان ثقة في حديثه صدوقاً قال: سمعت من أبي عبد الله عليه السلام سبعين حديثاً فلم أزل أدخل الشك على نفسي حتى اقتصرت على هذه العشرين. وله حديث مع أبي الحسن موسى عليه السلام في دعائه بالحج. وبلغ من صدقه أنه روى عن جعفر بن محمد وروى عن عبد الله بن المغيرة وعبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام. له كتاب الزكاة أكثره عن حريز ويسير عن الرجال. أخبرنا به الحسين بن عبيد الله قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن سفيان قال: حدثنا حميد بن زياد قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن غالب قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الزعفراني، عن حماد به.

وكتاب الصلاة له، أخبرنا محمد بن جعفر عن أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا علي بن الحسن بن فضال قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية. قال الحسن بن فضال ورجل يقرأ عليه كتاب حماد في الصلاة: قال أحمد بن الحسين عليه السلام: رأيت كتاباً فيه عبر ومواعظ وتنبهات على منافع الأعضاء من الإنسان والحيوان، وفصول من الكلام في التوحيد، وترجمته مسائل التلميذ وتصنيفه عن جعفر بن محمد بن علي، وتحت الترجمة بخط الحسين بن أحمد بن شيان القزويني: التلميذ حماد بن عيسى وهذا الكتاب له، وهذه المسائل سألت عنها جعفر عليه السلام وأجابها.

وذكر ابن شيان أن علي بن حاتم أخبره بذلك عن أحمد بن إدريس قال: حدثنا محمد بن عبد الجبار قال: حدثنا محمد بن الحسن الطائي رفعه إلى حماد. وهذا القول ليس بثبت والأول من سماعه من جعفر بن محمد أثبت.

ومات حماد بن عيسى غريقاً بوادي قناة وهو وادي سيل من الشجرة إلى المدينة وهو غريق الجحفة في سنة تسع ومائتين وقيل: سنة ثمان ومائتين، وله نيف وتسعون سنة رحمته الله.

وقال الشيخ في الفهرست/ ١١٥: (ثقة، له كتاب النوادر وله كتاب الزكاة، وكتاب الصلاة، أخبرنا بها عدة من أصحابنا، عن أبي المفضل.. الخ).

وقال العلامة في الخلاصة/ ١٢٤: (كان متحرزاً في الحديث، روى عن أبي عبد الله عليه السلام عشرين

حديثاً، وعن أبي الحسن والرضا عليهما السلام ومات في حياة أبي جعفر الثاني ولم يحفظ عنه رواية عن الرضا ولا عن أبي جعفر عليهما السلام. وكان ثقة في حديثه صدوقاً.. دعا له أبو عبد الله عليه السلام بأن تحج خمسين حجة، فحجها وغرق بعد ذلك وتوفي سنة تسع ومائتين، وقيل: ثمان ومائتين، وكان من جهينة ومات بوادي قناة بالمدينة، وهو وادي يسيل من الشجرة إلى المدينة، وهو غريق الجحفة وله نيف وتسعين سنة رحمته الله. قال الكشي: أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه، وأقروا له بالفقه، في آخرين).

وقال السيد الخوئي رحمته الله (٧/٢٣٦) بعد أن نقل كلام الكشي والشيخ: (.. وقال الشيخ في كتاب الغيبة عند تعرضه للواقفة: إن حماد بن عيسى ممن رجع عن الوقف لما ظهر من المعجزات على يد الرضا عليه السلام).

حمدويه قال: حدثني العبيدي، عن حماد بن عيسى قال: دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، ادع الله لي أن يرزقني داراً وزوجة وولداً وخادماً والحج في كل سنة، فقال عليه السلام: اللهم صل على محمد وآل محمد وارزقه داراً وزوجة وولداً وخادماً والحج خمسين سنة. قال حماد: فلما اشترط خمسين سنة علمت أنني لا أحج أكثر من خمسين سنة. قال حماد: وحججت ثمان وأربعين سنة، وهذه داري قد رزقتها، وهذه زوجتي وراء الستر تسمع كلامي، وهذا ابني وهذا خادمي، قد رزقت كل ذلك فحج بعد هذا الكلام حجتين تمام الخمسين، ثم خرج بعد الخمسين حاجاً فزامل أبا العباس النوفلي القصير، فلما صار في موضع الإحرام دخل يغتسل فجاء الوادي فحمله فغرقه الماء رحمته الله وأتاه قبل أن يحج زيادة على الخمسين! عاش إلى وقت الرضا عليه السلام وتوفي سنة تسع ومئتين، وكان من جهينة وكان أصله كوفياً ومسكنه البصرة، وعاش نيفاً وسبعين سنة، ومات بوادي قناة بالمدينة، وهو وادي يسيل من الشجرة إلى المدينة.

وقال الشيخ المفيد: وكان أصله كوفياً ومسكنه البصرة، وعاش نيفاً وتسعين، ولحق بأبي عبد الله عليه السلام ومات بوادي القناة بالمدينة وهو وادي يسيل من الشجرة إلى المدينة).

ثم بحث السيد الخوئي قدس سره نقاطاً في عمره وأسانيده وأحاديثه والإشتباه بإسمه.

حماد بن عثمان الناب

قال النجاشي في فهرست أسماء مصنفي الشيعة/ ١٤٣: (حماد بن عثمان بن عمرو بن خالد الفزاري، مولا هم، كوفي، كان يسكن عرزم فنسب إليها، وأخوه عبد الله ثقتان، روي عن أبي عبد الله عليه السلام، وروي حماد عن أبي الحسن والرضا عليهما السلام، ومات حماد بالكوفة في سنة تسعين ومائة، ذكرهما أبو العباس في كتابه، وروي عنه جماعة منهم أبو جعفر محمد بن الوليد بن خالد الخزاز البجلي.. حدثنا محمد بن الوليد بكتاب حماد بن عثمان).

وقال الشيخ في الفهرست/ ١١٥: (ثقة جليل القدر. له كتاب أخبرنا به عدة من أصحابنا).

وقال العلامة في خلاصة الأقوال/ ١٢٥: (حماد بن عثمان الناب، ثقة جليل القدر، من أصحاب الرضا ومن أصحاب الكاظم عليهما السلام. والحسين أخوه وجعفر أولاد عثمان ابن زياد الرواسي فاضلون أخيار ثقات. قال الكشي عن حمدويه، عن أشياخه قال: حماد ممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه والإقرار له بالفقه).

وقال السيد الخوئي قدس سره (٧/ ٢٢٤): (حماد بن عثمان الناب.. قال الشيخ: حماد بن عثمان الناب، ثقة جليل القدر.. وذكره في رجاله في أصحاب الصادق عليه السلام قائلاً: حماد بن عثمان ذو الناب مولى غني كوفي، وفي أصحاب الكاظم عليه السلام قائلاً: حماد بن عثمان لقبه الناب، مولى الأزدي، كوفي، له كتاب. وفي أصحاب الرضا عليه السلام).

وعده البرقي من أصحاب أبي عبد الله والكاظم والرضا عليهم السلام.

وقال الكشي: حمدويه قال: سمعت أشياخي يذكرون أن حماداً وجعفرأ والحسين بني عثمان بن زياد الرواسي وحماد يلقب بالناب، كلهم فاضلون خيار ثقات.. وعده ممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام. روى عن رومي عن زرارة وروى عنه عبد الرحمان الأصم. كامل الزيارات: الباب ٤٥ في ثواب من زار الحسين عليه السلام وعليه خوف، الحديث ١.

ثم إنه وقع الكلام في أن حماد بن عثمان الناب متحد مع حماد بن عثمان بن عمرو بن خالد أو أنه مغاير له؟ ظاهر العلامة وابن داود تغايرهما فإنهما عنونا كلاً منهما مستقلاً، واختار ذلك بعض من تأخر عنهما صريحاً، واستظهر المجلسي الأول اتحادهما.

ثم استدل السيد الخوئي قدس سره بالتفصيل على أنهما واحد. ثم قال: (وذكر الكشي إجماع العصابة على تصحيح ما يصح عنه... روى عن أبي عبد الله عليه السلام وروى عنه ابن أبي عمير، تفسير القمي: في تفسير قوله تعالى: فَاتَّذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ). ثم بحث السيد الخوئي قدس سره تفاوت الكتب والنسخ، في إسمه ومتون رواياته وسندها.

أبان بن عثمان الأحمر

قال النجاشي في فهرست أسماء مصنفى الشيعة/ ١٣: (أبان بن عثمان الأحمر البجلي مولاهم، أصله كوفي، كان يسكنها تارة والبصرة تارة وقد أخذ عنه أهلها: أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبد الله محمد بن سلام، وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليه السلام).

له كتاب حسن كبير يجمع المبتدأ والمغازي والوفاة والردة، أخبرنا بها أبو الحسن التميمي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا علي بن الحسن بن فضال قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن زرارة قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبان بها.

وأخبرنا أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا علي بن محمد القرشي قال: حدثنا علي بن الحسن بن فضال. وأخبرنا أبو عبد الله بن شاذان قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبان بكتبه).

وقال الشيخ في الفهرست/ ٥٩: (أبان بن عثمان الأحمر البجلي، أبو عبد الله، مولاهم، أصله كوفي وكان يسكنها تارة والبصرة أخرى، وقد أخذ عنه أهلها أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبد الله محمد بن سلام وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام. وروى

عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، وما عرف من مصنفاته إلا كتابه الذي يجمع المبدأ والمبعث، والمغازي، والوفاء، والسقيفة، والردة. أخبرنا بهذه الكتب وهي كتاب واحد: الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، والحسين بن عبيد الله جميعاً، عن محمد بن عمر بن يحيى العلوي الحسيني قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قراءة عليه.. عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي نصر، عن أبان كتاب المغازي).

وقال العلامة في الخلاصة/ ٧٤: (قال الكشي رحمته الله: قال محمد بن مسعود: حدثني علي بن الحسن بن فضال قال: كان أبان بن عثمان من الناووسية وكان مولى لبجيلة وكان يسكن الكوفة. ثم قال الكشي: إن العصابة أجمعت على تصحيح ما يصح عن أبان بن عثمان والإقرار له بالفقه. والأقرب عندي قبول روايته وإن كان فاسد المذهب، للإجماع المذكور).

وقال السيد الخوئي (١/١٢٧ و١٤٣): (أبان الأحمر = أبان بن الأحمر = أبان الأحمري = أبان بن عثمان الأحمر. روى عن أبي بصير وأبي أيوب، وروى عنه محمد بن الوليد، التهذيب: الجزء ٩، باب وصية الصبي والمحجور عليه، الحديث ٧٢٧. وروى عن حمزة بن الطيار، وروى عنه علي بن الحكم، الكافي: الجزء ١، الكتاب ٣، باب حجج الله على خلقه ٣٤، الحديث ٤. وروى عن زياد بن أبي رجاء، وروى عنه الحسن بن علي الوشاء. الكافي: الجزء ١، الكتاب ٢، باب النهي عن القول بغير علم ١١، الحديث ٤. وروى عن عبد السلام بن نعيم، وروى عنه محسن بن أحمد. الكافي: الجزء ٢، الكتاب ٢، باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته عليهم السلام، الحديث ١٧... روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن عليه السلام له كتاب حسن كبير يجمع المبتدأ، والمغازي، والوفاء، والردة. أخبرنا بها أبو الحسن التميمي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن الحسن بن فضال، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن زرارة، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبان بها...

وذكره الشيخ في رجاله، والبرقي في أصحاب الصادق عليه السلام. وقال الكشي: كان أبان من الناووسية.. وهم الذين وقفوا على أبي عبد الله عليه السلام وقالوا: إنه حي لم يموت، وهو المهدي

الموعدود! وكيف كان فقد قال الكشي في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام: أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحح من هؤلاء وتصديقهم لما يقولون، وأقروا لهم بالفقه. من دون أولئك الستة الذين عددناهم وسميناهم ستة نفر: جميل بن دراج، وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكر، وحماد بن عثمان، وحماد بن عيسى، وأبان بن عثمان. وهو يكفي في توثيقه، على أنه وقع في طريق علي بن إبراهيم بن هاشم في التفسير، وقد شهد بأن ما وقع فيه من الثقات..

ثم ذكر السيد الخوئي رحمته الله تفاوت الكتب والنسخ في إسمه وأسانيده ومتون أحاديثه.. ثم قال: ثم إنك قد عرفت من النجاشي والشيخ رواية أبان بن عثمان عن أبي الحسن عليه السلام، ولكننا لم نقف عليها من الكتب الأربعة، وهما أعلم بما قالوا).



المفضل بن عمر الجعفي رئيس شيعة الكوفة

المفضل بن عمر الجعفي من قبيلة جعف وهي من مذحج اليمنية وكان ثقل مذحج في الكوفة، ومنهم جابر بن يزيد الجعفي تلميذ الإمام الباقر عليه السلام وكبير محدثي الكوفة. ومنهم أبو الطيب المتنبّي، ومنهم بالولاء البخاري لأنه مولى رجل من بني جعف. ويظهر من أخبار المفضل أنه كان نشيطاً وصاحب نفوذ في الكوفة، وكان يتميز بقدرته الإدارية، واختاره الإمام الصادق عليه السلام رئيساً لما طلب منه أهل الكوفة أن يرئس عليهم رجلاً، وأصروا على ذلك. (الكشي (٢/ ٦٢٠).

ولم يمض على نصبه مدة طويلة حتى اشتكوا عليه بأنه يجمع حوله مجموعة من الفتيان غير الملتزمين دينياً، وأن هذا لا يناسب شأن الشيعة وسمعتهم: كتبوا إلى الصادق عليه السلام فقالوا: إن المفضل يجالس الشطار وأصحاب الحمام، وقوماً يشربون الشراب، فينبغي أن تكتب إليه وتأمره ألا يجالسهم، فكتب إلى المفضل كتاباً وختمه ودفع إليهم، وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد المفضل. فجاءوا بالكتاب إلى المفضل، منهم زرارة وعبد الله بن بكر ومحمد

بن مسلم، وأبو بصير، وحجر بن زائدة، ودفعوا الكتاب إلى المفضل ففكه وقرأه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم إشتري كذا وكذا واشتر كذا، ولم يذكر قليلاً ولا كثيراً مما قالوا فيه! فلما قرأ الكتاب دفعه إلى زرارة، ودفع زرارة إلى محمد بن مسلم حتى أرى الكتاب إلى الكل، فقال المفضل: ما تقولون؟ قالوا: هذا مال عظيم حتى ننظر ونجمع ونحمل إليك لم تدرك الأنزال بعد، ننظر في ذلك. وأرادوا الإنصراف فقال المفضل: حتى تَعَدَّوا عندي، فحبسهم لغدائه ووجهه إلى أصحابه الذين سعوا بهم، فجاؤوا فقرأ عليهم كتاب أبي عبد الله عليه السلام فرجعوا من عنده وحبس المفضل هؤلاء ليتغدوا عنده، فرجع الفتيان وحمل كل واحد منهم على قدر قوته ألفاً وألفين وأقل وأكثر، فأحضروا ألفي دينار وعشرة آلاف درهم قبل أن يفرغ هؤلاء من الغداء. فقال لهم المفضل: تأمروني أن أطرد هؤلاء من عندي، تظنون أن الله تعالى يحتاج إلى صلواتكم وصومكم! وقد استوفيناها في: نصب الإمام عليه السلام الوكلاء في مناطق الشيعة. قال بشير الدهان: قال أبو عبد الله عليه السلام لمحمد بن كثير الثقفي: ما تقول في المفضل بن عمر؟ قال: ما عسيت أن أقول فيه! لو رأيت في عنقه صليباً وفي وسطه كستيجاً لعلمت أنه على الحق، بعد ما سمعتك تقول فيه ما تقول! أي لو رأيت به زي النصارى لا أظن فيه.

قال عليه السلام: رحمه الله لكن حجر بن زائدة، وعامر بن جذاعة أتياني فشتماه عندي فقلت لهما: لا تفعلوا فإني أهواه، فلم يقبلوا فسألتهما وأخبرتهما أن الكف عنه حاجتي فلم يفعلوا، فلا غفر الله لهما، أما إني لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم علي، ولقد كان كثير عزة في مودته لها أصدق منهما في مودتها لي، حيث يقول:

لقد علمت بالغيب أني أخونها إذا هو لم يكرم علي كريمها).

وروى الكشي (٦١٢/٢) دفاعاً أقوى للإمام الكاظم عليه السلام عن المفضل عليه السلام لما أتاه خبر موته فقال: (رحمه الله، كان الوالد بعد الوالد، أما إنه قد استراح).



أما السيد الخوئي عليه السلام فوثقه وردَّ روايات تضعيفه، قال ملخصاً (٣١٥/١٩): (المفضل بن عمر =

المفضل الجعفي. وقع بهذا العنوان في إسناد كثير من الروايات، تبلغ ستة ومائة مورد. فقد روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن عليهما السلام، وعن أبي أيوب العطار، وإسماعيل بن أبي فديك، وثابت الشامي، وجابر بن يزيد الجعفي، ويونس بن ظبيان، والخبيري. وروى عنه أبو سعيد الخبيري، وابن رباط، وابن سنان، وإبراهيم بن خلف بن عباد الأنماطي، وإسحاق بن عيسى، وبشر بن جعفر، وبكار بن كردم، وجعفر بن بشير، وخالد بن يزيد، وخلف بن حماد، وزرعة، وزرعة بن محمد، وسليمان بن رشيد عن أبيه عنه...

قال النجاشي: مفضل بن عمر أبو محمد الجعفي: كوفي، فاسد المذهب مضطرب الرواية لا يعأبه، وقيل إنه كان خطابياً، وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها، وإنما ذكرنا للشرط الذي قدمناه: كتاب ما افترض الله على الجوارح من الإيمان وهو كتاب الإيمان والاسلام، والرواة له مضطربو الرواية له.

وله كتاب يوم وليلة، وكتاب فكر. أقول: هو المعروف بتوحيد المفضل. كتاب في بدء الخلق والحث على الإعتبار، وصية المفضل، كتاب علل الشرائع.

وقال الشيخ ٧٥٧: (المفضل) بن عمر، له وصية يرويها أخبرنا بها ابن أبي جيد..

وذكره في رجاله تارة في أصحاب الصادق عليه السلام وأخرى في أصحاب الكاظم عليه السلام.. وقال ابن الغضائري: المفضل بن عمر الجعفي، أبو عبد الله، ضعيف متهافت، مرتفع القول، خطابي، وقد زيد عليه شئ كثير، وهمل الغلاة في حديثه حملاً عظيماً، ولا يجوز أن يكتب حديثه، وروى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام.

وقد عدّه الشيخ المفيد من خاصة أبي عبد الله عليه السلام وبطانته، وثقاته الفقهاء الصالحين، ممن روى النص بالإمامة من أبي عبد الله عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام.
وعده الشيخ من الممدوحين.

وروى الشيخ رواية بسنده، عن محمد بن سنان، عن مفضل بن عمر، وقال في ذيلها: فأول ما في هذا الخبر أنه لم يروه غير محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، ومحمد بن سنان

مطعون عليه، ضعيف جداً. أقول: كلام الشيخ هذا كالصريح في اعتياده على المفضل بن عمر، وأنه غير مطعون عليه.

هذا وقد روى الكشي في شأن المفضل عدة روايات، منها مادحة ومنها ذامة، أما المادحة فهي.. وأورد السيد الخوئي قدس سره ما قدمناه ثم روى عن هشام بن أحمد قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن المفضل بن عمر، وهو في ضيعة له في يوم شديد الحر، والعرق يسيل على صدره، فابتدأني فقال: نعم والله الذي لا إله إلا هو، المفضل بن عمر الجعفي، حتى أحصيت نيفاً وثلاثين مرة يقولها ويكررها، قال: إنما هو والد بعد الوالد. عن خالد بن نجیح الجوان قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما يقولون في المفضل بن عمر؟ فقلت: يقولون فيه: هبه يهودياً أو نصرانياً وهو يقوم بأمر صاحبكم! قال: ويلهم ما أخبث ما أنزلوه ما عندي كذلك، ومالي فيهم مثله!

عن يونس بن ظبيان قلت: ألا تنهى حجر بن زائدة، وعامر بن جذاعة، عن المفضل بن عمر؟ فقال: يا يونس قد سألتها أن يكفها عنه فلم يفعلوا، فدعوتها وسألتها وكتبت إليهما، وجعلته حاجتي إليهما فلم يكفها عنه، فلا غفر الله لهما! وأما الروايات الذامة فهي:

قال الكشي: عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي: يا كافر يا مشرك مالك ولا بني، يعني إسماعيل بن جعفر وكان منقطعاً إليه، يقول فيه مع الخطابية ثم رجع بعده.

عن إسماعيل بن جابر قال: قال أبو عبد الله: إئت المفضل وقل له: يا كافر يا مشرك ما تريد إلى ابني، تريد أن تقتله؟ (لأن المنصور إذا عرف أنه وصي أبيه قتله!)

ثم قال السيد الخوئي قدس سره: قد وردت عدة روايات آخر مادحة في المفضل بن عمر، غير ما تقدم. فروى محمد بن سنان قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام قبل أن يحمل إلى العراق بسنة، وعلي ابنه عليه السلام بين يديه، فقال لي: يا محمد، فقلت: لبيك، قال: إنه سيكون في هذه السنة، حركة

(إلى أن قال): يا محمد إن المفضل كان أنسي ومستراحي. وتقدمت الرواية عن الكليني، والكشي، والصدوق في ترجمة محمد بن سنان، وروى محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن سنان، عن مفضل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة، فافتدها من مالي. وبالاسناد عن ابن سنان، عن أبي حنيفة سائق الحاج، قال: مر بنا المفضل، وأنا وختني نشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم، فدفعها إلينا من عنده، حتى إذا استوثق كل واحد منا صاحبه، قال: أما إنها ليست من مالي، ولكن أبو عبد الله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديها من ماله، فهذا من مال أبي عبد الله عليه السلام. عن يونس بن يعقوب قال: أمرني أبو عبد الله عليه السلام أن آتي المفضل وأعزيه بإسماعيل، وقال: أقرئ المفضل السلام وقل له: إنا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا، فاصبر كما صبرنا، إنا أردنا أمراً، وأراد الله عز وجل أمراً، فسلمنا لأمر الله عز وجل. أقول: هذه الرواية تدل على شدة علاقة الصادق عليه السلام بالمفضل بن عمر، والرواية صحيحة.

وروى الشيخ المفيد بسنده الصحيح عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إذ دخل المفضل بن عمر فلما بصر به ضحك إليه، ثم قال: إني يا مفضل، فوري إني لأحبك وأحب من يحبك، يا مفضل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان.

ثم قال السيد الخوئي: والذي يتحصل مما ذكرنا أن نسبة التفويض والخطابية إلى المفضل بن عمر لم تثبت، وظاهر كلام الكشي وإن كان أن المفضل كان مستقيماً ثم صار خطابياً، إلا أن هذا لا شاهد عليه، ويؤكد ذلك كلام النجاشي حيث قال: وقيل إنه كان خطابياً فإنه يشعر بعدم ارتضائه وأنه قول قاله قائل.

وأما ما تقدم من الروايات الواردة في ذمه فلا يعتد بما هو ضعيف السند منها، نعم إن ثلاث روايات منها تامة السند، إلا أنه لا بد من رد علمها إلى أهلها، فلا بد من حملها على ما حملنا

عليه ما ورد من الروايات في ذم زرارة ومحمد بن مسلم... ويؤكد ذلك أن الاختلاف إنما هو في الروايات التي رويت عن الصادق عليه السلام، وأما روى عن الكاظم والرضا عليهما السلام فكلها مادحة على ما تقدم، وهذا يكشف عن أن القدح الصادر عن الصادق سلام الله عليه إنما كان لعله. ويكفي في جلاله المفضل تخصيص الإمام الصادق عليه السلام إياه بكتابه المعروف بتوحيد المفضل، وهو الذي سماه النجاشي بكتاب فكر، وفي ذلك دلالة واضحة على أن المفضل كان من خواص أصحابه ومورد عنايته.

أضف إلى ذلك ما تقدم من توثيق الشيخ المفيد إياه صريحاً، ومن عد الشيخ إياه من السفراء الممدوحين، وأما ما ذكره النجاشي من أنه كان فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يعاب به.. ولا يسعنا إلا ترجيح كلام الشيخ المفيد على كلام النجاشي من جهة معاضدته بما تقدم من الروايات التي لا يبعد دعوى التواتر الإجمالي فيها.

والنتيجة أن المفضل بن عمر جليل ثقة، والله العالم). انتهى.

أقول: أجاد قدس الله نفسه في دفاعه عن المفضل، ومن أقوى ما ذكره أن اختلاف الروايات فيه كان في عصر الإمام الصادق عليه السلام، أما الروايات عن الكاظم والرضا عليهما السلام فكلها مادحة ولا تجد فيها ذمماً. وهذا يدل على أن المفضل كان له خصوم سيئون وأنهم كانوا يتهمونه بأسوأ التهم وكان أشدهم عليه: حجر بن زائدة، وعامر بن جذاعة. وقد نهما الإمام الصادق عليه السلام مواجهة وأرسل لهما فلم ينتهيا، فدعا عليهما.

والخلاصة: أن نصب الإمام عليه السلام للمفضل رئيساً على شيعة الكوفة حرك حساده فقاموا بحملة ضده وأنه يجالس الفتيان الشطار أصحاب الحمام، وأنه من أتباع أبي الخطاب، يؤله الأئمة عليهم السلام، وأنه.. وأنه.. فلا يمكن أن نقبل روايات ذمه حتى لو تم سندها.

والرواية الوحيدة التي ظاهرها الذم (الكشي: ٢/٦١٢): (عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي: يا كافر يا مشرك مالك ولا بني، يعني إسماعيل بن جعفر، وكان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطابية، ثم رجع بعد).

فقد كان المفضل مقرباً من الإمام الصادق عليه السلام وكان محباً لابنه إسماعيل عليه السلام وقد يكون أرشد بعضهم الى أن إسماعيل هو وصي أبيه والإمام بعده، بدون أن يسأل الإمام الصادق عليه السلام، فعرف الإمام الصادق ذلك وارتعب منه لأنه يعلم أن المنصور الجبار أمر والي المدينة بقتل من يجعله جعفر بن محمد وصيه. فأرسل الى المفضل يذمه وينهاه ويقول له: هل تريد أن تقتل ابني فتراجع المفضل! وهذا الذم لا يؤثر في مقام المفضل رضي الله عنه لأنه بمجرد أن عرف تراجع.



هشام بن الحكم الكندي كبير متكلمي الشيعة

الهوية الشخصية والنشأة

قال العلامة الحلي في خلاصة الأقوال/ ٢٨٨: (هشام بن الحكم، أبو محمد، مولى كندة، وكان ينزل ببني شيبان بالكوفة وانتقل إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة، ويقال: إنه في هذه السنة مات، ومولده كان بالكوفة ومنشأه واسط وتجارته بغداد، ثم انتقل إليها في آخر عمره، ونزل قصر وضاح. روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام وكان ثقة في الروايات حسن التحقيق بهذا الأمر، ورويت مدائح له جلييلة عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب. وقال الكشي: إنه مولى كندة، مات سنة تسع وسبعين ومائة بالكوفة في أيام الرشيد، وترحم عليه الرضا عليه السلام. وروى الكشي.. عن داود أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في هشام بن الحكم؟ فقال: رحمه الله ما كان أذبه عن هذه الناحية.

ورويت روايات آخر في مدحه، وأورد في خلافه أحاديث ذكرناها في كتابنا الكبير وأجبتنا عنها، وهذا الرجل عندي عظيم الشأن رفيع المنزلة).

وقال ابن النديم في الفهرست (٢١٧/١): (أبو محمد هشام بن الحكم، مولى بني شيبان، كوفي

تحول إلى بغداد من الكوفة. من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، من متكلمي الشيعة، ممن فتح الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب. سئل هشام عن معاوية: أشهد بدرأ؟ فقال: نعم من ذلك الجانب! وكان منقطعاً إلى يحيى بن خالد البرمكي وكان القيم بمجالس كلامه ونظره.

وكان ينزل الكرخ من مدينة السلام، وتوفي بعد نكبة البرامكة بمدة مستتراً، وقيل في خلافة المأمون. وله من الكتب:

كتاب الإمامة. كتاب الدلالات على حدوث الأشياء. كتاب الرد على الزنادقة. كتاب الرد على أصحاب الإثنين. كتاب التوحيد. كتاب الرد على هشام الجواليقي. كتاب الرد على أصحاب الطبائع. كتاب الشيخ والگلام. كتاب التدبير. كتاب الميزان. كتاب الميدان. كتاب الرد على من قال بإمامة المفضول. كتاب اختلاف الناس في الإمامة. كتاب الوصية والرد على من أنكرها. كتاب في الجبر والقدر. كتاب الحكمين. كتاب الرد على المعتزلة في طلحة والزبير. كتاب القدر. كتاب الألفاظ. كتاب المعرفة. كتاب الاستطاعة. كتاب الثمانية الأبواب. كتاب الرد على شيطان الطاق. كتاب الأخبار كيف يفتح. كتاب الرد على أرسطاليس في التوحيد. كتاب المعتزلة، آخر.

وهو من متكلمي الشيعة الإمامية وبطائهم وممن دعا له الصادق عليه السلام فقال: أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك.

وهو الذي فتح الكلام في الإمامة، وهذب المذهب وسهل طريق الحجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب وكان أولاً من أصحاب الجهم بن صفوان، ثم انتقل إلى القول بالإمامة بالدلائل والنظر. ثم تبع الصادق عليه السلام فانقطع إليه، وتوفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة، وقيل بل في خلافة المأمون.

وكان هشام يقول: ما رأيت مثل مخالفينا عمدوا إلى من ولاه الله من سمائه فعزله وإلى من عزله من سمائه فولوه، ويذكر قصة تبليغ سورة براءة ورد أبي بكر، وإبراد علي عليه السلام بعد

نزول جبريل عليه السلام قائلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تعالى: إنه لا يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك، فرد أبا بكر وأنفذ علياً عليه السلام.

كيف تشيع هشام على يد الإمام الصادق عليه السلام؟

قال الكشي (٢/٥٢٦): (قال الفضل بن شاذان: هشام بن الحكم أصله كوفي، ومولده ومنشؤه بواسط، وقد رأيت داره بواسط، وتجارته ببغداد في الكرخ، وداره عند قصر وضاح في الطريق الذي يأخذ في بركة بني زرزر حيث تباع الطرائف والخلنج، وعلي بن منصور من أهل الكوفة، وهشام مولى كندة، مات سنة تسع وسبعين ومائة بالكوفة في أيام الرشيد. وقال أبو عمرو الكشي: روي عن عمر بن يزيد: كان ابن أخي هشام يذهب في الدين مذهب الجهمية خبيثاً فيهم، فسألني أن أدخله على أبي عبد الله عليه السلام لينظره، فأعلمته أني لا أفعل ما لم أستاذنه فيه، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فاستأذنته في إدخال هشام عليه فأذن لي فيه. فقممت من عنده وخطوت خطوات فذكرت ردايته وخبثه، فانصرفت إلى أبي عبد الله عليه السلام فحدثته ردايته وخبثه، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عمر تتخوف علي؟ فخرجت من قولي وعلمت أني قد عثرت، فخرجت مستحياً إلى هشام، فسألته تأخير دخوله، وأعلمته أنه قد أذن له بالدخول عليه. فبادر هشام فاستأذن ودخل فدخلت معه، فلما تمكن في مجلسه سأله أبو عبد الله عن مسألة فحار فيها هشام وبقي! فسأله هشام أن يؤجله فيها فأجله أبو عبد الله عليه السلام فذهب هشام فاضطرب في طلب الجواب أياماً فلم يقف عليه، فرجع إلى أبي عبد الله عليه السلام فأخبره أبو عبد الله عليه السلام بها، وسأله عن مسألة أخرى فيها فساد أصله وعقر مذهبه فخرج هشام من عنده مغتماً متحيراً، قال: فبقيت أياماً لا أفيق من حيرتي!

قال عمر بن يزيد: فسألني هشام أن أستاذن له على أبي عبد الله عليه السلام ثالثاً فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فاستأذنت له، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليتنظرن في موضع سماه بالحيرة لألتقي معه فيه غداً إن شاء الله إذا رح النهار، قال عمر: فخرجت إلى هشام فأخبرته بمقالته وأمره، فسر بذلك هشام واستبشر وسبقه إلى الموضع الذي سماه.

ثم رأيت هشاماً بعد ذلك فسألته عما كان بينهما؟ فأخبرني أنه سبق أبا عبد الله عليه السلام إلى الموضع الذي كان سباه له فيينا هو إذا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل على بغلة له، فلما بصرت به وقرب مني، هالني منظره وأرعيني حتى بقيت لا أجد شيئاً أتفوه به، ولا انطلق لساني لما أردت من مناطقه. ووقف علي أبو عبد الله عليه السلام ملياً ينتظر ما أكلمه، وكان وقوفه علي لا يزيدني إلا تهيباً وتحيراً، فلما رأى ذلك مني ضرب بغلته وسار حتى دخل بعض السكك في الحيرة. وتيقنت أن ما أصابني من هيبتته لم يكن إلا من قبل الله عز وجل من عظم موقعه ومكانه من الرب الجليل.

قال عمر: فانصرف هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام وترك مذهبه ودان بدين الحق، وفاق أصحاب أبي عبد الله عليه السلام كلهم، والحمد لله).

أقول: هذا مثال واضح لتأثير الإشعاع الروحي للإمام الصادق عليه السلام فقد أخذ هشام معه موعداً لينظره، لكن لما رآه انبهر بجلالته وروحانيته، وعرف أن ذلك من الله تعالى.

سبب علاقة هشام بيحيى بن خالد البرمكي!

كان يحيى بن خالد وزين هارون من دهاة البرامكة فأراد أن يدفع هارون لقتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان يحيى يتجسس على وزراء هارون المنافسين له خاصة جعفر بن محمد بن الأشعث وعلي بن يقطين ليثبت عليهما أنها من شيعة الكاظم عليه السلام.

كما تمكن من تشغيل محمد بن إسماعيل ابن أخ الإمام الكاظم عليه السلام جاسوساً عليه!

ولما سطع نجم هشام متكلم الشيعة، وكان يتردد الى بغداد وثق يحيى معه علاقته!

وقد يكون الأمر بالعكس، فقد كان البرامكة شراً خطيراً على الإسلام، فقد يكون الكاظم عليه السلام أراد أن يأخذ عليهم ممسكاً ويقدمه هارون ليطش بهم! فلعله كلف هشاماً بأن

يوثق علاقته بخالد بن يحيى ويفهم منه عقيدته وخطط أسرته ضد الإسلام!

وأياً يكن، فقد وقع هشام عليه السلام في فخ يحيى مع الأسف لما عقد يحيى مناظرة وهارون يسمع من وراء الستار، وجر هشاماً اليها رغم مرضه، وأخرجوه بالسؤال عن الإمام المفترض

الطاعة من الله تعالى بعد علي عليه السلام، وسألوه إن أمرك إمامك المفترض الطاعة بالخروج على الخليفة هارون فهل تخرج؟ وأراد أن يتخلص فلم يمكنه، فتغير وجه هارون! وأحس هشام بأنه وقع في مأزق فانسحب من المجلس كأنه يريد الوضوء وذهب الى المدائن ثم الى الكوفة، وبقي مختفياً حتى مات رحمته الله.

خطر البرامكة على الإسلام!

كتبنا في سيرة الإمام الرضا عليه السلام عن البرامكة وخطتهم لإعادة الكسروية، وقلنا: قرّب العباسيون البرامكة وجعلوهم وزراءهم من أول دولتهم، وخلطوهم بأنفسهم، فربوا لهم أولادهم، وغرسوا فيهم من أفكارهم! واتخذوهم وزراء، وأطلقوا أيديهم في حكم المسلمين. واستمر حكمهم حتى تنبه هارون الى خطرهم بتنبيه الإمام الكاظم عليه السلام بواسطة وزيره الشيعيين علي بن يقطين وجعفر بن محمد بن الأشعث، فانقلب هارون عليهم وعزلهم وقتلهم!

لكن كان لهم تلاميذ يشبهونهم ويعملون بأسلوبهم الخبيث، ومنهم الفضل بن سهل وأخوه الحسن. وقد خلص الإمام الرضا عليه السلام المأمون من قبضتها.

البرمك: سادن بيت النار عند المجوس!

ذكر المسعودي (مروج الذهب: ٢/٢٢٨) أن بيوت النار المعبودة عند المجوس سبعة، وذكر أولها البيت الحرام بصيغة: يقال! ولا يمكن قبوله فلم يعهد عن ملك فارسي أو أحد من الفرس أنهم زاروه!

ثم قال: (والبيت الرابع: هو النوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر، وكان من يلي سدائنه تعظمه الملوك في ذلك الصقع، وتنقاد الى أمره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الأموال، وكانت عليه وقوف، وكان الموكل بسدائنه يدعى البرمك، وهو سمة عامة لكل من يلي سدائنه، ومن أجل ذلك سميت البرامكة، لأن خالد بن برمك كان من

ولد من كان على هذا البيت... الخ).

أراد البرامكة بكيدهم تمجيس الأمة الإسلامية!

وطمعوا في زمن هارون بأن يدفعوا بالأمة الإسلامية خطوة خطيرة نحو المجوسية، فاقترحوا على هارون أن تبخر الكعبة والمساجد وأن يكون فيها مجمر فيه نار وعود طول السنة، أرادوها خطوة نحو عبادة النار!

قال البغدادي في الفرق بين الفرق (١/ ٢٧٠): (ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين: ينبغي أن تجمر المساجد كلها، وأن يكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود في كل حال! وكانت البرامكة قد زينوا للرشيدي أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبداً، فعلم الرشيدي أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة، وأن تصير الكعبة بيت نار!)

والذي حذر هارون فأفاق هو الإمام الكاظم عليه السلام بواسطة وزيره علي بن يقطين ووزيره جعفر بن محمد بن الأشعث، ولذا كان البرامكة يكيدون لها ويحركون عليها هارون! ويحقدون على الإمام الكاظم عليه السلام حتى قتلوه!

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين/ ٣٣٣: (قالوا: كان السبب في أخذ موسى بن جعفر عليه السلام أن الرشيدي جعل ابنه محمداً في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث، فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك وقال: إن أفضت الخلافة إليه زالت دولتي ودولة ولدي. فاحتال على جعفر بن محمد وكان يقول بالإمامة حتى داخله وأنس به وأسر إليه، وكان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره ويرفعه إلى الرشيدي ويزيد عليه في ذلك بما يقدر في قلبه)!

وكان يحيى بن خالد حاقداً على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وهو الذي دفع هارون إلى قتل الإمام الكاظم عليه السلام (الإرشاد: ٢ / ٢٣٧).

وقد حملهم الإمام الرضا عليه السلام مسؤولية قتل أبيه الكاظم عليه السلام وكان يدعو عليهم (كان أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثم طأ رأسه، فسئل عن ذلك؟ فقال: إني كنت أدعو الله

تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي، فاستجاب الله لي اليوم فيهم! فلما انصرف لم يلبث إلا يسيراً حتى بَطَش بجعفر ويحيى وتغيرت أحوالهم). (عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٤٥).

وقد أفاق هارون ولمس كيدهم فبطش بهم ونكل بهم أفضح تنكيل، فقتل جعفر وقسمه نصفين وصلب كل نصف في مكان بارز في بغداد ثم أحرقه! وألقى يحيى مع بقية أبنائه في سجونهم، وصادر أموالهم المنقولة وغير المنقولة.

مكيدة يحيى البرمكي ضد هشام والإمام الكاظم عليه السلام!

كان هشام أقوى المتكلمين وأشهرهم، فأخذ يحيى بن خالد البرمكي يعقد مجالس المناظرة ويدعو المناظرين من الأديان والمذاهب، ويدعو هشام بن الحكم.

وغرضه أن يزيد الاختلاف والعداء بين فرق المسلمين، ويأخذ من هشام ممسكاً يدفع به هارون لقتله وقتل إمامه موسى الكاظم عليه السلام.

(كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلمون من كل فرقة وملة يوم الأحد، فيتناظرون في أديانهم ويحتج بعضهم على بعض، فبلغ ذلك الرشيد، فقال ليحيى: يا عباسي ما هذا المجلس الذي بلغني في منزلك يحضره المتكلمون؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما شئ مما رفعتني به أمير المؤمنين وبلغ من الكرامة والرفعة أحسن موقفاً عندي من هذا المجلس، فإنه يحضره كل قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتج بعضهم على بعض ويعرف المحق منهم، ويتبين لنا فساد كل مذهب من مذاهبهم. قال له الرشيد: فأنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم من غير أن يعلموا بحضوري فيحتشمون ولا يظهرون مذاهبهم.

قال: ذلك إلى أمير المؤمنين متى شاء. قال: فضع يدك على رأسي (أخفني) ولا تعلمهم بحضوري ففعل..).

واكتشف هشام خطة يحيى بن خالد. وكان هشام مريضاً فقال: إنه نوى إن شفي أن يترك بغداد ويرجع إلى الكوفة ليبعد عن شره، لكنه وقع مع الأسف في فخ خالد!

روى الكشي (٢/ ٥٣٠): (عن يونس بن عبد الرحمن قال: كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد

على هشام بن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة، وأحب أن يغري به هارون. قال: وكان هارون لما بلغه عن هشام مال إليه، وذلك أن هشاماً تكلم يوماً بكلام عند يحيى بن خالد في إرث النبي صلى الله عليه وآله فنقل إلى هارون فأعجبه، وقد كان قبل ذلك يحيى يسترق أمره عند هارون، ويرده عن أشياء كان يعزم عليها من إيدائه، فكان ميل هارون إلى هشام أحد ما غير قلب يحيى على هشام فشنعته عنده وقال له: يا أمير المؤمنين إني قد استبطنت أمر هشام فإذا هو يزعم أن الله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة قال: سبحان الله! قال: نعم، ويزعم أنه لو أمره بالخروج لخرج، وإنما كنا نرى أنه ممن يرى الإلباد بالأرض، فقال هارون ليحيى: فاجمع عندك المتكلمين وأكون أنا من وراء الستر بيني وبينهم لئلا يفطنوا بي ولا يمتنع كل واحد منهم أن يأتي بأصله لهييتي.

قال: فوجه يحيى فأشحن المجلس من المتكلمين، وكان منهم ضرار بن عمرو، وسليمان بن جرير، وعبد الله بن يزيد الأباضي، ومؤبذ بن مؤبذ، ورأس الجالوت، قال: فسألوا فتكافوا وتناظروا وتقاطعوا، وتناهوا إلى شاذ من مشاذ الكلام، كل يقول لصاحبه: لم تجب، ويقول: قد أجت، وكان ذلك من يحيى حيلة على هشام إذ لم يعلم بذلك المجلس، واغتتم ذلك لعله كان أصابها هشام بن الحكم.

فلما تناهوا إلى هذا الموضع قال لهم يحيى بن خالد: أترضون فيما بينكم هشاماً حكماً؟ قالوا: قد رضينا أيها الوزير وأنى لنا به وهو عليل؟ فقال يحيى: فأنا أوجه إليه فأرسله أن يتجشم المشي، فوجه إليه فأخبره بحضورهم وأنه إنما منعه أن يحضره أول المجلس اتقاء عليه من العلة، فإن القوم قد اختلفوا في المسائل والأجوبة وتراضوا بك حكماً بينهم، فإن رأيت أن تتفضل وتحمل على نفسك فافعل! فلما صار الرسول إلى هشام قال لي: يا يونس قلبي ينكر هذا القول، ولست آمن أن يكون هاهنا أمر لا أقف عليه لأن هذا الملعون يحيى بن خالد قد تغير عليّ لأمر شتى، وقد كنت عزمت إن من الله علي بالخروج من هذه العلة أن أشخص إلى الكوفة، وأحرم الكلام بتهه وألزم المسجد ليقطع عني مشاهدة هذا الملعون يعني يحيى بن خالد!

قال: فقلت: جعلت فداك لا يكون إلا خيراً فتحرز ما أمكنك، فقال لي: يا يونس أتري التحرز عن أمر يريد الله إظهاره على لساني أنى يكون ذلك، ولكن قم بنا على حول الله وقوته. فركب هشام بغلاً كان مع رسوله، وركبت أنا حمراً كان لهشام، قال: فدخلنا المجلس فإذا هو مشحون بالمتكلمين. قال: فمضى هشام نحو يحيى فسلم عليه وسلم على القوم وجلس قريباً منه وجلست أنا حيث انتهى بي المجلس.

قال: فأقبل يحيى على هشام بعد ساعة فقال: إن القوم حضروا وكنا مع حضورهم نحب أن نحضر لا لأن تناظر بل لأن نأنس بحضورك إن كانت العلة تقطعك عن المناظرة، وأنت بحمد الله صالح وليست علتك بقاطعة عن المناظرة، وهؤلاء القوم قد تراضوا بك حكماً بينهم. قال: فقال هشام: ما الموضوع الذي تناهت به المناظرة؟ فأخبره كل فريق منهم بموضع مقطعه، فكان من ذلك أن حكم لبعض على بعض، فكان من المحكومين عليه سليمان بن جرير، فحقدها على هشام.

قال: ثم إن يحيى بن خالد قال لهشام: إنا قد أعرضنا من المناظرة والمجادلة منذ اليوم، ولكن إن رأيت أن تبين عن فساد اختيار الناس الإمام وأن الإمامة في آل بيت الرسول دون غيرهم. قال هشام: أيها الوزير العلة تقطعني عن ذلك، ولعل معترضاً يعترض فيسقط المناظرة والخصومة. فقال: إن اعترض معترض قبل أن تبلغ مرادك وغرضك فليس ذلك له، بل عليه أن يحفظ المواضيع التي له فيها مطعن فيقفها إلى فراغك، ولا يقطع عليك كلامك. فبدأ هشام وساق الذكر لذلك، وأطال واختصرنا منه موضع الحاجة. فلما فرغ مما قد ابتدأ فيه من الكلام في فساد اختيار الناس الامام، قال يحيى لسليمان بن جرير: سل أبا محمد عن شيء من هذا الباب، قال سليمان لهشام: أخبرني عن علي بن أبي طالب مفروض الطاعة؟ فقال هشام: نعم قال: فإن أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه؟ فقال هشام: لا يأمرني، قال: ولم إذا كانت طاعته مفروضة عليك وعليك أن تطيعه؟ فقال هشام: عد عن هذا فقد تبين منه الجواب.

قال سليمان: فلم يأمرك في حال تطيعه وفي حال لا تطيعه؟ فقال هشام: ويحك لم أقل لك أني لا أطيعه فتقول إن طاعته مفروضة، إنما قلت لك لا يأمرني.

قال سليمان: ليس أسألك إلا على سبيل سلطان الجدل، ليس على الواجب أنه لا يأمرك، فقال هشام: كم تحول حول الحمى؟ هل هو إلا أن أقول لك إن أمرني فعلت، فتنقطع أقبح الإنقطاع ولا يكون عندك زيادة، وأنا أعلم بما تحت قولي وما إليه يؤول جوابي. قال: فتغير وجه هارون وقال: قد أفصح! وقام الناس واغتنمها هشام، فخرج على وجهه إلى المدائن، قال: فبلغنا أن هارون قال ليحيى: شدَّ يدك بهذا وأصحابه، وبعث إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فحبسه فكان هذا سبب حبسه مع غيره من الأسباب، وإنما أراد يحيى أن يهرب هشام فيموت مخفياً ما دام لهارون سلطان.

قال: ثم صار هشام إلى الكوفة وهو بعقب علته، ومات في دار ابن شرف بالكوفة عليه السلام. قال: فبلغ هذا المجلس محمد بن سليمان النوفلي وابن ميثم وهما في حبس هارون فقال النوفلي: ترى هشاماً ما استطاع أن يعتل، فقال ابن ميثم: بأي شئ يستطيع أن يعتل وقد أوجب بأن طاعته مفروضة من الله؟ قال: يعتل بأن يقول: الشرط علي في إمامته أن لا يدعو أحداً إلى الخروج حتى ينادي مناد من السماء، فمن دعاني ممن يدعي الإمامة قبل ذلك الوقت، علمت أنه ليس بإمام، وطلبت من أهل هذا البيت ممن لا يقول إنه يخرج ولا يأمر بذلك، حتى ينادي مناد من السماء فأعلم أنه صادق.

فقال ابن ميثم: هذا من حديث الخرافة، ومتى كان هذا في عقد الإمامة؟ إنما يروى هذا في صفة القائم عليه السلام وهشام أجدل من أن يحتج بهذا، على أنه لم يفصح بهذا الإفصاح الذي قد شرطته أنت، إنما قال: إن أمرني المفروض الطاعة بعد علي عليه السلام فعلت، ولم يسم فلاناً دون فلان كما تقول: إن قال لي طلبت غيره، فلو قال هارون له وكان المناظر له: من المفروض الطاعة؟ فقال له: أنت، لم يمكن أن يقول له فإن أمرتك بالخروج بالسيف تقاتل أعدائي تطلب غيري وتنتظر المنادي من السماء، هذا لا يتكلم به مثل هذا، لعلك لو كنت أنت

تكلمت به. قال: ثم قال علي بن إسماعيل الميثمي: إنا لله وإنا إليه راجعون على مايمضي من العلم إن قتل ولقد كان عضدنا وشيخنا المنذور إليه فينا).

في رجال الكشي (٢/٥٤٨): (عن أسد بن أبي العلاء قال: كتب أبو الحسن الأول عليه السلام إلى من وافى الموسم من شيعته في بعض السنين في حاجة له، فما قام بها غير هشام ابن الحكم، قال: فإذا هو قد كتب صلى الله عليه: جعل الله ثوابك الجنة، يعني هشام بن الحكم.

عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سمعته يؤدي إلى هشام رسالة أبي الحسن عليه السلام قال: لا تتكلم فإنه قد أمرني أن أمرك أن لا تتكلم، قال: فما بال هشام يتكلم وأنا لا أتكلم؟ قال: أمرني أن أمرك أن لا تتكلم وأنا رسوله إليك. قال أبو يحيى: أمسك هشام بن الحكم عن الكلام شهراً لم يتكلم، ثم تكلم فأتاه عبد الرحمن بن الحجاج، فقال له: سبحان الله يا أبا محمد تكلمتَ وقد نهيت عن الكلام؟! قال: مثلي لا ينهى عن الكلام.

قال أبو يحيى: فلما كان من قابل، أتاه عبد الرحمن بن الحجاج فقال له: يا هشام قال لك: أيسرك أن تشرك في دم امرئ مسلم؟ قال: لا، قال: وكيف تشرك في دمي، فإن سكتَ وإلا فهو الذبح! فما سكت حتى كان من أمره ما كان).

لاحظ قول عبد الرحمن بن الحجاج: سبحان الله يا أبا محمد تكلمتَ وقد نهيت عن الكلام!
قال: مثلي لا ينهى عن الكلام!

وصدق هشام فالإمام عليه السلام أرسل له: كف عن الكلام هذه الأيام! فكف تلك الأيام! وقد جعلها ابن الحجاج وأبو يحيى نبياً عن الكلام! لأن عندهما حساسية منه كما سيأتي.

وفي رجال الكشي (٢/٥٤٢): (بعث إليه الكاظم عليه السلام: كف هذه الأيام عن الكلام فإن الأمر شديد. قال هشام: فكففت عن الكلام حتى مات المهدي وسكن الأمر فهذا الذي كان من أمره وانتهائي إلى قوله عليه السلام).

ففي كمال الدين/ ٣٦١: (أن هشام بن الحكم لما سئل في مجلس يحيى بن خالد عن الدلالة على الإمام أخبر بها، فلما قيل له: من هذا الموصوف؟ قال: صاحب القصر أمير المؤمنين

هارون الرشيد، وكان هو خلف الستر قد سمع كلامه، فقال: أعطانا والله من جراب النورة! فلما علم هشام أنه قد أتى هرب وطلب فلم يقدر عليه، وخرج إلى الكوفة ومات بها عند بعض الشيعة، فلم يكف الطلب عنه حتى وضع ميتاً بالكناسة وكتبت رقعة ووضعت معه: هشام بن الحكم الذي يطلبه أمير المؤمنين. حتى نظر إليه القاضي والعدول وصاحب المعونة والعامل، فحينئذ كف الطاغية عن الطلب عنه.

وفي رواية/ ٣٦٨: (فلما حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف الليل وضعني بالكناسة واكتب رقعة وقل: هذا هشام بن الحكم الذي يطلبه أمير المؤمنين، مات حتف أنفه).

رأي السيد الخوئي عليه السلام في هشام

أورد السيد الخوئي عليه السلام ثمانية عشرة رواية في مدح هشام ثم قال: (هذه الروايات وإن كانت أكثرها ضعيفة السند، إلا أن استفاضتها واشتهار هشام بن الحكم وعظمة القدر، تغني عن النظر في إسنادها، على أن بعضها صحيح السند).

ثم أورد السيد الخوئي خمس روايات دامة وضعفها وقال (٣١٦/٢٠): (نعم إن هناك رواية واحدة صحيحة السند دلت على ذم هشام بن الحكم غايته. وهي ما رواه محمد بن نصير قال: حدثني أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أما كان لكم في أبي الحسن عليه السلام عظة؟ ما ترى حال هشام بن الحكم؟ فهو الذي صنع بأبي الحسن عليه السلام ما صنع وقال لهم وأخبرهم، أتري الله أن يغفر له ما ركب منا؟ ولكن هذه الرواية لا بد من رد علمها إلى أهلها، فإنها لا تقاوم الروايات الكثيرة التي تقدمت بعضها، ويأتي بعضها الآخر وفيها الصحاح، وقد دلت على جلاله هشام بن الحكم وعظمته، على أن مضمون الرواية باطل في نفسه فإننا علمنا من الخارج أن سبب قتل موسى بن جعفر عليه السلام لم يكن مناظرات هشام، بل مناظراته إنما سببت الإضرار بنفسه، بل إن هشاماً قد امتنع عن الكلام حين نهاه الإمام عليه السلام عن ذلك، ولا شك في أن سبب قتله عليه السلام هو ما

اشتهر من أمره من أنه إمام الشيعة وتجيى إليه الأموال من البلاد وقد تقدم في ترجمة علي بن إسماعيل أنه سعى في قتله عليه السلام!
وكيف كان، فهذه الرواية غير قابلة للتصديق، فلا بد من رد علمها إلى أهلها. ثم إن هناك روايات آخر تدل على جلالة هشام وعظمته).

الحسد وما أدراك ما الحسد!

نلاحظ أن الروايات الذامة لهشام عن أبي يحيى وهو إسماعيل بن زياد الواسطي وعبد الرحمن بن الحجاج، وهما عندي متهمان بأنهما يحسدان هشاماً، وأنهما المقصودان بقول الإمام الرضا عليه السلام كما في رواية الكشي (٥٤٧/٢): (عن سليمان بن جعفر الجعفري قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن هشام بن الحكم؟ فقال لي: رحمه الله كان عبداً ناصحاً، أودي من قبل أصحابه، حسداً منهم له).

وصية الإمام الكاظم عليه السلام إلى هشام في أهمية العقل والعقلاء

في الكافي (١٣/١): (عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام:
يا هشام: إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ. يا هشام: إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيحِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

يا هشام: قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً فقال: وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

وقال: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا

شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَقَّى مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وقال: إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وقال: يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

وقال: وَحَنَاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَبْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

وقال: وَمِنْ آيَاتِهِ يَرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

وقال: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

وقال: هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

يا هشام: ثم وعظ أهل العقل ورجبهم في الآخرة فقال: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

يا هشام: ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخِرِينَ. وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

وقال: إِنَّمَا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. يا هشام: إن العقل مع العلم فقال: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ. يا هشام: ثم دم الذين لا يعقلون فقال: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ.

وقال: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

وقال: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ.. أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ.

وقال: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا.

وقال: لا يفتاتلونكم جميعاً إلا في فرى محصنة أو من وراء جذر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون.

وقال: وَتَسْؤُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

يا هشام ثم ذم الله الكثرة فقال: وَإِنْ تُطْعَ أَكْثَرَمَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وقال: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَقَالَ: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

يا هشام ثم مدح القلة فقال: وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ. وقال: وَقَلِيلٌ مَا هُمْ. وقال: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ.

وقال: وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ. وقال: وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وقال: وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وقال: وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَسْعُرُونَ.

يا هشام: ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحلاهم بأحسن الحلية فقال: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ.

وقال: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. وقال: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

وقال: أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ.

وقال: أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ ساجداً قائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب.

وقال: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ.

وقال: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ. وَقَالَ: وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.

يا هشام: إن الله تعالى يقول في كتابه: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، يعني عقل.

وقال: وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ، الفهم والعقل.

يا هشام: إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير. يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان، وشرعها التوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر. يا هشام: إن لكل شيء دليلاً ودليل العقل التفكير، ودليل التفكير الصمت.

ولكل شيء مطية، ومطية العقل التواضع. وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه.

يا هشام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام: إن الله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام: إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام: من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنها أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، ومحاطائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنها أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودينه.

يا هشام: كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك؟

يا هشام: الصبر على الوحدة علامة قوة العقل فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورجب فيما عند الله، وكان الله أنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة، ومعزه من غير عشيرة.

يا هشام: نصب الحق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل.

يا هشام: قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود.

يا هشام: إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام: إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟ وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام: إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة فطلب بالمشقة أبواقها.

يا هشام: إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام: من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرع إلى الله عز وجل في مسأله بأن يكمل عقله فممن عقل قنع بما يكفيه ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبدا.

يا هشام: إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها، إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقا وسره لعلانيته موافقا لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

يا هشام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى الكفر والشرك منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيرا منه

وأنه شرهم في نفسه وهو تمام الأمر.

يا هشام: إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه. يا هشام: لا دين لمن لا مروءة له ولا مروءة لمن لا عقل له وإن أعظم الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً. أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تتبعوها بغيرها.

يا هشام: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق. إن أمير المؤمنين عليه السلام قال لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق. وقال الحسن بن علي عليه السلام إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها قيل يا ابن رسول الله ومن أهلها؟ قال: الذين قص الله في كتابه وذكرهم فقال: **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ**. قال: هم أولوا العقول. وقال علي بن الحسين عليه السلام: مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروءة، وإرشاد المستشار قضاء لحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلا وآجلا.

يا هشام: إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه).

هشام بن الحكم من فقهاء الدرجة الأولى

سطع نجم هشام في الكلام والجدل والمناظرة وغلب على فقاوته، وإلا فمن ينظر في مصادر فقهننا يجد أنه فقيه من الدرجة الأولى، دقيق في أسئلته الفقهية، كثير الرواية في المسائل الفقهية. وقال السيد الخوئي في ترجمته له: إنه وقع بعنوان هشام بن الحكم في إسناد كثير من الروايات، تبلغ مئة وسبعة وستين مورداً. فقد روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن عليه السلام، وعن أبي عبيدة الحذاء.. إلى آخره.

وكان حاد الذهن سريع التلقي من الإمام الصادق عليه السلام قال (الكافي/١/٢٦٢): (سألت أبا عبد الله عليه السلام

بمنى عن خمس مائة حرف من الكلام، فأقبلت أقول: يقولون كذا وكذا، فيقول: قل كذا وكذا. قلت: جعلت فداك هذا الحلال وهذا الحرام، أعلم أنك صاحبه وأنك أعلم الناس به، وهذا هو الكلام! فقال لي: ويك يا هشام لا يحتج الله تبارك وتعالى على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه). من الفقه والكلام وغيرهما.

من مرويات هشام الفقيهية

مما رواه من الفقه أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن الفقاع هل يجوز شربه؟ فقال: لا تشربه فإنه خمر مجهول، فإذا أصاب ثوبك فاغسله. (الكافي: ٧/ ٣٤٠).

وروى عنه عليه السلام قال: إذا قال لك الرجل: إشتري، فلا تعطه من عندك، وإن كان الذي عندك خيراً منه. (الكافي: ٥/ ١٥٢).

وقال هشام: كنت أبيع السابري (القماش الرقيق) في الظلال فمر بي أبو الحسن موسى عليه السلام فقال لي: يا هشام إن البيع في الظل غش وإن الغش لا يحل. (الكافي: ٥/ ١٦١).

وقال: رأيت موسى عليه السلام يعزي قبل الدفن وبعده. (الكافي: ٣/ ٢٠٥).

وروى عنه عليه السلام: ليتزين أحدكم يوم الجمعة، يغتسل ويتطيب، ويسرح لحيته، ويلبس أنظف ثيابه. وليتهيأ للجمعة، وليكن عليه في ذلك اليوم السكينة والوقار، وليحسن عبادة ربه، وليفعل الخير ما استطاع، فإن الله يطلع على أهل الأرض ليضاعف الحسنات. (الكافي: ٣/ ٤١٧).

وروى قوله عليه السلام: من منع حقاً لله عز وجل أنفق في باطل مثليه. (الكافي: ٣/ ٥٠٦).

وروى: في الرجل يعطى الزكاة يقسمها أله أن يخرج الشيء منها من البلدة التي هو فيها إلى غيرها؟ قال: لا بأس. (الكافي: ٣/ ٥٥٤).

وروى: لا بأس (للمحرم) بالريح الطيبة فيما بين الصفا والمروة، من ريح العطارين، ولا يمسك على أنفه). (الكافي: ٤/ ٣٥٤).

وروى: من أقام بمكة سنة فالطواف أفضل له من الصلاة، ومن أقام سنتين خلط من ذا ومن ذا، ومن أقام ثلاث سنين كانت الصلاة أفضل له من الطواف). (الكافي: ٤/ ٤١٢).

وروى في حصي الجمار قال: كره الصم منها وقال: خذ البرش. (الكافي: ٤/٤٧٧).

وقال هشام: اشترت للإمام الصادق عليه السلام جارية من الكوفة قال: فذهبت لتقوم في بعض الحاجة، فقالت: يا أمه، فقال لها عليه السلام: ألك أم؟ قالت: نعم، فأمر بها فردت، فقال: ما آمنت لو حبستها أن أرى في ولدي ما أكره. (الكافي: ٥/٢١٩). أي لو فصلتها عن أمها لم آمن أن يحدث شيء لأولادي!

وروى في الحمال والأجير، قال عليه السلام: لا يجف عرقه حتى تعطيه أجره. (الكافي: ٥/٢٨٩).

وروى عنه عليه السلام: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبات على سطح غير محجر. (الكافي: ٦/٥٣٠).

وروى في الرجل يصلي على الثلج قال عليه السلام: لا، فإن لم يقدر على الأرض بسط ثوبه، وصلى عليه. (وسائل الشيعة: ٥/١٤٢).

وروى: السجود على الأرض أفضل، لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل. (من لا يحضره الفقيه: ١/٢٧٢).

وسأل هشام أبا الحسن عليه السلام: لأي علة يقال في الركوع: سبحان ربي العظيم وبحمده، ويقال في السجود: سبحان ربي الأعلى وبحمده؟ فقال: يا هشام، إن الله تبارك وتعالى خلق السماوات سبعا والأرضين سبعا والحجب سبعا، فلما أسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى رفع له حجاب من حجبه، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله... فلما ذكر ما رأى من عظمة الله ارتعدت فرائصه فابتدأ على ركبتيه وأخذ يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده، فلما اعتدل من ركوعه قائما نظر إليه في موضع أعلى من ذلك الموضع خر على وجهه وجعل يقول: سبحان ربي الأعلى وبحمده، فلما قال سبع مرات سكن ذلك الرعب فلذلك جرت به السنة. (علل الشرائع: ٢/٣٣٢).

وسأله عليه السلام: يجزئني في الركوع والسجود أن أقول مكان التسييح: لا إله إلا الله والحمد لله والله أكبر؟ قال: نعم، كل ذا ذكر الله. (الكافي: ٣/٣٢٩).

وقال: (سألته عن صلاة الاستسقاء فقال: مثل صلاة العيدين يقرأ فيها ويكبر فيها كما

يقرأ ويكبر فيها، يخرج الإمام ويبرز إلى مكان نظيف في سكينه ووقار وخشوع ومسكنة، ويبرز معه الناس فيحمد الله ويمجده ويشني عليه ويجتهد في الدعاء ويكثر من التسييح والتهليل والتكبير، ويصلي مثل صلاة العيدين ركعتين في دعاء ومسألة واجتهاد، فإذا سلم الإمام قلب ثوبه وجعل الجانب الذي على المنكب الأيمن على الأيسر، والذي على الأيسر على الأيمن، فإن النبي صلى الله عليه وآله كذلك صنع). (الكافي: ٤٦٣/٣).

وروى في تفسير قوله تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**. عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من كان صحيحاً في بدنه، مخلى سربه، له زاد وراحلة. (التوحيد: ٣٥٠).

وروى عنه عليه السلام قال: ما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله الكعبة إلا مرة وبسط فيها ثوبه تحت قدميه، وخلع نعليه. (تهذيب الأحكام: ٤٩١/٥).

وقال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تولى مال اليتيم له أن يأكل منه؟ فقال: ينظر إلى ما كان غيره يقوم به من الأجر لهم، فليأكل بقدر ذلك. (تهذيب الأحكام: ٣٤٣/٦).

ولقي هشام بن الحكم بعض الخوارج فقال: يا هشام ما تقول في العجم يجوز أن يتزوجوا في العرب؟ قال: نعم، قال: فالعرب تتزوج في قريش؟ قال: نعم. قال: فقريش تتزوج في بني هاشم؟ قال: نعم. قال: عمن أخذت هذا؟ قال: عن جعفر بن محمد عليه السلام سمعته يقول: تتكافى دماؤكم ولا تتكافى فروجكم؟

قال: فخرج الخارجي حتى أتى أبا عبد الله عليه السلام فقال: إني لقيت هشاماً فسألته عن كذا فأخبرني بكذا وكذا فذكر أنه سمعه منك، قال: نعم قد قلت ذلك. فقال الخارجي: فهذا أنا ذا قد جئتك خاطباً! فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنك لكفو في كرمك وحسبك في قومك، ولكن الله عز وجل صاننا عن الصدقة وهي أوساخ أيدي الناس، فكره [فكره] أن نشرك فيما فضلنا الله به من لم يجعل الله له مثل ما جعل لنا!

فقام الخارجي وهو يقول: تالله ما رأيت رجلاً قط مثله، والله ردني أقبح رد وما خرج عن قول صاحبه. (تهذيب الأحكام: ٣٩٥/٧).

وروى عنه عليه السلام في الرجل يجني في غير الحرم ثم يلجأ إلى الحرم، قال: لا يقام عليه الحد ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم ولا يبايع، فإنه إذا فعل به ذلك يوشك أن يخرج فيقام عليه الحد، وإن جنى في الحرم جناية أقيم عليه الحد في الحرم، فإنه لم ير للحرم حرمة. (جواهر الكلام: ٤١/٣٤٤).

من مرويات هشام في موضوعات مختلفة

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم، وما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها. (الكافي: ٢/١٠٩).

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحب الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن: إشباع جوعته أو تنفيس كربته أو قضاء دينه. (الكافي: ٢/١٩٢).

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحاج على ثلاثة أصناف: صنف يعتق من النار وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه وصنف يحفظ في أهله وماله وهو أدنى ما يرجع به الحاج. (الكافي: ٤/٢٦٢)

عن هشام بن الحكم قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، ما ذلك الملك العظيم؟ قال: فرض الطاعة ومن ذلك طاعة جهنم لهم يوم القيامة يا هشام. (بصائر الدرجات: ٥٥)

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مر موسى النبي عليه السلام بصفاح الروحاء على جمل أحمر خطامه من ليف عليه عباءتان قطوانيتان وهو يقول: لبيك يا كريم لبيك. قال: ومر يونس بن متى بصفاح الروحاء وهو يقول: لبيك كشاف الكرب العظام لبيك. قال: ومر عيسى ابن مريم بصفاح الروحاء وهو يقول: لبيك عبدك وابن أمتك [لبيك]، ومر محمد عليه السلام بصفاح الروحاء وهو يقول: لبيك ذا المعارج لبيك. (الكافي: ٤/٢١٣)

عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله عليه وآله: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة، فقيل: يا رسول

الله واثنتين؟ فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة. (الكافي: ٦/٦).
عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أصل خراب البدن ترك العشاء. (الكافي: ٦/٢٨٨).
عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرت التمور عنده فقال: الواحد عندكم
أطيب من الواحد عندنا والجميع عندنا أطيب من الجميع عندكم. (الكافي: ٦/٣٤٨).
عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحناء يزيد في ماء الوجه ويكثر الشيب.
(الكافي: ٦/٤٨٣).

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: البنفسج سيد أدهانكم. (الكافي: ٦/٥٢١).
عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من السعادة سعة المنزل. (الكافي: ٦/٥٢٥).

موقع هشام بين كبار أصحاب الصادق عليه السلام

وفي رجال الكشي (٢/٥٥٤): (عن هشام بن سالم قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام فاستأذن فأذن له، فلما دخل سلم فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس، ثم قال له: حاجتك أيها الرجل؟ قال: بلغني أنك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لأنظرك. فقال أبو عبد الله عليه السلام: في ماذا؟ قال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفع، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران دونك الرجل، فقال الرجل: إنما أريدك أنت لا حمران، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني. فأقبل الشامي يسأل حمران حتى غرض وحمران يجيبه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كيف رأيت يا شامي؟ قال: رأيت حاذقا ما سألته عن شيء إلا أجابني فيه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران سل الشامي فما تركه يكشر (يفتح فمه).

فقال الشامي: أريد يا أبا عبد الله أناظرك في العربية، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا أبان بن تغلب ناظره، فناظره فما ترك الشامي يكشر.

فقال: أريد أن أناظرك في الفقه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا زارة ناظره، فناظره فما ترك الشامي يكشر. قال: أريد أن أناظرك في الكلام، قال: يا مؤمن الطاق ناظره، فناظره فسجل

الكلام بينهما ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به.

فقال: أريد أن أناظرك في الاستطاعة، فقال للطيار: كلمه فيها، قال: فكلمه فما تركه يكشر. ثم قال: أريد أكلمك في التوحيد، فقال لهشام بن سالم: كلمه، فسجل الكلام بينهما ثم خصمه هشام. فقال: أريد أن أتكلم في الإمامة، فقال لهشام بن الحكم: كلمه يا أبا الحكم، فكلمه فما تركه يرتهم ولا يحلي ولا يمر، قال: فبقي يضحك أبو عبد الله عليه السلام حتى بدت نواجذه.

فقال الشامي: كأنك أردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟ قال: هو ذاك، ثم قال: يا أبا أهل الشام أما حمران: فحرفك فحرت له فغلبك بلسانه وسألك عن حرف من الحق فلم تعرفه، وأما أبان بن تغلب: فمغث حقا بباطل فغلبك، وأما زرار: فقاسك فغلب قياسه قياسك.

وأما الطيار: فكان كالطير يقع ويقوم، وأنت كالطير المقصوص لا نهوض لك، وأما هشام بن سالم: فأحسن أن يقع ويطير.

وأما هشام بن الحكم: فتكلم بالحق فما سوغك بريقتك.

يا أبا أهل الشام، إن الله أخذ ضغثا من الحق وضغثا من الباطل فمغثهما ثم أخرجهما إلى الناس، ثم بعث أنبياء يفرقون بينهما ففرقها الأنبياء والأوصياء، وبعث الله الأنبياء ليعرفوا ذلك، وجعل الأنبياء قبل الأوصياء ليعلم الناس من يفضل الله ومن يختص. ولو كان الحق على حدة والباطل على حدة كل واحد منهما قائم بشأنه ما احتاج الناس إلى نبي ولا وصي، ولكن الله خلطهما وجعل تفريقهما إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام من عباده، فقال الشامي: قد أفلح من جالسك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يجالسه جبرائيل وميكائيل وإسرافيل يصعد إلى السماء فيأتيه بالخبر من عند الجبار فإن كان ذلك كذلك فهو كذلك.

فقال الشامي: اجعلني من شيعتك وعلمني!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام علمه فاني أحب أن يكون تلميذا لك.

قال علي بن منصور وأبو مالك الحضرمي: رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبد الله عليه السلام، ويأتي الشامي بهدايا أهل الشام وهشام يزوده هدايا أهل العراق.
قال علي بن منصور: وكان الشامي ذكي القلب).

من مناظرات هشام بن الحكم

تبلغ مناظرات هشام مئات الصفحات، ولا مجال لإيرادها هنا، بل نختر منها:
في رجال الكشي (١/ ٥٥١): (حدثني محمد بن مسعود، حدثني علي بن محمد، عن محمد بن أحمد ابن يحيى، عن أبي إسحاق، عن علي بن معبد، عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام بمنى عن خمسمائة حرف من الكلام، فأقبلت أقول: يقولون كذا، قال: فيقول لي: قل كذا، فقلت: هذا الحلال والحرام والقرآن أعلم أنك صاحبه وأعلم الناس به، فهذا الكلام من أين؟ فقال: يحتج الله على خلقه بحجة لا تكون عنده كلما يحتاجون إليه؟
عن يونس أن هشام بن الحكم كان يقول: اللهم ما عملت وأعمل من خير مفترض وغير مفترض فجميعه عن رسول الله وأهل بيته الصادقين صلواتك عليه وعليهم حسب منازلهم عندك فتقبل ذلك كله مني وعنهم، وأعطني من جزيل جزائك به حسب ما أنت أهله.
قال النظام لهشام بن الحكم: إن أهل الجنة لا يبقون في الجنة بقاء الأبد فيكون بقاؤهم كبقاء الله ومحال أن يبقوا كذلك، فقال هشام: إن أهل الجنة يبقون بمبق لهم، والله يبقى بلا مبق أوليس هو كذلك؟ فقال: محال أن يبقوا للأبد. قال: ما يصيرون؟ قال: يدركهم الخمود.
قال: فبلغك أن في الجنة ما تشتهي الأنفس؟ قال: نعم، قال: فإن اشتها وسألوا ربهم بقاء الأبد؟ قال: إن الله تعالى لا يلهمهم ذلك. قال: فلو أن رجلاً من أهل الجنة نظر إلى ثمرة على شجرة فمد يده ليأخذها فتدلت إليه الشجرة والثمار ثم كانت منه لفته فنظر إلى ثمرة أخرى أحسن منها فمد يده اليسرى ليأخذها فأدركه الخمود ويده متعلقة بشجرتين، فارتفعت الأشجار وبقي هو مصلوباً، فبلغك أن في الجنة مصلوبين! قال: هذا محال! قال: فالذي أتيت به أحل منه أن يكون قوم قد خلقوا وعاشوا فأدخلوا الجنان، تموتهم فيها يا جاهل!

اشتهرت مناظرته في أول شبابه مع عمرو بن عبدي!

روى الكشي (٢/٥٤٨): (عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والطيّار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام! قال: لبيك يا بن رسول الله، قال: ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبدي، وكيف سألته؟ فقال هشام: إني أجلك وأستحي منك، فلا يعمل لساني بين يديك! قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتك بشيء فافعله. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبدي وجلوسه في مسجد البصرة وعظم ذلك علي، فخرجت إليه فدخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمر بن عبدي عليه شملة سوداء من صوف متزر بها وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرت الناس فأفروا جوالي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم أنا رجل غريب فأذن لي فأسألك عن مسألة؟ قال فقال: نعم. قلت له: ألك عين؟ قال: يا بني أي شيء هذا من السؤال، أرأيتك شيئاً كيف تسأل؟ فقلت: هكذا مسألتي. فقال: يا بني سل وإن كان مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها. فقال لي: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم. قلت: فما ترى بها؟ قال: الألوان والأشخاص. قلت: فلك أنف؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، قال: قلت فلك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم. قلت: ألك قلب؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح، قال: قلت أليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بني الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته ردتته إلى القلب فيتيقن اليقين ويبطل الشك. قلت: وإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: فلا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم.

قلت: يا أبا مروان إن الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن لها ما شكت فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافاتهم لا يقيم لهم إماماً

يردون إليه شكهم وحيرتهم، وقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً، ثم التفت إلي فقال لي: أنت هشام؟ قلت لا، فقال: أجالسته؟ قال: قلت لا، قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت إذن هو، قال: ثم ضمني إليه وأقعدني في مجلسه وما نطق حتى قمت.

فضحك أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: يا هشام من علمك هذا؟ قال: قلت يا بن رسول الله جرى على لساني. فقال: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى).



أخطأ هشام في ثلاثة أمور

الخطأ الأول: حضوره لما كان مريضاً مجلس البرمكي:

وقد أحس هو بأن في الأمر مكيدة عليه قال: (فلما صار الرسول إلى هشام قال لي: يا يونس قلبي ينكر هذا القول، ولست آمن أن يكون هاهنا أمر لا أفق عليه لأن هذا الملعون يحيى بن خالد قد تغير عليّ لأمر شتى، وقد كنت عزمت إن من الله علي بالخروج من هذه العلة أن أشخص إلى الكوفة، وأحرم الكلام بته وألزم المسجد ليقطع عني مشاهدة هذا الملعون يعني يحيى بن خالد! قال: فقلت: جعلت فداك لا يكون إلا خيراً فتحرز ما أمكنك، فقال لي: يا يونس أترى التحرز عن أمر يريد الله إظهاره على لساني أنى يكون ذلك، ولكن قم بنا على حول الله وقوته!!)

وأخطأ في المجلس فانجر الى سؤا لهم عن الإمام المفترض الطاعة. (قال سليمان لهشام: أخبرني عن علي بن أبي طالب مفروض الطاعة؟ فقال هشام: نعم قال: فإن أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه؟ فقال هشام: لا يأمرني، قال: ولم إذا كانت طاعته مفروضة عليك وعليك أن تطيعه؟ فقال هشام: عد عن هذا فقد تبين منه الجواب. قال سليمان: فلم يأمرك في حال تطيعه وفي حال لا تطيعه؟ فقال هشام: ويحك لم أقل لك أني لا أطيعه فتقول إن طاعته مفروضة، إنما قلت لك لا يأمرني.

قال سليمان: ليس أسألك إلا على سبيل سلطان الجدل، ليس على الواجب أنه لا يأمرك، فقال هشام: كم تحول حول الحمى هل هو إلا أن أقول لك إن أمرني فعلت، فتنقطع أقبح الإنقطاع ولا يكون عندك زيادة، وأنا أعلم بما تحت قولي وما إليه يؤول جوابي. قال: فتغير وجه هارون وقال: قد أفصح! فانسل هشام وهرب، وأمر هارون بقتله!

وكان الأحرى به أن يصر على اعتذاره بأن وضعه الصحي لا يساعد، ولا يجيهم!

والخطأ الثاني:

أنه في إحدى مناظراته بدل أن يقول عن الله تعالى: شيء لا كالأشياء، قال: جسم لا كالأجسام، فخرجت من قصر يحيى بن خالد البرمكي، وطار بها خصومه في البلدان يقولون إن هشام بن الحكم مجسم، وإن الشيعة مجسمون!

روى في الكافي (١/١٠٦): (عن يونس بن ظبيان قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً، فزعم أن الله جسم لأن الأشياء شيئات: جسم وفعل الجسم فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل! فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويجه أما علم أن الجسم محدود متناه والصورة محدودة متناهية، فإذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً! قال: قلت: فما أقول؟ قال: لا جسم ولا صورة وهو مجسم الأجسام ومصور الصور، لم يتجزأ ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص، لو كان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق، ولا بين المنشئ والمنشأ، لكن هو المنشئ، فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه، إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً).

وفي التوحيد للصدوق/١٠٤: (قال الصقر بن أبي دلف: سألت أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن التوحيد وقلت له: إني أقول بقول هشام بن الحكم، فغضب عليه السلام ثم قال: ما لكم ولقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله عز وجل جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة، يا ابن أبي دلف إن الجسم محدث، والله محدثه ومجسمه).

وفي التوحيد للصدوق/٩٧: (عن محمد بن الفرخ الرخجي قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام وأسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم و هشام بن سالم في الصورة، فكتب عليه السلام: دع عنك حيرة الحيران، واستعد بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان).

وفي التوحيد للصدوق/١٠٧: (عن محمد بن عيسى بن عبيد قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: ما تقول إذا قيل لك: أخبرني عن الله عز وجل شيء هو أم لا؟ قال: فقلت له: قد أثبت الله عز وجل نفسه شيئاً حيث يقول: قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. فأقول: إنه شيء لا كالأشياء، إذ في نفي الشيء عنه إبطاله ونفيه، قال لي: صدقت وأصبت، ثم قال لي الرضا عليه السلام: للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه).

وفي الطرائف/١٥٥، في حديث المعراج: (قال عز وجل: يا أحمد أنا شيء لا كالأشياء لا أقاس بالناس، ولا أو صف بالشبهات، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك).

وقد أجاب الشريف المرتضى جواباً شافياً عما رمي به هشام عليه السلام فقال في الشافي في الإمامة (١/٨٣): (فأما ما رمي به هشام بن الحكم عليه السلام بالتجسيم، فالظاهر من الحكاية عنه القول بجسم لا كالأجسام. ولا خلاف في أن هذا القول ليس بتشبيه ولا ناقض لأصل، ولا معترض على فرع، وأنه غلط في عبارة يرجع في إثباتها ونفيها إلى اللغة.

وأكثر أصحابنا يقولون إنه أورد ذلك على سبيل المعارضة للمعتزلة فقال لهم: إذا قلتم إن القديم تعالى شيء لا كالأشياء فقولوا إنه جسم لا كالأجسام. وليس كل من عارض بشيء وسأل عنه يكون معتقداً له ومتديناً به، وقد يجوز أن يكون قصد به إلى استخراج جوابهم عن هذه المسألة ومعرفة ما عندهم فيها، أو إلى أن يبين قصورهم عن إيراد المرتضى في جوابها، إلى غير ذلك مما لا يتسع ذكره. فأما الحكاية عنه أنه ذهب في الله تعالى أنه جسم له حقيقة الأجسام الحاضرة، وحديث الأشبار المدعى عليه فليس نعرفه إلا من حكاية

الجاحظ عن النظام، وما هو فيها إلا متهم عليه غير موثوق بقوله في مثله.
وجملة الأمر أن المذاهب يجب أن تؤخذ من أفواه قائلها ومن هو مأمون في الحكاية عنهم،
ولا يرجع فيها إلى دعاوى الخصوم، فإنه إن يرجع إلى ذلك في المذهب اتسع الخرق وجل
الخطب ولم نثق بحكاية في مذهب ولا استناد مقالة.

ولو كان يذهب هشام إلى ما يدعونه من التجسم وجب أن يعلم ذلك ويزول اللبس فيه
كما يعلم قول الخوارزمي وأصحابه بذلك ولا نجد له دافعاً، كما لا نجد لمقالة الخوارزمي
دافعاً. ومما يدل على براءة هشام من هذا القرف ورميه على هذا المعنى الذي يدعونه، ما
روي عن الصادق عليه السلام في قوله: لا تزال يا هشام مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك.
وقوله عليه السلام حين دخل عليه وعنده مشائخ الشيعة فرفعه على جماعتهم، وأجلسه إلى جانبه في
المجلس وهو إذ ذاك حديث السن: هذا ناصرنا بقلبه ويده ولسانه.

وقوله عليه السلام: هشام بن الحكم رائد حقنا، وسابق قولنا، المؤيد لصدقنا، والدافع لباطل
أعدائنا، من تبعه وتبع أمره تبعنا، ومن خالفه وألحد فيه فقد عادانا وألحد فينا.
وأنه عليه السلام كان يرشد في باب النظر والحجاج، ويحث الناس على لقائه ومناظرته. فكيف
يتوهم عاقل مع ما ذكرناه على هشام هذا القول بأن ربه سبعة أشبار بشبره!
وهل ادعاء ذلك عليه رضوان الله عليه مع اختصاصه المعلوم بالصادق عليه السلام وقربه منه وأخذه
عنه إلا قدح في أمر الصادق عليه السلام ونسبة له إلى المشاركة في الإعتقاد الذي نحلوه هشاماً. وإلا
كيف لم يظهر عنه من النكير عنه، والتبعيد له ما يستحقه المقدم على هذا الإعتقاد المنكر،
والمذهب الشيعي).

وفي هامشه: قال الشهرستاني في الملل والنحل (١/١٨٥): (هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول
لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما
يظهره من التشبيه، وذلك أنه ألزم العلاف فقال: إنك تقول: الباري تعالى عالم بعلم وعلمه
ذاته، فيشارك المحدثات في أنه عالم بعلم ويباينها في أن علمه ذاته، فيكون عالماً لا كالعالمين،

فلم لا تقول: إنه جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور، وله قدر لا كالأقدار). هذا، ومن العجيب من مشايخ الوهابية أن يشنعوا على هشام بن الحكم بأنه مجسم يقول: إن الله تعالى جسم لا كالأجسام، في حين أن ذلك مذهبهم، فقد رفض ابن باز وابن تيمية نفي صفة الجسم عن الله تعالى! وصحح إمامهم ابن تيمية أن معبوده شاب أمرد، شعره أجدد، يلبس نعلين من ذهب. فالأولى بالوهابية أن يقولوا إن هشاماً بن الحكم منهم بسبب شطحة لسانه بالتجسيم!

الخطأ الثالث: في ملكية النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام:

قال السري بن الربيع: (لم يكن ابن أبي عمير يعدل بهشام بن الحكم شيئاً، وكان لا يغيب إتيانه، ثم انقطع عنه وخالفه، وكان سبب ذلك أن أبا مالك الحضرمي كان أحد رجال هشام، ووقع بينه وبين ابن أبي عمير ملاحاة في شئ من الإمامة، قال ابن أبي عمير: الدنيا كلها للإمام عليه السلام على جهة الملك وأنه أولى بها من الذين هي في أيديهم، وقال أبو مالك: ليس كذلك، أملاك الناس لهم إلا ما حكم الله به للإمام من الفيء والخمس والمغنم فذلك له، وذلك أيضاً قد بين الله للإمام أين يضعه وكيف يصنع به، فتراضيا بهشام بن الحكم وصارا إليه، فحكم هشام لأبي مالك على ابن أبي عمير فغضب ابن أبي عمير وهجر هشاماً بعد ذلك). (الكافي: ١/٤٠٩).

أقول: الحق مع ابن أبي عمير رضي الله عنه وهو مقتضى قوله عز وجل: النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ. ومن المتواتر عن أهل البيت عليهم السلام أن الأرض كلها للنبي والأئمة عليهم السلام.

ففي الكافي (١/٤٠٨) بسند صحيح: (عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين: أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض، ونحن المتقون والأرض كلها لنا، فمن أحيأ أرضاً من المسلمين فليعمرها وليؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها فإن تركها أو أخرها وأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها وأحيأها، فهو أحق بها من الذي تركها،

يؤدي خراجها إلى الإمام من أهل بيتي وله ما أكل منها حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها كما حواها رسول الله ﷺ، إلا ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم على ما في أيديهم ويترك الأرض في أيديهم).

فكل الملكيات طولية في طول ملكية النبي ﷺ وعترته عليه السلام، وملكيتهم هي الأصل الحاكم عليها.

من نبل محمد بن أبي عمير:

من نبلة رضي الله عنه أنه بقي يروي عن هشام بن الحكم ويمدحه، ويعترف بفضله: قال (أمالي الصدوق/ ٧٣١): (ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام، فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم. فقلت: وما صفة العصمة فيه، وبأي شيء تعرف؟ قال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، فهذه منفية عنه، فلا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه، لأنه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسوداً، لأن الإنسان إنما يحسد من هو فوقه وليس فوقه أحد، فكيف يحسد من هو دونه!

ولا يجوز أن يغضب لشئ من أمور الدنيا، إلا أن يكون غضبه لله عز وجل، فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رافة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل، ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة، لأن الله عز وجل حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح، وطعاماً طيباً لطعام مر، وثوباً ليناً لثوب خشن، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية!).

ويؤيد كلامه الأخير كرامة الإمام موسى بن جعفر، لما أرسل له هارون جارية جميلة! قال في مناقب آل أبي طالب (٣/ ٤١٥): (في كتاب الأنوار، قال العامري: إن هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية حسيصة لها جمال ووضاءة لتخدمه في السجن، فقال عليه السلام: قل له:

بل أنتم بهديتكم تفرحون، لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها!
قال: فاستطار هارون غضباً وقال: إرجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك
أخدمناك، واترك الجارية عنده وانصرف!

قال: فمضى ورجع، ثم قام هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم إليه ليتفحص عن حالها فرآها
ساجدة لربها لا ترفع رأسها تقول: قدوس سبحانك سبحانك!

فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره، عليّ بها! فأتي بها وهي ترتعد شاخصة
نحو السماء بصرها فقال: ما شأنك؟ قالت: شأني الشأن البديع إني كنت عنده واقفة وهو
قائم يصلي ليله ونهاره فلما انصرف من صلاته بوجهه وهو يسبح الله ويقدهه قلت: يا سيدي
هل لك حاجة أعطيكيها؟ قال: وما حاجتي إليك؟ قلت: إني أدخلت عليك لحوائجك.
قال: فما بال هؤلاء؟ قالت: فالتفت فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري
ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشى والديباج، وعليها وصفاء ووصايف لم
أر مثل وجوههم حسناً، ولا مثل لباسهم لباساً، عليهم الحرير الأخضر والأكاليل والدر
والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل، ومن كل الطعام، فخررت ساجدة حتى أقامني
هذا الخادم، فرأيت نفسي حيث كنت!

قال: فقال هارون: يا خبيثة لعلك سجدت فنمت، فرأيت هذا في منامك!

قالت: لا والله يا سيدي إلا قبل سجودي رأيت، فسجدت من أجل ذلك!

فقال الرشيد: إقبض هذه الخبيثة إليك، فلا يسمع هذا منها أحد! فأقبلت في الصلاة، فإذا
قيل لها في ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح، فسئلت عن قولها؟ قالت: إني لما عاينت
من الأمر نادتنى الجوارى يا فلانة إبعدي عن العبد الصالح حتى ندخل عليه، فنحن له
دونك! فما زالت كذلك حتى ماتت وذلك قبل موت موسى عليه السلام بأيام يسيرة).

فالأئمة عليهم السلام الذين تكشف لهم الآخرة والجنة ونعيمها، كيف يعصون الله عز وجل؟



خاتمة البحث

هنا وجدت أن الكتاب ناف على أربع مئة وستين صفحة، وقدرت ما بقي فرأيته نحو ذلك. لأنه بقي عدد من البارزين من تلاميذ الإمام عليه السلام وأصحابه، ومنهم فقهاء كبار كهشام بن سالم، ووزراء لهارون كعلي بن يقطين وجعفر بن الأشعث ووالي الأهواز سليمان بن حبيب بن المهلب. ومنهم علماء كبار كجابر بن حيان، والخليل الفراهيدي، وبعضهم ترجمنا له في سيرة الإمام الباقر عليه السلام، وبعضهم لم نترجم له.

وبقيت مناظرات الإمام جعفر الصادق عليه السلام التي تبلغ وحدها نحو مجلد. ومعناه أن استيفاء سيرته عليه السلام يحتاج الى مجلدين آخرين، لكنني رأيت الإكتفاء بهذا المجلد فقط، الذي يتضمن الأصول الأساسية لسيرته عليه السلام على أمل أن يقوم غيري بتدوين ما بقي. والله ولي التوفيق.



فهرس موضوعات الكتاب

مقدمة الكتاب

- ٦..... الإمام الصادق عليه السلام مهندس وجود الطائفة الشيعية
- ٦..... شريط حياة حافل
- ٧..... عايش ثورة عمه زيد وثورة الفرس العباسية وثورة الحسينين
- ٧..... امتد نشاطه العلمي أربعاً وثلاثين سنة

الفصل الأول : الهوية الشخصية للإمام جعفر الصادق عليه السلام

- ٩..... الولادة والشهادة
- ٩..... من صفات الإمام الصادق عليه السلام
- ١٠..... سمونا جعفرية على إسم الإمام جعفر الصادق عليه السلام
- ١٣..... تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا
- ١٣..... قصيدة تجعفرت للسيد الحميري
- ١٦..... نقش خاتم الإمام الصادق عليه السلام
- ١٦..... برنامج الإمام عليه السلام اليومي
- ١٧..... لماذا سمي الصادق

الفصل الثاني: قالوا في الإمام جعفر الصادق عليه السلام

- ١٩..... شهادات بسعة علمه وعمق روحانيته
- ٢١..... الحافظ أبو نعيم الأصفهاني
- ٢٤..... الذهبي في سير أعلام النبلاء
- ٣١..... ابن الجوزي في المنتظم وسبطه في تذكرة الخواص
- ٣٤..... محمد عبد الرؤوف المناوي
- ٣٧..... يشهدون بأن الأئمة عليهم السلام أعلم ولا يروون عنهم!
- ٣٨..... سباه جده رسول الله صلى الله عليه وآله جعفر الصادق
- ٤٠..... المؤلفات الغربية في الإمام الصادق عليه السلام
- ٤٢..... أهم الكتب السننية في الإمام الصادق عليه السلام
- ٤٣..... من أشهر الكتب الشيعية في الإمام الصادق عليه السلام

الفصل الثالث: المنصور الدوانيقي قاتل الإمام جعفر الصادق عليه السلام

- ٤٥..... صار الدوانيقي أميراً فكان همه قتل الإمام الصادق عليه السلام
- ٤٧..... عقدة المنصور من الإمام الصادق عليه السلام !
- ٤٩..... كان المنصور يعرف مكانة الباقر والصادق والعترة عليهم السلام
- ٥١..... كم مرة أحضر المنصور الإمام الصادق عليه السلام ليقته؟
- ٥٢..... أحضر المنصور الإمام الصادق عليه السلام لقتله في المرة الأولى
- ٥٣..... ملاحظات
- ٥٤..... أحضر الإمام الصادق عليه السلام الى الحيرة!
- ٥٥..... إحضار الإمام الصادق عليه السلام في المدينة بعدما أحضره في الربرة!

- ٥٦.....كرامة الإمام عليه السلام عند المنصور فيمن افترى عليه!
- ٦٠.....إحضارات الإمام الصادق عليه السلام برواية السيد ابن طاووس
- ٧٢.....وأحضره المنصور وجميع الحسينين والحسينين!
- ٧٤.....وأحضره المنصور الى بغداد الى حفلة نصب ولي عهده!
- ٧٦.....أحضر المنصور الإمام الصادق عليه السلام في آخر مرة!
- ٧٩.....تاب المنصور عن إحضار الإمام الصادق عليه السلام فاستعمل طرقاً أخرى!
- ٨٠.....ملاحظات
- ٨٢.....تغسيل الإمام الصادق عليه السلام وتكفينه
- ٨٣.....الظرف السياسي عند شهادة الإمام الصادق عليه السلام
- ٨٤.....أوصى الإمام الباقر عليه السلام بصراحة ولم يستطع ذلك الصادق عليه السلام
- ٨٤.....اختلف الناس في وصي الإمام جعفر الصادق عليه السلام
- ٨٦.....زرارة يخترع طريقة للنجاة من القتل!
- ٨٨.....نتيجتان لظروف الخوف عند وفاة الإمام الصادق عليه السلام

الفصل الرابع: أولاد الإمام الصادق عليه السلام

- ٩١.....للإمام الصادق عليه السلام عشرة أولاد بنين وبنات
- ٩٥.....رواية النفحة العنبرية في أولاد الصادق عليه السلام
- ٩٥.....عبد الله الأفتح أو الأعرج ابن الإمام الصادق عليه السلام
- ٩٨.....موقف الإمام الكاظم عليه السلام من أخيه عبد الله الأفتح
- ٩٩.....ومات الأفتح وترك بنتاً فقط!
- ٩٩.....إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام
- ١٠٢.....معنى البداء في اسماعيل بن جعفر عليه السلام
- ١٠٣.....المذهب الإسماعيلي
- ١٠٤.....قرية سَلَوِيَّة منطلق الإسماعيلية
- ١٠٨.....محمد بن إسماعيل بن جعفر
- ١٠٩.....ثلاثة شركاء في دم الإمام الكاظم عليه السلام!
- ١١٢.....محمد بن جعفر الصادق عليه السلام
- ١١٣.....إسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام
- ١١٤.....علي بن جعفر فخر أبناء الصادق عليه السلام بعد الكاظم عليه السلام
- ١١٦.....من مقدمة كتاب: مسائل علي بن جعفر
- ١١٨.....كتاب مسائل علي بن جعفر
- ١١٩.....برز الإمام الكاظم خليفة أبيه الصادق عليه السلام على رغم المنصور
- ١١٩.....من معجزاته التي ظهرت لرسول أهل نيسابور
- ١٢٤.....من معجزاته التي ظهرت لشقيق بن ابراهيم البلخي

الفصل الخامس: الثورات في عصر الإمام الصادق عليه السلام

- ١٢٩.....أمجاد ثورة الحسين وأبناء الحسين عليه السلام في ثقافة المسلمين
- ١٣٠.....كان للأئمة الإثني عشر عليهم السلام سياستهم الخاصة
- ١٣١.....الشعبية الواسعة لأهل البيت عليهم السلام وثورة زيد وابنه يحيى

- ١٣٢..... ثورة زيد بن علي عليه السلام فتحت باب الثورة من جديد.....
١٣٨..... ثورة يحيى بن زيد هزت إيران.....
١٤٤..... ثورة عبدالله بن معاوية بن عبدالله جعفر.....

الفصل السادس: الثورة على الأمويين فارسية وليست عباسية

- ١٤٩..... أسلمت إيران فدخلت طاقة جديدة في الأمة.....
١٥٢..... الإيرانيون أذكى من استغل نقمة الأمة على بني أمية.....
١٥٣..... كان النشاط الحسيني والعباسي ضعيفاً قبل بكر بن ماهان.....
١٥٦..... بكر بن ماهان مهندس الثورة على الأمويين.....
١٦٣..... أبو مسلم الخراساني: عبد الرحمن بن سيروس بن اسفنديار الاصفهاني.....
١٦٦..... توظيف الحديث النبوي كذباً وزوراً!.....
١٦٧..... عوامل ساعدت أبا مسلم في نجاح ثورته.....
١٦٩..... موجة انتصار أبي مسلم!.....
١٧٠..... السفاح والمنصور يدبران قتل أبي مسلم!.....
١٧٤..... الطاغية العباسي يسحب العفريت من حلوان الى حتفه!.....
١٨١..... أبو سلمة الخلال خليفة بكر بن ماهان وأكفأ منه.....
١٨٦..... حبس أبو سلمة الخلال كل بني العباس في الكوفة!.....
١٨٨..... شعار الدعوة إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام.....
١٨٩..... كتب أبو مسلم إلى الإمام الصادق عليه السلام ثم جاء يعرض عليه الخلافة.....
١٩٠..... كشف الإمام الصادق عليه السلام لعبة العباسيين برفعهم الرايات السود!.....
١٩٠..... ملاحظات.....
١٩٤..... الإمام الصادق عليه السلام يؤمن بالثورة لكنه لا يثق بأكثر الثوار!.....
١٩٩..... أبو مسلم الخراساني يؤكد رأي الإمام الصادق عليه السلام.....

الفصل السابع: ثورة الحسينيين على العباسيين!

- ٢٠١..... مناقبية الأخوة عند الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.....
٢٠٢..... زيد بن الإمام الحسن عليه السلام وذريته.....
٢٠٣..... الحسن بن الإمام الحسن عليه السلام وذريته.....
٢٠٤..... عبدالله بن الحسن المنثى الأب المؤسس للثورة العباسية.....
٢٠٤..... عبدالله بن الحسن يدعو الى مؤتمر الأبناء لبيعة ابنه.....
٢٠٧..... ملاحظات.....
٢١٠..... موقف الأئمة عليهم السلام من الثوار الحسينيين.....
٢١٣..... حساسية عبدالله بن الحسن وأبنائه من الأئمة عليهم السلام.....
٢١٦..... موسى بن عبدالله بن الحسن يتحدث عن موقف الإمام الصادق عليه السلام.....
٢٢٣..... ملاحظات.....
٢٣٠..... الحسينيون أفتعوا فقهاء البصرة بمبايعة مهديهم!.....
٢٣١..... ملاحظات.....
٢٣٤..... حاول فقهاء البصرة إقناع الإمام الصادق عليه السلام برأيهم.....
٢٣٧..... ملاحظات.....

- لم يستفد الحسينيون من الجمهور الزيدي وضيعوا فرصاً ذهبية ٢٣٨
- ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى المتسمي بالمهدي ٢٤١
- الرسائل المتبادلة بين المنصور ومهدي الحسينيين ٢٤٦
- أوصى مهدي الحسينيين إلى أخيه إبراهيم ثم إلى ابن زيد ٢٥٢
- الحسينيون ولعنة ادعاء المهديونية! ٢٥٣
- ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى في البصرة ٢٥٣
- دخل إبراهيم البصرة فأسر أهلها إلى بيعته! ٢٥٤
- تراحم الفقهاء والرواة والعباد على تأييده والثورة على المنصور! ٢٥٤
- انتصر إبراهيم، فتهياً المنصور للهرب وهو يقول: أين قول صادقهم؟! ٢٥٩
- سهم عائر لزيد بن علي، وسهم عائر لابنه يحيى، وسهم عائر لإبراهيم! ٢٦١
- أرسل المنصور رأس إبراهيم إلى أبيه ثم قتله والمحوسين معه! ٢٦٤
- وسع المنصور انتقامه فاضطهد كل أبناء علي وفاطمة عليه السلام! ٢٦٥
- كان إبراهيم محبوباً من آل علي عليه السلام ٢٦٦
- تفرقت بقية الحسينيين بعد مقتل إبراهيم في العالم! ٢٦٧

الفصل الثامن: الهوية الشخصية للمنصور الدوانيقي!

- سمى نفسه المنصور وسماه أبوه عبد الله وسمته أمه مقلاص! ٢٦٩
- وسماه الناس الدوانيقي! ٢٦٩
- وسماه أهل البيت عليه السلام بجبار بني العباس ٢٧١
- وسرق الدوانيقي لقب المنصور من ألقاب المهدي الموعود عليه السلام ٢٧١
- أم المنصور الرقاصة وتأثيرها في شخصيته ٢٧٢
- نشأ المنصور مع أمه الفارسية في البصرة وإيدج ٢٧٣
- تعرف في سجن الأهواز على نوبخت المنجم! ٢٧٤
- لم يكن لبني عباس بيت في المدينة فكانوا ضيوفاً على الحسينيين! ٢٧٥
- لماذا هرب المنصور في زمن الأمويين؟ ٢٧٦
- قلد المنصور معاوية وتبنى مذهب القدرية وجعل فعله فعل الله! ٢٧٦
- تفرعن المنصور وفرح بمن ادعوا له الألوهية! ٢٧٦

الفصل التاسع: المنصور الدوانيقي المتعطش للدماء!

- المنصور داهية مدمن لسفك للدماء! ٢٧٩
- القتل عند المنصور ليس مشكلة بل يحل المشكلة! ٢٨٠
- قتل المنصور كل قادة الثورة الذين أوصلوهم إلى الحكم ٢٨٠
- ويا حاطباً في غير حَبْلِكَ تَحْطَبُ! ٢٨١
- وقتل أعمامه ومن معهم وابن المقفع الأديب! ٢٨٢
- تفنن في قتل ابن المقفع وفي تبرئة قاتله! ٢٨٥
- قرر المنصور الدوانيقي إبادة كل بني علي عليه السلام ٢٨٩
- أسس المنصور سياسة المجازر فيهم حتى أوقفها المأمون! ٢٨٩
- واصل المنصور سياسة بني أمية في إبادة فضائل أهل البيت عليه السلام ٢٩٠
- الأعمش يتحدى المنصور فيقتله! ٢٩٥

٢٩٧.....	أوصى الدوانيقي ابنه أن يتابع سياسة إبادة عترة النبي ﷺ
٢٩٩.....	زعم المنصور أن العباسيين هم عترة النبي ﷺ وورثته
٣٠٠.....	ثم ناقض المنصور نفسه فأعلن توليه لأبي بكر وعمر
٣٠٢.....	أطاع فقهاء المذاهب المنصور وزادوا عليه
٣٠٣.....	المنصور يضطهد أهل الكوفة بحجة أبي بكر وعمر
٣٠٦.....	وصارت فتوى المنصور ركناً من دين الإسلام!

الفصل العاشر: المنصور الدوانيقي عمر بن الخطاب الثاني

٣٠٩.....	المسلمون مقلدون لها في نظام الحكم والعقائد والفقهاء!
٣٠٩.....	معنى قولهم إن الإمام الصادق ﷺ أبو المذاهب الإسلامية
٣١٣.....	كيف كان المنصور يدمج علماء المذاهب
٣١٤.....	كيف دجن المنصور أبا حنيفة؟!

الفصل الحادي عشر: كيف أدار الإمام الصادق ﷺ جماعة الشيعة

٣١٥.....	تكونت جماعة شيعة علي في عهد النبي ﷺ
٣١٥.....	رعى الأئمة ﷺ جماعة الشيعة فتطورت
٣١٦.....	لماذا سمي الشيعة بالجعفرية؟
٣١٧.....	أكد الأئمة ﷺ والإمام الصادق ﷺ خاصة على مواصفات الشيعي
٣١٧.....	ضمن الأئمة ﷺ اللجنة للشيعة بضمان الله تعالى ورسوله ﷺ
٣١٩.....	رعى الإمام الصادق ﷺ جماعة الشيعة وأغناهم فقهاً وعقدياً
٣٢١.....	توجهات الإمام الصادق ﷺ في البناء الداخلي للطائفة
٣٢١.....	رسالة الإمام الصادق ﷺ إلى الشيعة
٣٢٢.....	التقية ومدارة المخالفين
٣٢٢.....	إحفظوا ألسنتكم عن الحرام
٣٢٣.....	أكثروا من الدعاء
٣٢٣.....	إتقوا ما حرم الله عليكم
٣٢٣.....	تحملوا عن خالفكم
٣٢٤.....	تأخذون دينكم منا بعلم وبأخذ غيركم بهواه
٣٢٥.....	أتركوا رفع أيديكم في الصلاة لأنه مستحب يميزكم عن غيركم
٣٢٦.....	إحذروا أهواءكم وآراءكم
٣٢٦.....	جاملوا الآخرين وداروهم ولا تسبوا رموزهم
٣٢٦.....	إتبعوا سنة نبيكم وعترة نبيكم ﷺ
٣٢٧.....	لا يؤمن عبد حتى يرضى عن الله
٣٢٧.....	حق المساكين على المؤمن
٣٢٧.....	التحذير من آفة التكبر والحسد
٣٢٨.....	معونة المسلم واجبة
٣٢٨.....	التحذير من حبس حقوق الله الزكاة والخمس
٣٢٨.....	التحذير من إشهار خواص الإمام ﷺ عند الأعداء!
٣٢٩.....	يجب تولي جماعة الشيعة

٣٢٩.....	لا يقبل الله إلا ممن انتهى عن الحرام.....
٣٣٠.....	لا إسلام بدون التسليم لله تعالى.....
٣٣١.....	أهمية الاعتقاد بصفات الله تعالى.....
٣٣١.....	التحذير من التجبر والتحكم في الناس.....
٣٣١.....	امتحن الله الخلق في عالم الذر أو عالم الظلال.....
٣٣٢.....	صبروا أنفُسكم على البلاء في الدنيا.....
٣٣٣.....	من أراد حسن العاقبة فليتبِع أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٣٣٣.....	فهرس مواضع ربي بها الصادق <small>عليه السلام</small> شيعة.....
٣٣٥.....	الأعمال السبعة التي قام بها الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٣٣٦.....	العمل الأول: نهاهم عن الانخراط في ثورة فاشلة أو ثائرين غير موثوقين.....
٣٣٧.....	وكان الإمام <small>عليه السلام</small> يهدئ حماسة شباب الشيعة بأساليب بليغة.....
٣٣٨.....	العمل الثاني: أسس الصادق <small>عليه السلام</small> الإستقلال القضائي للشيعة.....
٣٣٩.....	العمل الثالث: أجاز لهم اختيار قاضي التحكيم.....
٣٣٩.....	من أحاديث نصب القاضي الشرعي والنهي عن التحاكم الى قضاة الجور.....
٣٤١.....	العمل الرابع: نَصَبَ الأئمة <small>عليهم السلام</small> وكلاء، وربما نصبوا رؤساء على الشيعة.....
٣٤٣.....	العمل الخامس: دور فريضة الخمس في خدمة الطائفة.....
٣٤٤.....	العمل السادس: تعمد الصادق <small>عليه السلام</small> إيجاد التعدد في الشيعة!.....
٣٤٦.....	العمل السابع: أغنى الشيعة بالأدعية والزيارات!.....

الفصل الثاني عشر: عبادة الإمام الصادق عليه السلام وكراماته

٣٤٩.....	شهد الجميع بكثرة عبادته <small>عليه السلام</small> وكراماته.....
٣٥٣.....	اشتهر عند السنة دعاؤه دفع شر المنصور!.....
٣٥٣.....	أدعية وصلوات علمها الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> للشيعة.....
٣٥٣.....	دعاء الحجاب من الأعداء:.....
٣٥٤.....	دعاءه <small>عليه السلام</small> في الصباح:.....
٣٥٥.....	صلاة أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> لقضاء الحاجات:.....
٣٥٦.....	الصيام لطلب الحاجة:.....
٣٥٧.....	الدعاء في الطواف:.....
٣٥٧.....	يوم المبعث أشرف الأعياد:.....
٣٥٨.....	فضل الصلاة في مسجد النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> :.....
٣٥٧.....	فضل الصلاة في مسجد الكوفة والسهلة:.....
٣٦١.....	فضل ليلة النصف من شعبان:.....
٣٦٣.....	زيارات علمها الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> للشيعة.....
٣٦٣.....	زيارة النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> :.....
٣٦٤.....	زيارة المشاهد في المدينة:.....
٣٦٥.....	وداع قبر النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> :.....
٣٦٥.....	فضل زيارة قبر أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> :.....
٣٦٧.....	فضل ماء الغرات:.....
٣٦٧.....	فضل زيارة الحسين <small>عليه السلام</small> :.....

٣٦٩	عَلَّمَ الشيعة إقامة مجالس التعزية بالحسين <small>عليه السلام</small> :
٣٧٢	وشجعهم على زيارة الأربعين للحسين <small>عليه السلام</small> :
٣٧٤	دعاء الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> لزوار الحسين <small>عليه السلام</small> :
٣٧٥	حدود قبر الحسين <small>عليه السلام</small> وترتبه:
٣٧٥	الدعاء ليلة عرفة ويومها:
٣٧٦	دعوة الى دراسة الأدعية والزيارات عند الشيعة
٣٨٠	أغنانا الله عن أدعية الحشوية وتحريفاتهم!
٣٨٠	نموذجان من تحريف الأدعية!
٣٨١	معنى فتواهم: (لا يقصد الورود بل برجاء المطلوبة)
٣٨٢	هكذا اقرأ المناجاة الخمسة عشر
٣٨٢	المناجاة الأولى: مناجاة التائبين
٣٨٣	المناجاة الثانية: مناجاة الشاكرين
٣٨٤	المناجاة الثالثة: مناجاة الخائفين
٣٨٥	المناجاة الرابعة: مناجاة الراجين
٣٨٥	المناجاة الخامسة: مناجاة الراغبين
٣٨٦	المناجاة السادسة: مناجاة الشاكرين
٣٨٧	المناجاة السابعة: مناجاة المطيعين لله
٣٨٧	المناجاة الثامنة: مناجاة المريدين
٣٨٨	المناجاة التاسعة: مناجاة المحبين
٣٨٨	المناجاة العاشرة: مناجاة المتوسلين
٣٨٩	المناجاة الحادية عشرة: مناجاة المفتقرين
٣٩٠	المناجاة الثانية عشرة: مناجاة العارفين
٣٩٠	المناجاة الثالثة عشرة: مناجاة الذاكرين
٣٩١	المناجاة الرابعة عشرة: مناجاة المعتصمين
٣٩٢	المناجاة الخامسة عشرة: مناجاة الزاهدين
٣٩٢	تحريف بإضافة سطرين في أول دعاء الصباح
٣٩٣	ابن باقي القرشي الراوي الوحيد لدعاء الصباح
٣٩٣	مناقشة الملا هادي السبزواري في شرحه دعاء الصباح!
٣٩٧	أدعية وأعمال مجعولة بكاملها
٣٩٨	كرامات الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> ومعجزاته تبلغ مجلداً!
٤٠٦	ظهرت حركة الغلو بالأئمة <small>عليهم السلام</small> في الكوفة

الفصل الثالث عشر: تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام

٤٠٩	الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> أبو المذاهب وأستاذ أئمتها
٤١١	قصده الناس في المدينة وازدحم عليه الألو في الكوفة
٤١٢	أقام الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في الكوفة ستين
٤١٣	امتلاً مسجد الكوفة بالعلماء والطلبة وصارت الكوفة عاصمة علمية
٤١٤	من مرويات ابن عقدة عن الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٤١٧	وروى عنه أن ولاية أهل البيت شرط في قبول الأعمال

- ٤١٧..... عصا موسى عليه السلام من الجنة.....
- ٤١٧..... لا تترك قضاء حاجة المؤمن.....
- ٤١٧..... عمّن نكتب من الآلاف المؤلفة من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام؟.....
- ٤١٨..... الفقهاء الستة من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام.....
- ٤١٨..... جميل بن دراج النخعي.....
- ٤٢٠..... عبد الله بن مسكان العنزي.....
- ٤٢٢..... عبد الله بن بكير بن أعين.....
- ٤٢٣..... حماد بن عيسى الجهني.....
- ٤٢٦..... حماد بن عثمان الناب.....
- ٤٢٧..... أبان بن عثمان الأحمر.....
- ٤٢٩..... المفضل بن عمر الجعفي رئيس شيعة الكوفة.....
- ٤٣٥..... هشام بن الحكم الكندي كبير متكلمي الشيعة.....
- ٤٣٥..... الهوية الشخصية والنشأة.....
- ٤٣٧..... كيف تشيع هشام على يد الإمام الصادق عليه السلام؟.....
- ٤٣٨..... سبب علاقة هشام بيحيى بن خالد البرمكي!.....
- ٤٣٩..... خطر البرامكة على الإسلام!.....
- ٤٣٩..... البرمك: سادن بيت النار عند المجوس!.....
- ٤٤٠..... أراد البرامكة بكيدهم تمجيس الأمة الإسلامية!.....
- ٤٤١..... مكيدة يحيى البرمكي ضد هشام والإمام الكاظم عليه السلام!.....
- ٤٤٦..... رأي السيد الخوئي رحمته الله في هشام.....
- ٤٤٧..... الحسد وما أدراك ما الحسد!.....
- ٤٤٧..... وصية الإمام الكاظم عليه السلام إلى هشام في أهمية العقل والعقلاء.....
- ٤٥٣..... هشام بن الحكم من فقهاء الدرجة الأولى.....
- ٤٥٣..... من مرويات هشام الفقهية.....
- ٤٥٦..... من مرويات هشام في موضوعات مختلفة.....
- ٤٥٧..... موقع هشام بين كبار أصحاب الصادق عليه السلام.....
- ٤٥٩..... من مناظرات هشام بن الحكم.....
- ٤٦٠..... اشتهرت مناظرته في أول شبابه مع عمرو بن عبيد!.....
- ٤٦١..... أخطأ هشام في ثلاثة أمور.....



”شغل فكري هذا السؤال أياماً: كيف أدار الإمام الصادق عليه السلام هذه الأمجاد العظيمة والثروة الطائلة التي ورثها من أبيه وأجداده عليهم السلام؟ فقد ورث موجة الثقافة النبوية التي فجرها أبوه باقر العلم عليه السلام. وورث جيلاً من العلماء من تلاميذ أبيه. وورث شعبية واسعة وتقديساً في المسلمين في المشرق والمغرب. وورث موجة ظلامه أهل البيت عليهم السلام التي أشعلت الثورة على الأمويين. وورث حالة ضعف الأمويين التي حركت الثورة عليهم.

في هذا الخضم قام الإمام الصادق عليه السلام بتشكيل الطائفة الإمامية، فرسم لها علاقاتها بالسلطة، وبالثورات من حولها، وأغناها علمياً فلا تحتاج الى أحد ويحتاج الناس إليها...”

(من مقدمة الكتاب)